



المسائل في أعمال القلوب والجوارح


بسم الله الرحمن الرحيم

الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٦) خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٧) وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (٨) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٩) فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ(١٠).

. سورة البقرة: {١-١٠}، الآية.



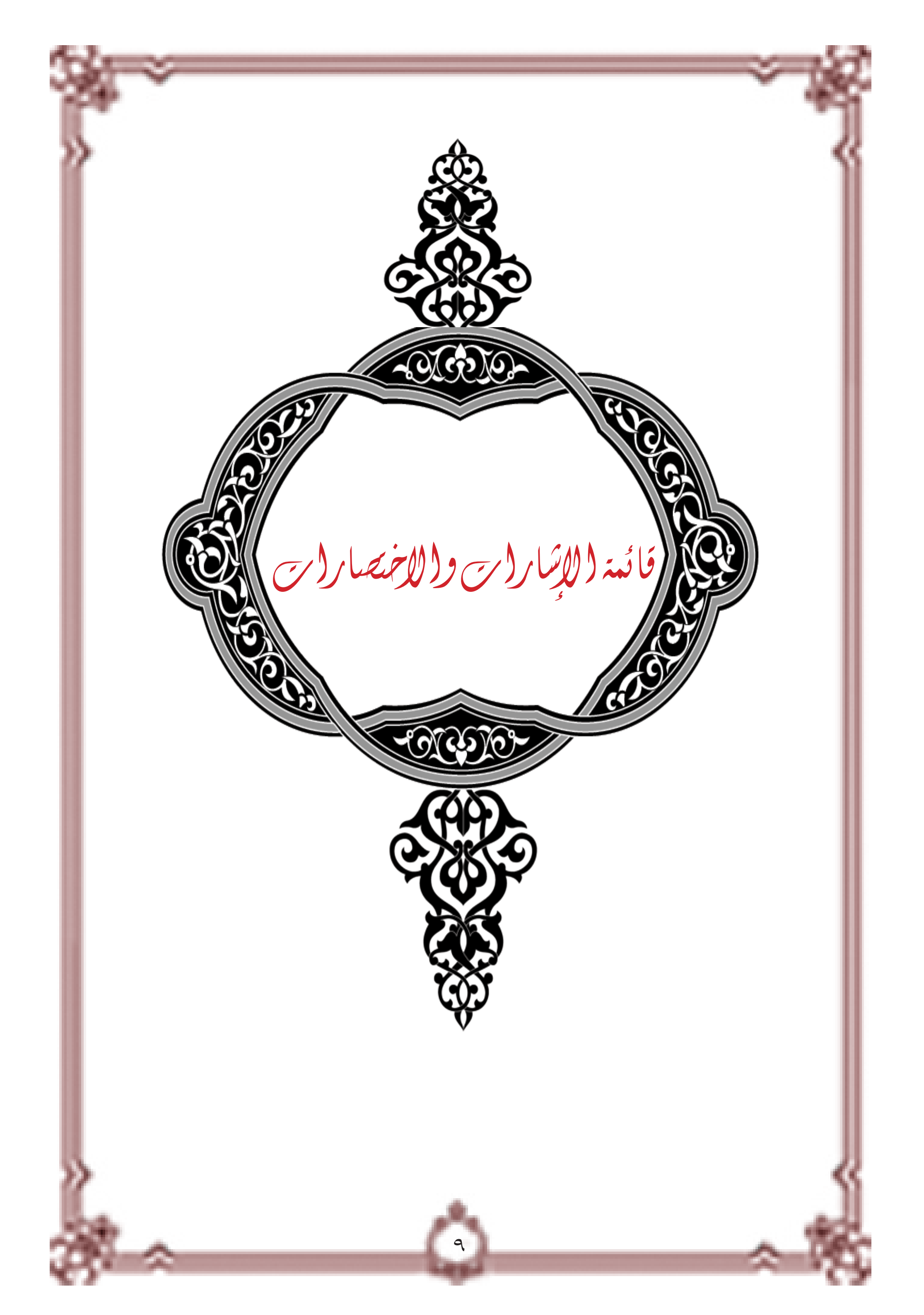


هذا الكتاب

إن مخطوطة أعمال القلوب والجوارح هي من روائع كتب المحاسبي؛ لكونها قد مزج فيها المحاسبي روعة الكلمات ما بين الفقه الإسلامي والعنصر الروحاني، لذلك كانت عصارة جهده لسنوات طويلة من فكر وعلم وثبات على نهج القرآن الكريم والسنة النبوية، وعندما تقرأ الكتاب بتمعّن تلاحظ بوضوح أنه قد ركز على مفهوم القلب والجوارح وعلاقتهما ببعض عند المؤمن في العبادة سالكًا طريق القلب قبل العقل والحواس.

وقد شَكّل هذا المنحني عنده طاعة للمريدين بالتفويض والتوكل لرب العباد برؤيا جديدة بعيدة عن مفهوم العقل؛ لكون أن العقل عند الفلاسفة طريق إدراكِ النور والقلب، عند المؤمنين طريق نجاة من الهلاك، ولهذا السبب نجد أن هاجس الخشوع يلتزم به المريد القاصد لعلم الشيخ المحاسبي رحمه الله منذ قراءة السطور الأولى في الكتاب، فقد جاءت بكلمات ومعانٍ معطّرة ببلاغة القرآن الكريم ووعظ وسرد الأحاديث.





قائمة الإشارات والاختصارات



قائمة الإشارات

- { } الآيات القرآنية
- ( ) الأقوال من المخطوطات
- « » الأحاديث النبوية
- زيادة من المحقق
- [ ] نقص في الأصل
- * * مخطوطة أسمائها ورد المتن
- (( )) الأقوال المقتبسة من الكتب

قائمة المختصرات

- الأصل: مخطوطة جامع السليمانية اسطنبول
- الأزهر: مخطوطة المكتبة الأزهرية القاهرة
- د.ت: دون تاريخ
- د. ط: دون دار طباعة

- ت: تحقيق
- ف.ح: فحص حواشي
- أ: اعتناء وضبط
- تر: ترجمة
- ش: شرح
- تخ: تخريج
- ع. ع: علق عليه



صور المخطوطات المستخدمة في الكتاب





نسخ مصورة عن مخطوطة مكتبة السليمانية



غلاف كتاب المخطوطة



الصفحة الأولى من المخطوطة في مسألة الحسبة



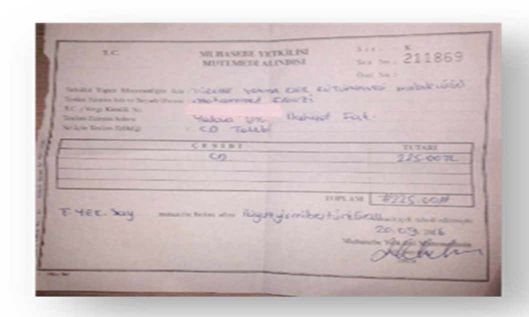
الصفحة الوسط من المخطوطة وهي مسألة بدون عنوان



المسألة الأخيرة في المخطوطة في النذور



صور وصلات شراء نسخ المخطوطة



T.C.

MUHASEBE YETKİLİSİ MUTEMEDİ ALINDISI

211869

ÇEŞİDİ	TUTARI
CD	225.00
TOPLAM	225.00

20.09.2016

وصل شراء نسخ المخطوطة من مكتبة السليمانية إسطنبول



قسيمة تعطى للدافع

٠٢٨٧٥٧٨

مجموعة ١٠٦٥

مصلحة

وصل من

مبلغ وقدره

قيمة

دمغة إيصال

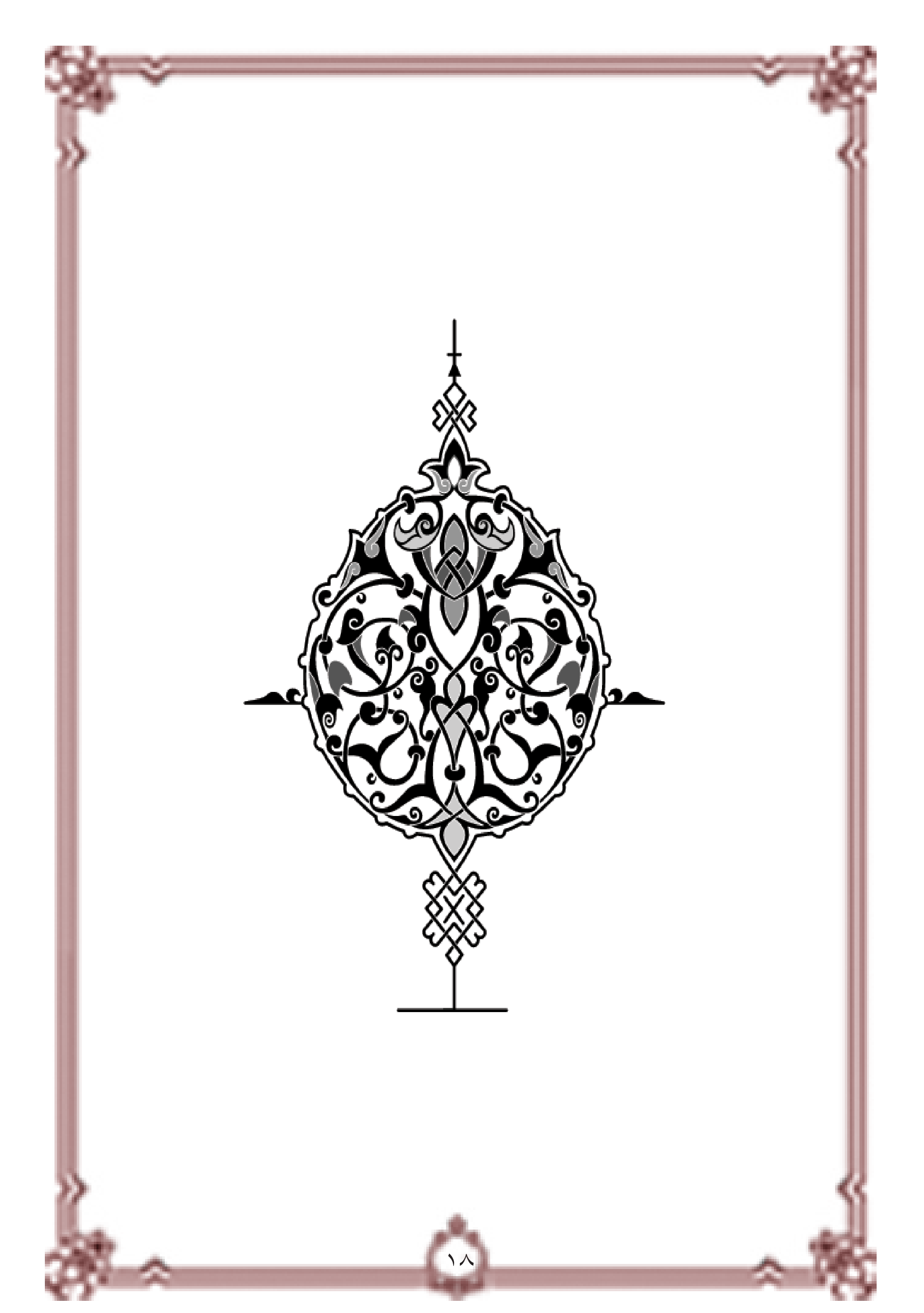
تحريرًا في

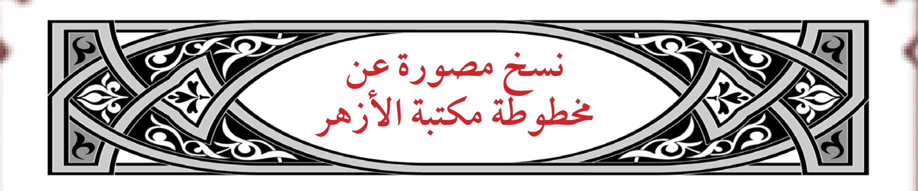
الصراف

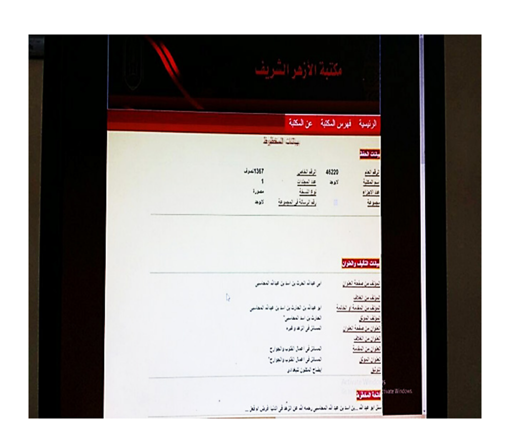
قرش	جنيه	
		دمغة
		ما قبله
		الجملة

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

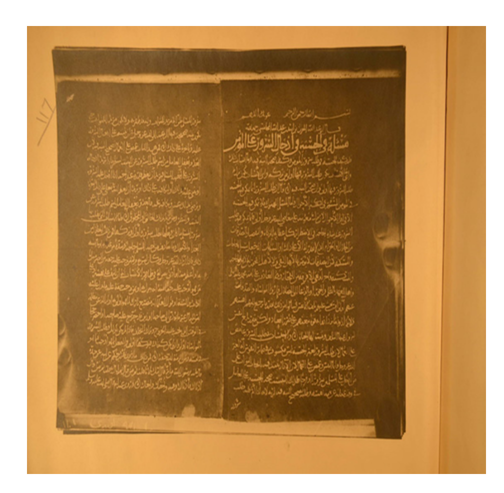
وصل شراء نسخ المخطوطة من المكتبة الأزهرية القاهرة







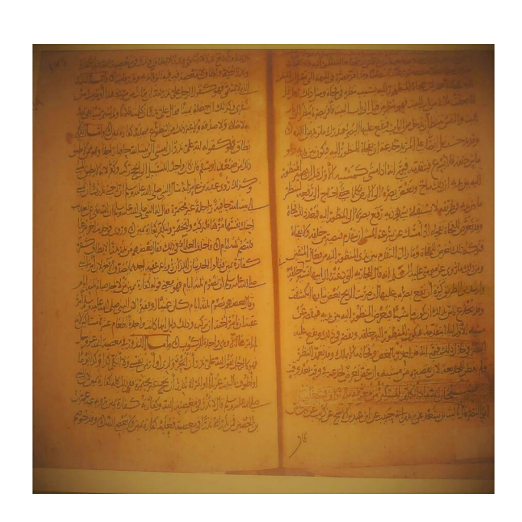
معلومات غلاف مخطوطة المكتبة الأزهرية



الصفحة الأولى من المخطوطة في مسألة الحسبة



الصفحة الوسط من المخطوطة



المسألة الأخيرة في المخطوطة مكتبة الأزهر القاهرة

الْمَسَائِلُ فِي أَعمالِ الْقُلوبِ والْجَوارِحِ

تأليف

الْإِمَامُ الزَّاهِدُ الْعَالِمُ بعلم المُعَامَلة والمتحدِّث

فِي عُيُوبِ النَّفْس وأَحوالِها شَيْخُ مَشَايِخ التَّصوُّفِ

أَبو عَبْدِ اللَّهِ الْحَارِثِ بْن أَسَد المُحَاسِبِّي

١٦٥هـ-٢٤٣هـ

تحقيق

محمد فوزي كريم

فقد قال:((فقد انتهى إلينا: «إنَّ هذهِ الأمة تفترقُ على بِضعٍ وسبعين فرقة مِنها فرقة ناجية»[١]، والله أعلَمُ بِسائِرها[٢] فلمْ أزلْ بَرْهَةً[٣] مِنْ عُمري أنظرُ اختلاف الأُمةِ، وألتمسُ المنهاجَ القويم الواضح، والسبيلَ القاصِد وأطلبُ مِنْ العلِم والعملِ ما اجتمعَ عليهِ السلفُ في جدَّة[٤] الإسلام، واستدلَّلتُ على طريقِ الآخرة بإرشاد العلماءِ، وعَقلتُ كثيرًا من كلام الله تعالى بتأويلِ الفقهاءِ، وتَدبرتُ أحوالَ الأمةِ ونَظرت في مذاهبها وأقاويلَها فَعقلتُ مِنْ ذلك ما قُدرَ لي، ورأيتُ اختلافهم بحرًا عميقاً قد غرقَ فيهِ ناسٌ كَثير، وسلمَ مِنهُ عِصابةُ قليلة، ورأيتُ كلَّ صَّنف مِنْهم يَزعم أنَّ النجاة في مذهبِهم والهالك من خالفَهُم))[٥].

الْحَارِثُ بْنُ أَسَد الْمُحاسِبيّ

---

(١) سنن الترمذي. محمد بن عيسى: رقم الحديث : ٢٦٤١.صحيح ابن ماجه. الألباني: رقم الحديث:٣٢٢٦.

(٢) بِسائِرها : أَي مَهازِيلَ. يُقَالُ ذَلِكَ عِنْدَ المَزْرِيةِ عَلَى المِتْلافِ لمالهِ.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج١،ص٢٩٦.

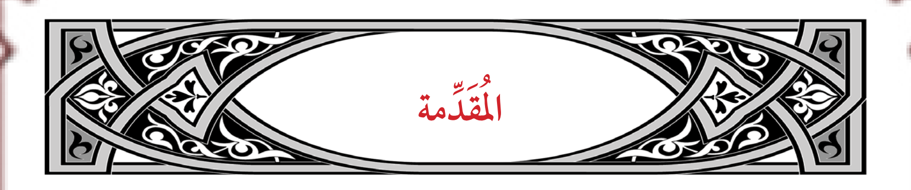
(٣) بَرْهَةٌ: زَمَنٌ.

انظر: : تهذيب اللغة. محمد بن أحمد بن الأزهري:ج٦،ص١٥٨.

(٤) جُدَّة: عظمة. وقال الله تبارك وتعالى: {جدّ ربنا} أي عظمة ربنا.

انظر: البارع في اللغة. إسماعيل بن القاسم بن عيذون: ج١،ص٥٧٦.

(٥) انظر: مخطوطة النصائح. المحاسبي:ص٢. الوصايا. المحاسبي،ت: عبد القادر عطا:ص٢٩. آداب النفوس. المحاسبي،ت:عبد القادر عطا:ص٢٠.



المُقَدِّمة

الحمدُ لله الذي فضَّل ذوي العُقول، ومَيز العَالم من المَجهول، وقَدم الفاضلَ على المفضول بما خصَّهُ من حَكمةٍ تَستيقظ بها الألباب الإلهية وتستَقيم بها الأخلاقُ الجاسية؛ ليَعْم الصَّلاحُ والاستصلاحُ بما فُطَر عَليهِ من خُلق مَطبوع ودعا إليهِ من تَخلقٍ مَصنوع، فيتصاحب النَّاسُ مُؤتلفينَ ويتواصلوا مُتعاطفين، فَلهُ الحمدَّ على ما أَنعم وأَلهمَ، وَصَلَواتُه على الهادي أُمتهِ وموضحَ شَريعتهِ محمد النَّبِيَّ وعلى آله وَصَحبهِ ذَوي المروءاتِ والكَرَمِ.

صُوفِيٌّ مُتحدِّث بالوعظِ عَالِمٌ بعَلم الْيَقِينَ سَارَ نَبْلَ فَضلهِ وتكلَم بهِ الخلقُ؛ فأراهُم الجوهرَ المكنونَ وشَفتْ الأسماعُ بدرَ لفظهِ المَكْنُون، فهو أحدُ الأوتاد كانتْ أحوالهِ مُصححةً مذكورةٌ، شَيْخُ مَشَايِخ التَّصَوُّفِ أَبو عَبْدِ اللهَّ الْحَارِثُ بْنُ أَسَد الْمُحَاسِبيّ البَصريّ العَنَزِيَ الأصلِ، وأَشارَ نسَبهُ إلى القبائلِ العرّبيةِ في شبهِ جزيرةِ العرب، ((١٦٥هـجرية -٢٤٣هـجرية))[1].

وقد سُميَّ الْمُحَاسِبِي بضَم الْمِيم وَفتح الْحَاء وَكسر السِّين الْمُهْملَة وَفِي آخرهَا بَاء مُوَحدَة؛ لِأَنَّهُ كَانَ يُحَاسب نَفسَهُ، وَقَدْ اجْتمع لَهُ عِلمَ الظَّاهِر وَالْبَاطِن بكرم الله عزَّ وجلَّ، كانَ الشَيخُ مُهتمًا بالزُهدِ ويطالبُ بمحاسبةِ النفسِ من النَاحيةِ الدينية والخلقيةِ داعيًا إلى التوبةِ، عَارفُ العارفين في زمانهِ وأستاذُ السائرين وشَيخ البَغداديين[2]، كانَ أحدُ رِّجالِ الحقيقةِ

(١) انظر : تاريخ بغداد: الخطيب البغدادي: ج٩، ص.١٠٤سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج١٢، ص١١٠. الأعلام.الزركلي:ج٥،ص٢٨١.طبقات الفقهاء الشافعية. ابن صلاح: ج١، ص ٤٣٨. أنباء أبناء الزمان. ابن خلكان:٦١.مرآة الجنان. لليافعيي:ج٢،ص١٠٦.طبقات الأولياء. ابن الملقن: ص١٧٥.شذرات الذهب. لابن عماد: ج٣،ص١٩٧.طبقات الشافعية. السبكي: ج٢، ص٢٧٧. الكواكب الدرية في طبقات الصوفية. المناوي: ج١، ص٥٨٨. اللباب في تهذيب الأنساب. الجزري:ج٣،ص٦٣.

(٢) انظر: تذكرة الأولياء. نيسابوري: ص٢٩١. الكواكب الدرية. المناوي: ج١، ص٥٨٥. الأنساب. السمعاني: ج٩،ص٧٦. تاريخ التراث العربي. فؤاد سَزكين:ج٤،ص١١٣. تاريخ الأدب العربي. كارل بروكلمان: ج٤،ص٥٧.

الداعي إلى الإنابةِ لله عزّ وجّل والراعي لحقوق الله والمقتدي بسُنَّة رَسُولُ اللهَّ محمد صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شرح المعْرفة وبذلِ النصائح للعبادِ في فهْمِ القَرآن والصلاةِ.

كان الوعظ لديهِ يُشير منذُ بداية حياتهِ إلى مَعرفةِ الله عزَّ وجلَّ، وكان دائم الكلام حول مَعرفة عدو الله، وأمّا خواتم أحاديثهِ كانتْ حولَ مَعرفة النفسِ الأمارةِ بالسوءِ، كانتْ لديهِ مقدماتٍ في الكتبِ تسير في خطٍ مستقيمٌ واحد، فهو المسترشدُ للمُريدين والقائل: ((مَنْ عملَ الأعمالَ بما سمعَ فَقدْ عملَ بأخلاقِ الأولياءِ عليهم السلام))[1]، كانَ سالكٌ لطريقِ الخلواتِ مع ربهِ العظيم، ناصحٌ بنَصائح الورعِ والتي دقَقَ فوصفِها بالمجانبةِ لكلِّ ما يكرهُ اللهُ عزَّ وجلَّ من فعَلِ القلْبِ وعَملِ الجوارحِ[2].

لقد نصحَ العِباد بالوقوفِ بين يدي الله ومناجاتهِ بخشوعٍ وتضرعٍ من خلالِ فهم السُنن لأنها آدابُ النفوسِّ ودوَاءُ فتنِ القلوبِ، دَقَقَ الوصَفَ في العقلِ لتَجنبِ الفتنِ، فقال عنهُ: (إنَّهُ غريزةٌ وَضعَها الله في أكثرِ خلقهِ، فمنْ عرفَ ما يَنفعهُ ممَّا يَضرّهُ في أمَرِ دنياه عَرف أنَّ اللهَ تعالى قَدْ مَنَّ عليهِ بهِ الذي سُلب مِنْ أهلِ الجنون)[3].

وَقدْ أعطى أيضًا وصفَ عظمةِ الله الخالقِ سبحانهُ في الخلقِ بكلماتٍ موجزةٍ ومفهومةٍ بسيطةٍ للمُريدين، فقالَ: ((إنَّ الخلقَ كحلقةٍ واحدةٍ، إذا انفكتْ منها واحدةٌ تعطَّلتْ جميعها من الرباطِ، ولذلك جَعلهُم مُتصلينَ بعضهُم ببعضَ لأنَّهُم صَنعةٍ واحدةٍ))[4].

كانَ أشدُّ الناسِ محاسبةً لنفسهِ، ويحثُّ المؤمنين في المكاسبِ والشبهةِ وبيانِ مُباحها ومحظورها واختلاف الناسِ في طَلبها، تطلّعَ في الرّدِ على بعضِ العلماءِ من الأغنياءِ وحثِّهم على بيانِ فرضِ التوكلِ على اللهِ عزَّ

(١) طبقات الأولياء. ابن الملقن: ج١، ص١٧٥.

(٢) مخطوطة أعمال القلوب والجوارح. الحارث بن أسد المحاسبي: ص١٢٩.

(٣) مخطوطة كتاب الزهد. الحارث بن أسد المحاسبي: ص١١٢.

(٤) انظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. لأبي نعيم الأصفهاني: ج١٠، ص٧٤.

وجلَّ الـذي تجتمعُ فيـهِ خـواصُ الخلـقِ وعوامُهَـم، وسـبحانهُ الـذي رَبطَ التـوكلَ بالحركـةِ في كسـبِ طلـبِ الـرزقِ، واتضـحَ أنَّ الشـيخَ المحاسـبي الزاهـد رَحمـهُ الله قـد اعتـزلَ الخلـقَ واختفـى مـن المريديـن في أواخـر حياتـهِ بخلـوةٍ طويلـة في الثالثـة والسـتين مـن عمـرهِ، وقـد رَجـعَ قبـلَ وفاتـهِ بمـدةٍ قليلـة ليرُشـدَ المريديـن إلى الاقتـداءِ بالطريـقِ الصحيـح في الخلـواتِ والنهـج الـذي يتبـع في العبـادةِ.

وقـد روى أبـو بكـر بـن هـارون بـن المجـدر قـال: سَـمِعْتُ جعفـرَ بـن أبي ثـور يقـولُ: حـضرتُ وفـاةَ الحـارثَ فقـالَ لهُـم: إنْ رأيـت مـا أُحـبُّ تبسّـمتُ إليكـم، وإنْ رأيـت غـيرَ ذلـكَ تبينتَّـم في وجهـي، فتبسَّـم ثُـمَّ مـاتَ[1] .

لقـد تُـوفي الشـيخ المحاسـبي سـنة (٢٤٣هجريـة) وقـد دفنـه وصـلّى عليـهِ تلاميـذهُ، وهـم علـماءُ التصـوّفِ في القـرنِ الثالـثِ الهجـريّ، ومنهُـم: الجُنيد البغدادي، وأحمد بـن عبد الله بـن ميمـون، وجعفـر ابـن أبي ثـور سري السـقطي. كَان زاهـدًا حتـى في موتـه؛ فـكان يكفيـهِ أربعـةٌ مـن المتصوفـةِ في دفنـهِ عـلى حشـودِ عامـةِ النـاس رَحمـه الله، دُفـنَ في مقـبرةِ بـاب الديـر العتيقـةِ في جانـب الكـرخ ببغـدادَ، والتـي سـمّيت فيـما بعـدَ بمقـبرةِ الشـيخ معـروف الكرخـي ويتّضـحُ أنّ مـكانَ الترّبـةِ قـد اتخذتـهُ الصوفيـةُ فيـما بَعـد ترَبـةً لمراقـدِ مشـايخِ الصوفيـةِ.

كان الشـيخ المحاسـبي صاحـبُ الإحسـاسِ المرهـف بـكلِّ مـا يتعلـقُ بالدّيـن، وَمِـنَ المشـهورِ عنـهُ أنّـهُ كانَ محفوظًـا إذا مـدَّ يَـدهُ الى طعـامٍ فيـهِ شـبهَةٌ؛ يتحـرّك في إصبعـهِ عِـرَقٌ فيمتنـعُ عـن تناولـهِ[2]، لقـد كان منهجًـا للزهـدِّ، واتضـحَ مِـنْ الكتـبِ أنَّ الامـامَ الحسـنِ البصريّ كان أعمقهُـم أثـرًا في فكـرهِ[3].

لقـد اسـتطاعَ المحاسـبي بكلامـهِ وعلمـهِ في الوعـظ والـكلام أنْ يُخْـرِجَ التصّـوفَ مِـنْ فـوضى التشـتّت إلى الأحـكامِ العامـةِ، فهـو في زمنـهِ مرجـعَ

(١) انظر: طبقات الشافعية. السبكي: ج٢، ص٢٧٧.

(٢) انظر: مرآة الجنان وعبرة اليقظان. اليافعي: ج٢، ص١٠٦.الرسالة القشيرية. عبد الحليم محمود: ص٥٨. طبقات الشافعية. السبكي: ج٢، ص٢٧٧.

(٣) انظر: طبقات الشافعية. السبكي: ج٢، ص٢٧٧. تاريخ التراث العربي. فواد سزكين: ج١، ص١١٣.

الأولياءِ في جميع الفنونِ[١]، كان المعلمُ الواعظُ الزاهدُ ذا مكانةٍ مرموقةٍ في بغدادَ، شَافعيُّ المذهب متحدث في الفَقهِ مِنَ الذينَ جالسوا الشافعي وتحلو بصحبتهِ وبحلى العقد الفريد، فهو يعد مِنْ الطبقة الأولى؛ أي عاصرهُ وأخذَ عنهُ واختارَ مذهبهُ في السُنَّةِ[٢].

قالُ الشيخ المحاسبي عن التصوّفِ: ((التَّصوَّفُ؛ الأخذُ بالأصولِ، وتركُ الفضولِ، واختيارُ ما اختارهُ الرَّسولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ))[٣].

إنَّ المحاسبي كانَ أشدَّ معاصريهِ إتقانًا في عِلْم الكلام، فقد تمَّ قبولُ تعاليمهِ من الفقهاءِ والصوفية[٤]، وإنَّ فكرهُ يُعتبرُ منهجًا للأصولِ عند أسلافِ الأشعريةِ في إقامةِ الجَدَل عَندهُم[٥].

ويبدو أنَّ جميع المصادرِ قد أشارتْ أنَّ الامامَ الغزالي[٦] كانَ من أكثر الفقهاءِ الذين تأثَروا بالمحاسبي؛ حيثُ اعتمدَ تعاليمَهُ في كُتبهِ وسَارَ على نهجهِ وأكملَ مفهومَ علمَ الكلامِ من بعدهِ، وَقد قيلَ: أَنَّ هذا كان سببَ

---

(١) انظر: تذكرة الأولياء. نيسابوري: ص٢٩٠.

(٢) انظر: طبقات الفقهاء الشافعية. ابن صلاح: ج١، ص٤٣٩. تاريخ التراث العربي. فواد سزكين: ج١، ص١١٣.الكواكب الدرية. المناوي: ج١، ص٥٨٦.

(٣) انظر: الكواكب الدرية. المناوي: ج١، ص٥٨٥. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. لأبي نعيم الأصفهاني: ج١٠، ص٧٤.

(٤) وهو الشيخ أبو عبد الله محمد بن خفيف الشيرازي الذين قبلوا المحاسبي كواحد من ضمن الشيوخ الخمسة الذين تقبل تعاليمهم وتطبق شرعًا وفعالًا، وهم : الحارث بن أسد المحاسبي، والجنيد بن محمد، وأبو محمد رُوَيْم، وأبو العباس ابن عطاء. ، وقال الشيخ بن خفيف عن علمهم وقبولهِ: لأنهم جمعوا بين العلم والحقائق، والباقون سلموا إليهم أحوالهم.

انظر: الرسالة القشيرية. عبد الحليم محمود: ص٥٨. طبقات الشافعية. السبكي: ج٢، ص٢٧٥.سيرة الشيخ محمد خفيف. ت: علي بن محمد الديلمي:ص١٠٩.

(٥) انظر: تاريخ التراث العربي. سزكين: ج٤، ص١١٤. الملل والنحل. محمد عبد الكريم : ج١، ص٨١.

(٦) هو الإمام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي، الشافعي، الغزالي، صاحب التصانيف، والذكاء المفرط الشيخ الإمام البحر، حجة الإسلام، أعجوبة الزمان زين الدين، برع في المذهب والأصول والخلاف والجدل والمنطق، وقرأ الحكمة والفلسفة، وفهم كلامهم، وتصدى للرد عليهم، سار أبو حامد إلى المخيم السلطاني، فأقبل عليه نظام الوزير، وسر بوجوده، وناظر الكبار بحضرته، فانبهر له، وشاع أمره، فأولاه النظام تدريس نظامية بغداد، مات سنة٥٠٥هـ. رحمه الله.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج٩، ص٣٢٢.

تقـدّمِهِ[1]. واتخـذَتْ أيضًـا بعـضُ كلـماتِ الوعْـظِ عنـدَ المحاسـبي كمنهـجٍ في القصيـدةِ الشعريةِ عنـدَ علـماءِ التصـوّفِ في المغـربِ العـربي يُتغنى بهـا وتتلَـذَّذُ الأسـماعُ بكلامِهـا عِنـدَ الإلقـاءِ في الحلقـاتِ الصوفِيـةِ[2].

ولِحـقَ بهـذا الـسَرَبِ الرائـع بعـضُ أسـلافِ الفقهـاءِ المفسريـن بمنهـجِ فتـح بـابِ الشرحِ والتفصيـلِ في علـم الـكلام مُستندين عـلى كلام المحاسبيَ في تفَسـيرِ آيـاتِ القـرآنِ الكريـم والاَسـتدلاَلَ بهـا في كبـحِ آفـاتَ الجـوارحِ والنفـسِّ والـرَّدِ عـلى كلِ فرقـةٍ ضالـةٍ في عَـصْرِهم[3].

وامتـدَ فِكْـرِ المحاسـبي حتـى العـصرِ الحديـث عنـد نهايـة القـرنِ التاسـع عـشَر، حيـثُ إنَّ بعـضَ المشـايخ قـد اقتبَـسَ فِكْـرِ وَوعـظ المحاسـبي في جميـع مؤلفاتـهِ المترجَمةِ في نهـج محاربـةِ النفـسِّ وكشـفِ العْيـوبِ البشريـةِ وتأمـلاتِ الفِكْـرِ الباطـنِ وانتقـادِ الروحانيـةِ المزيَفـةِ، وكـانَ منْهـمْ الشَـيخ:((عبـدُ الواحـد بـن يحيـى))[4]، والتـي قـد شـكلتْ ظهـور مؤلفاتـهِ حافـزًا بارعًـا للمستشرقين

(1) انظر: المنقذ من الضلال. أبي حامد الغزالي: ص٣١. إحياء علوم الدين. أبي حامد الغزالي: ص٥٨.مؤلفات الغزالي. بدوي: ص١١. تاريخ الأدب العربي. بروكلمان: ج٤، ص٥٩.

(2) الكلام لوعظ المحاسبي يقول: (من أراد التلذذ بصحبة أهل الجنة ونعيمها فليقتنع بصحبة أهل الفقر)، والشعر عند الشيخ الصوفي أبو مدين الغوث المغربي يقول (ما لذة العيش إلا بصحبة الفقراءُ).

انظر: تذكرة الأولياء. النيسابوري: ص٢٩٤. طبقات الأولياء. ابن ملقن: ج١، ص١٧٥. ديوان أبي مدين الغوث: ص٤٠.أبو مدين الغوث. عبد الحليم محمود: ص٥٢.

(3) انظر: مذهب أهل التصوف. محمد الكلاباذي، أ: آرثر جون اربري: ص٧١. ختم الأولياء. حكيم الترمذي: ص١٧١.

(4) اسمهُ الأصلي رينيه جينو: فيلسوف فرنسي ولادة ولد جينو في بلدة (بلوا) في ١٥ نوفمبر ١٨٨٦م من أسرة فرنسيّة كاثوليكيّة محافظة، كانت تعيش في يُسر ورخاء؛ فقد كان والده مهندسًا ذا شأن. وكانت تلوح عليه منذ الطفولة مخايل الذكاء الحاد، كان متطلّعًا إلى المعرفة.. المعرفة بمعناها الصوفي. كان يتطلّع إلى السماء يريد أن يخترق الحجب، وأن يكشف القناع، وأن يرفع المساتير، وأن يصل إلى الحق، اعتنق جينو الإسلام سنة ١٩١٢م وسمّيَ باسم الشيخ (عبد الواحد يحيى). كتب عن انحراف الماسونيّة فأثار سخط الماسونيّين، وأخذ يكتب عن انحراف البروتستانتيّة فأثار سخط البروتستانتيّين، وانتقد الروحانيّة المزيّفة أنّى وجدت فغضب منه الذين ينتسبون إلى الروحانيّة الحديثة. وله عدة كتب، منها: مدخل لدراسة العقائد الهنديّة والتيوصوفيّة: تاريخ دين مزيّف، الخطأ الروحي. والميتافزيقية الشرقية، تأملات حول علم الباطن، ٧ يناير سنة ١٩٥١م.

انظر: أستاذ السائرين. عبد الحليم محمود: ص ٦.مقالات رينيه جينو. تر: زينب عبد العزيز: ص٨.

في تحقيقِ مخطوطاتِ المحاسبيّ[١] .

الشيخ المحاسبي كان بارعًا في نقدِ المجتمع وتشخيص آفاتهِ وكشفِ الأخطاءِ عند العلماءِ والنسّاكِ؛ مما شكّل لديهِ إرثٌ غزيرٌ عند الباحثين والزُّهَّاد في علْم النفسِّ البشريةِ وميولِها للأهواءِ الدُنيوية، والذي مازالَ لحد الآنْ يُنتظرَ مِنْ البعض ويتطلعون للكشفَ عَنه[٢].

واتضحَ مِنّ المادةِ المعروفةِ عنْ الموضوع أنَّ المحاسبيّ كانَ يسعى دومًا للمنهاج والفكرِ الصائبِ والواضح للمريدين في جميع مؤلفاتهِ والتي بلغتْ حوالي((مائتي مُصنَف))[٣]، وَالتي جاء فيها باب الإنصات في أغلبِ المواضيع عن صفاتِ الورْع ومحاسبةِ النفسِّ، وكيفَ السبيلِ لنيلِ شرفِ الزّهدِ والتخلص من آفات الدنيا والابتعادِ عن الشُبُهَةِ وارتداءِ خَشْنِ الملابس، وكلّهَا امور عُرفتْ عن المحاسبي[٤].إنَّ صفاتَ الزّهدِ والورع لدى المحاسبي كانت سببًا في قبول علمهِ عندَ أهلِ التصّوفِ؛ فعندَ اطلاعهِ على أحوالهم النفسيةِ في الزُّهدِ والوَرْع اَقتبسَ من فوائدهم ورضي بأدبهم وكان محبًا لطاعتهم، فقالَ: ((فتحَ الله علينا علمًا اتضحَ لي برهانَه، وأنارَ لي فضلَه ورجوَتُ النجاةَ وجَعلْتُهُ أساسَ ديني وبنيْتُ عليهِ أعمالي))[٥].

---

(١) London orientalist: Margaret Smith. French orientalist: Louis Mission.
French orientalist Halmon Ritter . British orientalist Arthur John Arberry
. German Orientalist: Josef Vin As

انظر: تاريخ التراث العربي. فواد سزكين: ج١، ص١١٤. تاريخ الأدب العربي. بروكلمان: ج٤، ص٥٨. الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف: ص.٦٦.

(٢) انظر: طبقات الأولياء. ابن الملقن: ج١، ص١٧٥.الطبقات الكبرى. الشعراني:ص١١٣.تاريخ بغداد. الخطيب البغدادي:ج٨،ص٧١٤.

(٣) طبقات الشافعية. السبكي: ج٢، ص٢٧٦. الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية. زين الدين مناوي: ج١، ص٥٨٧.

(٤) قال المحاسبي (وكذلك كل من عرف بزي الأغنياء فغير زيه إلى التقشف كمن عرف بلباس المروي فانتقل إلى لباس الصوف واستنكره العامة على قدره حتى أنه ليشار إليه بالأصابع).
انظر: مخطوطة أعمال القلوب والجوارح. المحاسبي: ص١٢٠.

(٥) انظر: كتاب الوصايا. للمحاسبي: ص٣١.

وأشارَ صدقُ الحدسِ عند المحاسبي في بعضِ مصنفاتهِ حول النزاع القائمِ ما بين مدارس الفقهِ والحديث في عَصْرهِ[1]، وعدمَ تطابقِ وجهاتِ النَظَرَ في بغدادِ قد جاءتْ بمشاداتِ كلامية بينَ المدارسِ الدينيةِ[2]، فكانَ النزاعُ من جهة بَين أَهلِ الحديثِ والفقهاءِ، ومِنْ جهةَ أخرى كانَ هنالك نزاعٌ آخر قائم بينَ المعتزلةِ وأهلِ الحديثِ، واتضحَ أنَّ سببَ هذهِ النزاعاتِ الكلاميةِ هي نتيجةُ لتطور الفِكْر عند بعضِ المدارس وتأثرها بالفِكْرِ الفلسفي الغربي من ناحيةِ المجادلةِ في الحديثِ، اشتدّتْ أواصِرُهُ في عهْدِ المحاسبي، ولا يَخفى أيضًا دخولُ العاملِ السياسي في التأثيراتِ العِرْقيةِ[3]، لخدمةِ الحاكم باسم الدينِ، وتقربُ بعضَ العلماءِ من الخلفاءِ أو بالعكسِ؛ لإطاحة المفهوم الفَكري لبعضِ المدارسِ الأخرى، وقد بانتْ هذهِ المسائلَ في مصنفاتهِ، وقد قالَ المحاسبي عن بَعْضِهم: ((إذ المعروف عن المحدثين ضيق صدورهم بكل من يخرج عن الحديثِ ولو قليلًا عن أسانيدهِم، وقالَ عَنْ المدرسةِ الأخرى: لا تقبلُ الجِدَال إلا بنصرةِ آرائِهم))[4]. وما أشبه اليوم بالأمسِ.

اشتدتْ الحملةُ على المحاسبي في هذا العصرِ؛ لأنهُ كان شديدَ الوطأةِ على العلماء جميعًا بعد أن شدد بوصفهم، فقالَ: (فمِنْهُم فرقةٌ تَغترَّ بكثرةِ الروايةِ وحسنِ الحفظِ معَ تضييع واجبِ حق الله، وتخيلُ نفسُ أحدهِم إليهِ أنَّ مثلَهُ لا يُعذَبُ)[5]. وقد تبيَنَّ فيما بعدَ أنَّ السببَ الرئيسي في الحملةِ على مدرسةِ الوعظِ والجدَال للمحاسبيِّ كونها مزيجًا ما بينَ الفقهِ الإسلامي والروحاني، وتسيرُ بفكرةِ مَنهج الواعظ الناقد الناصحِ للعلماءِ والمريدينَ مهما يكون شأنُ أصحابِ هذا المنطقُ.

---

(١) انظر: مخطوطة النصائح. المحاسبي:ص٢. الوصايا. المحاسبي،ت: عبد القادر عطا:ص٢٩.

(٢) انظر: مروج الذهب. المسعودي :ج٣،ص٩٧.احياء علوم الدين. الغزالي: ص٥٣.

(٣) العرقية : من العِرْق: أي أهل الشّرف.

انظر: تهذيب اللغة. محمد الهروي:ج١،ص١٤٩.

(٤) كتاب العقل وفهم القران. المحاسبي، ت: حسين القوتلي: ص٣٣.

(٥) انظر: مخطوطة النصائح. المحاسبي:ص٢.

وقد انتقدَ بعضَ العلماءِ الأغنياء بحديثٍ قد جاء في الأثر، فقالَ عَنهُم : (لا تكونوا كالمُنْخلِ[1] يخرجُ الدقيقَ الطيبَ وتبقى فيهِ النخالةً، كذلك أنتم؛ تُخرجونَ الحكمةَ من أفواهِكم ويبقى الغِلّ[2] في صدورِكم، يا عبيدَ الدُّنيا كيفَ يُدرِكُ الاخرةَ مَنْ لا تُقضى في الدنيا شهوته ولا تنقطعُ عن الدنيا رغْبتهُ، بحقٍّ أقولُ لكم... إنَّ قلوبَكم تبكي مِنْ أعمالكم، جعلتُم الدُّنيا تحتَ ألسنتِكم والعملَ تحتَ أقدامِكم، وأفسدتُم آخرتَكم بَصَلاحِ دُنياكم؛ فَصلاحُ الدُّنيا أَحبُّ إليكُم منْ صلاحِ الآخرةِ بمناجاةِ النّاسِ)[3].

كان المحاسبي لا يقبلُ شيئًا إلى أَنْ تظهَر حجتُهُ[4]، واتضحَ ذلك عِنْدَ قراءةِ أغلبِ المؤلفاتِ المحققةِ من الكتبِ والمخطوطاتِ، وَقالَ أيضًا: (إنَّ أعمالَ الجوارحِ تصحبُها برّ القلوبِ أو تفسّدها)[5].

إنَّ الاطلاعَ الواسَع للمحاسبي على آراءِ كبارِ علماءِ عصرهِ وَمنْ تَبعهُم جعلَه يَقِفُ من جميعِ الآراءِ مَوقَفَ الناقدِ المُغْبَرِّ[6] في وجوهِ مخالفيهِ واعظًا وناصحًا لعلماءِ عصرهِ، ويتضحُ أَنَّ أكثرَ كلماتِ الوعظِ والآراءِ الفِقْهيَّةِ والجدَل في علْم الكلام التي كانتْ تترددُ في مؤلفاتِ المحاسبي المحققةِ جاءت بمفهومِ القرآن الكريمِ والأحاديثِ والأثر، وقد تأَثَّرَ المحاسبيّ إلى حد كبير بِقَولِ رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً»[7]، وبحديثٍ آخر أيضًا وهو :

(١) مُنْخُلٌ: الغربال.

انظر: المنتخب من كلام العرب. علي بن الحسن الهُنائي: ج١،ص٥٣٨.

(٢) الغِلُّ: الحَسَد. وقيل: الشَّحْناء، والسَّخِيمَة.

انظر: الإبانة في اللغة العربية. سَلَمة بن مُسْلِم العَوْتبي: ج٣،ص٤١٦.

(٣) انظر: مختصر احياء علوم الدين (المرشد الامين). الغزالي :ص ١٨٦.مخطوطة: الرد على بعض الأغنياء من العلماء. المحاسبي.ص٢١٧،٢١٦.مخطوطة النصائح. المحاسبي:ص٦.

(٤) انظر: طبقات فقهاء الشافعية. ابن صلاح: ج١، ص٤٣٩.

(٥) انظر: مخطوطة الخلوة. المحاسبي: ص٣٩.ص٤٥.الكواكب الدرية. المناوي: ج١، ص٥٨٧.

(٦) مغبر في عمله: دائم لا يفتر.

انظر: الإبانة في اللغة العربية، سَلَمة الصُحاري: ج٣، ص٦٠٥.

(٧) انظر: سنن الترمذي. محمد بن عيسى: ج٥، ص٢٦.

«بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»[1]. وهذا يبرزُ بحثَ المحاسبي باجتهاد عَن الفرقةِ الناجيةِ وأسباب التفرقةِ بين المدارس الإسلامية طيلةَ مشوارِ حياتِهِ.

فقد قال:((فقد انتهى إلينا أنَّ هذه الأمةَ تفترق على بضع وسبعين فرقة، منها فرقة ناجية، والله أعلَمُ بسائِرها[2] فلَمْ أزلْ بَرْهَةً[3] مِنْ عُمري أنظرُ اختلاف الأُمةِ، وألتمسُ المنهاجَ القويم الواضح، والسبيلَ القاصدَ، واطلبُ مِنْ العلِم والعملِ ما اجتمعَ عليهِ السلفُ في جدَّة[4] الإسلام، واستدلَلْتُ على طريقِ الآخرة بإرشاد العلماءِ، وعَقلتُ كثيرًا من كلام الله تعالى بتأويلِ الفقهاءِ، وتَدبرتُ أحوال الأمةِ ونَظرت في مذاهبها وأقاويَلها فَعقلتُ مِنْ ذلك ما قُدّرَ لي، ورأيت اختلافهم بحرًا عميقاً قد غرقَ فيهِ ناسٌ كَثيرون، وسلمَ مِنهُ عِصابةٌ قليلة، ورأيت كلَّ صَنفٍ مِنْهم يَزعم أنَّ النجاة في مذهبِهم والهالك من خالفَهُم))[5].

ويبقى منهجُ الزهد ومحاربةِ النفسِ البشرية بالتّصوفِ عند المحاسبي منهجًا لمْ يَسلم مِنْ النقدِ في عصرِهِ، بَل وحتى بَعْدَ موتهِ، فَقَد تعرَضَّتْ إلى انتقاداتٍ وتجريح مِنْ أغلبِ المدارسِ الدينيةِ، ونجد ذلكَ واضحًا في موقفِ مدارسِ الحَنبلية مِنَ الْأَبْدَالِ[6]، وموقف مدارسُ

---

(١) انظر: صحيح مسلم. مسلم بن حجاج: ج١، ص١٣٠.فتح الباري شرح صحيح البخاري. العسقلاني: ج١، ص٤٤٢.

(٢) بِسائِرها : أَي مَهازيلَ. يُقَالُ ذَلِكَ عِنْدَ المَزْرِيةِ عَلَى المِتْلافِ لمالهِ.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج١،ص٢٩٦.

(٣) بَرْهَةٌ: بَرْهَةٌ من الدَّهْر، أَي: زَمَنٌ من الدَّهْر.

انظر : معجم ديوان الأدب. إسحاق بن إبراهيم:ج١،ص١٤٧.

(٤) جُدَّة: عظمة. وقال الله تبارك وتعالى: {جدّ ربنا} أي عظمة ربنا.

انظر: البارع في اللغة. إسماعيل بن القاسم بن عيذون: ج١،ص٥٧٦.

(٥) انظر: مخطوطة النصائح. المحاسبي:ص٢. الوصايا. المحاسبي،ت: عبد القادر عطا:ص٢٩.

(٦) الأبدال:، ويأتي المعنى في أمم الخلفاء والأنبياء والرسل صلوات الله عليهم وهم أرباب حقائق التوحيد.

انظر: مفردات ألفاظ القران. الأصفهاني: ص١١١.

المُعتزلة[1] في عِلْم الكلام والجدَلِ بالذمِّ لفكْرِه، وهذا الرأي مدونُ في بعضِ المصادرِ[2]، فهُم يهاجمونه في المنهجِ وحتى في مواعضِ الكلامِ[3].

وقد وَردَ في بعضِ الكتب أيضًا عَن اختلاف الرأيِّ بينَ المحاسبي والإمام أحمد بن حنبلَ، لكونِ أنَّ الامامَ أحمد يشّددُ بالتنكيلِ فِيمنَ يتكلّمُ بعلمِ الكلام، والحارثُ يجادلُ بهِ؛ لذلك وقَعتْ مناظرةٌ كلامية بَينهما.

فقال الشيخُ الحارثُ: ((إنَّ الرّدَ بالكلام على البدعةِ فرضٌ للدفاع عن العقيدة))[4]، فَرّد الإمامُ أحمد: لكنكَ حكيتَ شبهتَهم أولاً فأجبتَ عليها؛ فلمْ تأمن أنْ يطالعَ الشبهة من تَعْلقَ[5] بفهمهِ ولا يلتفْتُ إلى الجوابِ أو ينظرُ إلى الجواب ولا يفهَم))[6].

وقد شكلتْ العزلةُ بين الشيخ المحاسبيّ والإمام أحمد الكثير من التأويل واللِّبسِ في الكلامِ في هذا الأمر، وأُخذَتْ الكثير من الأقاويلِ والأحاديثِ التي هي بعيدةً عن نهج العلماء[7]. فهل مِنَ المُمكن أن تكونَ بهذه الدرجةِ! علمًا بأنَّ بعضَ الكتبَ قد جاءَ فيها أنَّ الإمام أحمد قد بكى حتى غُشيَ عليهِ عِنْدَ سماعهِ وَعظَ المحاسبي حينَ قالَ: ((ما سمعتُ

(١) المعتزلةِ: ويسمون أصحاب العدل والتوحيد، والذين يعتقدون أن الله تعالى قديم والقدم أخص وصف ذاتهِ، وهم أصحاب واصل بن عطاء أحد تلاميذ الحسن البصري الذي اعتزل مجلس الحسن البصري بسبب رأيهم حول أن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر ويثبت بمنزلة بين المنزلتين؛ فطردهُ الحسن البصري من مجلسهِ.

انظر: الملل والنحل. محمد الشهرستاني:ج١،ص٣٨. الغنية لطالبي الحق عز وجل. عبد القادر الكيلاني: ج١، ص١٨٧.

(٢) انظر: كشف الظنون. الحاج خليفة جلبي: ج٢، ص١٥٧٣. تاريخ التراث العربي. فواد سزكين: ج١، ص١١٤. تاريخ الأدب العربي. بروكلمان: ج٤، ص٥٨

(٣) انظر: تلبيس إبليس. الجوزي : ص: ١٤٧، ص ١٥٨،ص: ١٦١، ص: ١٧٣.

(٤) انظر: المنقذ من الضلال. أبي حامد الغزالي: ص٣٢

(٥) عِلْق، لعله سُمِّى به لتَعَلُّقِه بالقَلْب، وتَعلُّقِ القَلْب به.
انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٥٧٩.

(٦) أستاذ السائرين. عبد الحليم محمود: ص١٨.

(٧) انظر: طبقات الشافعية. السبكي: ج٢ص٢٧٩.

في علـم الحقائـقِ مثـل كلام هـذا الرَّجـل)) [١]، وقـد ذكَـرَ أبـو بكـر الخـلال[٢] في كتـابِ السُنَةِ عـن الإمـامِ أحمـد قولـهِ: ((مـا زَالَ مـأوَى أصحـابُ الـكلامِ للحـارثِ بمنزلـةِ الأَسْـدِ المرابـطِ))[٣].

وهـذه المسألةُ تـمَّ الجدلُ بها كثيرًا، ولكنَّها حُسِمَتْ في الرأي فيما بعد، فقالَ فيها أحدُ العلماءِ: ((كلامُ الامام أحمد حقٌ، ولكنّ في شبهةٍ لم تنتشر ولم تشتهرْ، فأمَّا إذا انتشرتْ فالجوابُ عنها واجبٌ، ولا يمكن الجوابُ عنها إلا بعد الحكاية))[٤]. واتضح فيما بعد أنّ مفهوم فكرِ الاختلاف عند الإمام أحمد وتلاميذهِ من الشيخ الحارثِ المحاسبيّ وتلاميذِهِ هي مسألة رأي لكونهم علماءٌ للمسلمين[٥]، وَقد قيلَ من بعضِ العلماءِ: ((إنَّ الجرحَ إنْ صدرَ من تَعصُّبٍ أو عداوةٍ أو منافرةٍ أو نحو ذلك، فهو جرحٌ مردودٌ ولا يؤمنُ بهِ إلا المطرودُ فلا يُقبلُ قدحُ الثوريّ في أبي حنيفة، وقدحُ ابن معين في الشافعي، وقدحُ أحمدَ بن حنبل في المحاسبيّ))[٦].

وَيتبين أنَّ بَعضِ الكتب لمْ تستطع أنَّ تتَخَلَّى عَنْ فكرةِ القدحِ في التصوفِ ومنهجهِ، فهنالكَ عدةُ رسائل للفتاوى[٧] في قدحٍ وذم لمنهَجِ كتابِ (إحياء علوم الدّين) للإمام الغزالي الذي يُعتبرُ سَلسَلةً متجددةً

---

(١) انظر: الكواكب الدرية. المناوي: ج١، ص٥٨٨.طبقات الشافعية. السبكي: ج٢،ص٢٧٩.

(٢) أحمد بن محمد بن هارون البغدادي الخلال الإمام العلامة الحافظ الفقيه، شيخ الحنابلة وعالمهم توفي سنة ٣١١هـ.

انظر : سيرة أعلام النبلاء. الذهبي: ج١٤،ص٢٩٨.

(٣) تلبيس إبليس. الجوزي: ص١٦٢.

(٤) انظر: المنقذ من الضلال. أبي حامد الغزالي: ص٣٢.

(٥) انظر: طبقات الشافعية. السبكي: ج٢ص٢٧٩. تهذيب التهذيب. العسقلاني: ج٢، ص١٣٥.

(٦) انظر: الرفع والتكميل في الجرح والتعديل. محمد الكنوي: ص١٩٠. طبقات الشافعية. السبكي: ج٢، ص٢٧٨.

(٧) سئل الشيخ ابن تيمية عن كتاب إحياء علوم الدين، وقوت القلوب. فقال: وأما في إحياء علوم الدين للغزالي، من كلام المهلكات مثل الكلام عن كبر والعجب والرياء، فغالبه منقول من كلام الحارث المحاسبي في الرعاية، ومنه مقبول ومنه مردود، ومنه ما هو متنازع عليه. والإحياء للغزالي فيه فوائد كثيرة، ولكن فيه مواد مذمومة.

انظر: مجموعة الفتاوى. ابن تيمية: ج١٠، ص٣١٢. كتاب إحياء علوم الدين. أبي حامد الغزالي: ص١١٨٢.

لِفِكْـر الشـيخ المحاسـبيّ، وهـذا دليـلٌ وبرهـانٌ لمـا تـمّ ذكـرهُ فيـما سـبقَ عَـنْ بعـضِ المـدارسِ التـي لمْ يَسـلم منهـا هـذا الكتـابُ مـن النَقْـدِ والتجريـح حتـى في الوقـتِ الحـاضرِ[١]، ولكـن بمـرورِ الوقـتِ دخـلَ الـصراعُ الفكـري في مَرحلـةِ الفُتُـور[٢] الجزئـي، وكانَ ذلـك بسـببِ التَوسـع الفكـري للمـدارسِ الإسـلامية عند بعضِ نهج فِكْر العلماءِ[٣] حينَ اتَّخَذُوا نهج تفسير آيات القرانِ الكريم وطريقـةِ الوَضـوءِ في الصـلاةِ عَـنْ مفهـوم فِقْـهِ الشـيخ المحاسـبي، ولكنهـم مِـنْ ناحيـةٍ أخـرى انتقـدوا بعـضِ الأفـكارِ عِنْـد بعـضِ العلـماء الذيـن اتَّخَذُوا نهـج التَّصَـوُّفِ مِـنْ المحاسـبيّ[٤].

وأمّـا عـن الطـرف الثـاني في النـزاع معـهُ، فقـد كانـتْ مـدارسُ المعتزلـة مـن أشرسِ أعـداءهِ، وكانـتَ آراءه في تعـارضِ دائـم معهـم طيلـةَ مشـوارِ حياتـهِ؛ فـكاَن شـديدُ الـرّدِ بالـكلام عليهـم في إبطَـالِ أَحاديثِـهم، وبالأخـصّ عندما يتحدثـون بخلـقِ القـرآن، فقَـاَل عنـه بعـضُ العلـماءِ في رَدِّ المعتزلـة بعِلْـمِ الـكلام : ((كانَ الحـارثُ المحاسـبي أشـبهَهم إتقانًـا وأمتَـنهم كلامًـا))[٥].

فـكانَّ يتجـادلُ مَعهُـم دائـمًا حـولَ الوجـود، ولكنهُـم يواجهونـهُ بالتنكيـلِ بـهِ وبآرائـهِ الكلاميـة؛ لكونـهِ يؤمـن بوجـودِ مَخرج غـير النّـصِ والعقـلِ لـدى الإنسـان وهـو القلـبُ، وقـد جـاءَ ذلـك في مصنفـهِ فهـم القَـرآن[٦]. لكـنَّ المعتزلـة لمْ يهتمـوا لأمـرهِ كثـيرًا لاسـتخفافهِم بالفقهـاءِ والزُّهـادِ في المجادلـةِ عندمـا انتشرتْ أفكارهِـم الدينيـةِ في بغـداد سـنة مئتين وتسـع عشر هجرية[٧]،

---

(١) انظر: المأخذ العقائدية على كتاب إحياء علوم الدين. عبد الله العتبى: ص٥٠.

(٢) الفُتور: لُغَة يَمَانِية. يُقَال: أصبح فلاَن خمجا إِذا فترت أعضاؤه من مرض أَو تَعب.
انظر: جمهرة اللغةِ. محمد الأزدي:ج١، ص٤٥٥.

(٣) انظر: رسالة المسترشدين. عبد الفتاح أبو غدة: ص٣٢.

(٤) الشيخ ابن تيمية نقل الوضوء عن كتاب فهم القرآن للمحاسبي في مجموعة الفتاوى، وناظر في بعض المسائل من كتاب الرعاية عندما سئل عنهُ من بعض تلاميذه عند بعض المسائل الفقهيةِ.
انظر:. مجموعة الفتاوى. ابن تيمية: ج١٠، ص٣١٢.

(٥) انظر: كتاب الملل والنحل. محمد بن عبد الكريم: ص٢٧.

(٦) انظر: العقل وفهم القران. الحارث المحاسبي: ص٩٦. أستاذ السائرين. عبد الحليم محمود: ص٤.

(٧) انظر: مروج الذهب. المسعودي: ج٤، ص٤٣.

ولذلك شَدد في وصفهِم المحاسبيّ بقولهِ: ((إنَّ العَقلَ يطغى عندَ المعتزلةِ حتى يحاولون وهمَ دعاةِ الحرية أنْ يفرضوها على النّاسِ بالسيفِ))[1].

رغم هذه الصعوبات لقد اندمجَت فيها بَعد الكثير من المدارسِ الدينية متأثّرةً في الفِكْرِ ونهج عِلْم الكلام والفَقهِ، وكانتْ مدرسةُ أسلافَ الأشعريةِ القائمة على مبدأ الجِدال في السُنّة[2]، واستطاعَ أنْ يضيفَ الشيخُ المحاسبي لمدرستهِ صفةَ الجِدَالِ بالصبرِ وكان سبب الاندماج يحكمه عِامِلان:

الأول: عدمُ إهمالُ نصِ الحديث.

والثاني: لم يُجرّد العقلَ.

وهذان الأمران يجهلُه الأبدال والمريدين في تطورِّهم؛ فكانتْ فكرةُ المحاسبي بمثابة الدافع الأولِ للتصوّف ودليلًا فكريًا لكثير من المدارسِ القائمة على علْم الكلام والجدلِ عند السُنَّةِ، وجاءتْ مدرسة المحاسبيَّ لتختص في علْمَ الرّدِ على المعتزلةِ[3]، فكان المحاسبيّ أول متصّوف اتضحتْ فيهِ ثقافةُ كلاميةُ متكاملة[4]، كانَّ قد سندَ تفكيرهُ على بُعد الرؤيا في محاوِرمهمة، وهي كما يلي:

- الفِكْر الأول: كانتْ في الزُّهدِ.
- الفِكْر الثاني: الاختلاف مع المحدِّثين.
- الفِكْر الثالث: نجاحُ تفوق الكلام في مواجهةِ المعتزلةِ.

(١) العقل وفهم القرآن. المحاسبي، ت: حسين القوتلي: ص٢٤.

(٢) الأشعرية: هم أتباع أبي حسن الأشعري إمام المتكلمين، وقد نسب الاشاعرة لهُ، مات ببغداد ٣٢٤هـ. انظر: الملل والنحل. محمد عبد الكريم الشهرستاني: ج١، ص٨١.

(٣) انظر: قانون التأويل. الغزالي: ص٢١. مؤلفات الغزالي. بدوي: ص١٠.

(٤) انظر: تاريخ التراث العربي. فواد سَزكين: ج١، ص١١٤. الطبقات الكبرى. الشعراني: ج١، ص١٣٣.

- الفِكْر الرابع: عمِلَ على تحجيم فِكْرِ الفلاسفةِ المشائين في مفهوم العْقلِ، فقد جاءَ وصفُ فيلسوف العربِ الكندي[1] في مبدأ العْقلِ علىَ أنَّه: ((مبدأ أول بالقوةِ، وجوهرًا بسيطًا مُدركًا للأشياءِ بحقائقِها))[2]. ولكنَّ المحاسبيّ اعتبرَهُ:(غريزةً أو نورًا للغَريزةِ يقَوى وَيزيدُ بالتجاربِ والعِلْمِ والحِلمِ، ولا يعني بالنورِ الذي تَعنيهِ الفلاسفة)[3].

إنَّ الأفكارُ في علم الجدَل والكلام والطريقةِ التي استخدمَها المحاسبيّ في الوعظِ عند الروايةِ والآراء الفقهيةِ وفي جميع مؤلفاتهِ كانتْ ذاتَ مَفهوم يتجهُ نحو الالتزام بالحديثِ وسردِ ببلاغةِ المتكلمين والتفسير بالقرآنِ الكريم بطريقةِ الفقهاءِ وآرائِهم، ممزوجةً بكلماتِ وعظٍ ووَرعٍ وزُهدٍ، وظهرَ لدينا من خلالِ منهجِ الدراسةِ والتحقيق أنُّ المحاسبيّ صاحب علْمٍ ومفهوم لعِلْم تمَّ نسجُهُ بعيدًا عن المدارسِ الدينيةِ التقليديةِ؛ فقد كانتْ صفاتُهُ وشخصيتُه مَحْطَ تساؤلاتٍ كثيرةٍ، فهو:

- يتصفُ بالزهدِ ويتكلمُ بالوعظِ، ولم يَخُض في نقلِ الأحاديثِ إلا قليلًا، حتى في آراءِهِ الفقهيةِ، مقتديًا ببعضِ آراء علماء المسلمين[4] حول هذا الموضوع.

- اعتمدَ على نهج القرآن الكريم والسُنَّة النبويةِ الشريفةِ في نصائح المريدين؛ فهو يطابقُ مفهُوم الفِكْرِ والوَرَعِ عندَ الصوّفية واتَبعَ نهجَ الفقهاءِ الشافعيةِ.

---

(١) هو يعقوب بن إسحاق الفيلسوف، كان رأسا في حكمة الأوائل ومنطق اليونان والهيئة والتنجيم والطب وغير ذلك. يقال له: فيلسوف العرب، وكان متهمًا في دينه، بخيلًا، وله نظم جيد وبلاغة، كان يريد أن يعمل شيئا مثل القرآن؛ فبعد أيام أذعن بالعجز. مات سنة ٢٥٢هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء: ج١٢، ص٣٣٦.

(٢) انظر: رسائل الكندي الفلسفية. الكندي: ج١، ص١٦٦.

(٣) انظر: طبقات الشافعية. السبكي: ج٢، ص ٢٨٤. مخطوطة فهم القرآن. المحاسبي: ص٢٠١. أستاذ السائرين. عبد الحليم محمود: ص٧.

(٤) وهو سفيان الثوري بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع هو شيخ الإسلام، إمام الحفاظ، سيد العلماء العاملين في زمانه، أبو عبد الله الثوري الكوفي المجتهد، مصنف كتاب «الجامع،"توفي سنة ١٦١هـ في البصرة.
انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج٧، ص٢٧٩.

واتضح أنَّ أغلبَ المريدين في مدارسِ الصوفيةِ والمدارسِ الدينيةِ الأخرى قد تابعتْ وأيقنتْ ((أنَّ نهجَ اتباعِ تقاليدِ المحاسبي هي طريقةٌ للتطّهرِ الدائم ومجاهدةٌ للنفس، ويجبُ الاقتداءُ بها، وقد تَمّثل هذا الفِكْرُ خيرَ تمثيلٍ عندَ بعضِ علماءِ التصوّفِ، ثَمْ جاءُ من بعدِهم الأبدال))[1].

(١) انظر: الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف. آنا ماري : ص٧٠. أستاذ السائرين. عبد الحليم محمود: ص٦.سيرة الشيخ محمد بن خفيف الشيرازي. علي بن محمد: ص١٠٩. إحياء علوم الدين. الغزالي: ص٣٨. الموسوعة الصوفية. عبد المنعم الحنفي: ص٣٠٥.

المستأنفُ: هو المبتدئُ الذي يغلبُ على قلبهِ ذكرٌ؛ فيتركُ الزللَ مخافةَ العقابِ، فكلَّما هاجَ ذكرُ الموتِ من قلبهِ ماتتْ الشهواتُ عَندهُ، وأمّا العارفُ: فذكرُه للموتِ محبةً لهُ اختيارًا على الحياةِ وتبرُّ[1] مّا بالدُّنيا التي قَد سَلا قلبهُ عَنها شوقًا إلى الله ولقائهِ رجاءَ أملِ النَظر إلى وَجههِ والنزولِ في جوارهِ؛ لِمَا غلبَ على قلبهِ مِنْ حُسْنِ الظنِّ بِرَّبهِ.

طَالَ شَوْقُ الأبْرَارِ إلى اللهِ، وَاللهُ إلى لِقَائِهِمْ أَشْوَقُ[2].

الْحارِثِ بْنِ أَسَد الْمُحاسِبيّ

(١) تِبْرُ: هُوَ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَجَمِيعِ جَوَاهِرِ الأَرضِ مِنَ النُّحَاسِ والصُّفْرِ.

انظر: لسان العرب. جمال الدين ابن منظور: ج٤،ص٨٨.

(٢) انظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. لأبي نعيم: ج١٠، ص٩١.



تفاصيلُ الْكِتَاب

سارَ منهجُ التحقيق وفقَ دراسةٍ مكثفةٍ عن المؤلفِ وفكرهِ في القرنِ الثالث الهجري في مَنهج عِلْمي تحليلي[1]، وَقَد احتوى الكتاب المقدمُ على نُسخ للصفحاتِ الأُوَلى لمخطوطتَينِ، ومقدمة، وأبواب، وفصول، وَمباحثَ، وَخاتمة، وقائمةٍ بمصادرِ الكتبِ، شمل البابُ الأُّولُ دراسة عن المؤلف، ويحتوي الباب فيهِ على ثلاثةِ فصولِ:

منهُ الفصلُ الأولُ يتحدث عن نشأتهِ وعصرهِ، وفيهِ أربعة مَباحث: جاءَ المبحثُ الأولُ تحت عِنوان اسمهِ، كنيتهِ، مولدهِ،وفاتهِ. وأما المبحث الثاني جاء في شيوخِه وتلاميذِه، والمبحث الثالث جاء حول ثناءِ أهلِ العِلمِ في حقهِ، والمبحث الرابع: حولَ فِكْر المحاسبيّ في التصوّفِ.

وجاء في الفصل الثاني مؤلفاتهِ، واحتوى على ثَلاثة مباحثِ: منهُ المبحث الأول بعنوان الكتب المحققة من المستشرقين، وأما المبحث الثاني عن الكتبِ المحققةِ من العَربِ، وعند المبحث الثالث تحدثتُ عن الكتب المفقودةِ ومَخطوطاتِ الغيرِ محققةٍ، وقدمْتُ بعضَ الأسبابِ التي كانت سببًا في فِقدان الكتب وعدمِ تحقيق البعضِ منها.

وجاء في الفصل الثالث وَصفُ المخطوطاتِ، وكانتْ عبارة عن أربعةِ مباحث: جاء فيه المبحث الأولُ عن وصف مخطوطة مكتبة السليمانية، وجاءتْ تسميتُها -بالأصل-، وأمّا المبحث الثاني فيهِ وَصف مخطوطة المكتبة الأزهرية، وجاءتْ تسميتُها بالأزهر-، والمبحث الثالث جاءَ بمنهج التحقيق والمقابلة بين نسخة الأصل ونسخة الأزهر، وأمّا المبحث الرابعَ كانَ عن مُلخّص مَفهوم المسائل الخمسة عشر التي وردَتْ في

---

(١) وصف الشيخ عبد الحليم محمود مخطوطةَ المسائل في أعمال القلوب والجوارح للمحاسبيّ أنهُ كان منهجًا علميًا تحليليًا يسري فيهِ الحماس، وتبدو فيه روح المحاسبي اليقظة والوثبة.

انظر: أستاذ السائرين. عبد الحليم محمود: ص٢٢.

المخطوطـةِ وَتليهـا الخاتمـة.

جـاءَ البـابُ الثـاني في الكتـاب عـن تحقيـق المخطـوطـة، ويحتـوي عـلى فصـلٍ واحد:

جـاءَ فيـهِ صـورةٌ للصفحـة الأولى مـن مخطـوطـة الأصـلِ ويليهـا موضـوعِ التحقيـق للمسـائل الأربعـة عـشر، وبعدهـا قائمـة بمصـادرِ الكُتـبِ.

أمـا عَـنْ سببِ اختيـاري للموضـوع هـو تسـليطٌ الضـوء عـلى التصـوفِ والفِكْـر الفلسـفيِ، وتداخـل العِلْـم معـهُ مـا بَـينَ فقـهِ أعـمال القُلـوب وَفقـهِ أعـمال الجـوارح. وكانَ هـذا المحـوَرُ يـزودني دائـمًا بالدافـع لتكملـةِ مَنهـج الدراسـةِ والتحقيـقِ رَغـمَ صعوبتـهِ، وَمِـنْ أهـم المشـاكلِ التـي واجهتنـي في تحقيـقِ المخطـوطـة:

أولًا: البحـثُ عـن نسـخةٍ أخـرى للمخطـوطـة لمقابلتهـا، والتـي انتهَـتْ بعد عنـاء وَجهـد مـن البحـثِ لشـهورٍ في أرشـيفِ المكتبـاتِ العالميـة والمكتبـات العربيـة حـين وجدتُّهـا في القاهـرة، ومِـنْ أجـل الحصـولِ عليهـا اسـتغرقتُ شـهورًا أخـرى في الإجـراءاتِ والاتصـالات والمخاطبـاتِ الرسـميةِ، وأخـيرًا تـمَّ الحصـولُ عليهـا بعـد مسـاعدة الأصدقـاء العاملـين بالسـلكِ الدبلومـاسي العراقـي في القاهـرة.

ثانيًـا: كانـتْ إعـداد دراسـةِ المقدمـة لدينـا صَعبـة جـدًا مـن حيـثِ الحصـول عـلى المعلومـاتِ الصحيحيـة مِـنْ المصـادرِ والكتـبِ التي تحدثـتْ عِـنْ الصوفيـةِ؛ لكـون أنَّ بعـض هـذه المصـادرِ فيهـا الخطـأ بالمنهـجِ والنسـخ واضحًـا متجاهلين الحقائـقِ[1]، عِنْـد اقتبـاس النصـوص لكُتـبِ المحاسَـبي وعَـن المنقـولِ عنهـا مِـنْ خـلال مراجعـةِ المصادر.

وكانـتْ تسـيرُ عـلى منهـج واحـد في أغلـب مـا يكتـبُ عـن المحاسـبيّ، وسـيأتي تفصيـلُ بعـض هـذهِ الأخطـاءِ، وتَبـيَّنَ أيضًـا عَـدم وجـودِ منهـج واضـحٍ لتحقيـقِ بعـضِ مخطوطـاتِ المحاسـبي عنـد الكتـب المترجمـة إلى العربيّـةِ،

(١) طبقات الشافعية. السبكي: ج٢، ص٢٧٧. تاريخ الأدب العربي. بروكلمان: ج٤، ص٥٨. تاريخ التراث العربي. فواد سَزكين: ج١، ص١١٤.

وقد جَاءتْ فيها بعض عناوين لكتبٍ وردتْ على أنّها تحقيق لمخطوطاتِ الأصلِ وهي مُترجمة ومُحققه فيما سَبق، وعناوين والتسميات للمسائلِ والأبوابِ بعيدة عن التسميةِ الحقيقيةِ للمخطوطاتِ، وقد تمَّ إضافةُ أسماءَ جديدةٍ لها، وجاءتْ المبالغةُ بالتسميةِ في بعضِ الكتبِ الأخرى [1]، وتأتي في بعضِ الكُتبِ مواضيع في ذمِّ المحاسبيّ وفي مقدماتِ المخطوطاتِ المُحققةِ لهُ [2]، ويخطرُ في الفِكْر سؤال مهُم لمْ أجد إجَابةً لهُ!

إنْ كان المحّققُ يودُّ أنْ يذمَّ وينتقصَ من فِكْرِ أوعِلْمِ أحدِ العلماء فلماذا يحققُّ لهُ؟.

ومِنْ أجل الأسبابِ التي تمَّ ذِكْرها سابقًا والوصولِ للمنهج الصحيح في التحقيقِ، تمَّ شراءُ جميع المخطوطات الموجودة في المكتبات التركية [3]، والكتب المحققة بالعربيةِ للمحاسبيَ [4]، وقد اتضحَ بعد الاطلاع عليها وجود رواياتٍ غير صحيحةٍ في الكتبِ لا تطابق المخطوطاتِ منَ ناحيةِ منهج الفكْر ودقةِ الكلماتِ المختارة في الحديثِ والأثَّرِعند مطابقةِ الكتب المحققَةِ بالمخطوطاتِ الأصليةِ.

لذلك كان لابدَّ من تَحليلِها والتحققِ مِنْها، وتمَ العمل على تدوينِها؛ لكي نَقف على الأخطاءِ التي وردتْ فيها، وتمَّ توضيح الأخطاء التي

---

(١) انظر: تاريخ الأدب العربي. فواد سيزكين: ج١، ص١١٣. تاريخ الأدب العربي. بروكلمان: ج٤، ص٥٨. فهرست المخطوطات العربية. الشنطي : ج٢، ص١٤٣، ص١٥٧، ص١٦٣.

(٢) انظر: شرح المعرفة وبذل النصيحة. فتحي سيد : ص٩،ص٧٢.

(٣) انظر: مخطوطة الزهد. المحاسبي: ص٣. مخطوطة الإنابة لله. المحاسبي: ص١٨.مخطوطة مائية العقل . المحاسبي: ص١٠٤. مخطوطة الخلوة والتنقل بين العباد. المحاسبي: ص٢. مخطوطة العلم. المحاسبي: ص٣٢. مخطوطة شرح المعرفة وبذل النصيحة. المحاسبي: ص٣٧. مخطوطة المسترشد. المحاسبي: ص٢٤.مخطوطة البعث والنشور. المحاسبي: ص١٣٤.

(٤) انظر: كتاب الرعاية لحقوق الله. المحاسبي، ت: مارغريت سميث: ص١٥. كتاب فهم القرآن والعقل. المحاسبي، ت: حسين القوتلي: ص٢٠.كتاب العلم. المحاسبي، ت: المزالي: ص٢١. التوهم. المحاسبي، ت: آرثر جي اربري: ص١٢. أستاذ السائرين. عبد الحليم محمود: ص٢. معاتبة النفس. المحاسبي، ت: محمد عبد القادر عطا الله: ص٥. رسالة المسترشد. المحاسبي، ت: فتاح أبو غدة: ص٣٣. الوصايا. المحاسبي، ت: عبد القادر عطا اللهً: ص٥.

جاءتْ في مواضيع الكتبِ والنصوصِ المشار إليها مِن الكُتبِ أخرى [1]، لكي يصبحُ لدينا المنهجَ الصحيح لفهرسِ مخطوطات الشيخ المحاسبي في الكتابِ أدناه، والوقوفُ على التسمياتِ الصحيحةِ والشاملةِ للكتبِ المطبوعةَ وتفادي الأخطاءِ الموجودة؛ ليتسنى لأي باحثٍ أو محققٍ فيما بَعْد الاعتماد عليها دون أي خطأٍ او عناءٍ، ولا أخفي عليكم أنَّ موضوعَ الوصولِ للكتبِ والمخطوطاتِ كانَتْ ذات كلفةٍ عاليةٍ.

وَاللهُ المُسْتَعَانُ.

محمد فوزي كريم / ٢٩- رمضان ١٤٣٩هـ.

---

(١) انظر: طبقات الشافعية. السبكي: ج٢، ص٢٧٧. الرسالة القشيرية. عبد الحليم محمود: ص٥٩. تاريخ الأدب العربي. فواد سيزكين: ج١، ص١١٣.



سيرة الإمام المحاسبي

اسمه وكنيته ومولده ووفاته:

هو أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي البصري العَنَزِيَ الأصل[1]، ولد في البصرة[2] لسنةِ مائة وخمس وستون هجرية، و جاءتْ كنيتهُ بالمحاسبيّ؛ لأنَّهُ كانَ يحاسبُ نفسهُ وقلبهُ، ولديه الإلحاحُ على تقييم نفسِهِ، فهو الزاهدُ العارفُ وشيخُ مشايخِ الصوّفية، أحدُ الأوتادِ والجامعُ بين عِلْم الظاهرِ والباطنِ في التفسيرِ، شافعي المذهب؛ فقد صحبَ الإمام الشافعي وكان من الطَبقة الأولى، أي عاصَرهُ وأخَذَ عنه وَاختارَ مذهَبه[3]، زاهدٌ في الطريقةِ عالَمُ العارفين في زمانهِ وأستاذُ أكثر البغداديين[4]. ويبدو أنَّ نشأتهُ كانتْ في جوٍّ من الصّراعِ الفكري والمجادلةِ التي سادتْ الشيوع بالأهواءِ فيها عند أهل البصرة، وَلأنّها كانتْ منارةَ للعِلْم فمِن البصرةِ خَرج الكثير من العلماءِ والمحدثين والفقهاءِ والمتكلمين ومُخالفيهم[5].

(١) انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج١٢، ص١١٠. انظر: الأنساب. السمعاني: ج٩،ص٧٦. تاريخ بغداد: الخطيب: ج٩، ص١٠٦. الطبقات الكبرى. للشعراني: ج١، ص١٤٠. مرآة الجنان وعبرة اليقظان. اليافعي: ج٢ ص١٠٦. تهذيب الكمال في اسماء الرجال. جمال الدين المزي: ج٥، ص٢٠٨.

(٢) البصرة: هي من المدن الكبيرة في العراق وفي كلام العرب تسمى الأرض الغليظة وايضًا تسمى الأرض الحمراء وهي في تعريب بس راه: أي ذات طرق عديدة متنوعة تتشعب إلى أماكن كثيرة والذي ينتسب اليها يقال عنه البصري، لها خليج بحري يسمى حاليًا. شط العرب. يلتقيان فيه نهران دجلة والفرات ذات شجر نخل وافر.

انظر: فتوح البلدان.ياقوت بن عبد الله الحموي: ج١، ص٤٣٢.

(٣) انظر: طبقات الفقهاء الشافعية. ابن صلاح: ج١، ص٤٨٩.

(٤) انظر: الكواكب الدرية في تراجم الصوفية: ج١، ص٥٨٥. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. لأبي نعيم: ج١٠، ص٥٧. طبقات الشافعية الكبرى: ج٢، ص٢٧٦.تاريخ التراث العربي. فواد سزكين: ج١، ص١٣٦.تاريخ الأدب العربي. بروكلمان: ج٤، ص٥٧.

(٥) انظر: مروج الذهب. المسعودي: ج٣، ص٩٥.

واتضح أنَّ أباهُ كان من بيئةٍ مجتمع قد سادَ فيهِ العِلْمُ والمجادلةُ والثقافة[1]، لقد عاصَر المحاسبيّ الخلافة العباسية منذ ولادتِه[2]؛ لذلك كانَت حياتُه في يُسرٍ ورخاءٍ، وحين توفي أبوه تركَ لهُ ثروةً مِن الأراضي والمالِ الوفيرِ فلَمْ يأخذْ منها شيئًا وبعثهُ إلى بيت المال[3]، ويقال: إنَّ سببَ رفضِ المالِ من أبيهِ لكونهِ يتكلّمُ بالقدرِ[4]، فقالَ المحاسبيّ معلِّلاً السبب أنَّهُ سمِعَ عن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «لَا يَرِثُ الْمُسْلِمُ الْكَافِرَ وَلَا الْكَافِرُ الْمُسْلِمَ»[5]، فرأى من السُنَّة والورع أنْ لا يأخذ ميراثَه ويتبْع السنَّة وكان في أشدّ الحاجةِ إلى المال[6].

وقال عنه جنيدُ: ماتَ الحارثُ وهو محتاجٌ إلى دَانقٍ من فضةٍ وأبوه خلّفَ مالًا كثيرًا وما أخذَ منهُ حبةً واحدة[7]، إنَّ المحاسبي كان ملتزمًا في إتباع السُنَّةِ النبويةِ مع أقربِ النّاسِ إليهِ، فما بَالُ المخالفين الزائغين من الغرباءِ؛ فكانَ لألوانِ الحقِّ مشاهدًا ومراقبًا، ولأثارِ الرَسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مساعدًا ومصاحبًا للمريدين، إنَّ الله سبحانهُ أكرمهُ ((بأنَّهُ لا يَدْخل بَطْنِهِ إلا الحلالِ المَحْضُ[8]))[9]، ومِنْ كلامهِ في ذلك:

---

(١) انظر: العقل وفهم القرآن للمحاسبي، ت: حسين القوتلي: ص٧.

(٢) انظر: موسوعة الخلفاء المسلمين. الكبى: ج٢، ص١٣.

(٣) انظر: طبقات فقهاء الشافعية. ابن صلاح: ج١، ص٤٤٠.

(٤) أي قدريًا: هي أحد الفرق سمو بذلك لردهم قضاء الله سبحانه في معاصي العباد.
انظر: الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل. عبد القادر الكيلاني: ج١، ص١٨٧.

(٥) انظر: صحيح البخاري: ج٢، ص٥٧٦.صحيح مسلم: ج٣، ص١٢٣٣.

(٦) انظر: تذكرة الأولياء.العطار: ج١، ص٢٩١.الخطيب البغدادي: ج٥، ص٢٩٠.

(٧) انظر: ا مرآة الجنان واليقظان. لليافعي: ج٢، ص١٠٦.الكواكب الدرية في الصوفية. المناوي: ج١، ص٥٨٨.

(٨) المَحْضُ: سمي اللَّبن الْخَالِص من المَاء.
انظر: جمهرة اللغة. محمد الأزدي: ج١، ص٤٩٦.

(٩) انظر: طبقات الصوفية. للسلمي: ص٢١. انظر: طبقات الشافعية. السبكي: ج٢، ص٢٧٥

((مَنْ صحَّحَ باطنَه بالمُراقبةِ والإخلاصِ زَّينَ اللهُ تعالى ظاهرَهُ بالمُجاهدَةِ واتِّباعِ السُنَّة)) [1].

قالَ عنهُ جنيدُ البغدادي[2]: كانَ الحارثُ كَثير الضرُّ فأجتاز بي يومًا وأنا جالسٌ على بابنا، فرأيت على وجههِ زيادة الضرِّ من الجوع؛ فقلتُ لهُ: يا عمّ، لو دَخلتَ إلينا نِلْتَ شيئًا مَنْ عِندنا، قالَ: أوَتَفعل؟ فقلتُ:نَعم... وتسرُّني بذلك وتَبَرُّني، فدخلتُ بين يديهِ ودخلَ معي، فجئتُ بنوع من الطعام جَاء لنا من عرسٍ فوضعتُهُ بين يديهِ، مدَّ يدَهُ فأخذَ لقمةً فرفعها إليهِ فرأيتهُ يمضغُها ولا يزدريها[3]، فوَثبَ[4] وخَرَج وما كلّمني، فلمّا كان الغدُ لقيتهُ وقلتُ لهُ: يا عمّ، سرَرْتَني ثمَّ نغَّصتَ عليّ، قال: يا بُنَي، أما الْفَاقَة [5] فكانتْ شديدةً، وقد اجتهدتُ في أنْ أنالَ من الطعام الذي قدَّمتهُ إليَّ، ولكن بيني وبينَ الله علامةٌ؛ إذا لمْ يكنْ الطعامُ مُرضيًا ارتفعَ إلى أنفي منهُ زَفْرَةً[6] فلمْ تَقبلْهُ نفسي، فقد رَميتُ بتلك اللُّقمةِ في دَهاليزكم[7]، فَقلت لهُ: أتدخلَ اليوم، قالَ: نَعْم، فقدّمتُ اليه كِسَرَ خبزٍ يابس كانتْ

---

(١) . انظر: الطبقات الكبرى. الشعراني: ج١، ص١٣٨. الكوكب الدري في الصوفية. المناوي: ج١، ص٥٨٦.

(٢) الجنيد البغدادي: جنيد بن محمد خزا أصله من نهاوند، سكن بغداد، اشتهر بالصوفية وبصحبة خاله السر السقطي وأبي حارث المحاسبي، ودخل العلم وهو ابن عشرين سنة، وله مؤلفات كثيرة في الزهد، توفي سنة٢٩٧هـ.

انظر: طبقات الأولياء. ابن الملقن: ج١، ص١٢٦.سير أعلام النبلاء. الذهبي:ج١٤، ص٦٧.

(٣) ازدراءً: أقسى أنواع التأنيب للنفس.

انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة. أحمد مختار: ج٢، ص٩٨٣.

(٤) وَثبَ: شَبَّ وتحرَّك.

انظر: المُنَجَّد في اللغة. علي بن الحسن الهُنائي الأزدي:ج١، ص٣٣٨.

(٥) الْفَاقَة: الْحَاجة، وَلاَ فِعْل لَهَا.

انظر: : تهذيب اللغة. محمد الهروي: ج٩، ص٢٥٥.

(٦) زَفْرَة: زَفَر، وسخ، درن.

انظر: تكملة المعاجم العربية. رينهارت: ج٥،ص٣٣٧.

(٧) دهاليزكم : من دِهْليز :وهو مسلكٌ طويل ضيّق.

انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة. أحمد مختار: ج١،ص٧٧.

لنا فأكلَـها، وقـالَ: إذا قدمّـتَ إلى فقـيرٍ شـيئًا فَقـدم مِثـل هـذا[1].

وتـدلُّ الآثـارُ أنَّ المحاسبي جـاءَ عـلى بغـدادَ في مرحلـةِ شـبابهِ وليـسَ في صغـرهِ أو صبـاهِ -كـما ذُكـرَ في بعـض الكتـب- وبدليـلِ تأثُّـرهِ بعلـماءِ أهـل البصرة مِن المحدثين والفقهاءِ وما روى عنهُم من حديثٍ وأثر، ويتضح أنَّـه دخـلَ مجالسَ العلـمِ في البـصرةِ منذُ الصغـر، وإنَّ فِكْـر الحسـنِ البـصري كان أعمقهـم أثَـرًا فيـهِ[2]، حيث قـالَ في وصفـهِ لِعلـماءِ أهـل البـصرةِ: ((ليتنـي بزهـدِ الحسـنِ البـصريّ، وورعِ ابـن سـيرين، وتـوكلِ عُبـادةَ بـن عامـر العنـبري، وفقـهِ سـعيد بـن المسيب))[3].

وَمِـنْ بعـضِ هـذهِ الرويـات الغـيرِ صحيحـة بالنسـبةِ لقـدوم المحاسـبي في صغـرهِ إلى بغـداد والتـي لاتطابـق التسلسـلَ الزمنـي في العمـرِ بـين الـراوي والمحاسبيّ[4]، حيـث رُويَ في عـدةِ كُتـبٍ[5] عَـنْ أبي عـلي بـن خـيران البغـدادي (ثلاثمائـة وعـشرون هجريـة)[6]، أَنَّـه رأى الحـارث ببـابِ الطـاقِ[7] وسـط الطريـقِ متعلقًـا بأبيـهِ والنـاس اجتمعـوا عليـهِ، ويقـول لأَبيـهِ: أمـي طلّقْهـا؛

(١) انظر: طبقات الأولياء. ابن الملقن: ج١، ص١٧٦. تاريخ بغداد. الخطيب:ج٩، ص١٠٨.

(٢) انظر: تاريخ التراث العربي. فواد سزكين: ج١، ص١١٣. طبقات الشافعية الكبرى: ج٢. ص٢٧٧.

(٣) . انظر: تاريخ دمشق. لابن عساكر: ج٢٦، ص١٦.

(٤) انظر: موسوعة خلفاء المسلمين. الكبى: ج٢، ص٩٣.

(٥) انظر: طبقات الشافعية. للسبكي: ج٢، ص٢٧٧. الرسالة القشيرية. زين الدين القشيري: ص٥٩.حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. أبي نعيم : ج١٠،ص٨١.

(٦) علي بن خيران هو الحسين بن صالح بن خيران القاضي الفقيه البغدادي الشافعي، في عهد حكم القاهر بالله ابن المنصور العباسي الإمام شيخ الشافعية أبو علي البغدادي الشافعي، هو أحد كبار علماء الشافعية توفي، سنة٣٢٠هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي : ج ١٥،ص ٥٩. موسوعة خلفاء المسلمين. زهير الكبي: ج٢، ص٩٣.

(٧) باب الطاق: من المحلات المهمة في الجانب الشرقي من بغداد وعرفت بهذا الاسم نسبة إلى الطاق الذي كان في الأصل قسمًا من قصر أسماء بنت المنصور، ثم صار في زمن الرشيد مجتمعا للشعراء، وقد أطلق اسم باب الطاق على المنطقة التي تمتد إلى الشمال والشرق منه، وصارت تعرف بمحلة باب الطاق.

انظر: معجم البلدان. ياقوت الحموي: ج١، ص٣٠٩.

أنت على دينٍ وهي على دين، وهذا الشيء لا يطابق المنطق ولا يطابق تلقّي علوم المحاسبي فيما سبق ذكرهُ، وقد تبيّن مِنْ المصادر أيضًا بعدم وجودِ أي تفاصيل لحياةِ والدتهِ أو عائلتهِ، وهذا حالُ معظم العلماءِ؛ لكونَ أنَّ النساء بحكمِ الآداب الدينية والعرفية لا يُذكَرْن بشيء[1].

قال جنيد: كنتُ كثيرًا أقول للحارثِ: عُزلَتي أُنسي تُخرِجُني إلى وَحْشةِ رؤيةِ الناسِ والطُّرُقات، فيقول: كيف تقولُ أنستي عُزلَتي؟! لو أنَّ نصفَ الخَلقِ تَقرَّبوا مِنّي ما وجدتُ بهم أُنسًا، ولو أنَّ النِّصفَ الآخر نأى عنِّي ما استَوْحَشتُ لبُعدِهم[2]. وقد تبينّ في هذه المرحلة مِنْ حياةِ الشيخ انتشارُ خبرِ نيةِ الخلوةِ والأنسِ بالله للمحاسبيّ ووصل للمريدين، فجاءهُ أحدُهم وقال لهُ: يا معلم، ما هو الأنسُ بالله؟

قالَ المحاسبي: التوحشُ من الخلقِ.

فقالَ المريدُ: فما علامةِ التوحش؟

أجابَ المحاسبي : الفرارُ إلى مواطنِ الخلوات، والتَفردَ بعذوبة الذِكْر؛ فعلى قَدْرِ ما يدخلُ القلبَ من الأنِس بذِكْرِ الله يخرجُ التوحشُ، وفي قولِ الله تعالى لداوود عليهِ السلام: ((كن بي مستَئنسًا وَمِنْ سواي مستَوحشًا))[3].

-ويبدو أنَّ هذه الأسئلة كانتْ في لقائهِ الأخير بتلاميذهِ في بغداد قبل الخلوة -. هجرَ الناس لرَّبِ النّاس بخلوةٍ وعزلةٍ دامتْ - تسعة أعوام -.

وقد جاءَ في بعضِ الكتبِ أَنَّ خروج المحاسبي من بغدادَ كان بسبب صدودِ المريدين عنهُ وعن علمهِ[4]، وهذهِ المعلومة ليسَتْ دَقيقة، وإنَّما جاءَت الخلوة لعّدةِ أسبابٍ، ومنها حالُ بغدادَ وأحوال العلماءِ والنزاع

(١) انظر: أستاذ السائرين. عبد الحليم محمود: ص٨.

(٢) انظر: الكواكب الدرية. مناوي: ج١، ط٣، ص٥٨٦.تاريخ بغداد. الخطيب : ج٩،ص١٠٨.

(٣) انظر: حلية الأولياء. لأبي نعيم: ج١٠، ص١٠٧.

(٤) انظر: طبقات الشافعية. السبكي:ج٢،ص٢٧٨. تاريخ الأدب العربي. بروكلمان:ج٤،ص٨٥.

القائم فيها، عند الخوضِ في تسلسلِ الأحداثِ الزمنية لعصرهِ[1]، وقد تلخصّتْ الأسباب بمايلي:

أولًا: ضيقُ صدرِ المحاسبي من صراعاتِ المدارسِ الدينية التي كانتْ ما بينَ المحدّثين والمعتزلة[2]، وصراع الفقهاء مع المحدثين، والمعتزلةِ والفقهاء، وكان بعض المحدثين يُهاجمونهُ وينتقدونهُ في بعضِ الأحيانِ بسببِ ردهِ على المعتزلةِ ولخوضهِ في علم الكلام والجَدَل[3]. وكانتْ بدايةُ المواجهةِ حينَ رَد المحاسبيّ علماء المحدّثين فقالَ: ((إنَّ الردَّ على البِدعةِ فرضٌ، أجابَهُ الإمام أحمد: نعم ولكن حكيتَ شبهتَهم أَولًا، ثم أُجبتَ عَنهم فلمْ تأمنَ أنْ يطالعَ الشبهةَ مَنْ تَعْلَق بفهمِهِ ولا يفهم الجواب))[4]،وانتهى الجدلُ فيما بينهما، ليسلك طريق التأويل والكلام عِنْد البعضِ،ولكن تطور العِلْم في الفقهِ والاصولِ وهو عِلْم يُعتبر كسائر بقيةِ العلوم قد جاءَ بالرَّد بعد برهةٍ مِنْ بعض العلماءِ الذينَ تأثَّروا بالمحاسبي وساروا على نهجِ فكْرهِ، فقالَ فيما سبق ذكرهُ:

((ما ذكرُه الإمام أحمد حقًا في شبهةٍ لمْ تنتشرْ ولمْ تشتهرْ، فأمّا إذا انتشرتْ فالجوابُ عنها واجبٌ))[5]، لينهي الجدالَ في الموضوع، ولكنهُ لمْ يَسلم مِنْ بعضَ أسلافِ المحدثين الذين دسوا في كتابِ إحياءِ علوم الدين بعض المسائل المشبوهةِ فأمرَ بحرقها، وقد قيلَ: ((لو لا كتاب الرعايةِ للمحاسبي ما كانَ كتابُ إحياء العلوم للغزالي))[6] الذي كان ينصُ على نهجِ فِكْرِ المحاسبي[7].

---

(1) انظر: مروج الذهب. المسعودي:ج3،ص95.

(2) انظر: أستاذ السائرين. عبد الحليم محمود: ص3.

(3) انظر: الطبقات الكبرى. الشعراني: ج1، ص139. طبقات الصوفية. للسلمي: ص22.

(4) أستاذ السائرين. عبد الحليم محمود :ص3.

(5) انظر: المنقذ من الضلال. أبي حامد الغزالي: ص32.

(6) انظر: الموسوعة الصوفية. عبد المنعم الحنفي:ص306.

(7) انظر: الرفع والتكميل في الجرح والتعديل. للكُنوي: ص176.

وثانيًا: إنَّ أسلوبَ تعاملِ الخليفةِ العباسي المتوكلِ ومعاملتهِ لرجال الدينِ والتنكيل بهم، وحياةَ الترفِ التي كان يعيشها الخلفاء المسلمون، وتقربَ بعض العلماءِ للخليفةِ لنصرةِ مذهبهِ لمْ ترُقْ للمحاسبي[1]، فخرجَ المحاسبي من بَغداد قاصدًا الكوفة سنة مائتين واثنين وثلاثون هجرية[2] قاصدًا العُزلةِ وسالكًا طريقَ الخلوةِ[3]؛ فقد تركَ المريدين وتركَ الوعظ قاصدًا الأنسَ بالله بَعد سنٍّ تجاوزَ ثلاثة وستين وهو اقتداءٌ اتّبعهُ أسلافُ علماءِ التصوّف مِنْ بَعدهِ في الخلوةِ[4].

لمْ يرجعْ المحاسبي إلى بغدادَ إلا بعد أَنَّ ورَد خبر وفاة الإمام أحمد، وذلك لحضورِ جنازةِ الإمام أحمد التي حضرها كبارُ العلماء[5]، فلمْ يتعرفْ عليهِ تلاميذُه وأصحابه حينها، ولا الذين في بغداد؛ فالمدةُ طويلة وقد مرّتْ على المريدِين أهوالٌ وأحوال، فكانَ الرحيلُ عَنْ بغدادَ للأُنسِ والخلوةِ بالله، وعادَ لتأديةِ الواجبِ والصلاةِ على عَالم وصديق، وهذه الحقيقةُ تخالفُ بعضَ الكتبِ في رحيلِ المَحاسبي عن بغدّاد والعودةِ لَها[6].

ولهذا قيلَ؛ إنْ جاءَ تنكيلٌ بالعلماءِ فهو داءٌ قديمٌ في البشرِ يستظهرُ الانسانُ برأي كبيرٍ مِنْ العلماءِ؛ ليهدمَ عِلمَ آخر، ولكنْ شاءَ اللهُ تعالى إبطالَ حجةِ الهادم في مُجْمَلِ الأحداثِ، التي ذُكرتْ فيما سبقَ، بحججٍ بائنةٍ أجرتْ على قلمهِ ولسانهِ ولدليل خطئهِ ولو بَعدَ حين.

اجتمع المحاسبي بأصدقائِه والمريدين القدامى بعد غياب طويل عنهم، وقبل موتهِ بمدة قصيرة قال لُهم: عندما يأتيني الموت إنْ رأيت ما أحبُّ

---

(١) انظر: مروج الذهب. للمسعودي: ج٤، ص٧٧. طبقات الفقهاء الشافعية. ابن صلاح: ج١، ص٤٣٨.

(٢) انظر: طبقات الشافعية. السبكي: ج٢، ص٢٧٦.طبقات الصوفية. للسلمي: ص٢١.

(٣) انظر: الرسالة القشيرية. عبد الحليم محمود: ص١٩٦.

(٤) انظر: عوارف المعارف. السهر وردي: ج٢، ص ٤٠. ص٤٢. تذكرة الأولياء. النيسأبوري: ص٢٩٣.التعرف لمذهب أهل التصوف. محمد بن اسحاق الكلاباذي: ص ١١٤.

(٥) انظر: مروج الذهب. المسعودي: ج٤، ص ٨٤. طبقات فقهاء الشافعية. ابن صلاح: ج١، ص ٤٣٩.

(٦) انظر: طبقات الشافعية. السبكي: ج٢، ص٢٧٦.

تبسمتُ إليكمْ، وإن رأيت غيرَ ذلك تَنسَّمتم[1] في وجهي، فقال أبو ثور[2] عن هذا الأمر: حضرتُ وفاةَ المحاسبيّ رحمهُ الله، فتبسَّم ثمَّ ماتَ، وقولهِ تَنسَّمتُم في وجهي بفتح التاء المثناة منْ فوق بعدها نون وسين ضبطناه لكيلا يتَصَحَّفَ[3]))[4] .

توفى المحاسبيّ رحمهُ الله. سنة (مئتين وثلاثة وأربعين هجرية)[5]، ودُفنَ في مقبرةِ الكرخ ببغداد[6]، وصلى عليهِ أربعة فقط من تلاميذهِ، كانَ زاهدًا حتى في موتهِ، اكتفى بأربعةِ علماءِ من التصوّف على حشودِ النّاس[7]؛ ليفارقَ الخلقَ إلى الخالق ويلقى رَبَّ النّاس بَعدَ أن استوحشَ مِنَ النَّاس، عاشَ المحاسبي تسعُ وسبعون سنة.

ويَتبيَّنُ أَنَّ في وصيةِ المحاسبيّ للمريدينَ رسالتان مِنْ بعدهِ حول قبولِ تعاليمهِ من ربِّ العزَّةِ، وكما يلي:

---

(١) تَنسَّم: هبوبَ الرّيح وجَد لَهَا خَفًّا التي تجيء منها بِنَفَسٍ ضعيفٍ.

انظر: تهذيب اللغة. محمد الأزهري:ج١٣،ص١٥.

(٢) أبو ثور: هو إبراهيم بن خالد، الإمام الحافظ الحجة المجتهد، مفتي العراق أبو ثور الكلبي البغدادي الفقيه، ويكنى أيضا أبا عبد الله، وسمع من: سفيان بن عينة، وعبيدة بن حميد، ويزيد بن هارون، ثقة مأمون، أحد الفقهاء، مات سنة ٢٤٣هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء: ج١٢، ص٧٤.

(٣) والتَّصْحِيفُ: الخَطَأُ في الصَّحيفةِ.

انظر: : القاموس المحيط، مجد الدين الفيروز آبادي: ج١،ص٨٢٦.

(٤) انظر: طبقات الشافعية. السبكي: ج٢، ص٢٧٨. أستاذ السائرين. عبد الحليم محمود: ص٣٢٣.

(٥) وردت في بعض المصادر ٢٤٢هـ. والأغلبية كانت ٢٤٣هـ.

انظر: مخطوطة النصائح. المحاسبي: ص١، موسوعة الخلفاء المسلمين. الكبى: ج٢، ص٥٥. طبقات الشافعية. السبكي: ج٢، ص٢٧٨. الكواكب الدرية. مناوي: ج١، ط٣، ص٥٨٦. تذكرة الأولياء. النيسابوري: ص٢٩٣. الرسالة القشيرية. نور الدين القشيري: ص٥٩. الطبقات الكبرى. الشعراني: ج١، ص١٣٨. سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج١٢، ص١١٠.

(٦) انظر: تاريخ مدينة السلام. الخطيب البغدادي: ج١، ص٤٤٤. أنباء أبناء الزمان. ابن خلكان:٦١.

(٧) انظر: الكامل. لابن الاثير: ج٦، ص ١٢٨. طبقات الشافعية. السبكي: ج٢، ص٢٧٣.

أولًا: كان حريصٌ بتلقي إشاراتِ قبولِ نهجِهِ من رَبِّ العالمين في موتهِ، وهي في معنى كلمة تَنسَّمتم ذلك في وجهي؛ لكي تكونَ بشرى لتلاميذه وتصديقِ لنَهجهِ المتبعِ مِنْ بَعدِ موتهِ.

ثانيًا :حثهُم بالسعي الدائم لمقام ذكرِ الموتِ كعارفين لا مستأنفين؛ لكونهُ قد شدّدَ القولّ في مقام ذِكْرِ الموت فقالَ: ((المستأنفُ: هو المبتدئُ الذي يغلبُ على قلبهِ ذِكْرٌ فيَتركُ الزللَ مخافةَ العقاب، فكلَّما هاجَ ذِكْرُ الموتِ من قلبهِ ماتتْ الشهواتِ عَندهُ، وأمّا العارفُ: فَذِكْرُه للموتِ محبَةً لهُ اخَتيارًا على الحياةِ وتبرُ ما بالدَّنيا التي قد سلا قلبهُ عنها شوقًا إلى الله ولقائهِ رجاءَ أملِ النَظر إلى وجههِ والنزولِ في جوارهِ؛ لما غلبَ على قلبهِ مِنْ حُسْنِ الظنِّ بِرَبّهِ)) [1].

(١) انظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. لأبي نعيم: ج١٠، ص٩١.

شيوخه وتلاميذه

إنَّ مسارَ نهج الوعظِ عند المحاسبيِ في الأحاديثِ والروايةِ تؤكد خُطى آثارهِ في تلقي العَلوم؛ فنجدُ قد تحدّثَ عن: هشيم بن بشر الواسطي[1] وشيوخ آخرين سَيُذكر تفاصيلهُم سلفًا جاءت بلفظ –حدثنا– وهي تفيد بالرواية المباشرة في الأحاديثِ والنصوصِ، وتسند على أنَّها من أعلى مراتبِ الرواية في الأحاديثِ، واتضحَ أنَّ مدينةَ واسط [2] جاءت بعد البصرة في تلقي عِلومهِ وتَّبينَّ ذلك عند سردِهِ الأحاديثِ والأثر، فجاءَ إسنادهُ عن عُبادَ بن العوام[3]، وعليَّ بن عاصم الواسطي[4]، وعندَ هشيم بن بشِر، فقد اتَّبع نهجَ عِلْمَ الفَقهِ عند العدّةِ وتوبةِ الزاني ومقاديرِ الزكاة والصدقاتِ، وقد تمَّ تصنيفَ هذهِ المرحلة بالأولى مِنْ تلقي علومهِ من المشايخ [5].

و بعد أن تجاوزَ الثلاثين مِن العمر انتقل المحاسيبي إلى بغداد وتتلمذَ

---

(١) هشيم بن بشر: هو أبو معاوية هشيم بن بشير الواسطي الحافظ أحد الأعلام، سمع من: ابن عمر، والزهري، روى عنه: مالك بن أنس والترمذي، أحمد بن حنبل، أبو عبيد القاسم، كان ثقة كثير الحديث، مات سنة ١٨٣هـ.

انظر: تاريخ بغداد. الخطيب البغدادي: ج١٤، ص٩٠.

(٢) وهي مدينة في العراق ما بين الكوفة والبصرة، وقيل جاءت تسميتها لهذا المعنى، ولها تسمية قديمة اسمها واسط القصب، أول من عمرها الحجاج بن يوسف الثقفي فقد استطاب ليلها وعذب نهرها فجعلها مدينته بعد أن ضجر من أهل الكوفة.

انظر: معجم البلدان. الحموي: ج٥، ص٣٤٩.

(٣) عباد بن عوام ابن عمر بن عبد الله بن المنذر الإمام المحدث الصدوق أبو سهل الكلابي الواسطي، حدث عن: أبي مالك الأشجعي، وعبد الله بن أبي نجيح المكي، وأبي إسحاق الشيباني، وعنه: أحمد بن حنبل، وعمرو الناقد، وزياد بن أيوب، وعلي بن مسلم الطوسي، كان من نبلاء الرجال في كل أمره، توفى سنة:١٨٠هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج٨، ص٥١٢.

(٤) علي بن عاصم ابن صهيب، الإمام العالم، شيخ المحدثين، مسند العراق أبو الحسن القرشي التيمي، وروى عن: حصين بن عبد الرحمن، وبيان بن بشر، ويحيى البكاء، وعنه: يزيد بن زريع مع تقدمه، وأحمد بن حنبل. مات سنة ٢٠١هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج٩، ص٢٤٩.طبقات ابن سعد: ج٧، ص٧٣.

(٥) انظر: العقل وفهم القرآن. للمحاسبي، ت: حسين القوتلي: ص٧.

على يدِ الإمام الشافعي ما بين سنة ((١٩٥ ١٩٧هـجرية))، فهو ممّن عاصَرهُ وشاهدَه واختارَ مذهبَهُ واتّبعَ نهجَهُ في الفِقهِ والتفسير[١]، وحدَّث عن علماءِ الشافعية في بغداد، ومنهُم مروان بن شجاع في العلوم واللغةِ والقرآن، وعن أبي عبيد القاسم سلام البغدادي الذي دلَّ نهجهُ في مفهوم العام والخاصِ والناسخ والمنسوخ في التفسير والأحاديث. ويبدو أنَّ المحاسَبي قد تأثر بهِ كثيرًا، ويتضح مِنْ مخطوطةِ المسائلِ في أعمال القلوبِ والجوارح أنّ الاقتباس جاءَ عند المحاسبي منْ العلماءِ بصورةٍ مباشرةٍ بسببِ أن سرْدَ الحديثِ جاءَتْ بصيغةِ (حدثنا)[٢].

وممّا سبقَ ذكرُهُ يتبين أنَّ المحاسبيّ قضى مُجْمَل حياتهِ في تلقي العلوم بينَ بيئةِ المحدّثين والفقهاء؛ ممّا كانَ لَهُ الأثرُ العميقُ في نَهْج فكرهِ بعِلم الجدلِ وأسماء الرجالِ والروايةِ والفقهِ والتفسير، ويتّبينُ أنّهُ قد أدركَ منْذُ الوهلةِ الأولى في مراحِل تلقي العلوم أنَّ النزاعَ القائمُ بين الفِرَقِ الإسلاميةِ كانَ بسببِ التأويلِ في الكلام والخوضِ بهِ عندَ تفسيرهم للقرآن الكريم، والأحاديث، والأثر؛ لذلك كانَ شَديدَ الحرصِ على تلقي علومه مِنْ جميعِ المشايخ الموثوقِ بهْم في البصرةِ، واسطِ، بغدادَ. بل وحتى عندما كانَ يخرجُ من بغداد قاصدًا مكةَ والمدينَة المنّورةَ للحجِ يَبحثُ عَن العلماءِ والمشايخِ لتلقي العلوم في اللغةِ والتفسيرِ والفِقهِ.

---

(١) طبقات فقهاء الشافعية. ابن صلاح: ج١، ص٤٣٨ .تاريخ التراث العربي. فواد سزكين: ج٤، ص١١٤.

(٢) انظر: مخطوطة الأعمال القلوب والجوارح. المحاسبي: ص١٣٣. العقل وفهم القرآن للمحاسبي، ت: حسين القوتلي: ص١٧.

وندرج أدناه البعض من المشايخ الذين سمع عنهم وسمع منهم:

عبيد الله بن حصين العنبري (١٦٨هـ)[١]. مروان بن شجاع الجزري (١٨٤هـ)[٢]. عبد الله بن مبارك(١٨١هـ)[٣]. سفيان بن عينة (١٩٦هـ) عالم تصنيف الأحاديث في المدينة المنورة[٤]. وكيع بن جراح (١٩٧هـ) عالم أهل الحديث في العراق[٥]. روح بن عبادة (٢٠٥هـ) مِنْ كبار المحدثين في البصرةِ[٦].

يزيد بن هارون (٢٠٦هـ) مِنْ رواة الحديث وعلم التفسير[٧]. محمد بن كناسة (٢٠٧هـ) من رواة الحديث والأدب والشعر[٨]. هاشم بن قاسم الليثي أبو النضر (٢٠٧هـ) شيخ المحدثين[٩]. مطرف بن عبد الله بن شخير(٢٠٧هـ)[١٠]. عبد الله بن بكر السهمي (٢٠٨هـ) حديث

---

(١) عبيد الله بن الحسن بن حصين العنبري بن عمرو بن تميم، ولي قضاء البصرة، وكان محمودًا ثقة عاقلًا من الرجال، سمع عن: داود بن أبي هند، وخالد الحذاء، وسعيد الجريري، روى عنه: عبد الرحمن بن مهدي، ومعاذ بن معاذ القاضي، وخالد بن الحارث الهجيمي، قدم بغداد أيام المهدي، كان فقيهًا، مات سنة ١٦٨ هـ.

انظر: الأنساب. السمعاني: ج٤، ص٢٤٦.

(٢) مروان بن شجاع: أبو عمر الجزري صاحب حديث ورع، نزل بغداد ودرس أولاد المهدي، روى عنه: أحمد بن حنبل، سعيد بن سليمان الواسطي، شريح بن يونس، مات سنة ١٨٤هـ.

انظر: تاريخ بغداد. الخطيب البغدادي: ج٣، ص١٤٧.

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي:ج٨،ص٣٧٩.

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي:ج٨،ص٤٥٥.

(٥) انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي:ج٩،ص١٤١.

(٦) انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي:ج٩،ص٤٠٣.

(٧) انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي:ج٩،ص٣٥٨. .

(٨) انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي:ج٩،ص٥٠٩.

(٩) انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي:ج٩،ص٥٤٦.

(١٠) انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي:ج٨،ص٤٤٥.

ولغة العرب[١]. عطاء الخرساني (١٣٥هـ) عالم حديث[٢]. محمد بن كثير الكوفي(٢١٦هـ) حديث ورواية[٣]. سليمان بن حرب أبو أيوب البصري (٢٢٤هـ) علم الرجال وفقهٍ وحديث[٤]. سنيد بن داوود(٢٢٦هـ)[٥]. سُريح بن أبي يونس المروزي(٢٣٥هـ) رأس السُّنَّة والحديث[٦]. عبد الله بن سعيد البصري الكلابي(٢٣٨هـ) علم الجدل والنظرِ مِنْ المتكلمين بالسُّنَّة[٧]. محمد بن بشار بن عثمان (٢٥٢هـ)[٨].

لقد أثبتتْ مخطوطةُ أعمال القلوب والجوارح أسماء العلماء الذين كسب الحارث المحاسبي علمهُ من خلال صحبتهُم[٩] كما ورَد فيما سبق، وهذا لا يطابق الحديث في عدةِ مصادرِ التي وردَ فيها أنَّ لدى المحاسبي أستاذٌ واحدٌ فقط وهو يزيدُ بن هارون[١٠]، إنَّ الاطلاعَ الواسعَ للمحاسبي على آراء العلماءِ جعلَهُ يَقفُ من جميع الآراء في عصرِهِ موقفَ الناقدِ مُغبَرٌّ في وجوه مخالفيهِ لا يَقبلُ شيئًا إلى أنْ تظهَرَ حجَّتُهُ[١١]، فَقد استطاعَ أنْ ينشئ بفِكْرِهِ مَدرسةً في عِلمِ الكلام والجدَل عند المريدين وسط بيئة المحدثين والفقهاءِ.

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي:ج٩،ص٤٥١.

(٢) انظر:تاريخ دمش.ق. ابن عساكر:ج٣٨،ص٤٤٨.

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي:ج١٠،ص٣٨١.

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي:ج١٠،ص٣٣١.

(٥) انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي:ج١٠،ص٦٢٨.

(٦) انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي:ج١١،ص١٤٦

(٧) انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج١١، ص١٧٤.ا الملل والنحل. الشهرستاني: ج١، ص٢٧.

(٨) انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي:ج١٢،ص١٤٥.

(٩) انظر: مخطوطة أعمال القلوب والجوارح. المحاسبي: ص١١٥. ص١٤٦.

(١٠) انظر: تاريخ الأدب العربي. فواد سزكين: ج١، ص١١٣. تاريخ الأدب العربي. كارل بروكلمان: ج٤،ص٥٨.

(١١) انظر: طبقات الشافعية. السبكي: ج٢، ص٢٧٥.طبقات فقهاء الشافعية. ابن صلاح: ج١، ص٤٣٩.

يتضحُ أنَّ جميعَ أفكار ونهج المحاسبيّ في الوعظِ قَدْ أَوصَى بها علماءَ[1] أسلافِ مدرسةِ الأشعريةِ[2] الذين أقاموا الجدَل عند أهلِ السُّنَّة في الرَّدِ على المُعتزلةِ[3]، والتي كانتْ في عدّةِ مسائلِ منها خَلْق القرآن وصفات الله سبحانه، وجاءَ الاختيار لنهج فكرِهِ بسبب أنَّ عِلم الرَّدِ بالمسائلِ لديه يحكُمه العقلُ والنصّ، وهذا الأمرُ استَنَدَ عليهِ أسلافُ العلماءِ في عِلم الكلام في تطوّرِ عِلمِهم حتى الوقت الحاضر[4]. وقد تَبيَنّ ذلك عند بعضِ المشايخ والمريدين الذين أكملوا المسيرةَ في فَكرهِ، وروى بعضهُم الحديث والأثر مِنْ بعدهِ، ومنهُم :

---

(1) انظر: سيرة الشيخ محمد بن خفيف. علي الديلمي:ص١٠٩.

(2) الأشعرية: هم أصحاب أبي الحسن الأشعري المنتسب إلى أبي موسى الأشعري.
انظر: الملل والنحل. الشهرستاني: ج١، ص٨١.

(3) انظر: الغنية لطالبي الحق. عبد القادر الكيلاني: ج١، ص١٨٧. الملل والنحل. الشهرستاني: ج١، ص٣٨.

(4) انظر: علم الكلام والمجتمع. جوزف فان اس: ج١، ص٤٠.

بشر بن الحارث الحافي (٢٢٧هـ)[1]. سر السقطي (٢٥٧هـ)[2]. محمد الورد (٢٦٢هـ)[3]. محمد بن عبد الله ميمون(٢٦٢هـ)[4].سمسون المحب(٢٧٠هـ)[5]. إسماعيل بن إسحاق السراج الطوسي(٢٨٦هـ)[6]. أحمد

(١) بشر بن الحارث الحافي أبو نصر، جاءت التسمية لأنه كان يمشي حافيًا، أصله من مرو وسكن بغداد، من أعلام التصوف كبير الشأن من أقران الجنيد، وكان يصاحب الصوفية. مات في بغداد سنة٢٢٧هـ.

انظر: الرسالة القشيرية. نور الدين القشيري : ص٥٤.

(٢) أبو الحسن سر السقطي خال الجنيد كان تلميذ المعروف الكرخي وصاحب الحارث المحاسبي، مات ٢٥٨هـ.

انظر: الرسالة القشيرية. نور الدين القشيري: ص٥٢.

(٣) محمد بن أبي الورد قريب الجنيد، له طريق للمسالك الصوفية صحب الحارث المحاسبي وسر السقطي وبشر الحافي، سار ذكره في العراق وانتهت إليه مشيخة الصوفية في بغداد، وله حديث عن المحاسبي، مات سنة ٢٦٢هـ.

انظر: الكواكب الدرية. المناوي: ج١، ص٦٩٦.

(٤) محمد بن عبد الله بن ميمون شيخ جليل فاضل نبيل، له محاسن جمة من زهد وديانة، وتصوف، وحديث وقفه، ونسك، وشعر رقيق أغلب أحاديثه للمحاسبي –رحمه الله– وردت عنهُ، توفي سنة (٢٦٢هـ).

انظر: تاريخ مدينة السلام. الخطيب البغدادي : ج٩،ص١٠٦. طبقات الشافعية الكبرى. السبكي: ج٢، ص٢٨١. سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج١٢، ص٤٨٠.

(٥) سمسون المحب: كان صوفيا مقبولا لأهل زمانهِ، وقد سمي لقوة محبتهِ لله تعالى، كان من أقران جنيد، توفي سنة ٢٧٠هـ.

وهو صاحب الشعر الذي أبكى المحاسبي في مجلس الذكر، الذي قال فيه :

أنا في الغُربة أبكي ما بكتْ عينُ غريبِ لم أكن يومَ خُروجي من بلادي بمُصيبِ.

انظر: تذكرة الأولياء. فريد الدين العطار: ج١، ص٢٩٠. طبقات الشافعية. السبكي: ج٢، ص٢٧٧.

(٦) إسماعيل بن إسحاق السراج الطوسي، سكن هو وأخوه بغداد. فحدث عن : يحيى بن يحيى، وأحمد بن حنبل، وإسحاق، وعدة، ولازم الإمام أحمد، توفي سنة ست وثمانين ومائتين.

انظر :سير أعلام النبلاء. الذهبي:ج١٣،ص٢٠.

بن قاسم بن نصر دوست (٢٩٣هـ)[١]. الجنيد البغدادي (٢٩٨هـ) [٢]. أحمد بن محمد بن مسروق (٢٩٨هـ)[٣]. أبو عبد الله بن إسماعيل المغربي (٢٩٩هـ)[٤]. أحمد بن حسن بن عبد الجبار الصوفي(٣٠٦هـ)[٥].

أبو علي الحسين بن صالح بن خيران الفقيه(٣٢٠هـ)[٦]. محمد بن

---

(١) أحمد بن قاسم بن نصر الإمام الزاهد العابد، حدث عن المحاسبي عن أبي الدرداء عن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنْ شَيءٍ أَثْقَلُ في ميزَانِ المُؤمِنِ يَومَ القِيامة مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ».

انظر: تاريخ مدينة السلام الخطيب البغدادي : ج٥، ص٥٧٦. سنن الترمذي. محمد بن عيسى :ج٤، ص٣١٨.

(٢) جنيد البغدادي: النهاوندي، ثم البغدادي القواريري، والده الخزاز هو شيخ الصوفية، ولد سنة نيف وعشرين ومائتين وتفقه على أبي ثور، وسمع من السري السقطي وصحبه، ومن الحسن بن عرفة، وصحب أيضًا الحارث المحاسبي وأبا حمزة البغدادي، وأتقن العلم، ثم أقبل على شأنه، وتأله وتعبد، ونطق بالحكمة، وقلّ ما ورى، توفى سنة ٢٩٨هـ.

طبقات الأولياء. ابن ملقن: ج١، ص١٦١. سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج١٤،ص٦٧.

(٣) أحمد بن محمد بن مسروق من أهالي مدينة الطوس، جاء إلى بغداد متصوفًا، وتلميذ الحارث المحاسبي، مات في بغداد ٢٩٨هـ. قال حدثنا المحاسبي :((ثلاثة أشياء عزيزة معدومة: حسنُ الوجهِ مع الصيانة، وحسنُ الخلقِ مع الديانةِ، وحسن الإخاء مع الأمانةِ)). وفال أيضًا: ((لكل شيء جوهر، وجوهر الإنسان العقل، وجوهر العقل التوفيق)).

انظر: تاريخ مدينة السلام: الخطيب البغدادي: ج٩، ص١٠٦. طبقات الشافعية. السبكي: ج٢، ص٢٨١.

(٤) أبو عبد الله بن إسماعيل المغربي، أستاذ إبراهيم بن شيبان كان عجيب الشأن يأكل الحشائش، وقال: الأعمال عمارة الأوقات بموافقة القلوب. وهذا المقال هو ضمن منهج أعمال القلوب والجوارح عند المحاسبي رحمه الله.

انظر: الرسالة القشيرية:. نور الدين القشيري: ص٩٤.

(٥) أحمد بن حسن بن عبد الجبار الصوفي، صاحب حديث،حدث عن المحاسبي: قال في الحديث «قد شغل النبي شيء من أمر المشركين فلم يصلّ الظهر والعصر والمغرب والعشاء، فلما فرغ صلاهن الأول، الأول». وذلك قبل أن تنزل صلاة الخوف.

انظر: شذرات الذهب. لابن عماد : ج٤،ص٢٩. الجامع الصحيح. الترمذي: ج١، ص٣٥٥. تاريخ بغداد. الخطيب البغدادي: ج٩، ص١٠٥. طبقات الشافعية. السبكي: ج٢، ص٢٧٦. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. لأبي نعيم: ج١٠، ص١١٠.

(٦) الحسين بن صالح بن خيران: الإمام شيخ الشافعية أبو علي الحسين بن صالح بن خيران، البغدادي الشافعي. هو أحد كبار علماء الشافعية، وقد حدث عن المحاسبي في أواخر حياته، توفي سنة٣٢٠هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي : ج ١٥،ص ٥٩. موسوعة خلفاء المسلمين. زهير الكبي: ج٢، ص٩٣.

علي بن حكيم الترمذي(٣٢٠هـ)[١]. أحمد بن حسن الانصاري(٤١٢هـ)[٢]. محمد بن أحمد هارون الزَنجاني(٥٠٠هـ)[٣]. ابي حامد الغزالي (٥٠٥هـ)[٤]. سعيد بن حسن الأندلسي أبو مدين الغوث (٥٩٤هـ)[٥]. الفيلسوف رِينيه جينو والذي سميَّ بعد إسلامهِ بالشيخ: عبد الواحد يحيى(١٨٨٦م)[٦].

---

(١) حكيم الترمذي : أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسين الترمذي المتوفى سنة (٣٢٠ هـ.)، وقد جاء في كتابهِ ختم الأولياء حدث عن الحارث المحاسبي في شرح مسألة إسرار العمل في استواء السريرة والعلانية وشهوات النفس عند المريدين.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي : ج١٣، ص٤٤٠. ختم الأولياء. حكيم الترمذي: ص١٧١.

(٢) أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الأنصاري الهروي الماليني، الصوفي، الملقب بطاووس الفقراء، جال في طلب العلم ولقاء المشايخ إلى نيسابور وأصبهان وبغداد، وله معرفة وفهم، جمع وصنف. وقال الشيخ أحمد الأنصاري: سُئلَ المحاسبي عن العقل، فقال: ((هو ثورة الغريزة مع التجارب، يزيد ويقوى بالعلم والحلمِ)).

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي :ج١٧،ص٣٠٠. طبقات الشافعية. السبكي:ج٢،ص٢٨١.

(٣) محمد بن أحمد هارون الزَنجاني، كان فقيهًا متقنًا، الإمام المعمر أبو بكر الشافعي. روى للحارث بسند أحمد بن مسروق: ((لكل شيء جوهر، وجوهر الإنسان العقل،وجوهر العقل التوفيق)).

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي:ج ١٩،ص ٢٣٧. تهذيب الكمال في أسماء الرجال. جمال الدين المزي: ج٥، ص٢١١.

(٤) أبو حامد الغزالي : الشيخ الإمام البحر، حجة الإسلام، أعجوبة الزمان من العلماء الأجلاء الذين أكملوا مسيرة المحاسبي وسار على نهجه، ولديه كتب منقولة من فكر المحاسبي، وهي: إحياء علوم الدين، محك النظر، معراج السالكين. مأخذ الخلاف. الدرة الفاخرة. مكاشفة القلوب. روضة الطالبين. توفي سنة ٥٠٥هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي : ج١٩،ص٣٢٢.

(٥) هو سعيد بن حسن الأندلسي، شيخ مشايخ الصوفية في المغرب العربي، العلامة المتصوف وشيخ الشيوخ، إنه الشيخ الورع الشاعر، لقد تثقف من مصادر القرآن الكريم، مات الأندلسي سنة ٥٢٤هـ. ويبدو في المسائل التي قدمها المحاسبي في محاربة النفس والزهد تحولت إلى قصائد شعر صوفيه لازالت تتردد.

انظر: أبي مدين الغوث. الإمام عبد الحليم محمود: ص٥٢.ديوان أبي مدين الغوث: ص٢٥.

(٦) وهو رينه جينو فيلسوف فرنسي من أسرة فرنسية كاثوليكية،كان متطلع للمعرفة بمعناها الصوفي، اعتنق الإسلام سنة ١٩٢١م، وسمي باسم الشيخ عبد الواحد، كتب عن انحراف الماسونية والبروتستانتية وانتقد الروح المزيفة، وله عدة دراسات منها العقائد الهندية والتيصوفية، وتأملات حول الباطن، مات سنة ١٩٥١م.

انظر: أستاذ السائرين. عبد الحليم محمود: ص٦. مقالات رينيه جينو، ت: زينب عبد العزيز: ص٨.

يبدو أنَّ التصنيفَ الذي جاءَ حولَ عددِ تلاميذِ المحاسبي في بعضِ الكتبِ والمصادرِ غيرِ مطابقةٍ لكونِ أنَّ المادةَ المعروفةَ عن الموضوعِ تبرزُ تأثرَ عدد كبير من العلماءِ بفكرهِ في عصرهِ ومن بعدهِ[1].

ولا يخفى أنَّ تعاليمَ التصّوفِ عند المحاسبي والمشايخ الذين لازموا فكرهِ من بعدهِ لمْ يسلموا من الانتقاداتِ والتجريح حتى بعد موتهم[2]، ورغمَ ذلك بقي تأثيرهم كبيرًا وتمَّ قبولُ تعاليمهم، وذلك لأنَّ المحاسبي بحث في الفقه الإسلامي تاثير الرّوح والنّفسِ على أعمال القلوب والجوارح وفرّقِ فيما بينهما، وأخرجَ لنا المفهومَ الحقيقي للتصوّفِ مِنْ هذا العِلْم؛ فهو شيخُ المدرسةِ التي تكشفُ العِللَ التي أصابتْ النفسَ وهذا سبب تقدمه.

فقالَ: ((العملُ بحركاتِ القلوبِ في مُطالعاتِ الغُيوبِ أشَرفُ من العملِ بحركاتِ الجوارحِ))[3].

وقالَ: ((تَفاوتُ النّاسُ في الزّهدِ على قَدرِ صَّحةِ العقولِ وطهارةِ القُلوب؛ فأفضلُهُم أعقلُهُم وأفهَمُهم عنِ الله))[4].

إنَّ منزلةَ المحاسبي لا تقتصرُ على أنَّهُ كان جامعًا للعِلم عاملًا بهِ، بَل صاحبُ فِكْرٍ لمدرسةٍ تصفُ بالتحليلِ والكشفِ عن عللِ الأمةِ الإسلامية في عصرهِ وكلِّ العصورِ من بعدهِ[5]، فَقد تكشّفَتْ لهُ الحُجُبُ واستَنارَ فيهِ فِكْرُ التصّوفِ والوعظِ وَشرحِ آفاتِ النّفسِ البشرية وداءِ القلوبِ فيها[6]،

---

(١) جاء في بعض الكتب والمصادر أن المصنف كان تأثيره الشخصي ضئيل جدًا.

انظر: كتاب تاريخ الأدب العربي. كارل بروكلمان: ج٤، ص٥٨. طبقات الشافعية. السبكي: ج ٢،ص ٢٧٧.

(٢) انظر: المآخذ العقيدية على كتاب إحياء علوم الدين: ص٢٤٠.كشف الظنون. الحاج خليفة جلبي: ج١، ص٩٠٨.

(٣) انظر: الكواكب الدرية في تراجم الصوفية. زين الدين المناوي: ج١، ص٥٨٧.

(٤) انظر:مصدر نفسهُ: ج١، ص٥٨٨.

(٥) انظر: تذكرة الأولياء. فريد الدين العطار : ص٢٩٠.

(٦) انظر: الرسالة القشيرية. زين الدين القشيري: ص٥٧.

والـذي دافَـع بجِـدارةٍ بنهـج الإسـلامِ عـن فطـرةِ الإسـلامِ التـي أوصى بهـا رَسُـولُ اللهَّ صَـلَّى اللهُّ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ[١].

إنَّ الـورعَ والزهَـد في عـصر المحاسـبي كانَ إتهامًـا، وكانـتْ المعرفـةُ بالأصولِ الإسلاميةِ عزيـزةَ المنالِ، وكان الجهـلُ في النفـوسِ وعلِلِهاَ متفشيًا، إنَّ المرحلـةَ التـي كان يعيشُـها المحاسـبي وفكـرُهُ في تأسـيسِ مدرسـةِ الزهّـادِ في مدينـة بغـداد، واتضـحَ أنَّهـا مـن المراحـلِ الصعبـةِ في الثبـاتِ عـلى النهـج الإسـلامي الصحيـح في عـصرهِ، فقـد كَشَـفَ المحاسـبي عـن ذلـك كلَّـه فيَ كتبـهِ بطريقـة سـهلة عـن طريـق الوعـظ والنصـح[٢].

---

(١) انظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. لأبي نعيم: ج١٠، ص٧٤.

(٢) انظر: الطبقات الكبرى. الشعراني :ج١،ص١٣٨.

ثناء أهل العلم عليه

لقْد برِعَ المحاسبي في الكشفِ عن فئاتِ المجتمع، ومنهم العلماءِ والصوفيةِ والزّهاد والأغنياء ببراعةٍ؛ فهو عالم العارفين في زمانهِ[١]؛ ممّا شكّل لديهِ تُراثٌ هائل من عِلْم النفسِ وآفاتها الذي مازالَ ينتظرُ الكشفُ عنهُ، ويبدو أنَّ نهجَ الوعظِ عِندَ المحاسبي اتخذَ مجرى آخر فيما بَعد عند بعض أسلاف الصوفيةِ، ومنهم أبو مَدْينَ الغوثِ الذي نظّمْ كَلماتِ الوعظ على منهج قصائد شعرية تغنَّت بها الصوّفيةَ[٢]، ولم تقفْ عند قَصائدِ الشّعر، بلْ جاءتْ عند الشيخ أبي حامد الغزالي كمنهج في التفصيلِ والشرحِ المفصّلِ لكلماتِ الوعظِ ومحاربة النفس، ووجدَتْ للغزّالي مصنفات ورسائل عديدةٍ لفكرِ المحاسبي فتمثلّتْ بعلمهِ خيرُ تمثيلٍ[٣].

وجاءت على شكل نقاط تفصيليةٍ في محاربة آفاتِ القلبِ وإخلاصِ العملِ وتدرج لطبقات العبادةِ عند مؤلفاتِ محمد بن علي بن حكيم الترمذي[٤]، وقد جاءَتْ فيها بعض المواعظِ كشرح مفصلٍ عن أعمال القلوبِ بعد مطابقةِ مع مخطوطةِ المسائلِ في أعمال القلوبِ والجوارح في مسائلِ الزهدِ والورع في إرشادِ المريدين والسالكين في مذهبِ التصوفَ[٥].

---

(١) انظر: الكواكب الدرية في تراجم الصوفية.المناوي: ج١، ص٥٨٧.

(٢) يقول أبو مدين في شعره : (ما لذة العيش إلا بصحبة الفقراءُ). وكلمات وعظ المحاسبي تقول: (من أراد التلذذ بصحبة أهل الجنة ونعيمها فليقتنع بصحبة أهل الفقر). وقصيدة الشعر أبو مدين الغوث:

(قد طال شوقي للنبي محمد...هل لي إلى ذلك المقام وصول). وجدت هذه الأبيات في غلاف مخطوطة كتاب العلم للمحاسبي في مكتبة السليمانية.

انظر: تذكرة الأولياء. النيسابوري: ص٢٩٤. طبقات الأولياء. ابن ملقن: ج١، ص١٧٥. ديوان ابي مدين الغوث: ص٤٠.أبو مدين الغوث. عبد الحليم محمود: ص٥٢. مخطوطة العلم. المحاسبي: ص٣٢.

(٣) انظر: النفوس. للمحاسبي: ص٥٩. انظر: احياء علوم الدين. الغزالي: ص٣٦. المنقذ من الضلال. الغزالي: ص٣٢.

(٤) انظر: ختم الأولياء. الترمذي: ص١٧١.مخطوطة أعمال القلوب والجوارح. المحاسبي:ص١٣٨.

(٥) انظر: مذهب التصوف. محمد الكلاباذي: ص١١٣، ص١١٤.مخطوطة أعمال القلوب. المحاسبي: ص١١٨، ص١٣٨.

أمّا عن أسلوبِ فكْر ووعظ وكبح النفس عند المحاسبي تمثلت عند (الشيخ عبد الواحد يحيى) في تعبيرٍ صادقٍ عن آفاتِ النفسِ في بدايةِ ظهور مؤلفاتهِ في بداية القرن العشرين، وقد تبينَ أنَّ القصائدَ الشعرية للمحاسبي كان لها صدى كبيرٌ، ولكنْ لمْ يصل إلينا منها إلا القليل؛ لكونها بقيتْ حَبِيسة[1] المكتباتِ، ومنها:

الخَوْف أولَى بالمسيء إذا تأله الحزنُ

والحبُّ يحسنُ بالمُطيع وبالنَّقيِ من الدَّرَن

والشوق للنجباءِ والأبدالِ وعند ذي الفِطن[2].

يا عايبَ الفقرِ ألا تزدجر عيبُ الغنا أكثرْ لو تعتبر

تقصى الإلهُ لتنال الغنا ولا تطعهُ لكي تفتقر[3].

ويجمعُ المالَ حبًا لا يفارقُهُ وقد علمَ أنَّهُ للغيرِ يجمَعهُ

تراهُ يشفقُ من درهمٍ يضعُ لهُ وليسَ يشفقُ من زري يضيّعهُ[4].

وأمّا بيتُ الشّعرِ الذي كان قد تأثر بهِ المحاسبي ويبكي حتى يرحَمُهُ كل من كان قد حَضرَ درسَهُ من المريدين، وهو بيت للشعر لأحد مشايخ التصوف في بغداد[5]:

---

(١) الحُبُسُ جمع الحَبِيس: يَقع على كل شَيْء وقفَه صاحبِه.
انظر: تهذيب اللغة. المؤلف: محمد الهروري:ج٤،ص١٩٨.

(٢) انظر: تاريخ بغداد. الخطيب البغدادي: ج٩، ص١٠٦.

(٣) انظر:.مخطوطة النصائح. المحاسبي:ص٥.

(٤) انظر: مخطوطة النصائح. المحاسبي: ص١٠.

(٥) ان الشاعر لهذه الأبيات هو الصوفي سمنون بن حمزة المحب (٢٧٠)هـ.، والمادة تدل انه كان في حلقة لتلقي العِلم
عند الشيخ المحاسبي الذي القى الشعر عليه فبكى.
انظر: الرسالة القشيرية. زين الدين القشيري:ص٨٩. الطبقات الكبرى. الشعراني:ج١،ص١٣٨.

أنـا في الغُربـة أبكـي مـا بكـتْ عـينُ غريـبِ

لم أكـن يـومَ خُروجي من بـلادي بمُصيبِ[1].

كان المحاسبي يجالسُ الإمام الشافعي رضي الله عنه وتحلّى بصحبتهِ وبحلى العقد الفريد من العَلَم[2]، واعتُبَرَ مِن العلماءِ الأوائلِ الذين سمعوا الحديثَ مِنْهُ، وجمعوا الفقهَ والكلامَ واللغةَ وعلمَ القرآن[3]، وقد أشادَ العلماءُ بعلمهِ في فقهِ الظاهر وفقهِ الباطن وفي طرقِ التصوّفِ والمعاملاتِ[4].

وتمَّ قبولُ تعاليمِهِ مِنْ ضمن الشيوخ الخمسة الذين تُقبل تعاليمَهم وتطبقُ شرعًا وأفعالًا؛ لأنَّه جمع بين العِلْم والحقائق[5]، وعندما صُنّفتْ طَبقات العلماءِ اعتُبِر من الطبقةِ الأولى في طبقاتِ الصوفيةِ من حيثُ الزهدِ والورع والمعاملاتِ وحبّ الله[6]، وولي من الأولياءِ في ورثةِ الأنبياءِ صلواتِ الله عليهم في الأقوالِ والأفعالِ[7]، وصُنّفَ من الأوائلِ في العقد الثالثةِ في طبقات الزّهدِ حسب إحصاء فيمنْ توفي بعد المائتينِ إلى نهاية القرنِ الثالث[8]، ولهُ الأثَر في مناقبِ علَماء الصوفية حول أقوالهم وحكمهِم

(١) انظر: تذكرة الأولياء. فريد الدين العطار: ج١، ص٢٩٠. طبقات الشافعية. السبكي: ج٢، ص٢٧٧.

(٢) انظر: طبقات فقهاء الشافعية. ابن صلاح: ج١، ص٤٣٨.التراث العربي. فواد سزكين: ج١، ص١١٣.

(٣) انظر: التعرف لمذهب التصوف. محمد بن اسحاق الكلاباذي: ص١٢. الكواكب الدرية في تراجم الصوفية. المناوي: ص٥٨٥.

(٤) انظر: شفاء السائل وتهذيب المسائل. ابن خلدون: ص٤٥. انظر: مرآة الجنان وعبرة اليقظان: ج٢، ص١٠٦.

(٥) انظر: الكواكب الدرية في تراجم الصوفية. مناوي: ج١، ص٥٨٦. الطبقات الكبرى. الشعراني: ج١، ص١٣٩.

(٦) انظر: طبقات الصوفية. للسلمي: ص٢١.

(٧) انظر: تذكرة الأولياء. فريد الدين العطار: ج١، ص٢٩٠.

(٨) انظر:.الكامل. ابن الأثير:ج٦، ص١٢٨. الكواكب الدرية في تراجم الصوفية. مناوي: ج١، ص٥٨٥

ونصائحِهـم وإرشـاداتِهم الثمينـة[1]، وكانَ لـهُ أكثـر مـن مائتـي مُصنـف لَمْ يكشـفْ إلا عَـنْ القليـلِ مِنهـا، وَقـد تـمّ تحقيقهـا، والباقـي مخطوطـات بـلا عَناويـن[2].

وقد قيل عنهُ في فِكْرِ وعِلْمِ المعاملاتْ:

- عديم النظير في زمانهِ علمًا وورعًا، معاملةً وحالًا[3].
- هو إمام في التصوّف وفي الفقهِ والحديثِ والكلامِ[4].
- أحد من اجتمع لهُ الزّهد والمعرفةِ بعلمِ الظاهر والباطنِ[5].
- عـالمُ مشـايخ القـوم بعلـمِ الظاهـرِ وعلـوم المعامـلات والإشـاراتِ، أستاذ أُكثـر البغدادييـن[6].
- قـال جنيـد البغـداديَ: تَفقّهـتُ عـلى أصحـاب مذهـبِ الحديـثِ، صَحبـتُ الحـارث المحاسـبي رحمـةُ الله عليـهِ، وذلـكَ كانَ سـببَ فلاحـي؛ إذْ عِلمْنـا هـذا مضبـوط بالكتـابِ والسُّـنَّة[7].
- المحاسـبي مـن الزّهـادِ المتكلمـين عـن العبـادةِ والزُهـد في الدُّنيـا والمواعـظِ، كانَ فَقيهـا مُتكلمًا وعـرفَ مذاهـبَ النسـاكَ[8].

(١) انظر: الطبقات الكبرى. الشعراني: ج١، ص١٣٨.

(٢) انظر: طبقات الشافعية الكبرى: ج٢، ص٢٧٦. طبقات الشافعية. السبكي: ج١، ص٥٨٦. تاريخ التراث العربي. سزكين: ج٤، ص١١٣. تاريخ الأدب العربي. كارل بروكلمان: ج٤، ص٥٨.

(٣) انظر: الرسالة القشيرية. القشيري: ج١، ص٥٧

(٤) انظر: طبقات فقهاء الشافعية. ابن صلاح: ج١، ص٤٣٩

(٥) انظر: تاريخ مدينة السلام. الخطيب البغدادي: ج٨، ص٢١٤

(٦) انظر: طبقات الصوفية. لأبي عبد الرحمن السلمي: ص٢١.

(٧) انظر: طبقات الشافعية. السبكي: ج٢، ص٢٧٤.

(٨) انظر: الفهرست. لابن نديم: ٢٦١.

- الزَّاهدُ الناطقُ بالحكمةِ[1].
- من علماءِ القومِ بعلومِ الظاهرِ وعلومِ الأصولِ وعلومِ المعاملاتِ، عديمِ النَظرِ في زَمانِهِ[2].
- كان لألوانِ الحَقِّ مُشاهدًا ومراقبًا، ولآثارِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مساعدًا ومصاحبًا، في عِلمِ الأصولِ راسخًا وراجحًا، وللمريدين قابلًا ناصحًا[3].
- جمعَ فقهَ الباطنِ وفقهَ الظاهرِ، وعِلمَ الورعَ وعملَ القلوبِ[4].
- المحاسبي صَنَّفَ بالمعاملاتِ وَجمعَ الفقه والكلامَ واللغةَ وعلمَ القرآن[5].
- إمامُ الطريقةِ ولسانُ الحقيقة، العارفُ معدنَ الأسرارِ والحكمِ، اجتمعَ لهُ عِلمُ الظاهرِ والباطن، لهُ تصانيفٌ في السلوكِ والمواعظِ والأصولِ[6].
- عالم من علماءِ الطريقةِ، مَرجع أولياءِ زمانهِ في المعاملاتِ والإشاراتِ، وكان العلماءُ في عصرهِ يرجعون إليهِ في كلِ فَنٍّ مختص بالتجريدِ والتوحيدِ والمُجاهَدةِ والمشاهدةِ، شيخُ بغدادَ[7].
- عَلَمٌ وأستاذ صوفي، برعَ في عدّةِ فنونٍ، واعظٌ، إمامُ المسلمين في الفِقهِ والتصوّفِ والكلامِ، أحيا القلوبَ بوعظِهِ، وشُفيَتْ الأسماعُ بدُرِّ لَفْظِهِ[8].

---

(١) انظر: شذرات الذهب. لابن العماد: ج٣،ص١٩٧.

(٢) انظر: الطبقات الكبرى. للشعراني: ج١، ص١٣٩

(٣) انظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. لأبي نعيم: ج١٠، ص٧٤.

(٤) انظر: شفاء السائل في تهذيب المسائل. لابن خلدون: ص٣٥.

(٥) انظر: التعرف لمذهب أهل التصوف. الكلاباذي: ص١٢

(٦) انظر: مرآة الجنان وعبرة اليقظان. علي اليافعي: ج٢، ص٦١.

(٧) انظر: تذكرة الأولياء. فريد الدين النيسابوري: ص٢٢٥.

(٨) انظر: الكوكب الدري في طبقات الصوفية. المناوي: ج٢، ص٥٨٥.

- خيرُ الأمةِ في عِلْمِ المعاملةِ، ولهُ السبقُ على جميعِ الباحثين عن عيوبِ النفسِّ وآفاتِ الأعمالِ وأغوارِ العباداتِ، وكَلامُه جديرٌ بأن يُحكى[1].

قِيلَ للإمامِ أحمد بن حنبل إنَّ الحارث المحاسبي يتكلّمُ في علوم التصوّفِ، ويحتجُّ لها بالآي والحديثِ، فهلْ لكَ أنْ تسمعَ كلامَهُ من حيثُ لا يشعرُ، حدّثَ إسماعيل بن إسحاق السَّرَّاج، أنَّ أحمد قالَ لهُ: يبلُغُني أنَّ الحارث يُكثرُ السكونَ عندكَ، فلو أحضَرتهُ مَنزلكَ وأجلَسْتني من حيثُ لا يَراني فأسمع كلامَهُ، فقالَ: قصدتُ الحارث وسألتُهُ أنْ يَحْضُرنا تلكَ الليلةِ وتَسَلْ أصحابَكَ أنَّ يَحضُروا، فقالَ الحارثُ : يا إسماعيل، فيهم كثرةٌ، فلا تزدْهِم على الكَسبِ والتَّمر، وانصرفتُ إلى أبي عبد الله فأخبرتهُ، فَحضر وصَعدَ إلى غُرْفةٍ في الدار فاجتهد في وِرْدِهِ، وحَضَرَ الحارث وطلابُهُ فأكلوا ثمَّ قاموا لصلاة العتمةِ –الليل– وقَعَدوا بين يدي الحارث لا يَنطقون إلى قريب نصف الليلِ، ثمَّ ابتدأ رجلٌ فسألَ عن مسألةٍ؛ فأخذ الحارث في الكَلام وأصحابهُ يَستمعون، فَمِنْهُم من يبكي ومِنْهُم مِنْ يَحِنَّ[2]،وهو في كلامهِ. فَصعْدتُ إلى الغُرفة؛ لأتعرَّف حال أبي عبد الله فوجدتُهُ قد بَكَى حتى غُشِيَ عليهِ، فانصرفتُ إليهم ولمْ تزلْ تلكَ حالُهم حتى أصبحوا فقاموا وتفرَّقوا، فصعدتُ إلى أبي عبد الله وهو متغير الحالِ فقلتُ: كيف رأيتهم؟ فقالَ: ما أعلمْ أنّي رأيت مثلَ هؤلاءِ القوم، ولا سمعتُ في عِلْمِ الحقائقِ مِثْلَ كلامِ هذا الرَّجلُ، كُنْتُ أسمع خلافَ هذا، أستغفرُ الله العَظيم[3].

---

(١) انظر: إحياء علوم الدين. أبي حامد الغزالي: ص٥٨. الكواكب الدرية في تراجم الصوفية. المناوي: ج١، ص٥٨٦.

(٢) يَحنَّ : من حنَّ: نِزَاعُها بِصَوْت وَبِغير صَوت. وَالْأَكْثَر أن الحنين بالصوت. انظر: المحكم والمحيط الأعظم. علي بن سيده:ج٢، ص٥٤٣.

(٣) انظر: الكواكب الدرية في تراجم الصوفية. مناوي: ج١، ص٥٨٨. الطبقات الكبرى. الشعراني: ج١، ص١٣٩.

فِكرُ المحاسبي في علم الكلام.

لقد تَركَّزَ منهجُ الفِكرِ عْندَ المحاسبي في عصرِهِ على ردّ اختلاف المسائلِ في علم الكلام مع المحدثين من جهةٍ، والبلاغةِ وَإتقان الحجج الكلاميةِ في مواجهةِ المعتزلةِ، وَمِنْ جهةٍ أخرى استطاع رَدَّ الخلافَ الفكريَ عند مفهوم الفلاسفةِ والناقلين لهُ في عصرهِ بالكلام، ومِنْها نقض مفهوم العْقلِ عند مقارنةِ العقلِ بالقلبِ بقولهِ: (إنَّ القلب بموتهِ يموتُ الانسانُ، ولكنَّ العقلَ عند الضياع يصبح الإنسان مجنونًا؛ فلذلكَ يعتبرُ القلبُ أوسعُ فائدةً للإنسانِ مِن العقلِ)[1]، وكان هذا الفِكْر يناقض تمامًا مفهومَ العقلِ عند الفيلسوف يعقوب بن إسحاق الكندي (٢٥٦هـ)، الذي قالَ عنهُ: ((مبدأ أول بالقوةِ، وجوهرٌ بسيط مُدرك للأشياءِ بحقائقِها))[2].

إنَّ فَكْر عِلم الكلام للمحاسبي لمْ يقتصْر في مدينةِ بغدادَ فقط، بل جَاوَزَ ذلك ليصلَ لجميع أرجاءِ البلادِ الإسلامية؛ لكونهِ يسيرُ في طريقِ الثباتِ ولا يهتم إلا لرضى الله عزَّ وجلَّ[3]، وقد أبْدَعَ بوصفِ كتاب المسائلِ في أعمال القلوبِ والجوارح، وبالأخصِ عند المسألةِ الخامسةَ عشر في تسميةِ النَّذْرِ الخامس، والمعروف عن الموضوع أنَّها أربعة فقط[4]، وَقد أسندَ التَسميةَ حسب آيات القرآن الكريمِ والأحاديث والأثَرِ، كما هو متعارف عليهِ في نهجِ كتبهِ.

إنَّ العباراتِ اللغويةَ التي كان يستخدُمها المصنفُ رحمه الله سواءً في الروايةِ، أو علم الكلامِ، أو الفقهِ، أو التفسيرِ تنتمي إلى بيئةِ أهل الحديثِ والمتكلمين، وبيئة اللُّغويينِ والفقهاءِ الذين أبْدَعوا في التفسير القرآني،

(١) انظر: مخطوطة مائية العقل. المحاسبي: ١٠٥.

(٢) انظر: رسائل الكندي الفلسفية. الكندي: ج١، ص١٦٦.

(٣) انظر: تذكرة الأولياء. فريد الدين: ص٢٢٥. الكواكب الدرية لطبقات الصوفية. المناوي: ج٢، ص٥٨٦.

(٤) انظر: مخطوطة أعمال القلوب والجوارح. المحاسبي: ص١٤٥.

ويُعطِّرُهـا بلـذةِ الطاعـةِ والـورعِ والزُهـدِ، وبمحاربـةِ النفسِ؛ فهـو في الـرَّدِّ والمناظـرةِ يُظهرهـا ويُحللهـا ويُعطـي درجـةَ غُرُورِهَـا في قلـبِ المريديـنَ، واتضَـحَ مِـنْ البحـثِ أنَّ المحاسـبي صاحـبُ الفِكْـرِ الأولِ في مَعرفـةِ النفسِ وغيِّهـا، وقـالَ: (إنَّ ذكـرَ اطـلاعَ الله عـزَّ وجـلَّ في الضمـيرِ والجـوارح يولّـدُ الحيـاء)[1].

لقـد امتازَ أسـلوبُ وعـظِ المحاسبي في التأويـلِ والتفسـيرِ وعلـمِ الـكلام بمنهـجِ الجَـدَلِ بطريقـةِ إسـناد الحديـثِ بآيـات قرآنيـة، ويليهـا بعـد ذلـك حديـثَ شريـف، فهـذهَ الطريقـةُ تسـمى الناسـخَ والمنسـوخ، وهـو عِلـمُ أبي عبيـد الله بـن حصـين العنـبري الزّاهـد في البـصرةِ، وكان يصنّـف مِـنْ تلاميـذِ الإمـام الشـافعي في الأسـلوب البيـاني في تمييـزِ النّصـوص وربطِهـا بمصـادرِ التشريـع[2].

قـالَ المحاسـبي: (إنَّ العلـمَ يـورثُ المخافـةَ، والزُهـد يـورثُ الراحـةَ، والمعرفـةَ تـورثُ الإنابـةَ، وخيـار هـذه الأمـةِ الذيـن لا تشغُـلهم دنياهُـم عـن آخرتهـم، ومَـنْ حَسُـنَتْ معاملتُـه في ظاهـرهِ مـع جُهْـدِ باطِنـهِ ورّثـه الله الهدايـةَ إليـهِ؛ لقولـهِ عـزّ وجـلّ: {وَالَّذِيـنَ جَاهَـدُوا فِينَـا لَنَهْدِيَنَّهُـمْ سُـبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِـنِينَ}[3].

كان يَذهـبُ بالتأمـلِ الأول للنـصِّ باتجـاهِ مجازِ المُفَسّريـنَ الأوائـلِ وليـسَ المتكلمـينَ؛ لكونِهـا عنـدَ الفقهـاءِ عمليـةٌ لغويـةٌ وأُسـلوبيةٌ بَحتـة، وعنـد المتكلمـين صَرفُ النّـصِ عـن ظاهـرهِ بـما يتفـقُ وتنزيـهِ الله عـزَّ وجـلَّ وحكمتـهِ. لذلـك هـو لا يختلـفُ عَنْهُـما في اعتبـارِ البيـانِ ومَنهـجُ نجـاح الحُكـم في التفسـيرِ والفِقـهِ، وقـد كانَ لـهُ رأي متميـز في تفسـيرِ آيـاتِ القـرآن الكريـم، فقـالَ: (اعلـمْ فالقـرآن أربـعُ آيـات: فآيـةٌ تأمـرُكَ، وآيـةٌ تنهـاكَ، وآيـةٌ تشـوّقُكَ، وآيـةٌ تخـوّفُكَ، فـإنْ عَدلـتَ عـن القـرآن عَدَلـتَ عـن الشـفاءِ، وإنْ لزْمـتَ القـرآن

---

(١) انظر: مخطوطة أعمال القلوب والجوارح. مسألة النفوس. المحاسبي: ص١٣٩.

(٢) انظر: كتاب الأم. الشافعي: ج١، ص٤٧.

(٣) انظر: حلية الأولياء. لأبي نعيم: ج١٠، ص٨٨. طبقات الصوفية. للسلمي: ص٢٣.

هبطْتَ على رياضِ الجنّةِ)[1].

فهو يستندُ على تأويلِ النّصِ في ضَوءِ مَفْهومِ المُريدين عندَ ضوءِ فِكْرةِ القلبِ الذي يزيدُه العِلمُ قوةً بالإيمانِ والصَبْرِ، فعنْدَ المحاسبي القلبُ قد تجاوزَ تصوراتِ العْقلِ في عصرهِ؛ ولذلكَ استَطاعَ أنْ يحافظَ على فِكْرِ الجَدَلِ ومُحاربةِ النفسِ.

إِنَ التقلباتِ السياسيةِ وسيطرة بعضِ المدارسِ التي يتخالفُ معها في الفِكْرِ والمنهجِ، وظهورَ مدارسِ أخرى حاولتْ فرضَ آرائِها عليهِ بالقوة، مستغلة الدعمَ الذي يُقدّمُ إليها من الخلفاءِ العباسيين[2]، لم تثني المحاسبي؛ فقد أثبتَ للجميعِ أنَّه ماضي وسائرٌ على منهجِ القرآن والسُنَّة النبوية الشريفةِ بحكمِ الجَدَلِ والوعظِ في آراءهِ الفِقهيّة والتفسيرِ للمريدين لآخر يوم في حياتهِ.

سُئلَ المحاسبي مِنْ أحدِ المريدين ماهي محبّةُ الله للعبدِ.

فقالَ: للسائلِ ما الذي كَشَف لكَ عن طلبِ هذا العِلم.

فقالَ المريدُ: لقولهِ تعالى: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}[3] فعلمتُ أنَّ علاقةَ محبّةِ العبدِ لله اتباعُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثمَّ قالَ سبحانهُ: {يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ}.

فأجابهُ المحاسبيّ: سألتَ عن شيءٍ غابَ عَنْ أكثرِ القلوبِ، إنَّ علامة مَحْبةِ الله للعبدِ أنْ يتولى اللهُ سياسةَ هُمومهِ فيكون في جميعِ أمورهِ هو المختار لها؛ فأخلاقهُ على السماحةِ، وجوارحهُ على الموافقةِ.

فقالَ المريدُ: وما الدليل على ذلك؟

(١) انظر: مخطوطة شرح المعرفة وبذل النصيحة. المحاسبي: ص٤٦.

(٢) انظر: مروج الذهب. المسعودي: ج٣، ص٩٧.

(٣) آل عمران: ٣١، الآية.

قـالَ المحاسـبي: خَـبرُ النَّبِـيِّ صَـلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ « إذا أحـبَّ الله عبـدًا جَعَـلَ لـهُ وعظًـا مـن نفسـهِ وزاجـرًا مـن قلبـهِ يأمـره وينهـاه»[1].

فقالَ المريد: زِدْني من علاماتِ المحّبةِ للعبدِ.

فقـالَ المحاسـبي: أحـبُّ شيء إلى الله أداءُ الفرائـضِ بمسـارعةٍ مـن القلـبِ والجـوارحِ والمحافظـة عليهـا، ثُـمَّ مـن بَعدِهـا كثـرةُ النوافـل[2].

لقـد عَـبرَ المحاسـبي الوصـفَ في عَـصْرهِ؛ لاختلافـهِ بالنهـج الفكـري عَـنْ العلـماءِ، فقـالَ: ((فقـد انتهـى إلينـا أنَّ هـذه الأمـةِ تفـترق عـلى بضـع وسـبعين فرقـة، منهـا فرقـة ناجيـة، والله أعلـم بسـائِرها[3]، فلـم أزل بَرْهَـةً[4] مـن عمـري أنظـرُ اختـلاف الأمـةِ، وألتمـسُ المنهـاجَ القويـم الواضـح، والسـبيلَ القاصـدَ، وأطلـبُ مـن العلـم والعمـلِ مـا اجتمـع عليـهِ السـلفُ في جـدَّة[5] الإسـلام، واسـتدلَلتُ عـلى طريـقِ الآخـرة بإرشـاد العلـماءِ، وعقلـتُ كثـيرًا مـن كلام الله تعـالى بتأويـلِ الفقهـاءِ، وتَدبـرتُ أحـوال الأمـةِ ونظـرت في مذاهبهـا وأقاويلهـا؛ فَعقلـتُ مـن ذلـك مـا قُـدّرَ لي، ورأيـت اختلافهـم بحـرًا عميقًـا قـد غـرقَ فيـهِ نـاس كثـيرٌ، وسـلمَ منـهُ عصابـةٌ قليلـة، ورأيـت كل صَنـف منهـم يزعـم أنَّ النجـاة قـي مذهبهـم والهالـكَ مـن خالفهـم))[6].

---

(1) انظر: مسند الإمام احمد: ج٣، ص٣٨. الزهد الكبير. البيهقي: ص٣٠٧.

(2) انظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. لأبي نعيم: ج١٠، ص٩٩.

(3) بِسائِرها : أَي مَهازِيلَ. يُقَالُ ذَلِكَ عِنْدَ المَزْرِيةِ عَلَى المِتْلافِ لمالهِ.
انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج١،ص٢٩٦.

(4) بَرْهَةٌ: زَمَنٌ.
انظر: : تهذيب اللغة. محمد بن أحمد بن الأزهري:ج٦، ص١٥٨.

(5) جُدَّة: عظمة. وقال الله تبارك وتعالى: {جدّ ربنا} أي عظمة ربنا.
انظر: البارع في اللغة. إسماعيل بن القاسم بن عيذون: ج١، ص٥٧٦.

(6) انظر: مخطوطة النصائح. المحاسبي:ص٢. الوصايا. المحاسبي، ت: عبد القادر عطا: ص٢٩.

ومن أحاديث ومواعظ الشيخ المحاسبي:

- عن الحارث المحاسبي قال رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَثْقَلُ مَا يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُسْنُ الْخُلُقِ»[1]
- التصوفُ: الأخذُ بالأصولِ، وتركُ الفضولِ، واختيارُ ما اختارَهُ الرسولُ[2].
- حسنُ الخُلقِ: احتمالُ الأذى، وقِلةُ الغَضبِ، وَبسْطُ الرَحمةِ، وطيبُ الكلامِ[3].
- خيرُ الرزقِ ما يكفي: هو قوتُ يوم بيومٍ، ولا تهتمَّ لرزقِ غدًا[4].
- الشوقُ سراجُ نورٌ من نورِ المحبةِ، غير أنَّه يزيدُ عن نورِها[5].
- الكونُ توهّمُ في الحقيقةِ، ولا تَصِحُّ العبارةُ عمّا لا حقيقة لهُ[6].
- تفاوتُ النّاسِ في الزُهدِ على قَدْرِ صِحَّةِ العقولِ وَطهَارةِ القلوبِ؛ فأفضلهم أعقلَهم وأفهمُهم[7].
- الظالم نادم وإنْ مَدحهُ النّاسُ، والمظلومُ سالمٌ وإنْ ذمَّهُ النّاسُ، والقانعُ غنيٌّ وإنْ جَاعَ، ومَنْ لمْ يشكرُ الله تعالى على النعمةِ فقد استدعى زَوَالها[8].

---

(١) انظر: البحر الزخار. بزار: ج١٠، ص٣٦. سنن الترمذي: ج٤، ص٣٢٢.

(٢) انظر: الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية. المناوي: ج١، ص٥٨٥.

(٣) انظر: طبقات الشافعية. السبكي: ج٢، ص٢٨٤.

(٤) نظر: مسند أحمد: ج١، ص١٧٢. الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية. المناوي: ج١، ص٥٨٥.

(٥) انظر: الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية: ج١، ص٥٨٧.

(٦) انظر: التعرف لمظهر أهل التصوف. الكلاباذي: ص١١٤.

(٧) انظر: الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية: ج١، ص٥٨٨.

(٨) انظر: طبقات الشافعية الكبرى. السبكي: ج٢، ص٢٨٣.

- صفةُ العبوديةِ أنْ لا ترى لنفسِك مُلكًا، وتعلمُ أنّكَ لا تملكُ لنفسكَ لا ضرًا ولا نفعًا[1].
- التسليمُ هو الثبوتُ عند نزولِ البلاءِ مِنْ غيرِ تغير منهُ في الظاهر والباطن[2].
- مَنْ أرادَ أنْ يذوقَ لذَّةَ طعم معاشرةِ أهلِ الجنّة؛ فليصحبْ الفقراءَ الصادقين[3].
- وَمنْ استغنى بشيء دون الله جَهَل فكيفَ تُجيب دُعاءه [4].
- أصلُ الطاعةِ الوَرَعُ، وأصلَ الوَرَع التَّقوى، وأصلُ التَّقوى مُحاسبةُ النفّسِ، وأصلُ محاسَبتِها الخوفُ والرَّجاءُ، وأصلُهما معرفةُ الوَعدِ والوعيدِ، وأصلُ معرفةِ الوَعدِ والوعيد داءٌ عظيمُ الجزاءِ، وأصلُ ذلكَ الفكرَةُ والعبرَةُ [5].
- وقال: أصدق بيت قالتهُ العربِ قولَ حسان بن ثابت الانصاريّ رضى الله عنهُ:
- وما حَملتْ من ناقةٍ فوقَ كُورِها أعزَّ وأوفى ذمَّةً من محمدِ[6].
- مكثتُ ثلاثينَ سنةَ لايسمعُ لساني إلاَّ من سرِّي، ثمَ ثلاثين لايسمعُ سرِّي إلاَّ من ربِّي.[7]

---

(١) انظر: طبقات الصوفية. للسلمي.ص٢٢.

(٢) المصدر نفسه: ص٢٢.

(٣) انظر: طبقات الأصفياء. ابن ملقن: ج١ ص١٧٥. تذكرة الأولياء. العطار: ٢٤٩.

(٤) انظر: طبقات الشافعية الكبرى. السبكي: ج٢، ص٢٨٣.

(٥) انظر: الإصابة في تميز الصحابةِ. العسقلاني: ج٧،ص١١. طبقات الصوفية. للسلمي. ص٢٢.

(٦) انظر: طبقات الشافعية الكبرى. السبكي: ج٢، ص٢٨٣. الإصابة في تميز الصحابة. العسقلاني :ج٧، ص١١.

(٧) انظر: المصدر نفسهُ.

- العلمُ يُورث المخافةَ، والزَّهدُ يورِّثُ الرَّاحةِ، والمعرفةُ تورثُ الإنابةِ.[١]
- أكمل العارفين من أقرَّ بالعجزِ أنَّهُ لايبلُغ كُنْهَ[٢] معرفتهِ.[٣]

(١) انظر : المصدر نفسهُ.

(٢) كُنْهُ: غَايَتُهُ.

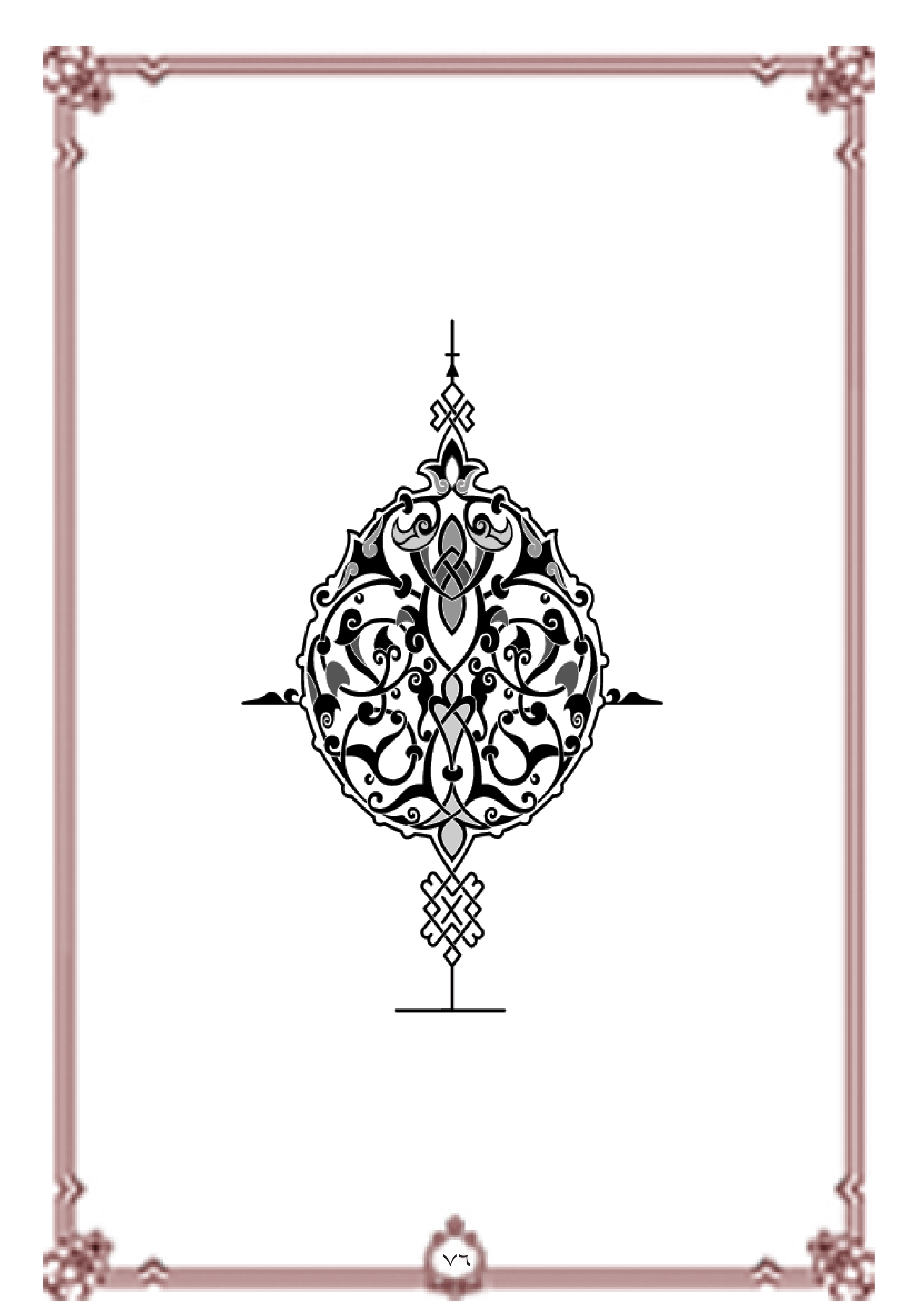
انظر: البارع في اللغة. إسماعيل بن القاسم: ج١، ص٥٩٣.

(٣) انظر: مصدر سابق: ج١، ص٥٨٧.

((إَن الجِْـنّ فِي الْآخـرة يكونُـونَ عكـس مَـا كَانُـوا فِي الدُّنْيَـا؛ بِحَيْـثُ نَراهـم وَلَا يَرونـنـا))(١).

الْحَارِثُ بْنِ أَسَد الْمُحاسِبيّ

(١) انظر: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية. أيوب بن موسى الحسيني: ج١، ص٣٥٢.





مؤلفاته

الكتب المحققة من المستشرقين:

إنَّ عددَ مخطوطاتِ المحاسبي قد بَلَغَت مائتين مصنفٍ حسبَ ما ورَدَ في المصادرِ، ويبدو أنَّ ما حُقِّقَ مِنْها إلا جزءٌ بسيطٌ وهي التي وُجِدَتْ في المكتباتِ المصريةِ والتركية[1]، ويظهرِ أنَّ المخطوطاتِ والرسائل بَقِيَتْ قرونًا حبيسةَ خزائنِ المكتبات ومحفوظةً في الصدورِ المُخلصةِ، حتى بادرَ على إخراجها المستشرقون، واتَّضح أنَّ جميعَ الموسوعاتِ والدراساتِ النفسيةِ ومناهج التصّوفِ التي كُتبت بالإنجليزية وترجمتْ إلى لُغَات أخرى كانتْ عبارةً عن شَرْحٍ وتوْسعٍ وَسْردٍ لرسائلِ وَعظ وتفسيرٍ لكلامِ الشيخ المحاسبيّ.

واتضحَ بَعد البحثِ أنَّ جميعَ ما حُقّقَ بالعربيةِ في مطلع القرنِ العشرين كانتْ عبارةً عن نَسْخ وترجمة لكُتبِ المستشرقين مع تَغييرَاتِ طفيفة للمقدّماتِ، أو في سيرةِ حياة المحاسبيّ، أو آراء للناسخ أو المُحَقّق حَسْبَ مُتطلبات النشر لنهج الفِكْرِ الديني في عصرِ الكاتبِ أو المَحقّق، وهذهِ الآراء كانتْ تُكتبُ إمّا داخلَ النصوصِ أو الفَصولِ[2]، وقد تأتي في بعضِ الأحيانِ بتغيير جذري عندَ الأسماءِ والأبوابِ والمسائلِ مِنْ المُحقّق، وَقدَ تكون أيَضًا بسببِ النُسخةِ التي بين يدَيهِ وعدم مقابلَتها بنسخ أخرى للخروج بالمفهوم الصحيح للكلام، ويَتبينّ ذلكَ في بعضِ الكتبِ المترجمةِ وفي بعضِ مناهجَ المخطوطات المَحققةِ بالعربية[3]، والتي جاءتْ فيها

(١) انظر: تاريخ الأدب العربي. كارل بروكلمان: ج٤، ص٥٧. تاريخ التراث العربي. فواد سزكين: ج٤، ص١١٣.كشف الظنون حاج خليفة جلبي: ج٢، ص١٤٩٠.فهرست المخطوطات العربية. الشنطي: ص١٤٣. الشافعية الكبرى. السبكي: ج٢، ص٢٧٦. الكواكب الدرية في الطبقات الصوفية. المناوي: ج١، ص٥٨٥.

(٢) مخطوطة الرعاية لحقوق الله. المحاسبي: ص١.

(٣) انظر: البرهان في القرآن. للزركشي: ج١، ص٢٣٧. العقل وفهم القرآن للمحاسبي، ت:

بعضُ أبوابِ المصادر المترجمةِ والفهارسِ العربيةِ على أنَّها كتبٌ مستقلةٌ والبعضِ الآخَر كتبٌ مفقودةٌ[1]، ولذلكَ السبب تَمَّ تَقسيم الكتبِ المُحقَّقةِ بينَ المستشرقينِ والعربِ حَسب التصنيفِ أدناه.

القوتلي: ص٧.

(١) انظر: الفهرست. ابن خير الإشبيلي: ج٢، ص٢٧٣، ص٣٣٦. تاريخ التراث العربي. فواد سزكين: ج٤، ص١١٩.

فهرست المخطوطات العربية. الشنطي: ص١٤٣.

كتب محققة من المستشرقين مُترجمة إلى العربية:

- كتاب الإنابة إلى الله.

حققـهُ (French orientalist Halmon Ritter)، سـنة (١٩٣٥)[1] ولمْ يُـشر إلى منهـجِ الكتـاب في التحقيـق، وحُققـتْ أيضًـا باللغْـةِ العربيـةِ في كتـاب التوبـة وجـاءت بعنـوان: (العـودةُ والإنابـة إلى الله) سـنة (١٩٧٧)[2]، وطُبعـتْ مَـرةً أخـرى سـنة (١٩٨٦) ضمـنَ مجموعـة كتـاب اسـمهُ الوصايـا وهـو عـن (مخطوطـة النصائـح)، وجـاء ضمـن مجموعـة لكتـب المُحاسـبيّ، وقـد أشـارَ المُحقـقّ إلى منهـج تحقيـق المخطوطـة، وذكـر أنّ المخطوطـة كانـت بمكتبـةِ الجـزَّارِ بعـكا، وقـالَ: هـي مـن ضمـن كتـب أخـرى للمحاسـبي[3]، وقـد جـاءَ موضـوع المخطـوطـة عبـارة عـن مجموعـةٍ مـن الرسـائلِ أَلْقَاهَـا المحاسـبي عـلى أبي جعفـر محمـد بـن موسـى الرضـا وهـو السـائلَ، وأبـو جعفـر المجيـب، وتتحـدث عـن بيـانِ البلـوى والاختبـارِ، وبعـد الاطـلاع على المخطوطـةِ الأصليـةِ اتَّضَـحَ أنَّ المحقّـق أضـافَ بعـضَ التعليقـاتِ خـارج المتـن، وهـي عبـارة عـن معلومـات اعتمـدَ عليهـا مـن بعـضِ الكتـب العربيـة، والتـي جـاءتْ هـي الأخـرى بتسـمياتِ مختلفـة للمخطـوطـةِ وبعناويـنٍ أخـرى[4].

ويتضـحُ ممّـا سَـبقَ ذكـرُهُ أنَّ التحقيـقَ المتّبـعَ للمخطـوطـةِ جـاءَ بمنهـج تغيـير أسـماء الأبـوابِ وتقطيـعِ المسـائل، وهـذا نهـجُ أغلـبِ الكتـبِ المحقّقـةِ

(١) انظر: كتاب الإنابة إلى الله للمحاسبي، ت: هلمون ريتر: ص٥. التراث العربي. فواد سزكين: ج٤، ص١١٦.

(٢) انظر: كتاب التوبة (الإنابة والعودة إلى الله). المحاسبي: ت: عبد القادر عطا الله: ص٢١.

(٣) انظر: كتاب الوصايا (النصائح). المحاسبي، ت: عبد القادر عطا الله: ص٥٤.

(٤) انظر: الوصايا (النصائح). المحاسبي: ت: عبد القادر: ص٢٢٢. فهرست المخطوطات. الشطي: ص١٧٦.

عند العرب للمحاسبيّ[١]، وقد تمّ تحقيقُ المخطوطةِ مرةً ثانية لسنةِ (١٩٩١)، وذُكرَ فيها منهجُ التحقيقِ، وكانتْ نسخة المخطوطةِ المعتمدةِ مِنْ مكتبةِ السليمانية[٢].

- كتاب التوهّم.

تمَ تحقيقِ المخطوطة من المستشرقِ (A.J. Arberry : (London orientalist، لسنة (١٩٣٧)، وتُرجمَ إلى العربية في نفسِ السنةِ، ولمْ يُذكْر في النسخةِ المترجمة على أيَّ مخطوطةِ تمَّ الاعتمادِ عليها[٣]، وحققتْ أيضًا سنة (١٩٨٦)[٤]، وأُعيدَ نسخُ الكتابِ مرةً أخرى سنة (١٩٩١)، وتمتْ الإشارةُ إلى نسخة المُستشرق البريطانيِ المشار إليهِ فيما سبقَ من الكاتبِ[٥]، وترجمَ إلى التركيةِ بتسميةِ ((افترض أنَّك مَيت لسنة٢٠٠٦))[٦].

- كتاب الخلوة والتنقل في العبادات ودرجات العابدين.

عُرضَتْ المخطوطةُ على شَكلِ مواضيع في عِلْم الكلام والعبادةِ لمستشرقين، حقّقهُ الراهبُ أغناطيوس عَبده لسنة (١٩٥٢)، ولا توجدُ تفاصيلُ عن النسخةِ المحققةِ[٧].

---

(١) انظر: معاتبة النفوس. المحاسبي، ت: محمد عبد القادر ص٤٠. كتاب الوصايا. المحاسبي: عبد القادر: ص٥٠.

(٢) انظر: الفهرست. ابن الخير الإشبيلي: ج٢، ص ٣٣٧. تاريخ التراث العربي. فواد سزكين: ج٤، ص١١٦.

الإنابة. المحاسبي، ت: عبد القادر عطا: ص١٨. الإنابة لله. المحاسبي، ت: مجدي فتحي السيد: ص١٦.

(٣) هنالك تقارب كبير من حيث المحدثين ووصف الروايات بين كتاب الوهم ومخطوطة أعمال القلوب والجوارح.

انظر: كتاب التوهم: ت .آرثر جون ترجمة: أحمد أمين: ص٣. مخطوطة أعمال القلوب. المحاسبي: ص ١٣٠.

(٤) انظر: الوصايا (النصائح). للمحاسبي، ت: عبد القادر أحمد عطا الله: ص ٣٨٩.

(٥) انظر: كتاب آداب النفوس. ت: عبد القادر عطا: ص١٤٩.

(٦) انظر: عبد العزيز الخطيب، ISBN:9759066222، 2006 .

(٧) انظر: مخطوطة الخلوة. المحاسبي: ص٢. تاريخ التراث العربي. سزكين: ج٤، ص١١٨.

- كتاب الصبر والرضا.

ورَدَ اسم كتابِ الصبرِ والرضا في مخطوطة أعمال القلوب والجوارح[1]، وحققّهُ المستشرقُ الألماني (German Orientalist: Josef Vin As) لسنة (١٩٣٤)، وذَكرَ منهج التحقيقِ والنسخةِ بالمكتبةِ الهندية[2].

- كتاب الرعاية لحقوق الله عزَّ وجلَّ.

كان أول تحقيق للمخطوطة في سنةِ (١٩٣٦) (London oriental-ist: Margaret Smith) اعتمدَ المحقّقُ على ثلاثةِ نسخ من المخطوطاتِ في التحقيقِ، ويتضحُ أنَّهُ تميّزَ في النهج[3]، وقد حُققَّ أيضًا مِنْ شيخ الأزهر الشريف لسنةِ (١٩٨٥) ولمْ يَذكرْ النسخَ المعتمدة في التحقيق[4]، وحُقّق لمرةٍ ثالثة لسنةِ (١٩٨٥) وَلمْ يُذكَرْ أيضًا النسخ المعتمدةِ في التحقيقِ سوى الإشارةِ لكُتبِ المستشرقين والثناءِ عليها[5].

الخلوة والتنقل في العبادات. المحاسبي، ت: أغناطيوس عبد خليفة: ص٢٩. كتاب العلم. المحاسبي، ت: المزالي: ص٢٥.

(١) انظر: مخطوطة أعمال القلوب والجوارح. المحاسبي: ص١٣٨. كتاب العلم. المحاسبي: ت: المزالي: ص٢٣.

(٢) انظر: كتاب الصبر والرضا. المحاسبي، ت: فان اس: ص٦. كتاب العلم. المحاسبي، ت: المزالي: ص٢٥. تاريخ الأدب العربي بروكلمان: ج٤، ص٦٠.

(٣) انظر: كتاب الرعاية لحقوق الله، المحاسبي: ت: مارغريت سميث: ص١٥.

(٤) انظر: كتاب الرعاية، المحاسبي، ت: عبد الحليم محمود، وعبد الباقي سرور: ص٤.

(٥) انظر: كتاب الرعاية لحقوق الله، المحاسبي، ت: عبد القادر أحمد عطا الله: ص٢٢.

الكتب المحققة من العربِ:

اعتَمدَ منهجُ تحقيقِ مخطوطاتِ المحاسبي في الدول العربيةِ في أغلب الأحيانِ إمّا نَسخٌ للمخطوطةِ بدون مقابلة مع نسخ أخرى، أو ترجمة عَنْ كتب للمستشرقين، ويبدو أنَّ جميع المخطوطاتِ التي تمَّ تحقيقُها هي في الأغلَب للمستشرقين وجاءتْ بَعدَ الانفتاح العربي على الدولِ الغربية في مطلع القرنِ العشرين، ولكنَّ الغريبَ في الموضوع أنَّ المحاسبي من البصرةِ وسكَنَ بغدَادَ ولمْ تشهدْ كُتبهِ أيُّ تحقيق أو بحثٍ مِنْ باحثٍ لهذا البلد طيلة القرون الماضية رغم الحركة الثقافية والانفتاح في تلك المرحلةِ، ويمكن أنْ يرجعَ الأمرُ لعدم وجود المخطوطاتِ في العراقِ، أو أنَّ مَنهجَ التصّوفِ وعلمَ الكلام لا يطابقُ ما يفكّرُ بهِ أهلُ بغدادَ؛ لكونهِ لا يطلبُ الشهرةَ أو السياسة، وفيما يلي أدناه أهمُّ الكتبِ التي حُقِّقتْ مِن العربِ:

- كتاب آداب النفوس:

تم تحقيقه سنة (١٩٩١م) أدرجَ فيه منهجَ التحقيق وهو عَنْ مخطوطة جار الله دون ذِكرِ اسم الناسخ[١]، وترجم إلى التركية وبنفسِ العنوان لسنةِ (١٩٩٨)[٢].

- كتاب المسائل في أعمال القلوب والجوارح:

تم تحقيق المخطوطة لسنة (١٩٦٩)، وجاءتْ الطبعةُ الثانية فيهلسنة (١٩٨٥) [٣]، واتضَحَ أنَّ النَسخَ المعتمدةَ في التحقيق كانتْ من المكتبةِ

---

(١) انظر: كتاب آداب النفوس للمحاسبي، ت: عبد القادر: ص٢٢. تاريخ التراث العربي. فواد سزكين: ج٤، ١١٦.

(٢) انظر: شاهين فليز، هويلا وجك. 1998، ISBN: 9755741933.

(٣) انظر: كتاب أعمال القلوب والجوارح والعقل. للمحاسبي، ت: عبد القادر عطا الله: ص ٤٩.معاتبة النفس. المحاسبي: ت: محمد عبد القادر عطا الله: ص٢٢.

الأزهرية، وتمتْ الإشارةِ إليها من المُحققِّ على أنَّها نَسخُ مكتبةِ عكا[1].

ويبدو من تجميع المادة أنَّ التحقيق اعتمدَ في النَّهج على نسخةٍ واحدةٍ بسبب الأخطاء التي وردتْ في الأعلام والأحاديث النبوية الشريفةِ مع ظهورِ أخطاء لغوية في الكلماتِ[2]، وَقد تَبيَنّ أنَّ مخطوطةَ مكتبةِ الجَزار – عكا– لديها رقم تسلسلٍ مطابق لنسخة مخطوطةِ مكتبةِ الأزهر الشريف[3]، وبعدَ الاطلاع عليها اتضَحَ فيها تلفِ الحروف وعدم وضوحِ الكلمات بسبب سُوء التَخزينِ وإضافات لكلماتٍ والتقطيع في النصوصَ وتسمية المسائل في المخطوطةِ حسب منهج وقراءة المؤلف، وكان من الممكن تجاوزُها وعدمِ الوقوع في هذهِ الأخطاءِ عندَ مفهوم الكلماتِ لو اعتمدَ المحقق في تحقيقِ المخطوطة على أكثرِ من نسخةٍ، ولهذهِ الأسبابِ كانتْ المخطوطة المحققّةِ عن مكتبةِ الجزار -عكا- في موضِع نَقدٍ وتعليق دائم طيلة السنوات الماضيةِ[4].

---

(١) وهي تحت اسم: تصوف، رقم التسلسل/ ١٣٦٧، عدد صفحات ٧٩، من (ص٩١. ١٧٠)، وهي عن مكتبة الأحمدية أحمد باشا الجزار. عكا، التوثيق عن المكون البغدادي.

انظر: تاريخ الأدب العربي. بروكلمان: ج٤، ص٥٥. المخطوطات العربية. الشنطي: ص١٩٢. الوصايا (النصائح). للمحاسبي. ت: عبد القادر أحمد عطا الله: ص٤٠. كتاب العلم. المحاسبي. ت: محمد عابد مزالي: ص٧. العقل وفهم القرآن. المحاسبي. ت: حسين القوتلي: ص٧.

(٢) ومن هذه الأخطاء: المعنى (للغي، والعي)، جاءت في معناها الخطأ في الجمل عند الكتاب أعمال الجوارح والعقل، وكلمة الخف وردت في الكتاب الخلف، وهنالك أخطاء كثيرة.

انظر: كتاب أعمال القلوب والجوارح والعقل. للمحاسبي، ت: عبد القادر عطا الله: ص١٢٠، ص١٣٢. مخطوطة أعمال القلوب والجوارح. المحاسبي: ص١٣١، ص١٤٣.

(٣) انظر: العلم. المحاسبي، ت: المزالي: ص٧. تاريخ الأدب العربي. بروكلمان: ج٤، ص٥٥. الوصايا. المحاسبي ت: عبد القادر أحمد عطا الله: ص٤٠.

(٤) إن النهج المتبع في تحقيق أعمال القلوب والجوارح من حيث إشارة المحقق لكتاب العقل قال: (من خلال الفترة التي كنت فيها في إعداد تحقيق كتاب العقل وفهم القرآن، نشر الأستاذ أحمد عطا الله في القاهرة كتاب المسائل في أعمال القلوب والجوارح والعقل، ولكنه تضمن الكثير من السهو والخطأ والاجتهادات الشخصية في تغيير النص مما لم أوافق عليها).

انظر: العقل وفهم القرآن للمحاسبي. ت: حسين القوتلي: ص٧. (النصائح). المحاسبي، ت: عبد القادر عطا: ص٥٤.

طُبِعَ كتاب آخر في السعودية لسنة (١٩٨٦)[١]، والكتاب هو نسخة مطابقة عن كتاب طبعةِ مصر لسنة (١٩٨٥) المفقود من المكتباتِ، وبعدَ الاطلاع عليهِ تَبَيَّنَ أَنَّهُ عن نسخة مخطوطة الأزهر أيضًا ويتشابهُ بالمضمونِ مع كتابِ الطبعةِ الثالثةِ الذي سيتم ذكرهُ ولهُ نفس الأخطاءِ، ولم يَذكُر المؤلف فيهِ أيَّ تفاصيلٍ عن نهجِ المخطوطةِ عندَ طبعِ الكتاب.

وجاءتْ الطَبعة الثالثة لكتابِ المسائل في أعمال القلوبِ والجوارح لسنة (٢٠٠٥) ضمن مجموعة كُتب أُخرى للمحاسبي، ومنها: كتابُ الزهد، وكتابُ المكاسب، وكتابُ العقلِ، ويبدو أنَّ الكتابَ المطبوعَ ليس فيهِ أي وصفٍ للمخطوطة أو للمصادرِ، وتبيّنَ أيضًا عدم وجود اسم للمُحقّق أو عنْ أيِ مخطوطة تمَ تحقيقها، وقد اكتفى الكتاب بوجودِ خِتم فيهِ يوضِّحُ حقوقَ النسخ لمكتبةِ التحقيقاتِ الإيرانية[٢]، وبعد الاطلاع علَيهِ قد تَبينّ مِن الأخطاءِ اللغويةِ ومعاني الكلماتِ التي تمَّ سردُها بصيغةِ المؤنث أنَّها عنْ مخطوطةِ الأزهر أيضًا.

واتضَحَ بعد تجميع المادةِ أنَّ الكُتب والمفرداتِ في المناهج المتبعةِ لتحقيقِ مخطوطة المسائل في أعمال القلوب والجوارح في جميع الكُتبِ المطبوعة فيما سبق ذِكرها كانتْ عن مخطوطة المكتبةِ الأزهَرية، وقد شكّلَتْ فارقًا كبيرًا بالمضمونِ والمحتوى بعد الاطلاع عليها والمقارنةِ بينها وبين مخطوطة مكتبةِ السليمانيةِ من حَيث الكلماتِ والأسماءِ والأعلام وإسنادِ الأحاديث؛ فقد وَرَدتْ في الكُتبِ كلمات وجُمَلٌ كثيرةٌ مشطوبةٌ وَمضافةٌ بعيدةً عن النّص، وهنالك أخطاءٌ في التقاربِ الزمني للحدَثِ مع الرِّوايةِ، ومِنْ هَذهِ الأخطاء:

---

(١) انظر: المسائل في أعمال القلوب والجوارح. المحاسبي: ص٢.

(٢) وهو مكتب تحقيقات دراسات إيرانية، وطبعُ الكتاب كان في بيروت.

انظر: المسائل في أعمال القلوب والجوارح والزهد والعقل والمكاسب. المحاسبي، ف.ح: خليل عمران: ص٢.

- وَرَد اسمُ: عبيد الله بن الحسن التميمي (١٦٨هـ) في مخطوطة السليمانية، وهو الاسمُ صحيح من ناحيةِ اقتباسِ الحديثِ في عصر المحاسبي، ولكنْ في نسخةِ الكتبِ المطبوعة عن نسخةِ المكتبة الأزهريةِ قَدْ جاءَ الاسمُ تحتَ مسمّى: عبد الله بن الحسين (٦١هـ)، وكانتْ صيغةُ الحديثِ في الكتابِ تحتَ روايةِ (حدثنا)[١]، وهذا الأمرُ جعل الروايةَ لا صحة فيها؛ لعدمِ التطابق الزمني بينَ المحدّث والسامعِ للحديث، فيصبحُ الحديثُ مقطوعًا.
- عَدَم تكملةِ الأحاديث عِنْدَ ذِكْر اسم: أبو بكر وعمر رضي الله عنهما في كتابِ الطبعةِ الثالثةِ، رغم ورودِ الأسماءِ في مخطوطاتِ السليمانية والأزهر[٢].
- أخطاء في تسلسل سردِ الأحاديث من حيثُ المعنى.
- شطبٌ في الكلمات[٣].
- وجود تكملة في أسماء الأعلام عندَ بعض الكُتب، علمًا أنّها لا توجدُ في مخطوطة الأزهر ومخطوطة السليمانية. جاءَ اسم: الحسن في جميع الكتبِ المطبوعةِ (الحسن البصري)، وإبراهيم سميَ (إبراهيم النخعي)، والمنكدر سمّي (محمد بن المنكدر)، ومبارك سمّيَ (عبد الله بن مبارك)[٤].
- جاءت تسميات للمسائل وهي بدون اسم في مخطوطاتِ مكتبةِ السليمانية والأزهر[٥].

---

(١) انظر: مخطوطة مسائل أعمال القلوب والجوارح. المحاسبي: ص١٣١. كتاب المسائل في أعمال القلوب والجوارح والزهد. المحاسبي، ف.ح: خليل منصور: ص٨٣.

(٢) انظر: مخطوطة أعمال القلوب والجوارح. المحاسبي: ص١١٤. كتاب أعمال القلوب والجوارح والزهد للمحاسبي، ف.ح: خليل منصور: ص٧٨.

(٣) كتاب أعمال القلوب والزهد المحاسبي، ف.ح: خليل منصور: ص٦٦.

(٤) انظر: مخطوطة أعمال القلوب والجوارح: ص١٣٣. كتاب أعمال القلوب والزهد المحاسبي، ف.ح: خليل منصور: ص٥٧، ص٥٩.

(٥) انظر: مخطوطة كتاب أعمال المسائل في القلوب والجوارح. المحاسبي: ص١٣٩. المسائل في أعمال القلوب والجوارح والزهد: ف.ح: خليل منصور: ص٧٩. معاتبة النفوس. المحاسبي، ت:

- **كتاب العلم:**

حُقِّقَ وبصورةٍ علمية جيدةٍ مع ضبطٍ للمصادرِ الأجنبيةِ لسنة (١٩٧٥)، وقد ذُكِرَ منهج التحقيقِ، وكانتْ المخطوطة عن نسخةِ مكتبة ميلانو[١].

- **كتاب المسترشد:**

تم تحقيق الكتاب سنة (١٩٦٤) وطبع تحت اسم رسالة المسترشدين، وقد أشَارَ المُحقّقُ في الكتاب لمنهج التحقيق واستندَ على مخطوطتين، اتَّضَحَ أنَّ الأولى الأصلُ من مكتبةِ المُحقّق[٢]، وأما الثانية كانتْ عن مكتبةِ الإسكندرية[٣]، وقَدْ تُرجِمَ الكتاب إلى اللغةِ التركية باسم ((رسالة المسترشدين))[٤] لسنة (١٩٧٨)، وطبعَ الكتاب الثاني جاءَ تحت اسم ((الأخلاقِ والفشلِ))[٥] لسنة (٢٠١٠).

- **كتاب المكاسب:**

حققتْ المخطوطة لسنة (١٩٨٠) لم يذكر النسخ المعتمد في التحقيق[٦].

محمد عبد القادر: ص٢٥.

(١) انظر: مخطوطة العلم. المحاسبي، ت: عبد المزالي: ص٣٢. تاريخ التراث ا. فواد سزكيين: ج٤، ص ١١٧.

(٢) ويتضح أن نسخته الشخصية بعد مقابلتها مع مخطوطة المسترشد هي نسخة مكتبة السلمانية. إسطنبول/ شهيد علي باشا رقم ١٣٤٥ عدد صفحات سبعة فقط، نسخت سنة ٨٠٠هـ.

انظر: تاريخ الأدب العربي. بروكلمان: ج٤، ص٦٠. رسالة المسترشدين. فتاح أبو غدة: ص٩.

(٣) إن المخطوطة التي أشار إليها الشيخ فتاح أبو غدة بنسخة الإسكندرية تحمل رقم ٣٠٢٤.

انظر: تاريخ التراث العربي. سزكين: ج٤، ص١١٤. رسالة المسترشدين. أبو غدة: ص٩.

(٤) انظر: رسالة المسترشدين. المحاسبي، تر: علي أرسلان، 1978، ISBN:5054014.

(٥) انظر: المسترشد (الأخلاق والفشل). المحاسبي: تر: رقية كراكوسا، SBN:6054214167، .

(٦) انظر: . الأدب العربي. بروكلمان: ج٤، ص٥٩. كتاب المكاسب للمحاسبي، ت: سعد كريم الفقهي: ص١.

• كتاب الزهد:

قد تمَّ تحقيقُه لسنة (١٩٦٩)، وكان بداخلهِ نسخةٌ لكتابِ المسائل في أعمال القلوبِ والجوارحِ المشارِ إليها فيما سبق، وأُعيد طبعهُ مرةً ثانية لسنة (١٩٨٥)، ويتَضحُ من المادةِ أنَّه طُبعَ مرةً ثالثة لسنة (٢٠٠٥)، مع تغيير اسم الكتابِ واستبدالِ بعض محتوى الكتابِ ببعضِ كُتب أخرى[١]، تُرجم إلى اللغةِ التركية لسنة (٢٠٠٦) تحت اسم دير الزُّهد[٢].

• كتاب الوصايا:

جاءَ الكتابُ تحتَ اسم الوصايا، وهي عن مخطوطة بخط مغربي وجاءتْ مختلفة في الاسم ومتشابهة بالمتنِ لمخطوطة النصائح في مكتبةِ السليمانية، تَمَّ تحقيق وطبعَ الكتابِ لسنة (١٩٨٦)، وقد شكّلَ محتوى الكتابِ معَ كتبٍ وأبوابٍ أخرى للمحاسبي[٣].

• كتاب شرح المعرفة وبذل النصيحة:

حُقّقَ الكتابُ لسنة (١٩٩٣)، تَمَّ فيهِ وصفُ منهجِ التحقيق والمخطوطة كانتْ عن المكتبة الأزهرية[٤]،

قال المحاسبي: ((عملتُ كتابًا في المعرفةِ وأُعجبتُ بهِ، فبينما أنا أنظرُهُ مُستحسنًا إذْ دخلَ عليَّ شابٌ وسَلَّم، وقال: يا أبا عبد الله هل المعرفةُ حقٌّ للحقِّ على الخَلْق، قلت: حقٌّ للحقِّ على الخَلْق، قالَ: هي أولَى أنْ

(١) انظر: مخطوطة الزهد. المحاسبي: ص٢. العقل وأعمال القلوب والجوارح. المحاسبي: ت: عبد القادر عطا الله: ص ٤٣. أعمال القلوب والجوارح والزهد. المحاسبي، ف.ح: خليل عمران: ص١. التراث العربي: ج٤، ص١١٧.

(٢) انظر: الزهد (دير الزهد). المحاسبي، تر: عبد الرقيب ارسلان، ISBN:9750033957.

(٣) الاختلاف واضح عند المقارنة بين مخطوطة مكتبة السليمانية في إسطنبول بختم وهبي، كتبها الحاج حسن محمد الخروبي تحت رقم / بغداد ٦١٤. والمخطوطة المعتمد عليها التحقيق؛ فهي بخط مغربي ونقوش في الصفحة، نسخة كتاب الوصايا والصورة المرفقة عن المخطوطة.

انظر: كتاب الوصايا عبد القادر عطا: ص٥. مخطوطة النصائح. المحاسبي: ص٢. تاريخ التراث العربي. فواد سزكين: ج٤نص١١٥. تاريخ الأدب العربي. بروكلمان: ج٤، ص٦٠.

(٤) انظر: مخطوطة شرح المعرفة. المحاسبي: ص٣٧. تاريخ التراث العربي: ج٤، ص١١٧.

يكشِفَها لمُستحقِّها، قلتُ: بل حقٌّ للخَلْقِ على الحقِّ، قالَ: هي أعدَلُ من أن يظلمَهُم، ثمَّ سلَّمَ وخرجَ، فَغسلْتُهُ[1]، وقلتُ: لا أتكلَّمُ في المعرفةِ بعدها أبدًا))[2].

- فهم القرآن:

تمَّ تحقيقُ الكتابِ لسنة (١٩٧١)، كان من ضمنهِ كتابُ مائية العقل[3]، وقد ذَكرَ المُحققُ تَفاصيلَ المخطوطةِ، وتُرجمَ إلى اللغة التركيةِ لسنة (١٩٦٦)، (٢٠٠٤) وبنفس العنوان[4]. وقد جاءَ تأليفُ الكتابِ في الرّد على المُعتزلةِ[5].

- كتاب معاتبة النفس:

حُقّقَ لسنة (٢٠٠٣) وذُكرَ فيهِ منهج التحقيق، وكانتْ نسخةُ المخطوطة من المكتبة الأزهرية،[6] واتضَحَ أنَّ هنالك تشابهٌ بين مسألة معرفةِ النّفسِ في مخطوطة أعمال القلوبِ والجوارحِ وكتابِ مُعاتبةِ النفّس[7].

---

(١) غَسلُ: هي غَسلُ الشيء إزالةُ الوسخ ونحوه، وتأتي بنحو ضربَ. وإذا كثر ضرابه ولم يلقح. انظر: التعريفات الفقهية. محمد البركتي: ج١، ص١٥٧. شمس العلوم ودواء كلام. نشوان اليمني: ج٨، ص٤٩٨٩.

(٢) انظر: الكواكب الدرية في تراجم الصوفية: ج١، ط٣، ص٥٨٥. الطبقات الكبرى. للشعراني: ج١، ص١٣٨.

(٣) انظر: تاريخ التراث العربي: ج٤، ص١١٩. العقل وفهم القرآن. المحاسبي. ت حسين القوتلي: ص٤.

(٤) انظر: العقل وفهم القرآن: ترجمة: فيسر أكد دوغان، 2004 ISBN:9753501390 . أحمد إتاش،١٩٦٦.

(٥) انظر: أستاذ السائرين. عبد الحليم محمود: ص٢٢.

(٦) انظر: تاريخ التراث العربي فواد سزكين: ج٤، ص١١٨. معاتبة النفس. المحاسبي: ت: محمد عبد القادر: ص٢٤.

(٧) انظر: أعمال القلوب. المحاسبي: ص١٣٨. معاتبة النفس للمحاسبي: ت: محمد عبد القادر: ص٢٤، ص٢٢.

- كتاب مائية العقل ومعناها واختلاف الناس فيهِ:

تـمَّ تحقيقه لسـنة (١٩٦٩)، ويذكـرُ فيـهِ نسـخة المخطوطـة من مكتبـةِ الجزار -عـكا-[١]، وكانَ الكتـاب يحتـوي عـلى كتـابِ أعـمال القلـوبِ والجـوارحِ، وطُبـعَ وحُقّـقَ مـن ضمـن كتـاب العقـلِ وفَهْـمِ القـرآن[٢] لسـنةَ (١٩٧١).

- القصد الرجوع إلى الله:

حُقّـقَ سـنة (١٩٨٢م)، وجـاءَ مـن ضمـن كتـاب الوصايـا، وقـد أشـارَ المحقـقُ في منهـج التحقيـق وقـالَ: إنَّهـا نُسـخةٌ فريـدةٌ في مكتبـةِ الشـهيد علـيَّ[٣]، وعنـد الاطـلاع في مصـادر المخطوطـات في تركيـا اتَّضـحَ أنهـا مـن مكتبـةِ جـارَ الله وتَحـت رقـم (١٧٨٢)، ويوجـد نسـختين بتواريـخ نسـخ مختلفـة في المكتبـات التركيـة تحـت نفسِ العنـوان[٤]، وترجـم إلى اللغـة التركيـة سـنة (٢٠٠١) باسـم/ البحـث عـن الله[٥].

---

(١) انظر: الزهد (مائية العقل). المحاسبي: ص١٠٤. معهد المخطوطات العربية. الشنطي: ص١٩٢. تاريخ التراث العربي. فواد سزكين: ج٤، ص١١٦.العقل وأعمال القلوب. ت: عبد القادر عطا: ص٢٣٧. كتاب العلم. المزالي: ص٢٧.

(٢) انظر: العقل وفهم القرآن. المحاسبي، ت: حسين القوتلي: ص٣. تاريخ التراث العربي: ج٤، ص١١٩

(٣) انظر: الوصايا (النصائح). المحاسبي، ت: عبد القادر عطا الله: ص٥٢.

(٤) انظر: تاريخ التراث العربي. فواد سزكين: ج١، ص١١٨.

(٥) البحث عن الله. المحاسبي، تر: عثمان آرب ISBN:9757105236 .

وقد جاءتْ بعضُ الأبوابِ والرسائلِ عند بعض المصادر العربية والأجنبية على أنَّها كتبٌ[1]، وَبعدَ الاطلاعِ والتدقيقِ اتّضحَ أنهَّا أبوابٌ لمسائل وليسَتْ كتبًا، وهي كما يلي:

- أحكام التوبة:

حُقّقَ سنة (١٩٧٢م) ضمن مجموعة كتاب الإنابة لله، ولمْ يشرح المنهجَ أو عن أي نسخة تَمَّ التحقيق[2].

- دواء داء القلوب:

جاءتْ في بعضِ المصادر أنَّ النسخة مكان وجودها غير معروف[3]، واتّضحَ أنَّها حُقِّقَت ضمنَ كتاب

آداب النفوس لسنة (١٩٩١)، وهي عن مخطوطةِ آداب النفوس[4].

- فهم الصلاة:

حُقِّق ضمن مجموعة كتاب الوصايا-النصائح، وأشارَ إلى نهج التحقيق، وهي عن نسخةٍ مصورة من مكتبةِ جار الله سنة (١٩٨٢م)[5].

---

(١) انظر: تاريخ التراث العربي. فؤاد سزكين: ج١، ص١١٨. تاريخ الأدب العربي. بروكلمان: ج٤، ص٦٠. معهد المخطوطات العربية. الشنطي: ص١٩٢.

(٢) انظر: مخطوطة الزهد. المحاسبي : ص٥٢. تاريخ التراث العربي. فواد سزكين: ج١، ص١١٨. (النصائح). المحاسبي، ت: عبد القادر: ص٣٥٥.

(٣) انظر: تاريخ التراث العربي. فؤاد سزكين: ج١، ص١١٩.

(٤) انظر: مخطوطة آداب النفوس. للمحاسبي: ص٥٩، ص٦٤. آداب النفوس. المحاسبي: ت: عبد القادر عطا: ص٤٠.

(٥) انظر: مخطوطة الزهد. المحاسبي: ص٥٢. تاريخ التراث العربي. فؤاد سزكين: ج١، ص١١٨.

- فهم السنن:

وجدت في فهرسِ مخطوطةِ كتاب الخلوةِ والتنقلِ في العباداتِ ودرجاتِ العابدين في إحدى أبوابها المدرجة في مصادر الكتاب[1].

- مختصر المعاني:

هي مجموعة أبواب وردَتْ ضمنَ كتب المحاسبي، وليس كتابًا منفصلًا كما أشارتْ بعضُ المصادر[2]، وقد جاءتْ تَسمية الأبواب في الخوفِ واليقينِ والمعرفةِ والرجاء، وقد حُقِّقَتْ بعض الأبوابِ من ضِمنِ كتاب الرعاية لسنة (١٩٣٦)[3]، وكتاب آدابِ النفوس لسنةَ (١٩٩١).

---

(١) انظر: مخطوطة الخلوة والدرجات بين العباد. المحاسبي: ص١.

(٢) انظر: تاريخ التراث العربي. فؤاد سزكين: ج١، ص١١٩.

(٣) انظر: مخطوطة آداب النفوس. المحاسبي: ص٦٧. كتاب آداب النفوس. المحاسبي: ت: عبد القادر أحمد عطا الله: ص٥٢، ص٧٦، ص٨٩، ص١٢٠. كتاب العلم. المحاسبي. المزالي: ص٣٤. كتاب الرعاية لحقوق الله. المحاسبي، ت: مارغريت سميث: ص ٣٨٩.

انظر: تاريخ التراث العربي. فؤاد سزكين: ج٤، ص١١٧. تاريخ الأدب العربي. كارل بروكلمان: ج٤، ص٦٠.

المخطوطات الغير مُحقّقة والبعضُ قد جاءَ بالمفقودة:

ظَهرتْ في البحوثِ والاستطلاعاتِ أنَّ أغلبُ مخطوطاتِ المحاسبي المتواجدة في المكتبات العربية وفي تركيا وحتى الأوروبية قد جنى ثمارَها في التحقيق المستشرقون في بداية مطلع القرن العشرين، واتّضح ذلك بعدَ معاينة المصادرِ ورَبطها بالمخطوطات، ومن أهَمّ المخطوطات التي جاءَ فيها التباسٌ[1] في التحقيق:

- مخطوطة البعث والنشور:

وُجدتُ هذهِ النسخة في مكتبة السليمانية ومتأثرةً جدًا بالرطوبةِ والكلماتِ فيها غير مفهومة، ويبدو أنَّ نَسخَ المخطوطة جاءَ بخطِّ اليدِ وليس تصويرًا عن الأصلِ، وتتكون المسألة من خمسَ عشرةَ صفحةً مع غلاف كُتِبَ عليهِ لسنةِ (١١٠٤هـ)، وقد جاءتْ في بعض المصادر مفقودة[2]، واتضحَ أنَّ الإمام الغزالي أفادَ منها في (الدرّةِ الفاخرةِ)[3].

- مخطوطة التنبيه على أعمال القلوب في دلالة الوحدانية:

اتّضحَ أنَّها موجودةٌ في مجموعة كتاب الزُهدِ، وقد جاءَ في نهايةِ بابِ العظمةِ[4].

---

(١) الْتباس،: شكّ «أمر تقع عليه بعض الشُبُهات».

انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة. أحمد مختار: ج٢،ص١١٦٢.

(٢) انظر: تاريخ التراث العربي. فؤاد سزكين: ج٤، ص١١٧. تاريخ الأدب العربي. كارل بروكلمان: ج٤، ص٦٠.

(٣) الدرة الفاخرة. أبي حامد الغزالي: ص٣١. معهد المخطوطات العربية. الشطي: ص١١٩.

(٤) انظر: الزهد. المحاسبي: ص٢٨.، تاريخ التراث العربي. فواد سزكين: ج٤، ص١١٦. معهد المخطوطات العربية. الشنطي: ص١٥٣.

- مخطوطة العظمة:

لم يتمْ تحقيقُ هذه المخطوطة من ضمن كتاب الزُهدِ رغمَ تحقيق الكتاب لأكثر من مرّةٍ، يبدو أنَّ نسخةَ المخطوطة يتمُّ تجاوَزَها عند التَحقيق، أو لَمْ تردْ ضمنَ نسخ المحققين؛ والسببِ أنَّ جميع الكتبِ المحقّقةِ تمَّ الاعتمادُ علَيها من مخطوطاتِ المكتبة الأزهرية[١]، وبعدَ الاطّلاع عليها يتضحُ أنَّ مواضيعها في رَدِّ الفلاسفة الغربيين بطريقة عِلمِ الكلامِ، وهي عن نسخةِ مكتبة السليمانية -تركيا[٢].

- المراقبة والمحاسبة:

وُجدتْ نسخةٌ مصوّرةٌ عن مخطوطةِ الأصلِ في مكتبةِ السليمانية تَحت اسم (OZEL-632)، وهي من مكتبةِ دِبلنْ والنسخةِ مكتوبة بخط اليد، والصحف الأولى تعرضت للتلف، عددها ست وأربعون صفحةٍ[٣]، ويشير في نهايةِ المخطوطةِ إلى «كتاب التفكر»[٤].

- النصيحة للطالبين:

وجاء اسمُ الكتابِ متشابِهٌ مع أسماء كُتبِ أخرى، مِثلَ: كتابُ الوصايا، ومخطوطة النصائح، وكتابِ شرحِ المعرفةِ وبذل النصيحة التي وردت فيما سبق، ولكن يبقى الحدّ الفَاصلُ في البتِّ بالعنوان هو ملاحظة

---

(١) تاريخ التراث العربي. فؤاد سزكين: ص١١٦.

(٢) انظر: مخطوطة كتاب الزهد. المحاسبي: ص٢٥. معهد المخطوطات العربية. الشنطي: ص١٨٢.

(٣) مخطوطة المراقبة والمحاسبة. المحاسبي: ص٥، ص٦، ص٧.

(٤) نسخة: A، توجد في (Dublin. Chester Beatle Library)، الجمهورية الأيرلندية، تحت رقم٤٨٩٣، نسخة: B، توجد في مصر، مكتبة سوهاج، تحت اسم تصوف، رقم / ١٣٦، عدد صفحات ٢٠، نسخت سنة ١٠٢٣.

نسخة: C، مكتبة برلين، ألمانيا، تحت رقم ١٤٣٥، من (ص١. ص٧) عن مكتبة.

انظر: تاريخ التراث العربي. فؤاد سزكين: ج٤، ص١١٨. تاريخ الأدب العربي. كارل بروكلمان: ج٤، ص٦٠.

المخطوطـات الموجـودة في جامعـة أنقـرة ومقارنتهـا مـع الكتـابِ المحقـق[1].

- **مخطوطة بلا عنوان:**

توجد النسخة في المكتبات التركية[2]، نُسخَت سنة ٨٠٠هـ[3].

- **مخطوطة في التصوف:**

ذُكـرَتْ في بعـض المصـادرِ[4]، وقيـلَ فيهـا كلـماتُ التقشـفِ لله تعـالى، عددُها اثنـان وعشرون صفحةً[5].

- **مخطوطة محاسبة النفوس:**

جاءَ اسـم الكتـاب متشـابهٌ مع أسـماءِ كتـبٍ أخـرى، مِثـلَ: مُعاتبـة النفـوس وآداب النفـوسِ، لكـن يبقـى الحـد الفاصـلِ في البـتِّ بالعنـوان وهـو مُلاحظـةَ المخطوطـاتِ ومقارنَتهـا مـع الكتـاب المُحقَّـق[6].

---

(١) نسخة: A، توجد في (Ankara University Saab Ankara Turkey) تحت رقم / ٣٣٩١. من (ص٢٣. ٣٦)، نسخت سنة ٧٣١هـ. نسخة: B، توجد في (Ankara University Saab Ankara Turkey) تحت رقم٥٢٨١. من (ص١.ص٨). نسخت سنة ٩٠٠هـ.
انظر: تاريخ التراث العربي. سزكين: ج٤، ص١١٨.

(٢) توجد النسخة في مدينة بورصة. تركيا، مكتبة الجامع الكبير تحت رقم / ١٤٢٨، من (ص٣٤. ص٤٠).

(٣) انظر: تاريخ التراث العربي. فؤاد سزكين: ج٤، ص١١٨.

(٤) انظر: تاريخ التراث العربي. فؤاد سزكين: ج٤، ص١١٨. معهد المخطوطات العربية. الشنطي: ص١٥٣.

(٥) انظر: كشف الظنون. خليفة جلبي: ج١، ص٩٠٨. العلم. المحاسبي، ت: المزالي: ص٢٩. الأدب العربي. بروكامان : ج٤، ص٦١.

(٦) توجد المخطوطة في: نسخة: A، توجد في المتحف البريطاني، تحت رقم ملحق ١٢٤٢، مخطوطات شرقية ٤٠٢٦/٣، من صفحة (٤. ٢٦)، سنة ١٠٢٤هـ. نسخة: B، توجد في مكتبة برلين تحت رقم ٢٨١٤، من (ص٨٠. ص٨١).
نسخة: C من (ص١. ص٧) كتبت بتاريخ ٨١٣هـ.
انظر: تاريخ التراث العربي. سزكين: ج٤، ص١١٧. تاريخ الأدب العربي. بروكلمان: ج٤، ص٦٠.

أمّا عَنْ أهم الكتبِ التي مازالتْ مفقودة وتمت الإشارةِ إليها في المصادرِ العربية:

لا تزال المخطوطات المفقودةِ تشكل الأهمية الأوسع والأشمل؛ فهي تحتاجُ إلى بحثٍ وجهدٍ عالٍ من الباحثين للبحث والتحرّي عنْها في المكتباتِ الأوروبيةِ والتركيةِ، وَمِنْ هذهِ الكتُب:

- كَفُّ الشجار ما بينَ الصحابةِ كتابُ الدماءِ[1].
- أخلاقُ الحكيم[2].
- كتابُ الغيبة [3].
- كتابُ التنبيه[4].
- كتابُ حبِّ الله[5].
- كتابُ التفكُّرِ والاعتبارِ[6].

أمّا عن اختفاء فيما ورد مسبقًا؛ فهي لتَعرّضِ منهج وفِكْرِ المحاسبي ومَن اتَّبعَ نَهجهُ إلى انتقاداتِ كثيرةٍ مِن المدارسِ الدِينية، وكانتْ أهم هذه الأسباب في اختفاءِ أغلب الكُتبِ:

(١) انظر: التهذيب. لابن حجر: ج٢، ص١٣٥.كتاب العلم. المحاسبي، ت: المزالي: ص٣٤.

(٢) انظر: مخطوطة كتاب أعمال القلوب والجوارح. المحاسبي: ص١٤١.

(٣) انظر: الفهرست. ابن الخير الإشبيلي: ج٢، ص٢٧٣.

(٤) انظر: الفهرست. ابن الخير الإشبيلي: ج٢، ص٢٧٣.

(٥) انظر: الفهرست. ابن الخير الإشبيلي: ج٢، ص٢٧٣.

(٦) مخطوطة المحاسبة والمراقبة. المحاسبي: ص٤٣.

أولًا: موقف مدرسةِ المحدثين من مدرسةِ الفقهاء، إذ أنَّ المعروف عن المحدثين ضيق صدرهِم بكلٍّ من يخرجُ عن الحديث ولو قليلًا عن إسنادهِم، يبدو أنَّ الإمام أحمد شدّد بالتنكيلِ فيمن يَتكلمُ بعلم الكلام في عصرهِ، والحارث يتكلمُ فيه؛ لذلكَ يمكن الاستنتاج عن مبرراتِ الخلافِ والعزلةِ بينهِ وبينَ الإمام أحمد[1].

قد جاءتْ قضية الشيخ المحاسبي والإمام أحمد بالكثير من التأويل والحديثِ وفيها التباسٌ عند بعضِ الكُتب، وبالأخص بَعد القرنِ الثالث الهجري، فهنالك مؤلفات كثيرة ضدّ عِلم الكلام والجَدَل والزُّهدِ [2]، ولهذا السببُ أصبَحتْ جميعُ رسائلِ العلماءِ الذين اتبَعوا نَهج المحاسبي، ومنهم الإمام الغزالي، في محلِّ نقدٍ دائم حتى الوقت الحاضر[3]، ورغمَ ذلك فقد أصبحَتْ تعاليم المحاسبي في عِلْمِ الكلامِ ذاتَ تأثير كبير[4].

ثانيًا: اضطهاد المعتزلة للصوفية والذي كان معروفًا عنهم مقتُهم لمناهجِ الجَدَل بالسُنَّةِ النبويةِ والوعظِ بالقرآن، ولأنَّ المحاسبيّ مِنْ الفقهاءِ ومتصوّف الطباع [5]، قد كان أشدَّهم براعةً وأمتنَهم كلامًا في الرّدِّ على المعتزلةِ[6].

ثالثًا: أنَّ التأثيراتِ السياسية وتداخُلها في نَهْجِ العلماءِ قَدْ بانَتْ واضحةً في مدينةِ الخلافةِ بغداد في عصر المحاسبي ومنهَجهِ الرافض والمُستمر في انتماءِ المدارسِ الدينية لعَطفِ الخلفاءِ وسياستهم في الحُكْم الذي كان يتجسدُ في تدمير منهج المدارس المعارضةِ لسياستِهم[7]. وينبغي الإشارةُ

---

(١) انظر: طبقات الشافعية. السبكي: ج٢، ص٢٨٣.

(٢) انظر: تلبيس إبليس. عبد الرحمن الجوزي: ص٤٩، ص٨١، ص٨٣، ص١١٦، ص١٢١، ص١٣١.

(٣) انظر: المآخذ العقائدية على كتاب الإحياء: ص٥٠.

(٤) طبقات الشافعية الكبرى. الشعراني: ج٢،ص٢٧٥. تاريخ بغداد. الخطيب: ج٨،ص٢١١.

(٥) انظر: بدء من أناب لله. المحاسبي ت: مجدي فتحي: ص١١.

(٦) انظر: الملل والنحل. الشهرستاني: ج١، ص٣٧.

(٧) انظر: إحياء علوم الدين. الغزالي: ص٣٩. مروج الذهب. للمسعودي: ج٤، ص٤٤.

إلى صدقِ حَدس المحاسبي في أغلب المصنفات أنَّ النزاع سيستمرُ ما بَينَ الفرق الإسلامية لحين قيام الساعةِ[1].

❖ كان المحاسبي صدوقًا مع نفسهِ باحثًا عن العلم، وحتى بعدَ أنْ نقموا عليه بعضَ زهدهِ ونهَج تصنيفِ كتبهِ يبدو أنَّه أوّل متصوّفٍ مُتبع للسُنَّةِ تتضحُ فيهِ ثقافة كلامية متكاملة، فهو القائل: ((فتح الله عليهِ علمًا اتّضحَ لي برهانه، وأنارَ لي فَضلهُ، ورجوتُ النجاةَ وجعلتُه أساسَ ديني، وبنيتُ عليهِ أعمالي)) [2].

(١) انظر: مخطوطة النصائح. المحاسبي: ص٢.

(٢) انظر: كتاب الوصايا للمحاسبي: ت: عبد القادر أحمد: ص٢٠. العقل وفهم القرآن: ت: حسين القوتلي: ص٢٥.

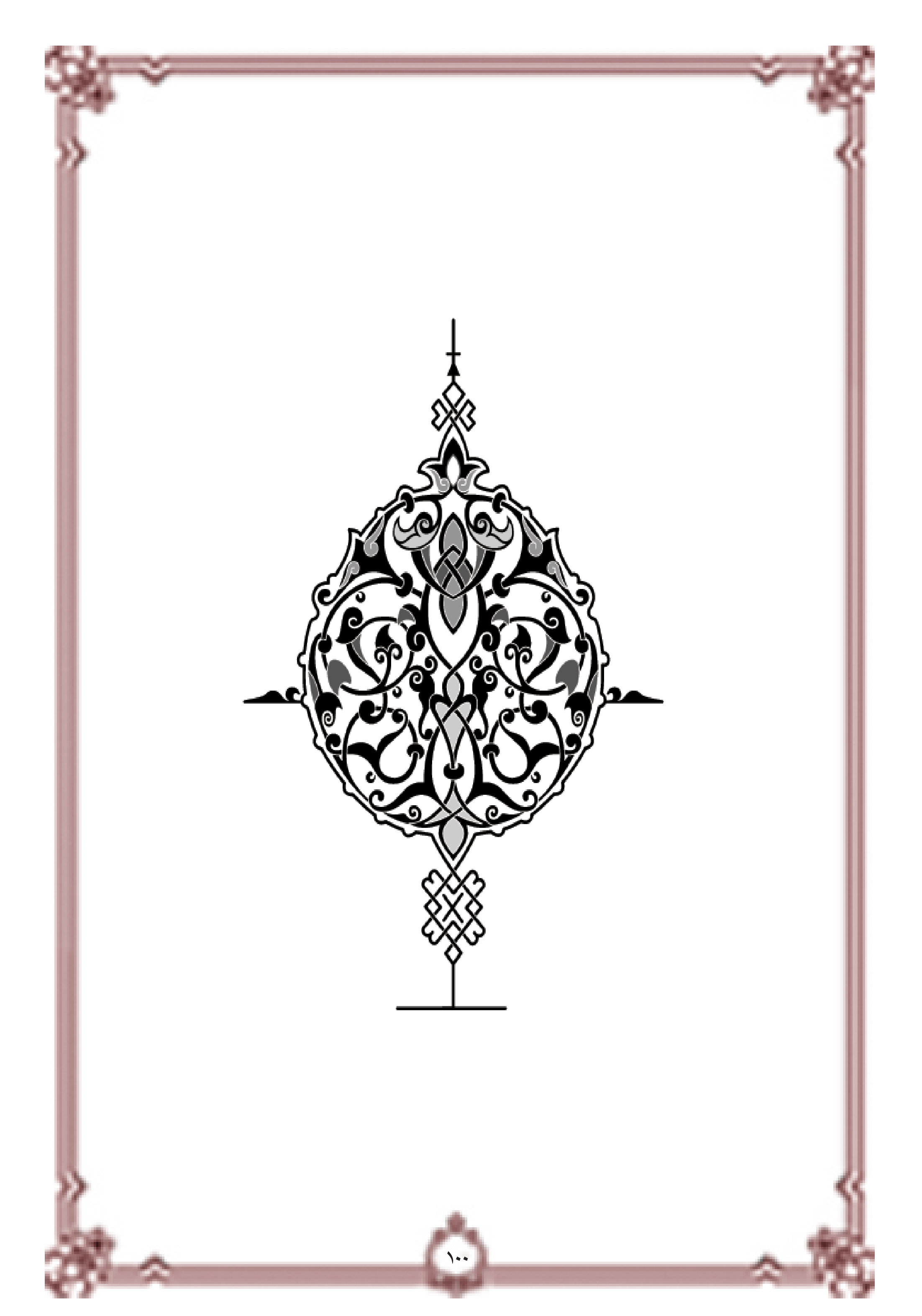
((كلُّ زاهدٍ زُهدُه على قَدْرِ معرفتِهُ، ومعرفتُهُ على قَدْرِ عقلهِ، وعقلُه على قَدْرِ قُوّةِ إيمانهِ))[1]

الحَارِثُ بْنِ أَسَد المُحاسِبيّ .

(١) انظر: الكواكب الدرية في طبقات الشافعية. المناوي: ج١،ص٥٨٧.



وصفُ المخطوطات



بعد عناءٍ كبير ما بينَ الكُتبِ والعناوين المتشابهةِ والمخطوطاتِ في المكتبات العربية، والتي جاءَ فيها تسميات لأبواب بَدَلِ العناوين الرئيسية للكُتب، وجاءتْ أخرى بتسميات حسبَ رغبة المُحقِّق، وعدم دقةِ بعضِ المصادرِ في وصفْ كتبِ المحاسبي، والتي كانتْ سببًا لفتح المجال أمام المحقّق بالاجتهاد بتَسْمياتِ المسائلِ والأبواب مما يُخالف مضمونَ المخطوطة؛ فيكون من الصعوبةِ على الباحثِ أنْ يختارَ موضوعَ المخطوطة؛ لينجزَ البَحثَ من خلالِ العناوين.

بدأتُ المشوار بصعوبةٍ، وكانت الوجهةُ الأولى في البحث عن مخطوطاتِ المحاسبي في تركيا، ونقطةُ البدايةِ مكتبةُ السليمانيةِ في إسطنبول، وبعدها اتجهْتُ لمكتبةِ الجامع الكبير في بورصة، ومكتبةِ جامعة إسطنبول والمكتبةِ المركزية الحكومية للمخطوطاتِ في شارع بايزيد، وقد استغرقَ البحثُ شهرًا ما بينَ المكتباتِ، وأخيرًا وجدتُ مخطوطةَ المسائلِ في أعمال القلوب والجوارح[1] في مكتبةِ السليمانية -إسطنبول-، وحتى لا أقف عند التسمياتِ الخاطئةَ في العناوينِ من الكُتب والمصنفاتِ اجتهدتُ بشراءِ جميع النسخِ لمخطوطاتِ المُحاسبي مِن المكتباتِ التركية[2].

وبعد دراسةِ المخطوطةِ اتّضح من مادةِ الموضوع أنَّ مخطوطة المسائل في أعمالِ القلوبِ والجوارح كانتْ خلاصةً لفِكْرِ المحاسبي في الرّدِ بعِلم الكلام بمواضيعِ الصمتِ والكلامِ في الوعظِ، والجِدَال في أسبابِ الدنيا [3]، ويبدو أنَّ المدةَ الزمنيةِ لكتابةِ هذه المخطوطة كانتْ في الربعِ الأخير من

(١) انظر: تاريخ التراث العربي. فؤاد سزكين: ج٤، ص١١٦. تاريخ الأدب العربي. بروكلمان: ج٤، ص٥٥.الفهرست . ابن خير الإشبيلي: ج٢، ص٣٣٦. طبقات الأولياء الأصفياء. الأصفهاني: ج١٠، ص٩٩.

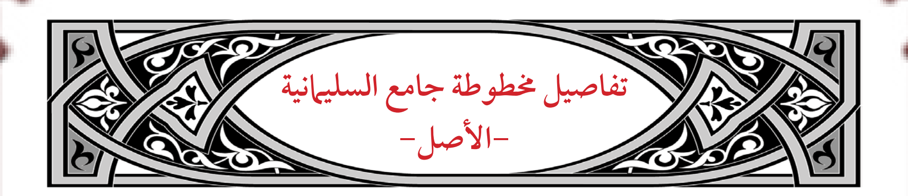
(٢) انظر: مخطوطة كتاب الزهد. المحاسبي:ص٥.مخطوطة الإنابة إلى الله. المحاسبي:ص٢٠. مخطوطة النصائح ص:٢.

مخطوطة المسترشد:ص٢٤. مخطوطة المراقبةِ والمحاسبة. المحاسبي: ص٥. مخطوطة الرّد على بعض الأغنياء. المحاسبيّ: ص٢١٧. مخطوطة فهم القرآن ومعانيه. المحاسبي: ص٨٣. مخطوطة الرعاية لحقوق الله. المحاسبي: ص٢.

(٣) مخطوطة أعمال القلوب والجوارح. المحاسبي: ص١٣١، ص١٣٥.

حياةِ المحاسبي[1]؛ لورُودِ المسائلِ فيها كرَدٍّ صريح ومباشرٍ على منهج كلامِ الفيلسوف يعقوب بن إسحاق الكندي (٢٥٢هـ).

(١) انظر: حلية الأولياء. لأبي نعيم: ج١٠، ص٧٤. العقل وفهم القرآن للمحاسبي: ت: حسين القوتلي: ص٣٢.



تفاصيل مخطوطة جامع السليمانية -الأصل-

كُتِبَ على غلافِها مِنْ كلامِ أبي عبدِ الله الحارث بن أسدِ بن عبد الله المحاسبي البَصريّ رحمة الله عليه، وفيه باب من الخلوةِ وما يستفادُ بها مِنْ وجوهِ المنافع في الدين، وجاءَ الختمُ على الغلافِ مُتشابه مع الختم الموجود في نهايةِ الكتاب، وهامش بخط اليَدّ وَرَدَ فيه من اللطفِ على عبد الله ولي الدين جار الله[1] مِنْ كُتبِ: أبي محمد بن رستم لعبدِ محمود السرَّفلي[2].

وكانتْ نسخة المخطوطة ضمنَ مجموعة كُتب أخرى لمخطوطاتِ المحاسبي ضمنَ كتابِ الزّهد[3]، تمَّ نَسخُ المخطوطة سنةِ (٥٢٣هـ)، والورقِ فيهِ أصفرُ اللون، وجاءَ كتابُ المسائل في خمسة عشر مسألة في اثنين وثلاثين صفحةٍ، أمّا تسلسل أرقام الصفحاتِ في الكتابِ يبدء : (ص ١١٤-ص ١٤٦). والتسلسل الرقمي فيها يشملُ صفحتينِ متجاورتين، وكلّ جزء من الصفحةِ يحتوي على عشرين سطرًا، ويتألفُ السطرُ مِنْ أربعةِ عشرَ كلمة، وطولُ الصفحةِ (٢٦سم)، أمّا عرضُ الصفحةِ (٣٦سم)، وجاءتْ الكلمات بِخطٍّ واضحٍ في بدايةِ المخطوطةِ، وفي الربع الأخير يسوءُ خط النسخ بسبب تداخلَ الحروفِ وتداخلُ الجُمَلِ فيما بَعضها مع بقاءِ المفهوم للمعنى.

---

(١) وهي مكتبة لأحد رجال تصنيف الكتب في إسطنبول الذين عملوا على التصنيف والبحث عن المخطوطات في عاصمة الدولة العثمانية. إستنبول. ويعتبر أن أستاذه تلميذ المؤرخ والأديب الحاج خليفة جلبي، وقد سعى جار الله أفندي مع السيد النبهاني في تبييض مسودة كتاب كشف الظنون والفنون للحاج الجلبي بعد وفاته ١٠٦٧.

انظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. الجلبي: ج١، ص٩.

(٢) هو: الخطاط فخر الدين بن محمد بن رستم البغدادي ٥٤٩هـ.، وهو نفس الناسخ لمخطوطة الرعاية في حقوق الله، المتواجدة في بورصة، بعد الاطلاع عليها ومطابقة اسم الناسخ.

انظر: الوافي بالوفيات: ج٢٢، ص٣٢٩.

(٣) مخطوطة المسائل في الزهد. المحاسبي: ص١١٤.

أما وصفُ الصفحةِ الأولى من مخطوطة المسائل في أعمال القلوب والجوارح بدأت بعبارة:

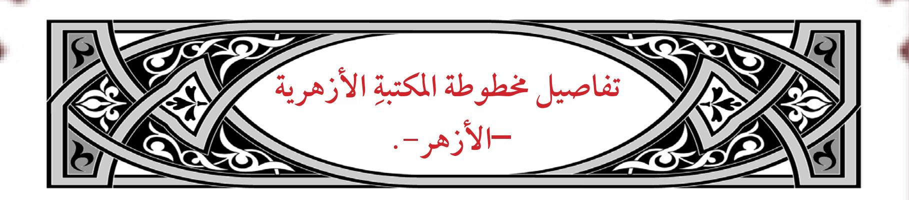
«بسم الله الرحمن الرحيم عونك اللهم، قالَ: أبو عبد الله الحارث بن أسد بن عبد الله المحاسبي رحمه الله مسألة في الحسبة في إدخال السرور على المؤمن.»

وتنتهي المخطوطة عِندَ مسألةِ النُّذور، ويذكر فيها: «تمَّ كتابُ المسائلِ في أعمال القلوبِ والجوارح للمحاسبيَّ، والحمدُ لله حقّ حمدهُ وصلواته على سيدنا محمدَ نبيه وآلهِ وَسلم، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وذلكَ في العشر الأول من المحرم سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة.»

وَجاءَ خَتمٌ آخر في نهايةِ المخطوطة يُشير إلى مكانِ إيداعها وهي: (مكتبةُ وليِّ الدينِ جار الله في إسطنبول)[1].

(١) قال فيها: وقف هذا الكتاب أبو عبد الله، والي الدين جار الله، بشرط أن لا يخرج من خزائن بناها جامع محمد نجيب سلطان القسطنطينية، سنة ١٠٧٢هـ.، وهو نفس الختم في مقدمة كتاب الزهد.

انظر: مخطوطة الزهد – المحاسبي: ص١١٣.



تفاصيل مخطوطة المكتبةِ الأزهرية -الأزهر-.

وُجدتْ مخطوطة المسائل في أعمال القلوبِ والجوارح في مكتبةِ الأزهر الشريف بالقاهرةِ تَحتَ اسم: تصوّف، رقَم تسلسل/ ١٣٦٧ لعدد صفحات بلغتْ (٧٩)، ابتدأتْ بصفحةِ رقم (٩١) وتنتهي بصفحةِ (١٧٠)، واتضح أنَّها عن مكتبةِ الأحمدية -أحمد باشا الجزار- عكا، وهي عن المكوّنِ البغدادي كتوثيق.

ويبدو أنَّ الصفحاتِ فيها بلون أبيض وهي مصورة عن الأصل، وكانتْ طول الصفحةِ (١٦سم) وعرضُ الصفحةِ (١٨سم)، ومسطرة بواقع (٢٠) سطرًا في الصفحةِ الواحدةِ، ويتكون كل سطرٍ من إحدى عشر كلمة[١]، وكانتْ المخطوطةُ في مكتبةِ الأزهر ضمنَ مجموعة من كُتب ورسائلِ أخرى مصورة قد تمَّ نَسخُها في القرن السادس الهجري، والمخطوطة جاءتْ بخطٍ غير واضح، وكان لدى الناسخ أخطاءٌ كثيرةٌ، وعلى سبيلِ المثالِ منها تذكيرُ المؤنثِ وتأنيثُ المذكر، والتأخيرُ والتقديمُ بالكلماتِ، وَلَمْ يضَع الناسخُ عنوانًا للمخطوطة والمسائلِ فَكَتبها بنسقٍ واحدٍ[٢]، وقد أثّرَتْ فيها الرطوبة تأثيرًا بالغًا من حيث عدم وضوح الكلماتِ وتسلسلُ أرقام الصفحاتِ، وَجاءتْ بعضُ الصفحاتِ غيرَ متشابهةٍ من كثرةِ الضَّرَرِ، أمّا تسلسلِ المخطوطة بالكامل فقد ابتدأ من صفحةِ (٤٣) وانتهى في الصفحةِ (٢٥٩)، وجاءتْ أول مسألةٍ فيهِ عن الزهدِ،

---

(١) انظر: معهد المخطوطات العربية الشنطي: ص١٩٢. تاريخ الأدب العربي. بروكلمان: ج٤، ص٥٥. تاريخ التراث العربي. فؤاد سزكين: ج٤، ص١١٣.

(٢) إشارة عبد القادر عطا الله وصف المخطوطة في كتابة الإنابة والعودة إلى الله. وحسين القوتلي في كتاب العقل وفهم القرآن. وعابد المزالي في كتاب العلم للمحاسبي.

انظر: كتاب الوصايا (الإنابة والعودة إلى الله). المحاسبي: ت: عبد القادر: ص٤٥. العلم. المحاسبي ت: المزالي: ص٢٧.

كتاب العقل وفهم القرآن. المحاسبي، ت: حسين القوتلي: ص٧.

وَجاءتْ بعدها في التسلسلِ مخطوطة المسائل في أعمال القلوب والجوارح، أمّا مخطوطة المكاسب جاءَتْ الثالثة، والإنابة لله ومسألةِ العقل الرابعةِ[1].

(١) كتاب العلم. المحاسبي، ت: المزالي: ص٢٧. الإنابة إلى الله. المحاسبي، ت: عبد القادر عطا: ص٤٤.



إنَّ عمليةَ نهج التحقيق استندَتْ على مخطوطة مكتبةِ السليمانية، وقد سُميَتْ -بالأصلَ-، وجاء اختيارها لعدةِ أسباب وكما يلي:

- وضوح المخطوطة.
- النسخة الأقدم حسب المقارنة بتاريخ النسخ.
- تحتوي على تفاصيلٍ أكثر من حيثِ اسم الناسخِ وسنةِ النسخِ ومكان وجود المخطوطةِ.

جاءتْ البداية بدراسةِ وتحديد المنهج المتُبع في المخطوطةِ، واتّضَحَ أنَّها نصائحٌ قُدّمتْ للمريدين على شكلِ مسائلٍ؛ لذلكَ سميتْ (المسائل في أعمال القلوب والجوارح)، وقدّمها المحاسبي في أسلوبِ شرحٍ لآيات القرآن الكريم بطريقةِ الوعظ[1] وبِجملٍ كلامية رقيقة، ولَمْ يختلفْ أسلوبُه في الوعظِ عن نهجِ كُتبهِ الأخرى، وجاءتْ في جميع المسائل على شكلِ سؤال وجواب؛ لتَمكينَ المريدين في إيجادِ الطريق الصحيح لفكرةِ فهم الجُملِ والوصولِ للمنهج المقصود.

ويبدو أنَّ جميع المسائل اتخذتْ مَنهج الوعظ بإسنادِ آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، وَتُبيّن مَعاني الكلماتِ في النصوص على المفهومِ الفقهيِ الظاهر من الآيات وتفسير الباطن مِنها بينَ الحَدَّ والمطلع[2].

(١) الوعظ: تذكير بخير فيما يرق لهُ القلب وَزجرٌ بتخفيف.
انظر: مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل. الكجراتي: ج٥، ص٦٦٠.

(٢) انظر: مخطوطة أعمال القلوب والجوارح. المحاسبي: ص١٤٥.

بلْ واتّخذَ التسلسلَ الموضوعي فيها، وهذا يَدلّ على إدراكِ المحاسبي بإسنادِ كلماتِ الوعظ بآياتِ القرآن الكريم وتفسيرهِ على نهجِ الأحاديث والأثر.

اتضح من المادةِ عن الموضوع أنَّ مخطوطةَ المسائل في أعمال القلوب والجوارح من نَفائِس[1] الكُتب -من حيثُ المواضيع والفكر-، لقد اتخَذَ المحاسبي من القرآن والسُنَّةِ النبويةِ نهجًا في الوعظ والجَدَل بالكلام، وأسندَ جميع الكلام بالأحاديث في أغلبِ النصوص وبأعلى مراتبِ الروايَة وتحتِ صيغة «حدّثنا» وبسندٍ من شيوخهِ الذين تَتَلْمَذَ على علمِهم في: البصرة، واسط، بغداد، الكوفة، المدينة المنورة.

وَممّا وَرَدَ أعلاه كان لابدَّ من دراسةِ المسائل في المخطوطةِ بشكل مكثفٍ، ومنْ ثُمَّ الرجوعِ إلى تفسيرِ آيات القرآن الكريم عندَ أغلبِ المواعظِ للوصولِ إلى فكرةِ عِلم الكلام عندَ المحاسبي، وجاءت المرحلةَ الأولى في الدراسةِ في عدّةِ خطواتِ، وهي كما يلي:

- قراءة المخطوطة.
- كتابة المتن.
- تخريج آيات القرآن الكريم.
- تخريج الأحاديث والروايات.
- التعريف بالأعلام.
- إعطاء معاني الكلمات.
- قراءة كلام المحاسبي وفكرهِ بمؤلفاتهِ الأخرى.
- مقابلة مخطوطة السليمانية -الأصلِ- مع مخطوطة المكتبة الأزهريةِ -الأزهر-.

---

(١) نَفائِس: أي كَرائم. وتقدر بالمال الوفير.
انظر: التعريفات الفقهية. البركتي: ج١،ص١٨١.

وجاءَ العملُ عند مقابلة مخطوطة الأصل مع مخطوطة الأزهر في عدةِ نقاط، وكما يلي:

- تمَّ الاعتمادُ على نسخةِ الأصلِ؛ بسببِ بلاغةِ النصّ وأقربِها ألى الصواب في المعنى.
- اتُّخذَ منهجُ النقلِ المباشرِ من مخطوطةِ الأصل للحفاظ على النص بدون أيِّ إضافات.
- تمَّ العملُ على ضبطِ مفهومِ الكلماتِ وضبط النصوص في داخلِ المَتْن[1].
- العملُ على التعويضِ من مخطوطةِ الأزهر بكلماتِ جاءتْ ناقصة في مخطوطة الأصل، وتَمَّ الإشارةُ لها بالهوامش[2].
- وردتْ بعضُ النصوص والكلماتِ خارج المَتْنِ على جوانبِ صفحاتِ مخطوطةِ الأصل مع وجودِ إشارة لها داخل المَتْنِ تشيرُ إلى مَكانِ النّصِّ والكلماتِ، وقد تَمَّ إدخالُ الكلماتِ والنصوصِ حسبَ الإشاراتِ وبما يناسبُ المعنى في المَتْنِ، وقد تمَّ التحقّقُ والتأكدَ من صحةِ النصوص عند المقابلة[3].
- تم ضبطُ الكلماتِ بالمعاني عند تخريجها من النصوصِ، وَتبيَّن أنَّها جاءتْ ببلاغة القرآن الكريم، وهذا أسلوبٌ ينفردُ بهِ المحاسبي في اختيارِ الكلماتِ والنصوصِ عند الوعظ والتفسيرِ في تَصَانِيفِهِ.

---

(١) مَتنَ: الْمِيمُ وَالتَّاءُ وَالنُّونُ أَصْلٌ صَحِيحٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى صَلَابَةٍ فِي الشَّيْءِ مَعَ امْتِدَادٍ وَطُولٍ.
انظر: معجم مقاييس اللغة. أحمد الرازي: ج٥،ص٣٩٤.

(٢) انظر: مسألة الحسبة ص١١٦، مسألة إسرار العمل ص١١٨. مسألة نظرة الفجأة ص١٤٤.

(٣) الكلمات المضافة على المتن، هي (بقول، فهو، من الرجال، على، يستحسن، السود من، قلبه، الذي، منْ، قد، أراه قد بقي منه فقد تأدب بأدب الله عز وجل، فخرّ ساجدًا، قال.
انظر: مسألة الحسبة ص١١٦. مسألة الشهرة: ص١١٩. مسألة فيمن أمّ قومًا: ص١٢٣. مسألة إزالة الخوف: ص١٢٦. مسألة في النواقل: ص١٢٧. مسألة الصمت والكلام الوعظ: ص١٣٤.

- إهمالُ الإشاراتِ والتنقيطِ فوق الحروفِ في المخطوطةِ، وذلك بسبب الحفاظِ على المعاني والصفاتِ والأفعال داخل النصوص، ولعدم الوضوحِ أيضًا.

- اتخَذَتْ المخطوطتين عند النصوص مسارين مُختلفين في المعنى؛ فَعند ناسخُ الأزهر دلَّتْ صفةُ التأنيث للأفعالِ والصفاتِ عند النصوص. وعند ناسخ السليمانية دلَّتْ على صفة المذكر للأفعال والصفات[1]؛ لذلك تم التأكد من الحركاتِ في معاني الكلمات.

- اتّضح أنَّ ناسخ مخطوطة الأزهر من أصول غير عربية وسكن القاهرة، وذلك بسبب معاني الكلماتِ المختارة لديهِ؛ لذلك تمت المقارنة بين الصفات والكلمات التي وردتْ في المخطوطتين عند المقابلةِ للخروج بكتابةِ المعنى الصحيح في المتن.[2]

- جاءتْ بعضُ معاني الكلمات بتشديد المعنى في النصِّ عندَ نسخةِ الأصلِ، والمادة المعروفة عن المصنف تُبرّر أنَّ الخطأ جاءَ عندَ النسخ بسببَ التكرار في الكلماتِ ذات معنى واحد في النصوصِ[3].

- وأخيرًا اتّصفَ منهجُ تحقيقِ المخطوطةِ بالاعتمادِ على نَصٍّ وكلماتٍ واضحةِ المعنى في البَلاغةِ في كِلَا المخطوطتين عِندَ المطابقةِ؛ ليتمكنَ القارئُ الوصولَ بسهولةٍ للمفهوم الفكري دون أيِّ تَشتُّتٍ ذهني أو فكري قد يكونُ بسببِ النسخِ أو التحقيقِ.

---

(١) لكلمات هي: (وهو/ وهي، تستوجب/ يستوجب، رأى/ رأت) وقد وردت هذه الملاحظات منفصلة في المسائل.

انظر: إزالة الخوف:١٢٥. إسرار العمل: ص١١٨. مسألة معرفة النفس: ص١٣٨. ومسألة النذور: ص١٤٥.

(٢) رضى يكتبها رضا، وهو يعني الاسم وليس فعل. كما يلاحظ في إيجاز الكلام. ووردت أيضًا كلمة أخرى، مجاورتهم وهي. من الجيرة. في اللغة المصرية، علمًا أن معنى الكلمة في المتن حسب الجملة يجب أن تكون محاورتهم وليس مجاورتهم.

انظر: مسألة بدون عنوان: ص١٢٩.

(٣) الكلمات مثل (تبجيل/ تعظيم، وشجون / حزن) .

انظر: مسألة فيمن أمّ قوما ولزم قلبه الحذر: ص١٢٣، ص١٢٤.

عندَ المقابلةِ أيضًا وُجِدَتْ كلمات ونصوص ناقصةٍ كثيرة في مخطوطة الأزهر وفي الكُتبِ التي حقّقتْ عنها طيلة الأعوام الماضية ممّا جاءَ فِيها بنقصِ المعنى وتغيرِ مفهوم النصوصِ، علمًا أنَّ النصوص موجودهة في مخطوطَةِ مكتبة السليمانيةِ -الأصل- وهي كما مدرج أدناه :

- (أنْ يكونَ قد سَخط الله تعالى عليهِ بذلك فما دون عزَّةِ اللَّذةِ أكثر في قلبهِ من إصابةِ اللَّذةِ)[١].
- (كالرجلين إلى جانب أو كما يسيرُ أو غيرَ ذلك)[٢].
- (ومن ذلكَ ما رُويَ عن وائلِ بن حجر أنَّه رأى أصحابَ النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عليهم البرانسُ[٣] ولا ينتقدُ العامّة زيهّم وفعلهم، وهو قَولُ إبراهيم: الْبسْ مِن الثياب ما لا يزدريك السفهاءُ ولا يشهُرك العلماءُ؛ فهو لباسُ كلِّ زمانٍ في علمائِهم وعامتِهم)[٤].
- (قد تزكه نفسهُ على ذلك)[٥].
- وقال بني تميم: (وأبيك إنَّ خطيبهُ أخطبُ من خطيبنا، وإنَّ شاعرهُ أشعرُ من شاعرنا فذمَّ بعضَ البيان)[٦].
- وقال: (وَيعتَري من الإفراطِ آفات كثيرة، فإذا أسلَم الكلامُ من جميع الآفاتِ وَوَجد بقولهِ مَوْضعًا وأملًا فأملُ المنْفعةِ لهم جاءَ بقولهِ لكافٍ مع ذلك)[٧].

---

(١) انظر: مسألة إسرار العمل: ص١١٩.

(٢) انظر: مسألة الشهرة: ص١١٩.

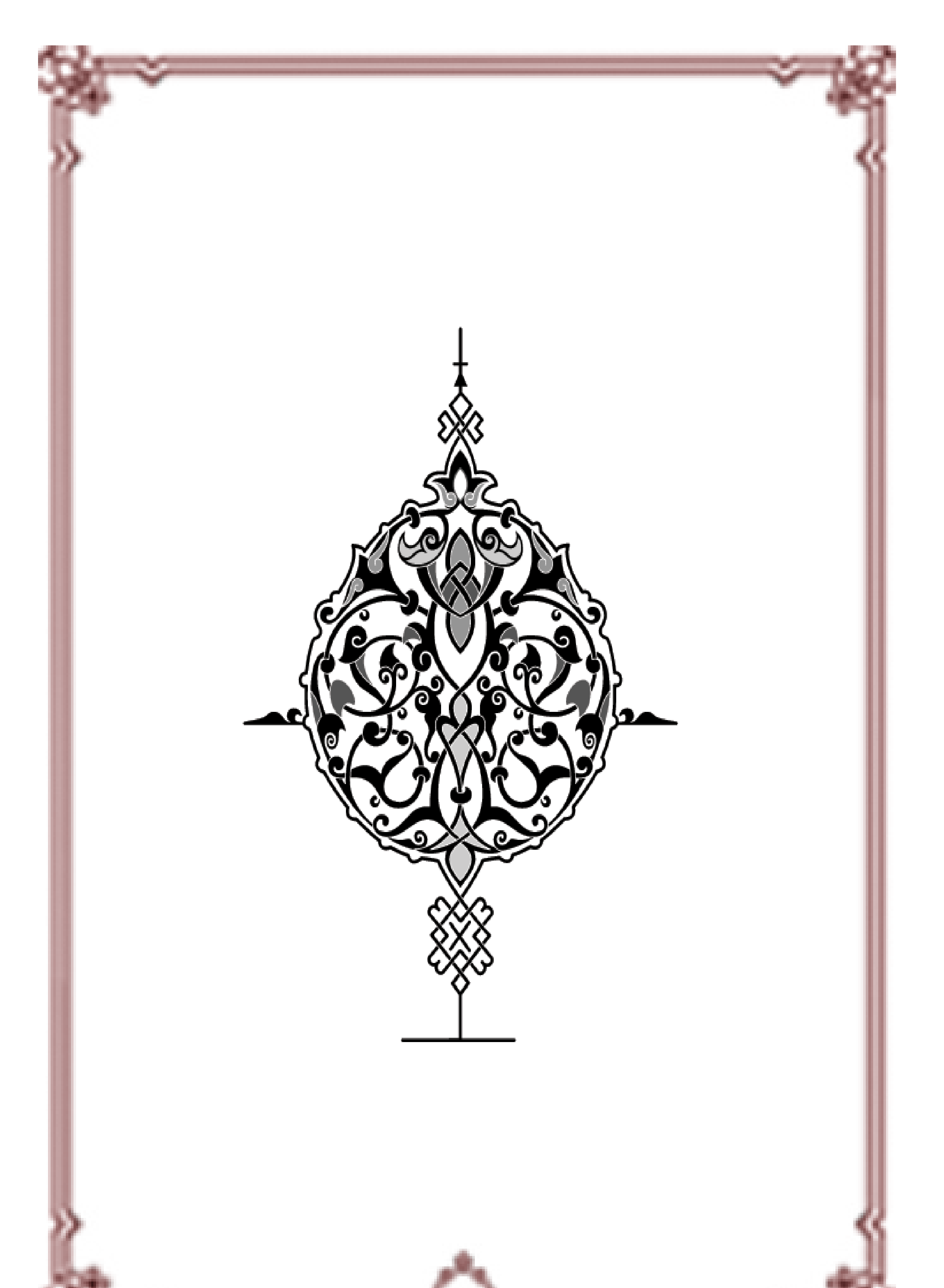
(٣) البرانس: قلنسوة طويلة، وكان الزهاد يلبسونها في صدر الإسلام.
انظر: لسان العرب. ابن منظور:ج٣، ص٢٧٠.

(٤) انظر: مسألة في الشهرة: ص١٢٠.

(٥) انظر: مسألة في الشهرة: ص١٢١.

(٦) انظر: مسألة في الكلام والوعظ: ص١٣٣.

(٧) انظر: مسألة في الكلام والوعظ: ص١٣٤.





ملخص المسائل

تتلخصُ المسائلُ في أعمال القلوبِ والجوارحِ في خمسةَ عشرَ مسألة، وكما يلي:

- مسألة في الحُسبةِ في إدخالِ السرورِ على المؤمنِ: قلتُ كيفَ الحُسبةِ....

وفيها كيفية إدخال السرور على المؤمنِ، ويكونُ ذلك في عِدّة طرقٍ، أولُها الزكاةُ مع العملِ بصدقِ النِّيةِ وشروط الثوابِ المقدّم، وقد أسنَد كلماتَ الوعظِ بآيات قرآنيةِ وأحاديث نبوية شريفة مع شرحٍ موجز لبعضِ آيات القرآن الكريم وفيمنْ أُنْزلَتْ، وقد وصفَ المحاسبِي رَحمَهُ الله: (أَنَّ من أدخَلَ السرورَ على المؤمنين منزلتُهُ منزلةُ الصدّقين والأبدال[1] في عبادةِ الله).

- مسألة في إسرارِ العملِ: قلتُ كيفَ الإسرارُ بالعملِ........

حدّث فيها عن أنواع الإسرارِ في العملِ، ومنها أعمال الجوارح وما يخصُّ القلوبَ، وكيف يكون العملُ بها لله، وماهي أوجهُ استواءِ الأعمال ما بين السرِّ والعلانيةِ معتمدًا على عملِ الجوارح والقلوبِ في النِّيةِ، وكيف يكون الأجرُ عند المؤمنينِ الصادقين، وهي مسألة جاءتْ من النهجِ النبوي الشريف (أَنَّ العبدَ إذا أظهَر العملَ بجوارحهِ استوت سريرتُهُ وعلانيته).

---

(١) الأبدال: وهو بدل الشيء بديلهُ أو جاء خلفًا لهُ، ويأتي المعنى في أمم الخلفاء والأنبياء والرسل، وهم أرباب حقائق التوحيد.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج٤،ص٢٣١.

- مسألة في الشهرة[1]: قلتُ ما الشهرة....

وَردَ فيها كيفَ يجبُ أنْ تكونَ هيئةَ العبدِ الصالح، وما هو اللّباسُ الذي يجبُ أنْ يتقلّدَ بهِ حَسب اتباعِ السُنَّةِ النبوية الشريفةِ ولباسِ الصّحابةِ والتابعين وما يجوزُ منها وما نُهيَ عَنها والأسبابُ، وقد أسندَ المحاسبي المسألة بأحاديثٍ وأقوالٍ للتابعين، وقالَ فيها: (أنَّ الشهرةَ تأتي على قَدرِ الأزمنةِ لا على قَدرِ الفِعال).

وأسندَ الوعظ بالمسألةِ أيضًا بملبسِ الصحابةِ والتابعين ومن تَبعهم في الزهدِ وزيّ الشُهرةِ لبَعضِهم، وقد وضّع الحدَّ في قياس التصنّع ما بَينَ الشهرةِ والورَع وأفعالِ القلوب والجوارحِ عندَ التابعين والسلفِ الصالح ومَنْ بَعْدهم للاقتداءِ بهم في الملبسِ.

- مسألة فيمن أمَّ قومًا فألزم قلبُهُ الحذر: قُلت: فما يقول في رجل يؤمُّ القوم......

احتوت المسألة على معالجةِ رياء الظاهر والباطن عند المؤمن إذا توجّهَ للصلاةِ، وشروط إمام الجماعةِ في الصلاة، وكيفَ يتمُّ النجاةُ من الوسواسِ الذي يدرُكُ الإمام في الصلاةِ، وشروط الواجبِ توافرُها في دوافع الإمام عند البدءِ بالصلاةِ، وقد شرحَ سورةَ الفاتحةِ مستندًا بالمعاني اللّغوية، وقال المحاسبي: بسندهِ للحديث «لكل آيةٍ من كتابِ الله عزّ وجلّ ظَهرٌ وَبْطنٌ وَحدٌ وَمطْلعٌ»، أمّا ظاهرُها: فتلاوتها، وباطنُها: فتأويلها، وأمّا حَدُّها: فمنتهى فهمها، ومَطلعَها: فَمجاوزَةِ حَدّها بالغلوِ والتّعمقِ والفجور والمعاصي. وعالجَ مسألة الخوفِ في تلاوةِ الآيات عندَ الإمام في الصلاة، وقد أُسنِدَتْ المسألةُ بالآياتِ القرآنيةِ والأحاديث النبويةِ.

---

(١) المسألة فيها أحاديث ومقاطع كلامية قد تم ذكرها في كتاب الرعاية لحقوق الله للمصنف رحمه الله.

انظر: كتاب الرعاية لحقوق الله. مارغريت سميث: ص٣٧٥.

- مسألة في إزالةِ الخوفِ[1]: قلتُ ما الذي يزيلُ الخوفُ........

وهـي مسـألة معالجـةُ وإزالـةُ الخـوفِ والوقـوفِ عـلى العلّـةِ الحقيقيـةِ للخوفِ، وكيفَ يتمُّ السيطرةُ عليهِ، وتمثلَّ بصفاتِ المريدين عند الوقوع بالخـوف والأسـبابِ التـي تـؤدي إلى الخـوفِ ومعالجتها، وَذكـر في المسـألَةِ مواعـظَ لقمان الحَكيـم لابنـهِ، وقـد أسـنَدَ جميـع النصـوصِ إلى الأحاديـث وآيـات القـرآن الكريـم.

- مسألة في النوافل: وقال: جميع ما تطوعَّ بهِ العبد.........

شرحَ فيها المحاسـبي رحمهُ الله النوافـل، وكيـف يتمُّ التعويضُ عنها في نقـصِ الفـروضِ، وقـالَ: (وهـي ستُّ خصـال تكفيـرًا للسـيئات وتكميـل للفرائض وتجريدًا للقلوبِ). مستندًا بالأحاديث، وَشرحَ فيها أيضًا بعضَ أقوال الصحابةِ رضي الله عنهم في العملِ المُحبّبِ لله وبعضَ ما رويَ عنهم مـن الأعـمال الصالحةِ، وَدرجَ فوائدَ الذِكـر والحُـزْنِ الـذي وَصفه أنَّـهُ عـمارةً للقلـبِ، وجـاءَ بالأحاديـث وآيـاتِ القـرآن الكريـم وفوائـدَ الذِكـر والحُـزْنِ، وشَرَح أيضًا مَا يجبُ أنْ يكونَ من لِبسِ المصلي في الصلاةِ وطريقةِ الغسـولِ بعد الجنابةِ وهي الصلاةُ (ركعتان) حسَبَ ما جاءَ في السُنَّة النبويةِ، وذَكرَ أيضًـا صفـات المتحابـين في الله وَمَنزِلَتهـم في ارتفـاعِ الدرّجـات عنـد الله عـزَّ وجـلَّ.

- مسـألةٌ مـن أعـمال القلـوب[2]: قـال: إنَّ الله عـزَّ وجـلَّ أوجَـبَ حقوقًـا في القلـبِ......

تكلّـم الشيخُ في هـذه المسألة عـن حقـوقِ الله عـلى العبـدِ في أعـمال القلـوب وليسـتْ أعـمال الجـوارح، وقـد تـمَّ تقسـيمها إلى ثلاثـةِ حقـوق: (اعتقـادُ الإيـمان، واعتقـادُ السُّـنَّة، واعتقـادُ الطاعـة)، ووَصـف الحقـوقَ تفصيـلًا ومـا

---

(١) المسألة جاءت في كتاب آداب النفوس على شكل باب. قال المصنف فيه:(الخوف يكون على قدر الذنوب).

انظر: مخطوطة آداب النفوس. المحاسبي: ص٦٨.

(٢) الأصل: ليس لها عنوان.

يجبُ على العبدِ العملُ بهِ في سبيلِ الوصولِ إلى حقوقِ الله في قلبهِ، وتكلَّم عن حكمةِ عَظْمَةِ الخالق عزَّ وجلَّ من الخلقِ، وقد وَردتْ أيضًا رسالة الكلثوم بن عمرو العتابي الشاعرِ الواعظِ الأديبِ في عصرهِ المقرب لدى الخليفةِ وهو يقدّمُ لهُ النُصحَ بما يرى ويدورُ في دهاليز الحكم العباسي[1]، وتُبيّن الرسالة المنهجَ الواضح الذي وَصلَ إليهِ المحاسبي من الزُهدِ والثباتِ على نَهْج فِكْرِ وعِلم الكلام بالوعظِ، وقد عُرفَ عن العتابيِ بالناقدِ الصريح في مجالسِ العرَب ومجالسِ الخليفةِ العباسي دونِ خوف، فيقول في نُصحَ المحاسبيّ: اعْلم أنَّ الاحترَاسَ من النّاسِ عقلٌ حاضرٌ؛ فاحترسْ ممنْ سلكَ طريقَ الجْهلِ فإنك تَغنمُ، وإياكَ ومُخالطتهم فإنكَ تَندمُ، والعُزلةُ شرفٌ ورين، واشتهر العتابي بقصيدةٍ في رثاءِ سيدنا عثمان رضي الله عنهُ[2].

- مسألة في الصمت والكلام في الوعظ وللبلاغة: قلت: الصمتُ أفضل أم الكلام......

هذه المسألة جاءتْ عن الخوضِ في الحكمةِ والكلام والتأويل، وفيها الرَّدُ على أسلوبِ التأويل ومتى يكونُ السكوتُ واجبًا، أمّا إنْ كانتْ من دافع النفس فهي فتنةٌ، وجاء فيها متى يكونُ الرّدُّ من الحكمةِ في الدفاع عن القرآن والسّنّة النبوية، بشرط أن تكونَ بلاغةُ اللسّان بنهج القرآنَ والسُنَّة النبوية، فقالَ: (فهو بيانٌ عن الحقِّ إنْ كان بدون تشقيقٍ وَعدمِ الإسرافِ بالكلامِ؛ لأنَّ الكلامَ المسرف تضييعٌ للحقِّ).

وتعتبر هذه المسألةِ هي قلبُ المسائلِ في مخطوطةِ أعمال القلوب والجوارح؛ ففيها البلاغةُ العربيةُ في الكلماتِ بفارقِ نقطة؛ حيثُ وُجدَتْ في كلمةِ (الغيِّ، والعيِّ) والتي يتّضحُ أنَّ المصنفَ رَحمهُ الله استَخدَمها لَيبيَّنَ للقارئ المُريدِ الفرقَ بينِ -الفلسَفةِ والحكمةِ- لمعنى

(١) انظر: مروج الذهب. للمسعودي: ج٣، ص٢٩٤. تاريخ الأدب العربي. بروكلمان: ج٢، ص٣٥.

(٢) قصيدة الشعر: ضحوا بأشمط عنوان السجود به.. يقطع الليل تسبيحًا وقرآنا.
انظر: مروج الذهب: ج٣، ص٢٩٣. البيان والتبين. الجاحظ: ج١،ص٢٢٠.

هاتـينِ الكلمتـين؛ فَقَـدْ تـمَّ اسـتخدامُهما بمواقـع عديـدةٍ مـن النصـوصِ، ويبـدو أنَّ النصـوصَ التـي اسـتَخدمَ فيهـا الغـيُّ بـدَل العـيّ تُعطـي صيغـةَ مفهـومِ الفكـرِ الفلسـفي للنـصِ، وعنـد اسـتخدام كلمـةِ العـيِّ بـدَل الغـيِّ في نفسِ النـصِّ تُعطـي صيغـةَ فكـرةِ الـرّدِ بعلـم الـكلامِ عـلى الفلسـفةِ مـن مفهـوم المعنـى الصَحيـح للحكمـةِ عنـد المريدَيـن، أنَّ المحاسـبي كان متمسـكًا بالـرّدِ عـلى الفلسـفةِ بسـببِ إدراكِ العلّـةِ الفكريـة في زمنـهِ، وكانَ لديـهِ العـلاجُ الشـافي بالمجادلـةِ، وهـذا مـا أُخـذَ عَليـهِ مـن بعـضِ العلـماء[1]. واتّضـح مـنِ معـاني الكلمتين أنَّ القَصْـد هـو عـدم الخـوض في الفلسفةِ معتبرًا إيّاهـا بلاغـةً في الـكلامِ[2].

وقـد جـاءَ في الحديـثِ النبـوي: «إِنَّ مِـنَ الْبَيَـانِ سِـحْرًا، وَإِنَّ مِـنَ الْعِلْـمِ جَهْلًا، وَإِنَّ مِـنَ الشِّـعْرِ حِكَـمًا، وَإِنَّ مِـنَ الْقَـوْلِ عَيْـلًا »[3] وَقـد أَسـنَدَ المُحاسـبي المسـألة لمِوَقـف النَّبـيِّ صَـلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ في صـدر الإسـلام في ذم كلام الشـعراء، إنَّ الفلسـفةِ عنـد المحاسـبيّ عبـارةٌ عـن كلام بـدونِ بيـانٍ، وَعِلْـمُ الـكلامِ إسـنادُ الـكلام بالبيـانِ.

وقـال المحاسـبي:(يزيـدُ البيـانُ الفصاحـةَ للبلاغـةِ) وهـذا معنـى مُعـزّزٌ في الـرّدِّ عـلى الفلاسـفةِ والذيـنَ تأثـروا بكلامهـم.

وقـال المحاسـبي :(الـكلامُ أَفضـلُ عنـد الله إذا أُريـد بـهِ وجهُـهُ وَقُصِـدَ فيـهِ مـعِ الإصابـةِ؛ فَكلّـمْ كُلَّ قـوم عـلى قَـدْرِ فِهمِهـم ولغـو أَلسـنتهم، ولا تفـرّطَ أيضًـا في الصمـتِ كـما لا تفـرِّطَ في الـكلام؛ لأنَّـه إنْ أَفـرط في الصمـتِ ضَيّـعَ كَثـيرًا مـن حقـوقِ الله تعـالى أَنْ يقـومَ بهـا بَلسـانهِ).

(١) انظر: الطبقات الشافعية. السبكي: ج٢، ص٢٧٥. كشف الظنون. الحاج جلبي: ج١، ص٩٠٨.

(٢) جاءت هذه المسألة عند الإمام أبي حامد الغزالي٥٠٥هـ. وبنفس الإسناد والموضوع مع شرح مطول عن المسألة وأسندها بنفس الأحاديث النبوية الشريفة التي ذكرها المحاسبي، بل وحتى الآيات القرآنية. وقد أشار الغزالي أنه قرأ كل كتب المحاسبي وكتب علماء علم الكلام تحت باب القول وعلته.

انظر: إحياء علوم الدين. للغزالي: ص٤٦. المنقذ من الضلال. أبي حامد الغزالي: ص٣٠.

(٣) انظر: مسند أحمد. أحمد بن حنبل : مسألة ١٧٨٥٣.

تطابقَ رأي المصَنّف مع بعضِ شعراءِ المسلمينِ الذين سبقوه، ومنهم الشاعر أبو أسود الدؤلي (٦٩هـ)[١]، فهو يذمُّ البلاغة في الكلام واعتبرها مِنَ الغيّ، واسنْدَ المسألةِ أيضًا ببعضِ الأبياتِ لشعر عمرو بن كلثوم العتابي (٢٠٨هـ) [٢]، (الذي يصفُ الكَلام أنّهُ فنٌ يمكن أنْ يجعَلَ الحقَّ باطلًا) [٣]، وقول الشاعر عمرو الأشدق (٧٠هـ)، الذي وصفَ كلام الشعراءِ (ما هو إلا التوسعُ في الخُطب). اتَّضحَ ممّا وَرَدَ أنَّ المحاسبي أرادَ أنْ يثبتَ (أنَّ الفلسفةَ لغةُ كلام لا تَخرجُ عن بلاغةِ الخطبةِ أو فن الكلام أو الشعرِ الذي يكثر فيه التشدّق)، وفي ختام المسألة يصفُ الجدال بالفلسفَة، المحاسبي طريق مغلق مقتدي بكلام بعض السلف لقولهم: (المستعان الله على ألْسنةٍ تَصفُ وقلوبٍ تعرفُ وأعمال تخالفُ)[٤]، وجاء أسلوب المصنّفِ المتَّبع في الرّدِ ما بَيَّنَ الحدَّ والمطلع؛ فجميعُ الأحاديث جاءتْ متسلسلةً زمنيًا وتمَّ إسنادُها لأكثر من حديثٍ لمنهج السّردِ حسبَ تاريخ كلِّ حدثٍ، أكدتْ المصادر أنَّ ظهور الفكرِ الفلسفَي كان في بدايةِ عهدِ عمر بن الخطاب رضى الله عنهُ عندما فتح المَسلمون بعض البلادِ العربيةِ المتأثرة بنهجِ الفكرِ الفلسفي[٥].

---

(١) وهو ظالم بن عمر بن سفيان حكيم اللغة والأدب الذي وضع باب الفاعل والمفعول والمضاف في اللغة العربية، وقرأ القرآن على عثمان وعلي (رضى الله عنهما). وكان على مكانة عالية في البصرة في الفقه. توفى سنة ٦٩هـ.

انظر: اللباب في تهذيب الأنساب. الجزري : ج١، ص٥١٤.

(٢) وهو عمرو بن كلثوم بن أيوب العتابي، شاعر وأديب من الطبقةِ الأولى، وله معلقة من الشعر من الجزيرةِ العربية. توفى العتابي سنة ٢٢٠هـ.

انظر: جمهرة أنساب العرب. علي الأندلسي :ج١٢، ص١٠. تاريخ التراث العربي. فؤاد سزكين: ج١، ص١١٤.

(٣) كتاب البيان والتبين. الجاحظ، قد ورد تعريف البلاغة كما ذُكر في كتب المحاسبي، مع تغيير كلمة واحدة وهي: (ممن يشبه) جعلها (ألوى يشبهُ) وهو عن بيت شعر العتابي كما سبق ذكره.

انظر: البيان والتبين:ج١، ص٢٢٠. مخطوطة أعمال القلوب والجوارح. المحاسبي: ص١٣٣.

(٤) انظر البيان والتبين :ج١، ص٢٨٤.

(٥) تأتي تفاصيل الرواية عندما حرر المسلمون الإسكندرية على يد القائد عمرو بن العاص رضي الله عنه، وقد كان هنالك فيلسوف وطبيب قبطي يسمى يحيى النحوي ٢٧هـ. وهو طبيب وعنده علم الفلسفة من الإغريق وبلاغة الكلام وعلوم الطب التي كانت تزدهر بها الإسكندرية في زمن الإغريق.

◆ مسألة في الجدال في أسباب الدنيا: قلتُ: والجدالُ في أسبابِ الدنيا منهُ....

المسألة تبحثُ حول الجدالِ في الممدوحِ والمذموم، وقَدْ جاءتْ بطريقٍ يستفاد منهُ القضاة الشرعيين في مسائلَ اتخاذ القَرارِ الصحيح بالحقِ والمجادلةِ بهِ، وكيف يتمّ الجدال بالحقِ للدفاع عن المظلوم وأخذِ حقّه حتى إنْ كان الظالمُ ذا قرب من القاضي؛ فيعطيه المصنفُ طَريق الخروجِ من هذهِ المحنة بالاقتداءِ بآياتِ القرآن الكريمِ والسنة النبوية.

◆ مسألة في التفويض: قلتُ: ما التفويض.......

قد جاءتْ المسألةِ فيها عن معنى التفويضِ ولماذا لايسمى بالتوكّلِ، ويوضحُ فيها أيضًا مستوى النّيةِ ويصنّفُ المفوضين أمرهم إلى الله، وذكرَ في المسألةِ بعض صفاتِ العلماءِ السماسرةِ الذين يتاجرون بالدين، ومشاكلِ النفسِ البشريةِ في التفويضِ وطريقةِ الوقايةِ من النفْسِ للوصول إلى الثقةِ التي توصِلك إلى التوكلِ في الأمورِ كلّها إلى الله سبحانه، وقد ذكر المحاسبي شيخُ المتوكلين ((عَامر العنبري زاهدَ البصَرة))[1].

وأشارَ أيضًا في المسألة إلى –مخطوطة كتاب الرضا–[2] وبعض التفاصيلِ عن النهجِ الفكري فيها، وممّا سبق ذكرهُ وَجدَتْ المخطوطةِ أيضًا في عدة مصادر أخَرى[3].

انظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء. أبي صبيعة، ت: عامر النجار: ج٦، ص٣٧٤.

(١) وهو: عامر بن عبد الله بن قيس العنبري نزيل البصرة، ويسمى زاهد البصرة، وكان ورعًا، وكان دائم التفويض، وفي تفويض الأمر ((أنهُ كان في بلاد الشام فجاءه أسد نام بجنبه ولم يهرب منهُ؛ فنام بقربه حتى أصبح)).

انظر: تاريخ دمشق: ج٢٧، ص٢٢.

(٢) انظر: مخطوطة مسائل أعمال القلوب. المحاسبي: ص١٣٨.

(٣) انظر: تاريخ الأدب العربي. بروكلمان: ج٤، ص٦٠، تاريخ التراث العربي. فؤاد سزكين: ج٤، ص١١٧.

- مسألة في معرفة النفس: قلتُ أخبرني عن الإزراءِ على النفسِ.........

وهي مسألة في آفاتِ هلكة النفسِ البشريةِ وكيفيةِ معالجتِها من خلالِ كبحِ الشهواتِ وتشخيصِ مشاكلِ خللِ النفس البشرية وطُرقِ معالجتها حسبَ درجة التكلّفِ، ومنها كيفَ يتمّ التعامل معَ النفسِ في الطريقِ وفي السوقِ ومعاتبةِ النفسِ، وكيف تلزم قلبك الشهواتِ، وجاءَ إسناد المسألةِ بآيات القرآن الكريم والأحاديث الشريفة وبصفاتِ عُمر بن الخطاب رضي الله عنهُ في الزهدِ ومحاربة النفسِ؛ لخوفهِ من الله عزّ وجلّ، ويتخلّلها دعاءٌ للمحاسبي في طلبِ العفو والمغفرة مِنْ زلّاتِ النفسِ البشرية[1].

- مسألة في الغفلة والنسيان: قال: الغفلة غفلتان، والنسيان نسيانان....

جاءت المسألةُ في أنواعِ الغَفْلةِ، وعرّف النسيان والفرق فيما بينهما، ويشرحُ بعضَ آيات القرآنِ الكريم فيما يتعلقُ بغفلةِ المؤمن، ومتى تكونُ الغفلةُ نسيانًا، وما تَسميةُ الغفلةِ في الصلاةِ ومتى تسمى غفلةٌ، ومتى يمكنُ أنْ نطلقَ عليها نسيانًا، وعندما يدخلُ وقتُ الصلاةِ ما بينَ الغفلةِ والنسيانِ ما تسميتُها، وماهي أنواع الغفلةِ، والفرق بين غفلةِ النّيةِ وغفلةِ البائنةِ، وفيها آراء العلماءِ في غفلةِ الصلاةِ، وقد أشارَ المحاسبي إلى مخطوطة -أخلاق الحكيم-[2] والتي وردتْ عند بعضِ المصادر أنهّا مفقودة[3].

- مسألة فيما يحلُّ من النظرِ: قلت: ما يحلُّ لي من النظر إلى الأمة والحرّة......

المسألةِ تتحدّثُ عَنْ النظَرةِ المسموح بها إلى الأمَة والحرّة، وما هو الحلالُ في النظَرةِ إلى أجزاءِ الجسم في المرأة، وكيفَ يتمُّ التمييزُ في نظَرةِ اللّذةِ ونظَرةِ النّيةِ واللّمسِ للمرأةِ ما لهُ وما عليهِ، وجميع الوعْظِ جاءَ

---

(١) قال: (نعوذ بالله من حلول عقوباته، ونسأله النقلة إلى ما يحب ويرضى بتوبة تطهر من كل ما يكره، وإقبال عليه والشغل به عن الدنيا وأهلها، ونسأله أن تجعل ذلك سريعًا بمنّه).

انظر: مخطوطة مسائل أعمال القلوب والجوارح. المحاسبي: ص١٣٨.

(٢) انظر: مخطوطة أعمال القلوب والجوارح. المحاسبي: ص ١٤٢.

(٣) انظر: تاريخ التراث العربي. فؤاد سزكين: ج٤، ص١١٩.

ذكـرهُ في المسـألةِ مسـتندًا إلى القـرآن والسُّـنَّة.

- مسألة في نظر الفجأة: قلت ما نظرة الفجأة من غيرها..........

وَردَ في المسـألةِ معنى نظـرةُ الفجـأةِ، ومـا هـو المقصـودُ بهـا، وهـل تجـوزُ للمؤمـن أمْ للفاجـر، وهـل هـي نظرتـان أم نظـرةٌ واحـدة، وقـد وضّـح المحاسـبي عـدةَ جوانـبِ مهمـة فيهـا مبتدئًـا بالنظـرةِ القريبـة والنظـرةِ في المسيرِ والنظَـرةِ بالاتجاهِ، وكيـفً يتـمُّ المسـكُ عـن النظـرةِ وعـدم الاستسـلامِ للنفـسِ البشريـةِ، وأسـنَدَ الوعـظ بآيـات القـرآن الكريـم والأحاديـث .

- مسألة في النذور: حدثنا أبو النضر...... قال: النذور أربع.

جـاء فيهـا عـلى أهميـة النـذور، وأنـواعُ النـذور الأربـع؛ فهـن نذرٌ لا يسـمى، ونـذرٌ لا يطـاق، ونـذر في معصيـةِ الله فيـه كفـارَة، ونـذرٌ يسـمى ويطـاق لا معصيَة فيـهِ، وأمّـا النـذر الفائـتْ جـاء مـن تسـمية المحاسـبي، وقـد استَند فيـهِ عـلى آيـاتِ القـرآن الكريـم والأحاديـث، وقـد ذكـر في المسـألةِ مـكان التجمـع الأوّل للصوفيـين في عبـادان[1]، وكيـف كانـوا يعيشـون عـلى النـذورِ المقدّمـة لهـم، وَذكَـرَ مسـجدَ إيليـا[2] الـذي يسـمى حاليًـا المسـجد العمـري وكيـفَ كانَ المسـلمون ينـذرونَ الصـوم فيـهِ[3].

---

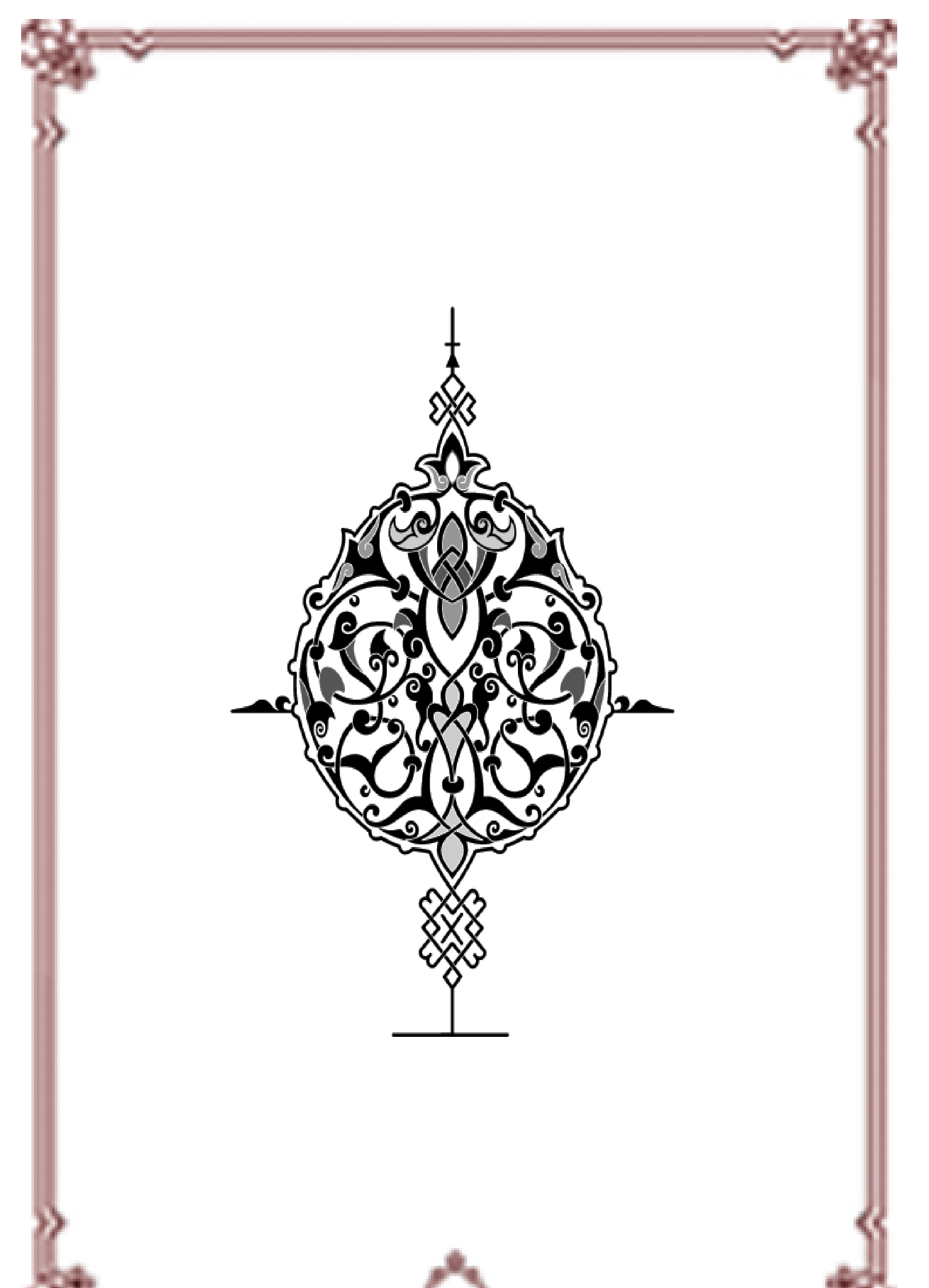
(١) عبادان: كانت عابدان قطيعة لحمران بن أبان مولى عثمان بن عفان (رض)، والتسمية جاءت من العبّاد: وهو الرجل الكثير العبادة، وأما إلحاق الألف والنون فهي لغة مستعملة لأهل البصرة، وهي تحت البصرة في -جنوب العراق- قرب البحر المالح -شط العرب- حاليًا، وكانت أكثر مواردهم من النذور، لكونها أرض لا خير فيها ويعيشون على اصطياد السمك، وكانوا يظهرون زهدهم في الحياة بارتداء لباس أبيض من الصوف.

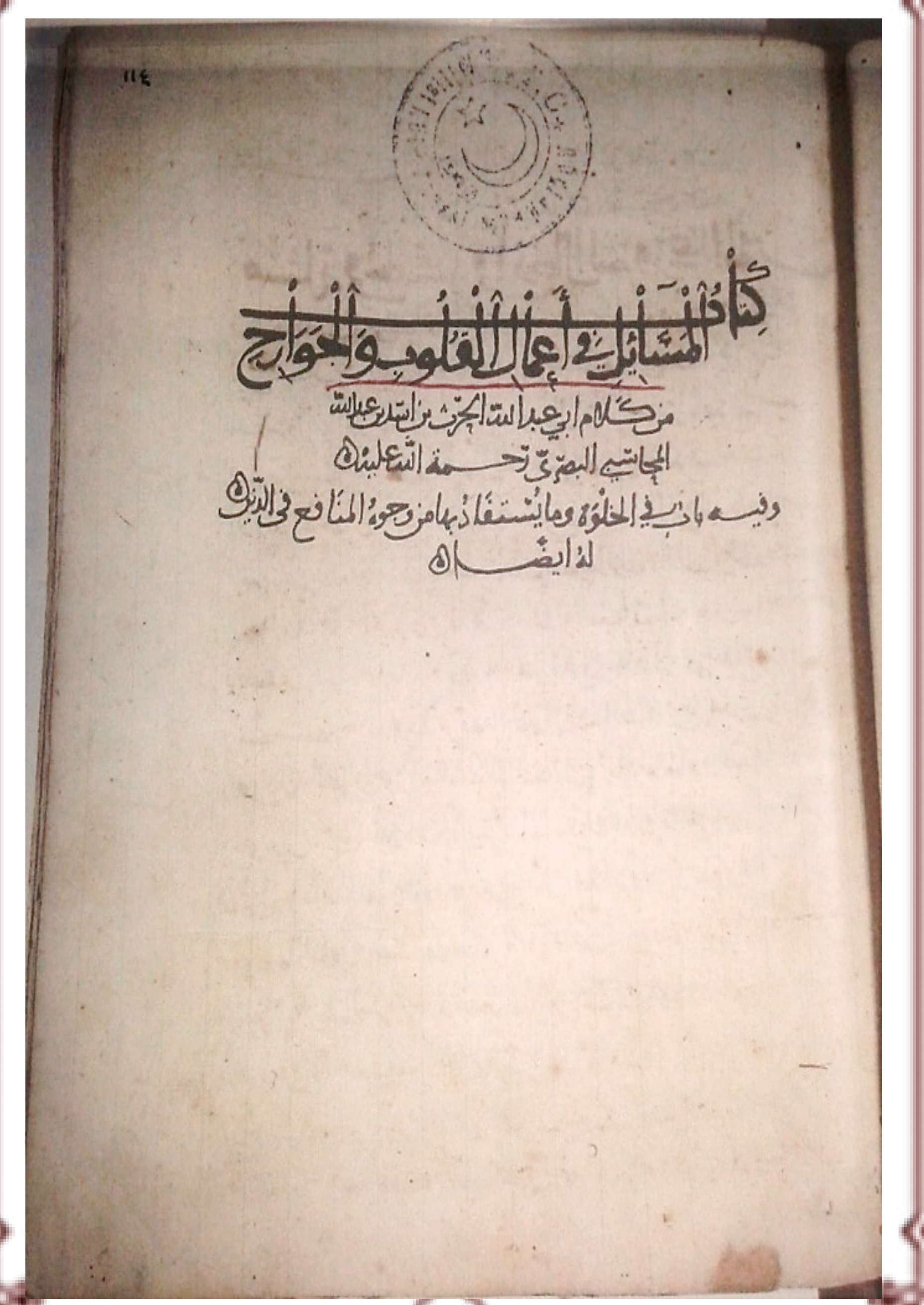
انظر: معجم البلدان. ياقوت الحموي: ج٤، ص٧٤.

(٢) إيليا: هي مدينة بيت المقدس، وعند العرب تسمى إيلياء، وافتتحها أبو عبيدة بعد اليرموك وحاصر أهل كنيسة إيليا؛ فأبوا أن يفتحوا له وسألوه أن يرسل إلى الخليفة عمر (رض) يبني المسجد، وهو -المسجد العمري اليوم-، ثم نقل التراب عن الصخرة في طرف ردائه وقبائه، ونقل المسلمون معه في ذلك وبنى بها مسجدًا مؤقتًا من الخشب؛ لاستخدامه مكانًا للصلاة من قبل الجنود المسلمين وسميَ (مسجد إيليا)، وأقام أيامًا ثم رجع للمدينة.

انظر: معجم البلدان. ياقوت الحموي: ج١، ص١٤١. البدء والتاريخ: ج٥، ص١٨٥. كشف الظنون. حاج خليفة جلبي: ج١، ص٩٢٥.

(٣) انظر: تاريخ الأدب العربي. بروكلمان: ج٤، ص٥٥. الزهد. لأبي داوود: ص٩٠.





١١٤

كتاب المسائل في أعمال القلوب والجوارح

من كلام أبي عبد الله الحرث بن أسد بن عبد الله

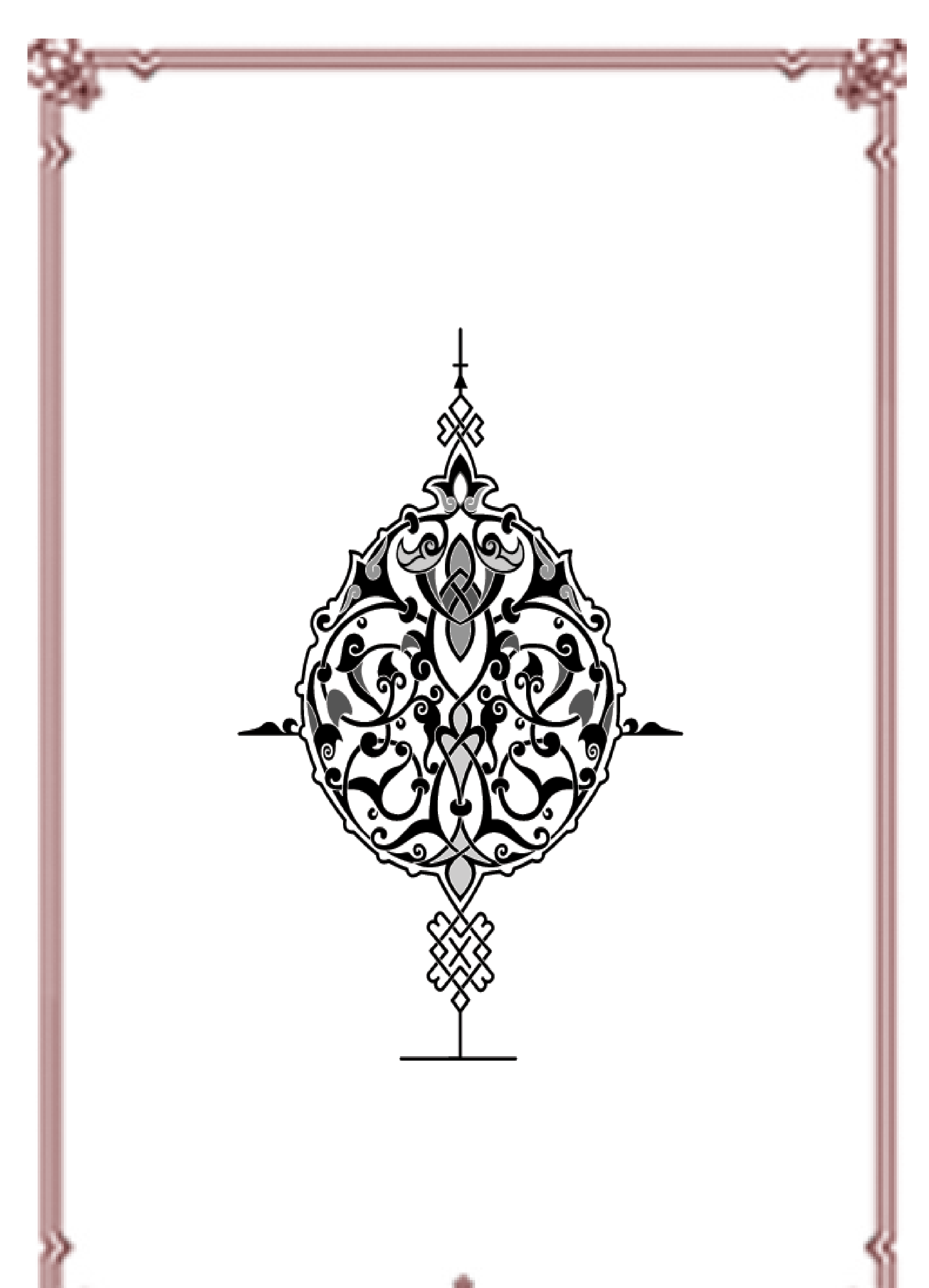
المحاسبي البصري رحمة الله عليه

وفيه باب في الخلوة وما يستفاد بها من وجوه المنافع في الدين

له أيضا



تَحْقِيقُ مخطوطة الْمَسَائِل في أعمال الْقُلوبِ وَالْجَوارِحِ



بسم الله الرحمن الرحيم

عونك اللهـم

قال أَبوعبد الله الحارث بن أَسد بن عبد الله المحاسبي رحمه الله.

مسألة في الحسبة في إدخال السرور على المؤمن.

قـلـتُ: كيف الحُسبةُ[١] في طلبِ سرورِ المؤمن؟ وكيف صحةُ النيةِ فيهِ؟ وما أسبابُ ذلكَ؟ وأي الأسبابِ يكونَ طلبُ السرورِ فيها أَولى من تركهِ؟ وأيُّ الأسبابِ يكونُ تَركُ طلبِ السرورِ فيها أولى وإنْ صَحتْ النِّية فيه؟[٢]

قال: إنَّ طلبَ السرورِ إنَّما يمكنُ[٣] فيهِ الحسبةُ في المؤمنِ المستور[٤] في أَكثر الأحوال، فأمّا[٥] المسلمُ المهتوكُ[٦]،فلا تمكنُ فيه الحُسبة إلا في أقلِّ الأحوال؛

---

(١) الحسبةُ: (حسب): يستعمل في معنى الكفاية، قوله تعالى: {وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} آل عمران: ١٧٣ وإنما هو في الحقيقة ما يحاسب عليهِ.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٢٣٣.

(٢) أزهر: فيه النية.

(٣) أزهر: يكون.

(٤) المستوْرُ والسِّتْرُ: ما يستر بهِ تغطية الشيء، وقوله تعالى: {حِجَابًا مَسْتُورًا} الإسراء:٤٥.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٣٩٦.

(٥) أزهر: وإما.

(٦) المهتوك من الهَتْك: وهو خرق السَتر عما وراءه.

انظر: العين. الفراهيدي: ج٣، ص٣٧٤.

لأَنَّ تركَ معونتهِ[١] على مَعاصي الله عزَّ وجلَّ[٢] أولى، فإنّما يمكنُ فيهِ[٣] طلبُ السرورِ عند شدَّةِ الحاجةِ في الاضطَرارِ؛ كإعطائهِ الزكاة والتفضيل بالصدقاتِ من الحلالِ أو [مِنَ][٤]الحرام الذي لا تقدر[٥] لهُ إلا على[٦] ذلك، أو [من][٧] الشُبهات إذ جُعلَ[٨] سبيلَ الحاجاتِ والمسكنةِ لأَنَّ الصدقات لا يؤمر بها لأَهلِ التُقى وَلا لأهلِ الفجورِ لكنْ لأَهلِ الحاجةِ والمسكنةِ فأجر أَو تُقى[٩]، إلاَّ فرقةً من الفجارِ وهم العادون[١٠] على أَمةِ محمد عَلَيْهِ السَّلَام، و[على][١١] أَهل العهدِ بالظلم والجورِ، أَو بالدعاءِ إلى الضلالِ فأَزوا[١٢] المواساة[١٣] والصدقات عنهم أَولى.

---

(١) أزهر: معاونته.

(٢) أزهر: تعالى.

(٣) أزهر: وإنما يكون من الممكن.

(٤) أزهر: من.

(٥) أزهر: لا يقدر.

(٦) أزهر: عليهِ.

(٧) أزهر: من.

(٨) أزهر: جعلت.

(٩) أزهر: تقي.

(١٠) العادون: أي من كانت عداوته من أفعال القلوب، قال تعالى {فيسبوا الله عَدْوًا بغَيْر عِلْمٍ}، الأنعام: ١٠٨، الآية.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٥٥٣.

(١١) أزهر: على.

(١٢) فأزوا من أَزوا: أي أَجْهَدَهُ، قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا}، مريم:٨٣، الآية.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٧٤.

(١٣) المواساة: وهي الحالة التي يكون الإنسان عليها في اتباع غيرهُ.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٧٦.

أو [وإنْ كانَ][1] يخشى عليهم تَلف الَأنفسِ فينالوا مِنْ ذلك بِقدر ما ترجع إليهم أَنفسهم[2] ولا يُزادوا ما يزدادوا[3] بِهِ قوةً تبعثهُم على ضررِ العبادِ، ولكن بقدر [ما][4] تبلغ[5] النفس ليزول عنها التلف وتثبت لها الحياةِ، والاحتساب في طلبِ السرور غامض على العمالِ[6]؛ لَأنَّ طلب السرور لغير الحسبةِ[7] ليس مكشوف في ضمائر النفوس، إنَّه لغيرِ الله عزَّ وجلَّ، وإنما الْتبسَ وغمض على العمّالِ؛ لأَنَّ الأَثارَ [ثبتت][8] فيهِ بإيجابِ الثوابِ على مَنْ[9] أَدخل على المسلمين سرورًا[10] أو فرجًا.

فلذلكَ الْتبسَت صحةُ الحسبة على العاملِ في وقتِ غفلتهِ[11] عن تهمةِ[12] نفسهِ، وطلبهِ تصحيح النَّيةِ فيهِ لربّهِ؛ لَأَنَّه إذا أَمَّ[13] قلبه طلبِ

(١) أزهر: وان كان.

(٢) أزهر: نفوسهم.

(٣) أزهر: ولا يزادون ما يزدادون.

(٤) أزهر: ما.

(٥) أزهر: بلغ.

(٦) العمالُ: وهم: السعاةُ الذين يأخذون الصدقات من أربابها، قال تعالى: {وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا}، التوبة/ ٦٠، الآية.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ص٣١٠٧.

(٧) أزهر: الخير.

(٨) أزهر: تثبت.

(٩) أزهر: لمن.

(١٠) أزهر: السرور على المؤمن.

(١١) أزهر: عمله.

(١٢) أزهر: بتهمة.

(١٣) أزهر: ألزم.

أَمَّ: القصد المستقيم، وهو التوجه نحو المقصود، قوله تعالى: {وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ}، المائدة:٢، الآية.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٨٧.

سُرور المسلم[1] ظن أَنَّهُ مُريد للثواب وأَنَّه قد ظفرَ بهِ، ولا يكونَ مُريدًا للثوابِ حتى يكونَ [سرورُ المؤمنِ][2] نيتهُ[3] صحيحة فيها الرغبة إلى الله عزَّ وجلَّ في أَنْ يثبّته[4] على إدخال السرور عليهِ[5]، ويأجره على ذلك.

فَمِنْ هذا البابِ غمض على [العمّال][6] تصحيح النية[7] فيهِ؛ لأَنَّ العدوَّ[8] يغفل العاملِ من اسم طلبِ السرور عن التثبتِ؛ لينظر ماذا يريد بإدخاله السرور على أَخيهِ المسلَم، فيريد[العامل][9] أَنْ يعظم قدرهُ عند أَخيهِ إذا أَدخل عليهِ السرور، أَو يثني عليهِ بذلك، أَو ليكافئهُ على ذلك، أو يريد أَنْ يعظّمَ الله تعالى على ذلك أجرهُ[10] ويرضى بذلك عَنْه ويكافئه عليهِ.

فالعدو يغفلُ العامل[11] باسمِ طلب السرور عن التثبتِ والنظرِ وَمَنْ[12]

---

(١) أزهر: المسلمين.

(٢) أزهر: سرور المومن.

(٣) أزهر: بنيه.

(٤) أزهر: أن يثيبهُ.

(٥) أزهر: على المسلم.

(٦) أزهر: العامل.

(٧) النَيةُ من نوى: أي قصدت قصدهُ، وفي الحديث: «إنَّما الأعمال بالنِّيَّات، وإنَّمَا لِكُلِّ امرئٍ مَا نَوَى».

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج١٠، ص٤٥٨٩. البخاري: ج١، ص٦.

(٨) الأزهر: العدو.

العَدو: يبالغ فيهم في العمل.

انظر: كتاب الألفاظ: ج١، ص١٢٢.

(٩) أزهر: العامل.

(١٠) أزهر: أَجرهُ على ذلك.

(١١) أزهر: الناس.

(١٢) أزهر: فيمن.

يريد بذلك [هل يريد][(١)] الخالق أَو المخلوقِ؟ فأمّا الأَسباب التي تطلب[(٢)] بها سرور المسلم ما[(٣)] كان فعلها بطلبِ[(٤)] سروره أَولى، أَو [كان][(٥)] بتركِها[(٦)] [أَولى][(٧)]، فَمِنْ ذلك الحلالِ منَ الغِذَا[(٨)] والأموالِ، وما صادف من أَخيهِ المسلم حاجة وشدة من غذائهِ أَو ما أَشبه ذلك.

فإذا[(٩)] أَرادَ الله عزَّ وجلَّ، وكان ليس بهِ ولا بمَنْ وجبَ عليهِ حقَّه من الضرِّ[(١٠)] مثلِ ما [بالمسلم المطلوب سرورهُ][(١١)] بهِ أَو أَعظم منهُ أَو أَدنى تَبين له في ظاهرِ الأَسبابِ أَنَّه إِنْ آثره على نفسهِ أَو على مَنْ هو أَوجب عليهِ حقًا مِنْه أَنَّه ينزل بهِ[(١٢)]، أو بمَنْ وجب حقّه عليه ما يدل عليهِ الكتاب والسُنَّة أو قولِ العلماءِ [مِنْ][(١٣)] أَنَّه مضيع تارك [لهُ][(١٤)] لما هو أَولى بهِ.

أَو إزالة عن مظلمةٍ ليس له مال غير ما يؤدي[(١٥)] إلى صاحبها، أو دَينٌ قد

---

(١) أزهر: هل يريد.

(٢) أَزهر: يطلب.

(٣) أَزهر: مما.

(٤) أَزهر: لطلب.

(٥) أزهر: كان.

(٦) أزهر: تركه.

(٧) أزهر: أولى:

(٨) الغذا من الغِذَاء: التَغْذِيَة طعام لاستعادة الصحة، وكلمة (حبس الغِذَا) يتم استخدامها للزهاد. انظر: تاج العروس. من جواهر القاموس. محمد الحسيني: ج٣٩، ص١٥٢.

(٩) أزهر: فإن.

(١٠) أزهر: الغير.

(١١) أزهر: بالمسلم المطلوب سروره.

(١٢) أزهر: بنفسهِ.

(١٣) أزهر: من.

(١٤) أزهر: لهُ.

(١٥) أزهر: يؤديهِ.

حَرجَ[١] عليهِ صاحبه أو أَحضر[٢] حجّا[٣] في الوقتِ الذي يجب عليهِ الخروجُ وترك التخلفُ، فإذا لمْ يكنْ كذلك فطلبِ السرور بالمواساةِ أَولى، وإن لمْ يكنْ[٤] كذلك فتركها أَولى، والفعلِ بما هو أَوجب فيما[٥] هو في نفسهِ ومَنْ[٦] ألزمَه الله حقَّهُ.

فمِنْ ذلك ما روى بَهْزُ بْنُ حَكِيم[٧] عن أَبيهِ عن جده، قَالَ: قُلت: «يَا رَسُولَ اللهَّ مَنْ أَبَرُّ؟ قَالَ: أُمَّك ثَلاثًا، [ثم][٨] قلت: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ أَبَاك. قُلتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: أَدْنَاك فأَدْنَاك، وفيهِ «وَأُخْتَك وَأَخَاك»[٩]. وروي عنهُ أَنَّه قالَ صَلىَّ اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَعُولُ [١٠]».

قالَ رَجُل: يا رَسُولَ اللهَّ عِنْدِي دِينَارٌ، قَالَ: أَنفقه عَلَى نَفْسِك، قَالَ: عِنْدِي آخر، قَالَ: أَنْفقْهُ عَلَى أَهْلِكَ، قَالَ: عِنْدِ[١١] آخر حتى عَد للخامس، قال: شأَنك

---

(١) أزهر: خرج.

(٢) أزهر: أخرج.

(٣) الحَجُّ: تعني زيارة بيت الله، قال تعالى: {لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا}، البقرة: ١٥٠. انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٢١٨.

(٤) أزهر: كان.

(٥) أزهر: في.

(٦) أزهر: فيمن.

(٧) بُهْز بن حكيم بن معاوية بن حيدة، القشيري البصري الإمام المحدث لهُ عدة أحاديث عن أبيه عن جده وعن زرارة بن أوفى، روى عنهُ: الحمدان، الثوري، روى عنهُ: النسائي، وابن معين، واحتج به أحمد بن حنبل، ثقة، توفي قبل ٢٥٠هـ.

انظر: اللباب في التهذيب. ابن الأثير الجزري: ج١، ص٤٥٠. سيرة أعلام النبلاء: ج١، ص٢٥٣.

(٨) أزهر: ثم.

(٩) انظر: صحيح البخاري: ج٦، ص٦٦. صحيح مسلم: ج٤، ص١٩٧٤. مسند الإمام أحمد: ج٢ ص٣٢٨.

(١٠) انظر: المستدرك على الصحيحين. الحاكم : ج٢، ص٤٢. مسند الإمام أحمد: ج١، ص٢٠.

(١١) الأصل: ي. سقطت.

بِهِ»[1]. وقال: «خَيْرُ الصَّدَقَةِ ما كَانَ عَنْ ظَهْرِ غِنى[2] وما أُبقيت غنا[3] وَابدَأ بِمن تَعُولُ[4]»[5].

وكذلك بالتفضيل على غيرِ المحتاج إدخال السرور عليهِ لغيرِ سدِّ خلةٍ[6] ظهرتْ مِنْهُ، ولكنْ ليَسرهُ ذلك أو ليُلذَّ بهِ الأخ من الأغنياء، أَو مِمَّن يقدر على القَوامِ[7] كإطعامِهِ الطعام الطيب والتفضيل عليهِ باللباسِ اللّيِن وما أَشبه ذلك.

إلا أَنَّه إذا أَضرَّ بعيالهِ في التفضيلِ على منْ ليس [بهِ][8] لهُ حاجة كان أَعظم

---

(١) انظر: مسند أحمد. أحمد بن حنبل: ج٢، ص٢٥٢. مستدرك على الصحيحين. الحاكم محمد النيسابوري: ج٢، ص٤١.

(٢) الأزهر: غني.

ظهر غنى: «عَشَاءُ لَيْلَةٍ». جاء في الحديث عن علي بن أبي طالب (رض): قال رسول الله (ص): «أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غِنًى، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنْ الْيَدِ السُّفْلَى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ» قَالُوا: وَمَا ظَهْرُ غِنًى؟ قَالَ: عشاء الليلةِ.

انظر: الترغيب والترهيب. زكي الدين المنذري: ج١، ص٣٢٥. الدر المنثور. عبد الرحمن السيوطي: ج٣، ص٣٤٤. مسند أحمد. أحمد بن حنبل : ج١، ص١٤٧.

(٣) الأزهر: غني.

(٤) تعول: اللُّغَةُ عالَ الرجلُ، إذا كَثُر عِيالُه، وأعَالَ بمعنى واحدٍ فهو يعُودُ إلى كَثْرَةِ الْعِيالِ.

انظر: المنتخب من غريب كلام العرب. علي بن الحسن الهُنائي الأزدي: ج١، ص٣٦٧.

(٥) انظر: سنن النسائي: ج٥، ص٦٨. صحيح مسلم: ج٢، ص٦٩٣.

(٦) الْخَلَّةُ الحاجة والخصلة، المودَّةُ.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٢٩٠.

(٧) القَوام: العدل. قال تعالى: {وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا}، الفرقان:٦٧، الآية.

انظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم. نشوان الحميري: ج٨، ص٥٦٧١.

(٨) الأزهر: بهِ.

إِثمـًا، وكـذلك إنْ(١) أَزالهُ عَنْ مظلمـةٍ(٢) أَودينٍ ليسَ له عندهُ وفاءً [بهِ](٣)، أَو خروج لحجٍ واجب [فإن الإثم يلزمهُ إذا أَضرَّ بعيالهِ](٤).

وقد يدخـل على المريدين في ذلك أُغْلُوطات(٥) من طبائعهِم(٦) ومن عدوِّهُم؛ حتى يخيل إليهم أنَّ تركَ المواساة أَولى، وأَنَّ إِيثَارِ(٧) أَنفسهِم ومِنْ يجب عليهم حقَّه(٨) أَولى بذلك إذا خشَي(٩) الآثام ومضيع(١٠) للواجبِ فيمّا يخيلُ إلى المريدِ نفسه وعدوَّه.

فاذا فَحصَ وأَنعم الرَّوِيَّة(١١) والنَظَر في ذلك وجدَ ذلك لا يقربهُ ولا لـمِنْ هـو أَولى بهِ، وأَنَّ المواساة أَقـربُ لهُ إلى الله تعالى، بل بعضها يجبُ عليهِ إذا استقين بالمسلم الذي لا يتهمهُ ضرًّا قَد نزلَ بهِ فيَ غذاءِ أَو لباسٍ أو ما أَشبه ذلك، وإنَّه لخدعةٍ في العامّةِ بَيِّنَة.

---

(١) الأزهر: إذا.

(٢) الأزهر: مظلم.

(٣) الأزهر: بهِ.

(٤) الأزهر: فإن الإثم يلزمهُ إذا أضر بعيالهِ.

(٥) أغلوطات من الغلط: والأُغْلوطة ما يغالط بها المسائل.
انظر: الإبانة في اللغة العربية. سلمة الصحاري: ج٣، ص٦٠٣.

(٦) طبائعهم من الطباع: ما جعل في الإنسان من طباع المأكل والمشرب وغيره من الأطبعة التي طبع عليها.
انظر: الإبانة في اللغة. سلمة الصحاري: ج٣، ص٤٣٤.

(٧) إيثار من آثَرَ: وهي المكْرُمة أو الفضل.
انظر: العين. الفراهيدي: ج٨، ص٢٣٧.

(٨) الأزهر: حقهم.

(٩) الأزهر: خشوا.

(١٠) الأزهر: وتضييع.

(١١) الرَّوِيَّة:. وَهُوَ مِنْ ثَبى عَلَى الشَّيْءِ إِذَا دَامَ.
انظر: معجم مقاييس اللغة. أحمد بن فارس القزويني : ج١،ص٤٠٢.

لعلَّ الرجلَ أَنْ يعلم الضرَّ من بعض قرابتِهِ أو إخوانِهِ أو جيرانِهِ، فإذا عوتب فيهم[1]، قال: الفرضُ أَولى بنا، ويحتجُّ[2] بقول: حديث رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «ابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ»[3]، لعلّ عنده ما يكفيه لغذائهِ سنين أو أياماً، وإنما كان ذلك منهُ عن غَفلْة من[4] صحة المعنى، وربّما كان كذبًا مِنْهُ على عَمْدٍ؛ لإقامةِ الحجّةِ ودفع الملامةِ[5] عَنْ نفسهِ أَنْ يذَمَّ[6] بتركِ المواساةِ لقرابتِهِ أو إخوانِهِ أو جيرانِهِ.

قد يكون الضرّ في نفسِ العبد أو فيمَنْ يحسن للحسبةِ في ذلك مِنْ عيالهِ مالمْ يكن ضرًا يقطع عَنْ فريضةٍ أو عَنْ ما هو أَولى بهِ، أو لمْ تسمع الله تعالى يقول: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ}[7]

فالخَصَاصَةُ: بعض الضَرِّ؛ لأَنّها في اللغةِ هي الحاجة[8]، تقولُ العربُ في تراجعِها[9] بينها: قَد أَصابتْ فلانًا خصاصةٌ تعني حاجةً، فَمدحهُم الله سبحانه بذلك فقالَ: {وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا}[10].

---

(١) الأزهر: في ذلك.

(٢) الأزهر: ويحكم.

(٣) جاء في الحديث: «يَدُ الْمُعْطِي الْعُلْيَا، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ أُمَّكَ وَأَبَاكَ وَأُخْتَكَ وَأَخَاكَ ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ».
انظر: صحيح مسلم: ج٢، ص٧١٨، المعجم الكبير. الطبراني: ج٨، ص١٣٩، الجامع الصحيح. سنن الترمذي: ج٥، ص٢٦٣.

(٤) الأزهر: عن.

(٥) الملامة: هي من اللَّوْمِ، الْعَتْبِ وَالْعَذْلِ.
انظر: معجم مقاييس اللغة. أحمد بن فارس: ج٥، ص٢٢٢.

(٦) يذمّ من ذَمَّ: وَهُوَ اللَّوْمُ فِي الْإِسَاءَة.
انظر: تهذيب اللغة: محمد الهروي ج١٤، ص٢٩٨.

(٧) الحشر: ٩، الآية.

(٨) انظر: تفسير القرآن. شمس الدين القرطبي، أحمد البردوني:ص٥٤٦.

(٩) الأزهر: أحاديثها.

(١٠) الإنسان:٨، الآية.

ولمْ يردْ أَنَّهُم رغبوا في الفضولِ لِطَبْع[1] الغِذا الذيّ يضّر بهِ أَنْ زالَ عنهُ، ومما يبينَّ ذلك أَنَّه إذا اختلف في المؤثرين على أَنفسهم بذلك، فقالتْ طائفةٍ من العلماءِ[2] إنَّ المؤثر[3] بذلك عَليٌّ وفاطمة، وقالَ قومٌ: أَهلِ بيتٍ من الَأنصارِ[4]، فإنهُم قد أَجمعوا على أَنّهُم قد آثروا على أَنفسهم مع شدَّةِ الحاجةِ، إلا أَنهُم اختلفوا في المؤثَرِ بهِ، فَمِنْهم مَنْ قال: ثلاثة أَقراصُ[5] [من الشعير][6]، أتاهم مسكين أَولًا فآثروه بأَحدِ الثلاثة وأَبقوا الاثنين لأَنفسهِم، ثمَّ أَتاهم يَتِيمٌ فأثروه بالثاني وأبقوا الثالثَ لأَنفسهِم، ثمَّ أَتاه أَسير فآثروه بالثالثِ فأَثنى الله عزَّ وجلَّ عليهم بذلك إذ تحملوا الضرّ في أَنفسِهِم وآثروا الله تعالى على أَنفسهِم بصدقِ[7] الإرادةِ مِنْ أَنفسهم لغيرِ طلبِ مكافأة، وبذلك وصف ضمائرهم أنهم أَرادوا ذلك بقوله: {لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا}[8]، فأرادوا وجههُ، يقول: لَمْ يشركوا في إرادتهم لرَّبهِم والتفضل بالحلالِ على أنْ [يكون في وجوهِ][9] البر

(١) الطَّبْعُ: السَّجيَّةُ الَّتي خُلِقَ عَلَيْهَا الإنْسانُ مِنْ أَصْلِهِ.
انظر: العين. الخليل بن أحمد الفراهيدي: ج٢،ص٢٢.

(٢) العلماء: النقاش والثعلبي والقشيري والجعفي.
انظر: تفسير القرآن. شمس الدين القرطبي، ت: أحمد البردوني:ج١٩، ص١١٧.

(٣) الأزهر: المؤثرين.
المؤَثِر: والْإِيثَارَ : هُوَ تَقْدِيم الْغَيْر عَلَى النَّفْس وَحُظُوظهَا الدُّنْيَوِيَّة وليسَ عَنْ غِنًى عَنِ الْمَالِ، وَلَكِنَّهُ عَنْ حَاجَةٍ وَخَصَاصَةٍ وَهِيَ الْفَقْرُ.
انظر: التقفية في اللغة. اليمان بن أبي اليمان البَندنيجي: ج١،ص٥٢.

(٤) انظر: تفسير الكشاف. جار الله الزمخشري،: ص١٠٩٥. تفسير القرآن. شمس الدين القرطبي:ج١٩، ص١١٥.

(٥) القرصُ: و(القُرصُ) و(القُرصةُ) من الخُبز، وجمع القُرصةُ (قُرصٌ) للعجين.
انظر: جمهرة اللغة. محمد الأزدي: ج١،ص٢٨٨.

(٦) الأزهر: من الشعير.

(٧) الأزهر: بصدقة.

(٨) الإنسان:٩، الآية.

(٩) الأزهر: يكون في وجوه.

لِمَنْ يحَبُّهُ في اللهِ تعالى، ومِنْها صلةُ القرابةِ للرحمِ وإنْ كانوا أغنياء.

ويروى عَنْ عطاءٍ[١] أَنَّه قالَ: (صلةُ الأغنياء مِنْ أُولى الأَرحام أَفضل[٢] مِنْ صلةِ الفقراء مِنْ الغرباءِ[٣]) ومِنْها برُّ أَهل الجدّةِ[٤] لعالمٍ يتعلم مِنْه إعظامًا لهُ وعلى عِلْمِهِ، أو لأَن يجري بينكما[٥] [من][٦] المؤانسةِ والخلطة بأَنْ تستفيد بعضَ عِلْمِهِ، ومِنْها برَّ المُتَعلّم يتُأَلفُ [بهِ][٧] على مواظبتهِ على التعلّم والعناية بهِ؛ لأَنَّ العالمَ والمتعلم يأنسان ويسكنان إلى منْ أَدخلَ عَليهما السرورِ، ولاسيما بالنيلِ من الدنيا،ومِنْها ما يقي[٨] بِهِ الرجلُ عَرضه [مِنْ][٩] أَنْ يسعى بهِ إلى سلطان أو غيرهِ.

وفي ذلك أُغلوطةٌ تدخلُ على العُمّال مِنْ عدوّهم وأَنفسهم؛ لطلبِ سرورِ مِنْ يخافهُ لينصرفوا عَنْ إيذائهِ فيخيلُ إليهْم أَنَّهم يريدون الله عزَّ وجلَّ باتقائهُم شرَّ غيرهم بإدخالِ السرور عليهِ، ويزينُ لهُم العدوُّ ذلك بذكرِ الآثار، كالحديثِ الذي جاءَ: «وَمَا وَقَى بِهِ الرَجلُ عِرْضَهُ فَهُوَ صَدَقَةٌ»[١٠]، وقَول النَّبيّ صَلىَّ اللهُّ

---

(١) عطاء: هو عطاء بن رباح القريشي مفتي الحرم، وكان من السادات التابعين في الفقه والعلم، حدث عن: عائشة، وابن عباس، حدث عنه: قتادة وعمرو بن شعيب، ومالك بن دينار، والأعمش، فاق عطاء أهل مكة في الفتوى، توفي سنة١١٤هـ.

انظر: اللباب في تهذيب الأنساب. ابن الاثير الجزري: ج١، ص٤٢٢. سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج٥، ص٧٩.

(٢) الأزهر: أولى.

(٣) الغرباء من الغربة والاغتراب.

انظر: البارع في اللغة. إسماعيل بن القاسم: ج١، ص٣٠٨.

(٤) والجَدَّةُ: ألأمّ، وأُمُّ الأَبِ، وجمعها جَداتُ.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ص٥٦٠.

(٥) الأزهر: بينهما.

(٦) الأزهر: من.

(٧) الأزهر: به.

(٨) الأزهر: بقي.

(٩) الأزهر: من.

(١٠) جاء في الحديث:» وَمَا وَقَى بِهِ الْمَرْءُ عِرْضَهُ فَهُوَ صَدَقَةٌ«.

عَلَيهِ وسَلمَ: «إِنَّ مَنْ شِرارِ النَّاسِ مَن اتُّقيَ فُحشُهُ»[1].

فتخيل النفس إلى العَبدِ ذلك وإنَّما هو خوفُ سقوط منزلةٍ أو خوفُ ضَعةٍ[2] عِنْد النَّاسِ إذا [ذكروا][3] أو أَنفًا أو[4] كبرًا أَنْ يذكرَه مَنْ [هو][5] دونَه عِنْد نَفْسهِ؛ فيبذُلُ مَالهُ عِنْدَ ذلكَ ويخيلُّ إليهِ أَنَّهُ يريدُ الله عزَّ وجلَّ.

والذي يصحُ مِنْ ذلك أَنْ يكون وقيَ عَرضه، لأَنْ لا يذكر عَرضه فيجزعْ[6] لذلك فيستخرجَ مِنْه [الجزعُ][7] المكروه في دينهِ مِثْلِ ما نيلَ منهُ[8] [عرضَه][9] وأَدنى وأَكثرُ، فإذا فعلَ ذلك لذلك كانَ صونًا منه لدينهِ وأبقى[10] منه على قلبه أَنْ لا[11] يَتغير ويزولَ عَنْ رَّبهِ.

انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري: ج٤، ص٤٦٢.صحيح مسلم: ج٢، ص٦٩٦. مسند الإمام أحمد: ج٤، ص١٢٠.

(١) انظر: فتح الباري بشرح البخاري: ج٤، ص٤٦٩. صحيح مسلم ج٦، ص٢٠٠٣.

(٢) ضَعَة: خلاف الرّفْعَة فِي الْقدر أَي: انْحِطاطٌ ولُؤْمٌ وخِسَّةٌ ودَنَاءَةُ نقص.

انظر: تاج العروس من جواهر القاموس. محمد الحسيني: ج٢، ص٣٤٠.

(٣) الأزهر: ذكروا.

(٤) الأزهر: أو.

(٥) الأزهر: هو.

(٦) فيجزَع: أبلغ من الحزن. قال تعالى: {إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا}، المعارج:٢٠، الآية.
انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص١٩٤.

(٧) الأزهر: الجزع.

(٨) الأزهر: من.

(٩) الأزهر: عرضه.

(١٠) الأزهر: وانفًا.

(١١) الأزهر: لئلا.
لِئَلَّا: معناها: أن لا، فأدغمت اللام في النون، قال تعالى: {لِئَلَّا يَعْلَمَ أهل الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ}، الحديد:٢٩، الآية.

انظر: الإبانة في اللغة. سلمة الصحاري: ج٤، ص١٨٣

ومِنه أَغلوطةٌ أَدقُّ مِنْ البابِ الأَول على العلماءِ؛ فيخيلُ إليهُم العدوُّ وأَنفسهُم أَنَّهُم قَد قاموا بِأَعظمِ الأَمور في عبادةِ الله مِن الإشفاقِ عليهم في أَديانهم؛ فيبذلونَ أَموالهم خوفًا أَنْ تنالَ أَعراضَهم، ويخيلُ إليهم عدوُّهم وأَنفسهُم أَنَّ ذلك إشفاق منهُم على مَنْ يخافون ذلك منهم أنْ لا[1] يعصوا الله عزَّ وجلَّ فيهم ولا يثلموا أَديانهم؛ فيطلبوا إدخال السرور عليهم ليعلموا أَنَّهم قد سَرُّوهم في أَنفسهم فينصرفوا عَنْ أَذاهم، وهذهِ منزلةِ الصديقين والأَبدال[2] أَهل الحسبة[3] في عبادةِ الله في دِينهم.

فيخيلُ إليهم العدوُّ أَنَّهم يريدون ذلك لذِكْرِ الآثار لقولِ النَّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين أَعطى المؤلفةِ قلوبهم علقمه بن علاثة[4] وأبا سفيان بن حرب[5] والأقرع بن حابس[6] وغيرهم حتى غَضب بعض الأَنصارِ وقالوا: تُعطي[7] أقوامًا غنائمنا وسيوفَنا تقطرُ مِنْ دمائهم، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(١) الأزهر: لئلا.

(٢) الإبدال: جعل الشيء مكان الآخر، ويأتي المعنى في أمم الخلفاء والأنبياء والرسل صلوات الله عليهم وهم أرباب حقائق التوحيد. قوله تعالى: {فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ}، البقرة: ٥٩، الآية.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص١١١.

(٣) الأزهر: الرحمة.

(٤) علقمة بن علاثة الكلابي، أسلم على يد النبي صلى الله عليه وسلم وكان من أشراف قومه، وهو صاحب المنافرة الشهيرة مع ابن عمه عامر بن الطفيل، قال عبد الله بن عمر بن الخطاب: بينما النبي صلى الله عليه وسلم يتسحر فلما فرغ من سحوره جاء علقمة بن علاثة الكلابي فدخل عليه، فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم للأكل، توفي سنة٢٠هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. للذهبي: ج٢٨، ص١٣٨.

(٥) صخر بن حرب بن أمية بن عبد مناف تداركه الله بالإسلام يوم الفتح أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغنائم مائة من الإبل وأربعين أوقية من الدراهم، توفي سنة٣٢هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. للذهبي: ج٢، ص١٠٦.

(٦) الأقرع بن حابس بن عقال التميمي، وهو عم الفرزدق، كان من سادات العرب في الجاهلية، قال الأقرع بن حابس حين نادى: يا محمد إن حمدي زين وإن ذمي شين، فقال رسول الله: «ذلكم الله سبحانه»، وسمي الأقرع لقَرعٍ كان برأسه، توفي الأقرع في خلافة سيدنا عثمان (رض).

انظر: الإصابة في تميز الصحابة. لابن حجر : ج١، ص٥٨. تهذيب الكمال في أسماء الرجال. المزي: ج١، ص١٢٤.

(٧) الأزهر: تعطي.

«أَعطيتُ أَقْوَامًا خَشيتُ جَزَعَهُمْ وهَلَعَهُمْ، وَوَكَّلْتُ أَقْوَامًا إلى مَا جَعَلَ اللهُّ فِي قُلوبِهِمْ ومِنْهُمْ عَمْرُو بْنُ تَغْلِب[1]»[2].

وهذا تحملٌ[3] في الإشفاقِ عليهم وعلى أَهلِ الإسلام معنيين أَنْ يكونَ أَشفقَ عليهم أَنْ يعصوا الله عزّ وجلّ، وأَشفقُ أَنْ يَثلموا[4] في الإسلام ثَلْماً بالارتدادِ[5] وَغيرة[6] يَنتقصُ لهُ الجماعةُ ويوهنُ لهُ الدِينُ، ولذلك أَعطى أَقوامًا ومَنع آخرين.

فقال لهُ سعد[7]: «يَا رَسُولَ اللهَّ، مَا لَكَ وَفُلاَن فَإِنِّ أَرَاهُ مُؤْمِنًا، فَقالَ في آخر الحديثِ: «إِنِّي أُعْطِي رجُلًا مَخافةَ أَنَ يَكَبَّهم اللهُّ فِي النَّارِ»[8]، وقَد يفعلُ المريدُ في

(١) عمرو بن تغاب: هو عميرة التغلبي من عبد قيس، روى عن النبي (ص)، لهُ حديثين رواهما البخاري والبصري.

انظر: الأعلام. الزركلي: ج٣، ص٩٠.

(٢) الحديث: «وَوَكَّلْنَا قَوْمًا إلى مَا جَعَلَ اللَّهُ فِي قُلوبِهِمْ مِنَ الإيمَان مِنْهُمْ عَمْرُو بْنُ تَغْلِب».

انظر: صحيح البخاري: ج٣، ص١١٤٧. صحيح مسلم: ج٢، ص٧١٤. مسند الإمام أحمد: ج٥، ص١٠٣.

(٣) الأزهر: يحتمل.

(٤) ثلموا : من ثَلْمٌ أي إذا انْكسر مِن شَفَته شَيءٌ.

انظر: تهذيب اللغة. محمد الهروي :ج١٥،ص٦٥.

(٥) والارتداد: يعني الرجوع عن الشيء.

انظر: تاج العروس من جواهر القاموس: محمد الحسني: ج٢٣، ص٣٥.

(٦) وغيرةَ من الغرُورُ: أي اغْتُرّ بِه من مَتَاعِ الدُّنيا، قال تعالى: {إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا }، لقمان:٣٣، الآية.

انظر: تهذيب اللغة. محمد الهروي : ج٨، ص١٩.

(٧) هو: سعد بن أبي وقاص مالك بن عبد مناف بن كلاب القريشي، أحد العشرة الأولين المبشرين، واحد الستة لأهل الشورى، وله في الصحيحين خمسة عشر حديثًا، حدث عنه: ابن عمر وعائشة، وابن عباس، وسعيد بن المسيب، توفي سنة٥٥هـ.

انظر / سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج١، ص٩٣.

(٨) جاء في الحديث: «إِنِّي لأُعْطِي الرَّجُلَ وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ خَشْيَةَ أَنْ يُكَبَّ فِي النَّارِ عَلَى وَجْهِهِ».

انظر: صحيح البخاري: ج١، ص١٩، صحيح مسلم: ج٢، ص٧٣٣، مسند الإمام أحمد: ج١، ص١٨٢.

عطيّتِهِ بالإشفاقِ مِنْه على غيرِ المعطي أَنْ يُفسدَ غيرهُ إِنْ مُنعَ مِنْ ذلك.

ما رواه جابر[١] عَنِ النَّبِيِّ صَلىَّ اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الرَجل ليَسأَلني فأُعطيه، ثَمُّ ليَسأَلني فأُعطيه، فما يأخذ إلا جَمْرًا مَنْ جَهَنَّمَ»[٢].

فيغالط[٣] العدوّ العمّال في ذلك في طلبِ إدخال السرور على مَن خافوا مَذمته، لأَنْ يخفوا على قلبهِ ولا يعترضوا الدينهِ[٤]، فيخيلُ إليهم أَنُهم فيما يبذلونه إشفاقًا[٥] على المسلمينِ وعلى الإسلام، وإنَّما جزعتْ أَنفسهم[٦] مِنْ سقوطِ منزلةٍ أو مخافةِ مذمةٍ، والصحةُ مِنْ المريدين في ذلك أَنْ يعتقدوا اعتقادًا بضمائرِهم يعلمون[٧].

إن الله عزَّ وجلَّ قد عَلِم مِنْ ضمائرهم [أَنَّهُ][٨] لولا الإشفاقِ على مَنْ يتفضلون عليهِ من أَهلِ الإسلام أو على بعض المسلمين أو على أَديانهم أَنْ يفارقوهم إنْ ذموهم ما بذلوا ذلك لِمَنْ أَعطوهُ وإنْ ذموهم، فإذا حصلتْ قلوبهم كذلك مِنْ غير أَنْ يضيعوا في أَنفسهِم أو [في][٩] عيالاتهم[١٠] أو فيما

---

(١) هو جابر بن عبد الله الأنصاري ابن عمر المجتهد الحافظ صاحب رسول الله (ص)، الفقيه، روى عن: أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب. حدث عنهُ: ابن المسيب، عطاء بن رباح والحسن البصري حديثًا، مات سنة ٧٨هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. للذهبي: ج٣، ص١٩٠. ١٩٤.

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد: ج٤، ص١٨١، الترغيب والترهيب. زكي الدين المنذري: ج١، ص ٣٢٥.المعجم الكبير. الطبراني : ج١، ص٩٧.

(٣) فيغالط، غلطَ: أَنْ تَعْيا بالشَّيْءِ فَلاَ تَعْرِفَ وَجْهَ الصَّوابِ فِيهِ.

انظر: تاج العروس من جواهر القاموس:. محمد الحسني: ج١٩، ص٥١٧.

(٤) الأزهر: لذمهِ.

(٥) الأزهر: يشفقون.

(٦) الأزهر: نفوسهم.

(٧) الأزهر: فيعلموا.

(٨) الأزهر: إنهُ.

(٩) الأزهر: في.

(١٠) الأزهر: عيالهم.

عليهم من الحقوقِ للعبادِ ما هو أَولى بهم، فَقد زالَ عنهم الجزع (١)، وَصحتْ منهُم النيّة في إعطائِهم، وقد يعترضُ في هذين البابين أَغلوطةٌ يخيلُ إلى العَبْدِ أَنَّه مطيع فيعصي الله تعالى ويبذلُ مالهُ على غلطٍ وخطأٍ من ذلك أَن يكون العَدّو قد أَراد أَن يستدرجهُ بذكْرِ الإشفاق على دينهِ أَنْ يكافئ مَنْ أَذاه، ويذكّرهُ الإشفاق على مَنْ يخافَ أَذاه فيريدُ أَنْ يستخرجَ مِنه مالهُ في غيرِ موضعهِ ويعصي الله فَيمن أَعطاه؛ فيخطرُ ببالهِ الدعاء إلى سوءِ الظنَّ بالتهمةِ له [قائلًا](٢): إنكَ إنْ لَمْ تواسيه(٣) أو تعطيهِ وقع فيك وشَتمكَ، وقد ستَر ذلك عنهُ ولم يعلمهُ يقينًا منه؛ فيعتقد(٤) ذلك ويحققه(٥) ويبذل مالهُ من أَجلهِ، ورُّبما كان المعطي بريئًا من ذلك فجمع [العبد] (٦) خَلتين بسوء الظنِّ بالمسلمِ المستور [وإنفاقِ](٧) وبذلِ مالهُ بالإشفاقِ فيما يخيّلُ إليهِ بسوءِ ظنٍّ(٨) [الذيَ](٩) أَهاجه(١٠) على

عيالاتهم من العَوْل: تعني ما يثقل من المصيبة، فيقال: ويلهُ وعوله، ومنه العيال «ابدأ بنفسك ثم بمن تعول».

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٥٩٧.

(١) الجزع: هو أبلغ من الحزن، قوله تعالى: {سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا}، إبراهيم :٢١.
انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص١٩٤.

(٢) الأزهر: قائلاً.

(٣) الأزهر: تعطه وتواسه.
تواسيه أصلها من أَساهُ أي عزاهُ، وصبره.
انظر: جمهرة اللغة. محمد الهروي: ج١، ص٢٣٨.

(٤) الأزهر: فعند.

(٥) الأزهر: وتحققه.

(٦) الأزهر: العبد.

(٧) الأزهر: إنفاق.

(٨) الأزهر: الظن.

(٩) الأزهر: الذي.

(١٠) أهاجهُ من أَهجْ: أثاره واستفزّه، أهاجتِ الرِّيحُ النَّباتَ: أيبسته.
انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة. أحمد المختار : ج٣، ص٢٣٨٢.

ذلك، فهذا بابٌ غامضٌ يختدع[1] فيهِ العدوّ[2]، وبعض العمّال يخيلُ إليهم بذلك أَنَّهُم مطيعون وهم عاصون.

(١) الأزهر: يختدع.

(٢) الأزهر: العدو.



مسألة في إسرار العمل[1]

قلتُ: كيف الإسرار بالعملِ[2] مِنْ المخلوقِين لا مِن الخالقِ؟

قالِ: الإسرار [بالعملِ][3] على نوعين:

أَحدهما: إخفاءُ عمل الجوارح[4] مِنْ أَبصارِ الخلقِ[5] وأَسماعهم.

والنوع الثاني: [إخفاء][6] ما تحنُّ [به][7] القلوب وتخفيه عن العباد وأَبصارهم، وإنْ كانتْ أعمال الجوارِح لهم بادية، فلا يبدي الصادقون من أعمال جوارحهم[8] إلا ما كان إبداءه أَقرب إلى مليكِهم[9]، ولو أَمكنَهم القربةَ بذلكَ مِنْ غير إظهار لأعمالهم لمْ يظهْروها؛ لأَنَّهم قانعون بعِلْمِ مَنْ يعاملونَ، ولكنْ لا يمكنهُم ذلك لخلّتَين:

---

(١) الأزهر: مسألة إسرار بالعمل.

(٢) العمل: المهنة والفعل، والجمع أعمال، عَملَ عملاً، وقال تعالى: {وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ}، التوبة: الآية.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج١٠، ص٣١٧٠.

(٣) الأزهر: بالعمل.

(٤) الجوارح: هي جوارح الإِنْسَان نَحْو الْيَدَيْنِ وَالرّجلَيْنِ والأذنين والعينين، وَفِي الحَدِيث: «فَتَنْطِق الْجَوَارِح يَوْم الْقِيَامَة».

انظر: جمهرة اللغة. محمد الهروي: ج١، ص٤٣٧.

(٥) الأزهر: الخلائق.

(٦) الأزهر: إخفاء.

(٧) الأزهر: به.

(٨) الأزهر: الجوارح.

(٩) مليكهم: الملك وهو الله تعالى، ملك الملوك لهُ، قوله تعالى: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}، الفاتحة :٤، الآية،

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ص٤٢٦٧.

أحـدهما: إنَّ مِن الأعمالِ ما لا يمكنِ فعلها سرًّا، وقد مَدح الله سبحانهُ السرَّ والعلانية؛ فالسرَّ أفضلُ ما أمكن العملُ سرًّا، فإذا لم يمكن؛ فالعلانيةُ أولى مِنْ تركِ العملِ.

والخلة الثانية: [أنَّهم][1] قد يمكنهم [العملُ سرًّا][2] أن يسروا العمل، ولكنْ أظهروه للقدوة من غيرهم بهم رغبة [في][3] أن يصيبوا مثل أجور من اقتدى بهم مع أجورهم.

وليستْ القدوة لكلِّ أحدٍ تجوز في أكثر الأعمال، ولكن لِمَنْ قويَ على دفع التَصْنّع[4] في وقْتِ عملِه، وَبعدو[5] منَ[6] كانَ يَضعهُ مَن أظهر لهُ موضعًا للقدوةِ والعبْد الصادق فيما يُظهر يَستحيِ مِنْ الله أنْ يُظهر مِن عملِهِ أكثر مما يسرُّ، بلْ لا يكادُ يكون فيعمله إلا وسِرّهُ أفضل مِنْ ظاهرِهِ؛ لأنَّ لله [تعالى][7] سبحانه ينفردُ بعملِ سرّه وإنما يظهر مِنْ عملِهِ مالا يجد بُدًا[8] مِنْ إظهارِهِ.

فأقلُّ عمله يظهر مع سِرٍّ مِنه في ضميرِهِ إذا خَلا[9] أبدَاهُ بجوارحه؛ كالبكاءِ

---

(١) الأزهر: إنهم.

(٢) الأزهر: العمل سرًا.

(٣) الأزهر: في.

(٤) التصُنعُ: تكلّف حُسْن السَّمْت وإظهاره والتزيُّن بِهِ وَالْبَاطِن مَدْخُول.
انظر: تهذيب اللغة. محمد الهروي: ج٢،ص٢٤.

(٥) الأزهر: وبعده.
وبعْدُو: من البُعْد: ضد القرب، بحسب اعتبار المكان، قال تعالى: {قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا}، النساء: ١٦٧، الآية.
انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص١٣٣. لسان العرب. ابن منظور: ص٣٠٩.

(٦) الأزهر: ومن.

(٧) الأزهر: تعالى.

(٨) بدا: أي ظهر ظهورًا بيِّنًا، بقوله تعالى: {وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ} الزمر:٤٧، الآية.
انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص١١٣.

(٩) خَلا: خَلا يَخْلُو خُلُوًّا إذا لزم مكانه.
انظر: العين. الفراهيدي: ج٤، ص٣٠٨.

والتحنُّن[1] وشدة التضّرع، كل ذلك [يجبُ أنْ][2] يسترهُ مِن العبادِ إذا أَظهَر العمل َبجوارحه إلا ما قَدْ غَلبهُ مِنهُ، وقد رويَ في حديثٍ:

((إنَ العبدَ إذا أَظهرَ العملَ بجوارحِهِ استوَتْ[3] سريرتهُ وعلانيتهَ، قال: الله عزَّ وجلَّ: [هَذَا][4] فلانٌ عَبْدِي حَقًّا))[5]، يعني وليِّي حقًا واستواءُ السِّريرة[6] والْعَلَانِيَة[7] على جهتين[8]:

أحدهما: في الفرض[9] والأخرى في النَّافِلَةِ[10]، فَمَنْ[11] كانَ في الفريضةِ فكانتْ سريرتهُ أكثر، أَقل مِنْ علانيتهِ فيما يخفي[12] مِنْ عملِ جوارحِهِ، وما

---

(١) التحنُنّ أصل الكلمة هي (حنَّ)، الحنين: النزاع المتضمن مع صوت، ولذلك يعبر بالحنين، وقوله تعالى: {وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا}، مريم:١٣، الآية.
انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٢٥٩.

(٢) الأزهر: يجب انْ.

(٣) الأزهر: فاستوت.

(٤) الأزهر: هذا.

(٥) انظر: الزهد. وكيع بن جراح: ج٣، ص٨٤٨. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. لأبي نعيم: ج٢، ص٢٠٥

(٦) : السَّرِيرةُ: ما غَمضَ منها واطْمَأَنَّ، قال تعالى: {يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى}، طه:٧، أُقضيت إليه في خفية.
انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٤٠٤.

(٧) الْعَلَانِيَة: وَهُوَ الظَّاهِر الْأَمر الَّذِي أمره عَلَانِيَة وهو خلاف السَّرِيرة.
انظر: المحكم والمحيط الأعظم. علي بن إسماعيل : ج٢، ص١٥٨.

(٨) الأزهر: وجهين.

(٩) الفريضة وَ (فَرَضَ) أَيْ أَوْجَبَ، وَالِاسْمُ (الْفَرِيضَةُ) لَهُ مَعَالِم وَحُدُود، أي أوجب عليك العمل بهِ، قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرآن} القصص:٨٥، الآية.
انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٦٣٠.

(١٠) النافلة هي الِصلَاة، وتسمى النَّافِلَة سُبْحة: وهي من صلوات وأعمال البر ليست مفروضة، وكل شيء كان زيادة على الأصل فهو نفل، أي: فضيلة، قال تعالى: {ومِنَ اللَّيلِ فتهَجَّدْ بِهِ نافِلةً لَكَ}، الإسراء: ٨٩ الآية.
انظر: كتاب الألفاظ. يعقوب بن إسحاق : ج١، ص٤٦٠.لسان العرب. ابن منظور : ج٢، ص٤٧٣.

(١١) الأزهر: فما.

(١٢) الأزهر: يخفى.

يخفى مِنْ ضمير قَلبهِ فقد جار وأَساء.

والوجه الآخر: أَنْ يكون [في][1] نافلتهِ[2]، [فإنْ كانتْ][3] أَقلُّ مِنْ سريرتهِ[4][علانيتهُ][5] فيما يخفي[6] مِنْ عملِ جوارحهِ، فقْد يكون في ذلك جائرًا مسيئًا وقد لا يكون مسيئًا.

فأما الذي يكون بهِ[7] مسيئا فهو أَنْ يكون ما يظهر مِن الزيادة مِنْ عَملِ جوارحهِ[8] على ما يخفى ويستر ليكثرَها ويكملها تصنعًا للعبادِ وحبّ[9] المنزلةِ عندهُم.

والوجهُ الآخر: الذي لا يكون [بهِ][10] مسيئًا ويكون منقوصًا أَنْ يكون يزدادُ على ما يُخفى مِنْ نافلتهِ لأتعاضهم واعتبارِهم [ولا يعتبر هذا مسيئًا في][11] نقصٍ أَلّا تكونَ في سريرتهِ.

فإنَّما[12] يُذكر الله بالكمال إمّا زيادة ظاهرهِ على ما سميّ فيما يظهر مِنْ عملهِ في عقدِ صدقة فلا يكونُ [به][13] إلا مسيئًا جائرًا، إلّا أَنَّ ذلك لا يكون إلا تصنعًا

(١) الأزهر: في.

(٢) الأزهر: النافلة.

(٣) الأزهر: فإن كانت.

(٤) الأزهر: سريرتهُ أقل من.

(٥) الأزهر: علانيتهُ.

(٦) الأزهر: يخفى.

(٧) الأزهر: فيه.

(٨) الأزهر: الجوارح.

(٩) الأزهر: وحبًا.

(١٠) الأزهر: به.

(١١) الأزهر: ولا يعتبر هذا مسيئًا في.

(١٢) الأزهر: لانهُ.

(١٣) الأزهر: بهِ.

ورِيَاءً[1] لهُم، والناسُ في استواءِ السريرةِ والعلانيةِ على ثلاثةِ أَوجه :

فإذا زادتْ العلانيةُ على السريرةِ لمْ تَخْلُ أَنْ تكون معصيةً أو نقصًا إلاّ ما يريد بهِ القدوة.

وإذا استوتْ السريرةُ والعلانية فذلك العْدلُ مِنْ[2] فِعلِ العْبدِ[3].

فإذا زادتْ السريرةُ على العلانيةِ فذلكَ منهُ فضلٌ وعظمُ درجةٍ في الطاعةِ وشرفُ مقام.

ولولا أنَّ الآثار جاءتْ بفضل السرِّ على العلانيةِ، وإنَّ النفسَ والعدو[4] ينازعان إلى طلبِ حمدهم[5][للمخلوقين][6] وخوف مذمتهم، وأَنَّ العْبد لا [يجوز أنْ][7] يأنَسَ بالمخلوقين كأُنسهِ بالصلاةِ، ما كانَ ينبغي لهُ أَنْ يكون في عَلانيتهِ مِثله في سريرتهِ حتى يُبْدِي إذا حضرهُ[8] مثل ما يخفي إذا حَضرهُ[9]، لأَنَّه لا معنى أَن يختار[10] بهِ مِنْ أَحد لو يدرك مَنْفعةً، فهم في نَظَرِهِمْ إلى عملهِ

---

(١) الرِّيَاء: إظهار جميل الفعل رغبة في حمد الناس لا في ثواب الله تعالى.
انظر: معجم الفروق اللغوية. العسكري: ج١، ص٥٤٧.

(٢) الأزهر: في.

(٣) الأزهر: بهِ.

(٤) الأزهر: العدو.

(٥) الأزهر: حمد.

(٦) الأزهر المخلوقين.

(٧) الأزهر: يجوز أن.

(٨) الأزهر: حضروه.
حُضْرِه: يأمره بالجدِّ في مشيهِ.
انظر: المنتخب من غريب كلام العرب. علي بن الحسن الهُنائي الأزدي:ج١،ص٢٩٧.

(٩) الأزهر: حَضروه.

(١٠) يَخْتُر: هُوَ الخَديعة بعَينها، هو ضعف الاجتهاد فيه، قال تعالى: {وَمَا يَجْحَدُ بِآَيَاتِنَا إِلاَّ كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ} لقمان :٣٢، الآية.
انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٢٧٤.تاج العروس: ج١١، ص١٣٥.

وزوالِ النَظر منهُم واحد لا معنى يوجبُ نَظَرِهِمْ خيرًا في دِين، ولا [في][1] دنيا لأنَّـهم كالبهائم[2] في نَظَرِهِمْ [3] مِنْ جهةِ المَنْفعة لهُ في دنياهِ وفي آخرتهِ إذ لا يملكون نفعًا ولا ضَرًا، ولكن جاءتْ الآثارُ بفضل السّر وهو أحرزُ العملين وأبعْدُ من قوةِ الخاطر، والعامل المحبَّ لله تعالى يَنقبَّضُ[4] مِنْ[5] الخلْقِ ولا يأنسُ بهم، ويأنس بالخالقِ فيبدي كلَّ ما عندَهُ [إليهِ][6].

وقـالَ: ثلاثُ خلالٍ يرثها التاركُ [محبوباتهِ][7] لله عزّ وجلّ [خوفًا][8] ما[9] يباعدهُ مِنْه، إحـداها: أَنْ يألف[في] [10]العملِ حلاوة الآمال في الله عزَّ وجلَّ أَنْ يطلع بالرضى على مَنْ ترك مَحبّتهُ لمحبتهِ.

والثانية: إياسُ النفسِ ممّا عوّدها مِن الرُكْونِ [11] إلى ما يكره الله عزَّ وجلَّ مّما تلتُّذ[12] بهِ ويسرُّها لأَنَّ مِنْ عَودته عادةً ثمَّ مَنعتهُ لَمْ ييأَسْ ممّا عودته فإذا

---

(1) الأزهر: في.

(2) البهائم من البهيمة التي لانطق لها، قال تعالى: {أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ}، المائدة: ١.
انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص١٤٩.

(3) الأزهر: نظرهِ.

(4) يَتَقَبَّضُ: قرقفَ، يمضي. كنوع، وَفِي الْحَدِيثِ: « أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُنُوعِ ».
انظر: معجم مقاييس اللغة. أحمد بن فارس: ج٥، ص١٤٢. غريب الحديث. أبي عبيد القاسم: ج٣، ص٩٧٤.

(5) الأزهر: عن.

(6) الأزهر: إليهِ.

(7) الأزهر: محبوباتهِ.

(8) الأزهر: خوفًا.

(9) الأزهر: مما.

(10) الأزهر: في.

(11) الركْونِ: من رُكْنٌ كل شَيْء جَانِبه، قال تعالى: {وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ}، هود: ١١٣.
انظر: جمهرة اللغة. محمد بن الحسن: ج٢،ص٧٩٩.

(12) الأزهر: تستلذ.

أَدَمنتْ[1] المْنْعُ[2] وَرَأَى[3] الجَدَّ[4] في المنْع لهُ أَمنَ[5] فسكنَ فإذا يئستَ[6] النفسُّ فسكنتْ عَنْ المنازعةِ بقيَ العملُ بحلاوةِ معاملتهِ ومناجاتهِ.

والثالثة: إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يقبلُ عليهِ بالمعونةِ له إذا يسَّر للسالكينَ الطريق إليهِ تسهيلهُ وتخفيفهُ عليهُم فيصير الغَمَّ[7] مِنْه في ما كان يسرُّ[ه][8] بهِ و[يصيرُ][9] سروره فيما كان يغتمَّ [بهِ] [10] لأنَّ سروره كانَ في إصابةِ لـذَّتهِ[11]فصارَ سروره في تركها رضى لرضى رَّبهِ وصار غَمُه في الركونِ إليها خوفًا[مِنْ][12] سخط[13] رَّبهِ وأنِّ يسقطِ مِنْ عَينه وما يصيبُ مِنْ لذةِ الترك لأَجل الرضى أَكثر مِنْ لذَّة

---

(١) الأزهر: آمنت.

(٢) المنعُ: أَن تَحُولَ بَين الرجل وَبَين الشَّيْء الَّذِي يُريدهُ، رُوي عَن النَّبِي (ص)، أَنه قَالَ: (اللَّهم لاَ مَانِعَ لما أَعْطَيْتَ)

انظر: تهذيب اللغة: محمد الهروي: ج٣، ص١٤.

(٣) الأزهر: ورأت.

(٤) الجَدَّ: بالكسر ضد الهزل، أي عزم ومضى فيه.

انظر: الابانة في اللغة. سَلَمة بن مُسْلِم العَوْتبي : ج٢، ص٣٤٥.

(٥) الأزهر: أمنت.

(٦) الأزهر: أيست.

(٧) الغَمَّ: أي كربة قال تعالى: {ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً}، يونس :٧١، الآية.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٦١٣.

(٨) الأزهر: يسره.

(٩) الأزهر: يصير.

(١٠) الأزهر: بهِ.

(١١) لَذَّتهِ: من لَذَّةُ: وقد لذذْت الشيء وجدتهُ لذيذًا، وَقَالَ الله عزّ وجلّ: {وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ}، مُحَمَّد: ١٥، الآية.

انظر: تهذيب اللغة. محمد الهروي : ج١٤، ص٢٩٤.

(١٢) الأزهر: من.

(١٣) السَّخط ُ: الغضب الشديد المقتضي للعقوبة، قال تعالى: {وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ}، التوبة: ٥٨، الآية.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٤٠٢.

الركون إلى [عَمل](1) ما يكرهُ الله عزَّ وجلَّ.

لأَنَّه لو رَكَنَ إلى ذلك [العملِ](2) كانتْ لذتَّه في وقتِ ركونه فقط، فإذا تركَ [شهوته](3) لله تلذذَّ بهِ ما صحبَ الدُّنيا إذا ذكرَ إنَّهُ تركها لله وإنَّهُ يرجو أَنْ يكون قد رضيَ عنهُ وداوم عزَّ الوثيقةِ أَكثر في القلب(4) مِنْ لذَّةِ الشهوةِ أَنَّهُ يلتذَّذ بموافقتهِ في وقتِ شهوتهُ [غفلَ عَنْ تَرْكَ شهوتهُ](5) فإذا عَقل أَهتمَ أيام حَياتهِ إذا كانَ لا يأمنُ أَنْ يكونَ قدْ سخط اللهُ تعالى(6) عليهِ بذلك فما دونهِ عِزَّ اللّذةِ أَكثر في قلبهِ مِنْ إصابةِ اللَّذةِ.

---

(1) الأزهر: عمل.

(2) الأزهر: العمل.

(3) الأزهر: شهوتهُ.

(4) الأزهر: في القلب أكثر.

(5) الأزهر: غفل عن ترك شهوتهُ.

(6) الأزهر: الله تعالى قد سخط.



مسألة في الشهرة

قلت: ما الشهرة؟

قال: هي فعلٌ أو زيٌّ[1] يبينَّ به فاعلَه عن العوام في فعلِهم وزيِّهم، فتِلكَ هي الشهرة، وذلكَ كَاللِّبَاسِ يلبسُه العبد خلافَ زِيِّ العَوَام[2]، أو كَرُكُوبِ المرْكِب أو زِيِّ المرْكِب، أو التكلُّفُ للزِّيِّ في بدنِه؛ كحلْقِه الشَّعرَ أو ترفِيعِه أو تطْويلِه، وكذلك[في][3] إظهار الذِّكرِ بجَهرِ[4] الصَّوتِ، أو عَضَّة[5] العوام، أو ما شابه ذلك مما يبيِّن به فاعِلُه عن العَوَام.

ثم اختلَفَ الناسُ فيمَا نُهِيَ عنْهُ مِنَ الشُّهرةِ و[ما] [6] كُرِهَ منها، فقال قوم: من فعَلَ ما حرَّمَ اللهُ عليهِ لِزِيٍّ[7] أو غَيره كلِبْسِ الحريرِ[8] والدِّيباجِ[9] أَوْ لِبسِ

(١) الزِّيُّ: هو الهيئة التي عليها الناس، والجمع أزياء.
انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج٢١، ص١٩٠٣.

(٢) العوَامُ: هامَّة الراكِبِ إذا بَدا لَكَ رأْسَه من الصَّحَراء وهُو يسِير، وهُو الذي عَلَيهِ عمَامَة.
انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج٣٤، ص٣١٧٨.

(٣) الأزهر: في.

(٤) جهْرٌ: الجيم والهاء والراء أصلٌ واحد، وهو إعلانُ الشَّيءِ وكشفِه وعُلوِّه.
انظر: معجم مقاييس اللغة. أحمد بن فارس: ج١، ص٤٧٨.

(٥) العضَّة: الإفكُ والبهتانُ والقوْلُ الزُّور، رُويَ عنِ النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (ألا أنبئُكم ما العضَّة؟). قالوا: بلى يا رسول الله. قال: (هي النَّميمة).
انظر: تهذيب اللغة. محمد الهروي: ج١، ص٩٤.

(٦) الأزهر: ما.

(٧) الأزهر: من زي.

(٨) الحرير: وهو القهز ثياب بيض ناعمة من القز، يُجلب من مصر، وقد نُهِيَ عن لبسها.
انظر: المخصص. علي بن إسماعيل بن سيده المرسيّ: ج١، ص٣٨٦.

(٩) الديباج: نوع من شفاف الثوب يظهر ما وراءه من رقته.

الذهَبِ أو تَطْويلِ الشّعرِ بغَيرِ فِرَقٍ خِلافِ السُّنَّة، أو تطْويلِ الشاربَيْن أو مَا أشْبَه ذلكَ ممَّا نُهيَ عنه في كتَابٍ أو سُنَّة.

لأنّ كل مالَم يُنْهَ عنهُ في كتابٍ أو سنّةٍ فمُباح حّلالٌ طلقٌ، والله والرسول[١] لا يحظران[٢] المباح للعباد بعد إباحته إلا بالنسخ له بالنَّهي؛ فيدخلَ في بابِ النَّهي لا في[٣] بابِ الإباحة، وما سِوَى ذلك فمُباحٌ من لِبْسِ الصّوف أو رُكوبٍ على غَير ما يركَبُ العَوَامُ؛ كالرجلينِ إلى جانبٍ أو كما تَيَسَّرَ، أو غير ذلك.

وقال قوم: الشّهرةُ ما نُهيَ عنه من الفِعلِ وإن كان المفعولُ به ليسَ بمُحرَّم، ومن ذلك تشبُّه الرجالِ بالنَّساءِ والنِّساءِ بالرجالِ في زِيِّهم وركوبهم؛ لأن النبيَ صلى الله عليه وسلم لَعَنَ[٤] المتشبهاتِ من النساءِ بالرجالِ، والمتشبهين من الرجال بالنساء[٥]، وقال: «أخرجُوهُمْ من بُيوتِكُم»[٦].

فإن لبس الرجل قميص برشكات[٧] أو تقنع بمقنعة [٨] أو صَبَغَ قميصَه

انظر: المنتخب من غريب كلام العرب. علي الأزدي: ج١، ص٤٧٣.

(١) الأزهر: ورسوله.

(٢) يحضر: فإذا انتهوا إلى المستقبل قالوا يحضُر، بالضم، رجوعًا إلى الأصل.
انظر: تاج العروس من جواهر القاموس. محمد بن عبد الرزاق الحسيني: ج١١، ص٣٨.

(٣) الأزهر: مع.

(٤) اللعن: هو الطرد والإبعاد على سبيل السخط من الله، قال تعالى: {أَلاَ لَعْنَةُ اِلله عَلَى الظَّالِمِينَ}، هود: ١٨.
انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٧٤١.

(٥) انظر: المستدرك على الصحيحين. الحاكم: ج٤، ص٢٧٠. سنن الترمذي. محمد بن عيسى: ج٥، ص٩٨.

(٦) انظر: صحيح البخاري: ج٥، ص٢٢٠٨. مسند الإمام أحمد: ج١، ص٢٦٦. سنن الترمذي: ج٥، ص٩٨.

(٧) برشكات: وهو يأتي باللفظ على القميص: جمعه قمصان، فإن كانت رقبة القميص ونهاية الأكمام مزخرفة تدعى برشكات.
انظر: المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب. رينهارت دوزي: ج٢، ص٤٢.

(٨) مقنعة: تشير كلمة إلى نوع من القماش الشاش الموصلي الملون، ويصنع أيضًا من الحرير، يضعه النساء للوجه.
انظر: المعجم بأسماء الملابس عند العرب. رينهارت دوزي: ج٣، ص١٨٦.

بعصفر[١] أو الورس[٢] وغير ذلك، كذلك إن لَبسَ [الرجُلُ][٣] الحُلِّي في يديه أو رجلَيْهِ، وكذلك إن تَزَعفَر[٤] أو تَخلَّق وأمثال ذلك؛ فذلك الشهرةُ في الرجالِ إذا فعلُوهُ وتزيَّنوا [به][٥] لخلاف فِعَالِ الرجال من المؤمنين وزِيِهِّم.

وكذلك النساء أن يلبسْنَ الأقْبية[٦] أو قُمصِ الرجال المخطوطات، ويظهرن الشّعُور[٧] كالرِّجَالِ، ويَلْبَسْنَ النَعَالَ[٨] على حُذَا الرجالِ، ويتفرَّسْنَ[٩] عَلى الدَّوَابِ أو يتقَلَّدْن[١٠] السُّيُوفَ ويأخُذْن الرِّمَاحَ، أو يتردَّدْن[١١] في الطُّرقاتِ، أو

---

(١) العصفر: نبات سلافته الجريال، وقد عَصفرَت الثوب فتعَصْفر أي صَبَغْتُه بِلَون.
انظر: تهذيب اللغة. محمد الهروي: ج٩، ص١٨٣.

(٢) ورس: نبت أصفر يكون باليمن تُتّخَذ منه الغمرة للوجه، وتعطَّر به الكوفية وردنان الثياب.
انظر: المعجم بأسماء الملابس عند العرب. رينهارت دوزي: ج٨، ص٣٣.

(٣) الأزهر: الرجل.

(٤) تزعفر: أصل الكلمة (الزغفران): هذا الصبغ معروف وهو من الطيب.
انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج٧، ص١٨٣٣.

(٥) الأزهر: به.

(٦) الأقبية: هي جمع قباء: توصف للثياب المجتمعة أطرافه شديد الضيق من الأعلى، وتكون من الحرير أو الديباج.
انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج٧، ص٣٥٢٣. معجم بأسماء الملابس عند العرب. رينهارت دوزي : ج٣، ص٣٣.

(٧) الشعور: أصل كلمة الشعر، والشعر مذكران ونبته الجسم، وجمعه أشعار وشعور.
انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج٤، ص٢٢٧٤.

(٨) النعل والنعلة: ما وُقِيَت به القدم من الأرض، خرطَت صدرها ودقَّقتْهَا مقابلتها أن تثنى ذؤابة، الشراك: سير النعل.
انظر: المحكم والمحيط الأعظم. علي بن المرسي: ج٢، ص١٥٩.

(٩) الأزهر: وسفرهن.
ويتفرسن: وهي كلمة لأصل ركوب الدابة (الفرس)، وجمعها فرسن، فرسن.
انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج٧، ص٣٣٨٢.

(١٠) يتقلدن: من قلد: (قلد) القاف واللام والدال أصلان صحيحان، يدل أحدهما على تعليق شيء على شيء وليه به.
انظر: معجم مقاييس اللغة. أحمد بن فارس: ج٥،ص١٩.

(١١) يتردَّدْن من تردَّد: حيث كثرت الفعل.
انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج١٨، ص١٦٢١.

ما أشبه ذلك، فتلك الشهرة بعَيْنِها فيهنّ[1]؛ فقد نَهَى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك الرجال والنساء، وإن كانَ[2] الثيابُ التي يلبسون ويتزينون بها ليس بمحرمة.

وقال قوم: الشهرة خلاف ما يلبسه أهل الدين من زِيّ الرُّهبَانِ[3] من البرانيس[4]، وجباب[5] الصوف السود التي [لبست][6] ليس بزي المسلمين، وإذا خرج من زِيِّ المسلمين إلى زِيِّ أهلِ الكتاب فهو مشهور في[7] المسلمين إذا كان ليس من زِيِّهِم ولا مِن لِبَاسِهِم.

---

(١) الأزهر: منهن.

(٢) الأزهر: كانت.

(٣) الرهبان: من الرهبانية أي غلوّ في التعبد، قوله تعالى: {وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ}، الحديد: ٢٧، الآية.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٣٦٦.

(٤) الأزهر: البرانس.

البرنس: قلنسوة طويلة وكان النساك يلبسونها في صدر الإسلام، تبرنس أي الرجل لبس البرنس.
انظر: المعجم بأسماء الملابس عند العرب. رينهارت دوزي : ج٢، ص٤٧.

(٥) الأزهر: جبب.

جبة: وهو رداء طويل من الصوف مفتوح، وجاءت الكلمة من (الوجب) وهو سقاء عظيم: أي من جلد تيس وافر.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج٨، ص٤٧٦٨.معجم بأسماء الملابس عند العرب. رينهارت دوزي: ج٣، ص٣١.

(٦) الأزهر: لُبسَت.

(٧) الأزهر: بَينَ.

فأمَّـا لِباسُ الصُّوف والرِّقَاعِ[١] للخُرُوقِ التي تحَدثُ فِيه، وتشمير[٢] الثياب، [وإسدال[٣] الشعور][٤]، واستئصال[٥] الشعر، والركوب في جانب؛ ليكون أسهل لركوبه، فما زالت الرسل والنبيون والصالحون يفعلون [ذلك][٦] وعوام الفقراء وأهل الصناعات كالحمالين والملاحين وغيرهم، كيف[٧] يكون شهرة أن يفعل ما فعله الصالحون [من][٨] قبله[٩] وما يفعله فقراء المسلمين وعوامهم[١٠] وأهل صناعاتهم[١١].

وهذا المبيَّن عن المسلمين، إنما[١٢] هو كواحدٍ منهم، بل قد لَزِم زِيَّ الصالحين قبله، وإنما الشهرة خواصٌّ للأغنياء[١٣] المترفين بإحداثهم الزِّيَّ الذي لم يكُن يتزيَّنُ[١٤]

---

(١) الرقعة: جمعه (الرِّقاع): أي يلحم الثوب، وفيه مرتَقَعٌ لمن يصلحه أي موقع الخياطة، وكل ما سدد خلة فقد رقعته.
انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج٣، ص١٧٠٥.

(٢) تشمير: أي كفَّت الشيءِ إذا ضَمَمتَه إلى نفْسِك.
انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج٧، ص٣٨٩٦.

(٣) إسدال: من سدل، وهو سَدْلُ الشَّعرِ والثَّوبِ، أي إرخاؤه.
انظر: معجم مقايس اللغة. أحمد بن فارس: ج٢٩، ص١٤٩.

(٤) الأزهر: وإسدال الشعور.

(٥) الاستئصال: من الجذر، جذرتُ الشيء جذرًا أي: استأصلته.
انظر: معجم مقايس اللغة. أحمد بن فارس: ج١٠، ص٣٩٠.

(٦) الأزهر: ذلك.

(٧) الأزهر: وكيف.

(٨) الأزهر: من.

(٩) الأزهر: قبل.

(١٠) الأزهر: وعوام المسلمين والفقراء.

(١١) الأزهر: الصناعات.

(١٢) الأزهر: وإنما.

(١٣) الأزهر: والمترفين.

(١٤) الأزهر: يتزيّن.

به الرسل والأنبياء؛ كالطيالسة[١] الطرازية[٢] والمطبقة[٣] والثياب الناعمة.

قال قوم[٤]: الشهرة على قدر الأزمنة لا على قدر الفعل؛ لأننا قد وجدنا عدة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والتابعين قد لبسوا في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وبعدها البرانس، ومن ذلك ما روى وائل بن حجر[٥]: أنه رأى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عليهم البرانس، ثم التابعين من بعدهم؛ شريح[٦] وإبراهيم[٧] والشعبي[٨] وغيرهم، فهو في زماننا اليوم شهرة؛ لأنه لم يتزين به إلا النصارى.

---

(١) الطيالسة: من الطيلسان: وهو كساء أسود اللون، وإنه لباس التشريف.
انظر: المعجم بأسماء الملابس عند العرب. رينهارت دوزي : ج٣، ص٣٠.

(٢) الأزهر: الطرازية.
الطرازية: من كلمة طرَّز، الثوب تطريزًا، والطرز والطِّراز تعني الهيئة.
انظر: المعجم بأسماء الملابس عند العرب. رينهارت دوزي : ج٨، ص١٨٣.

(٣) والمطبقة: من الطبق: كل غطاء لازمَ على شيء، والجمع أطباق معناه بعضه فوق بعض.
انظر لسان العرب. ابن منظور: ج٦، ص٢٦٤٠.

(٤) القوم: وائل بن علقمة، الإمام أحمد بن حنبل٢٤٦هـ.، الإمام مسلم بن الحجاج ٢٦١هـ.
انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود. محمد أشرف أبادي : ج٣، ص.٣٠٦.

(٥) هو وائل بن حجر بن سعد المعروف بأبي هنيد الحضرمي، أحد الأشراف، كان سيد قومه ونزل العراق.
انظر: سيرة أعلام النبلاء. الذهبي: م٢، ص٥٣٧.

(٦) خويلد بن عمرو الخزاعي ثم الكعبي، وقيل عمرو بن خويلد وقيل كعب بن عمرو، أسلم قبل الفتح، وكان معه لواء خزاعة يوم الفتح، وروى عن النبي (ص) أحاديث، وعن ابن مسعود(رض) وعن نافع بن جبير، قال ابن سعد: مات في ٦٨هـ.
انظر: الإصابة في تمييز الصحابة. شهاب الدين العسقلاني : ج٧، ص٩٨.

(٧) هو إبراهيم بن يزيد بن قيس بن مالك بن النخعي، اليماني ثم الكوفي، الإمام الحافظ فقيه العراق، حدث عن: خاله مسروق، وزيد، وتعدّ خالته من الرضاعة السيدة عائشة، روى عنه: الحكم بن عتيبة، وعمرو بن مرة حافظًا، صاحب سنة، مات سنة٩٥هـ.
انظر سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج٤، ص٥٢٩.

(٨) هو عامر بن شرحبيل بن عبدالشعبي، ابن ذي كبار من قبائل اليمن، علاّمة عصره، وحدث عن: سعد بن أبي وقاص، وأبي موسى الأشعري، شريح، روى عنه: أبي عينة، وحماد، وأبو إسحاق، وأبو حنيفة مات سنة ١٠٤هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج٤، ص٢٩٦.

وكذلك الرقاع في الثياب[1] [من الأذم[2]][3] وغيرها كما فعل عمر رضى الله عنه في زمانه، فهو اليوم شهرة في أهل الدين خاصة، لا في أهل الفقر و[المسكنة بل في][4] المسلمين الذين لا يشار إليهم بالأصابع ولا ينتقد العامة زِيُّهُم وفعلهم، وهو قول إبراهيم[5]: «البس من الثياب ما لا يزدريك[6] السفهاء[7] ولا يشهرك العلماء»[8]. فهو لباس كل زمان في علمائهم وعامتهم.

وقال قوم: ليس[9] للشهرة على قدر الأزمنة؛ لأن الجماعة الأولى هم [أهل][10] الحق، وعلى من أتى بعدهم اتباعهم[11]؛ ففعلُ الآخرين لا ينسَخُ فِعلَ الأوَّلِين من أهل الدين، بل فعلُ الأولِين وقولُهم حجّة ثابته أبدًا، خُولفت في زمن من الأزمنة بعدَهم أو لَمْ تُخالِف [فتُلبَس][12]، لا البرانس ولا الرقاع ولا

---

(١) الأزهر: في رقاع الثياب.

(٢) ذم يذم ذمًا وهو اللوم في الإساءة. أتى بما يعاب عليه، ويلام من أجله «أمر مذم».
انظر: : تهذيب اللغة. محمد الأزهري الهروي:ج١٤،ص٢٩٢.

(٣) الأزهر: من الأذم.

(٤) الأزهر: المسكنة بل في.

(٥) إبراهيم النخيعي.

(٦) يزدريك مصدرها الازدراء: الاحتقار وانتقاص الشيء. قال الله تعالى: {وَلاَ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ}، هود: ٣١.الآية وقول: عمر بن الخطاب (رض) عند دخوله القدس: (إن هولاء لايرون علينا بزة قوم، غضب الله عليهم أعينهم تزدرينا).
انظر: تهذيب اللغة. محمد الهروي: ج١٣، ص١٢٥. الزهد. لأبي وكيع: ج١، ص٩٠.

(٧) السفهاء من السفه: استعمالها لخفة النفس ولنقصان العقل في الأمور الدنيوية، والاخروية،قال تعالى:{سيقول السفهاء من الناس}، البقرة:١٢٤، الآية.
انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٤١٤.

(٨) جاء الحديث: عن الشعبي، قال: (البس من الثياب ما لا يزدريك فيه السفهاء، ولا يعيبه عليك العلماء).
انظر: حلية الأولياء. الأصفهاني: ج٤، ص٣١٨.الترغيب والترهيب. زكي الدين المنذري : ج٣، ص٨٣. الجامع الخطيب. البغدادي: ج١، ص٣٨٢.

(٩) الأزهر: ليست.

(١٠) الأزهر: أهل.

(١١) الأزهر: اتباع لهم.

(١٢) الأزهر: فتلبس.

لباس العباد من الصوف بشهرة، ولكن زيَّ مَنْ مَضَى.

فإن أَطْبَقَ أهلُ الزمانِ على خلافِهِ بالزِّيِّ والركُوب، كما كانت الأنبياء عليهم السلام تسدِلُ[1] أرجُلَها[2] مِن جَانِبٍ واحِدٍ، فاللباس[ليس][3] شُهرَة[4]، والقائم بذلك لا هو [ما][5] شهر نفسه، ولكنَّه تمسَّك بزيِّ مَن مَضىَ وأفْعَالِهِم، ورغموا[6] هم عَنْه لَيس فِعَالُه[7] شُهرَة[8]، بل [وإنما هو][9] مقتدٌ متَّبع[10]، إنَّما[11] يراد منه[12] [العبد][13] صحَّةَ إرادَتِه لله تعالى في ذلك، وفعاله تلك على صحة الأسباب.

وقال قوم: ليسَت الشهرةُ على قَدَرِ الأَزْمِنَة ولا على قَدْرِ اللِّبَاسِ؛ لأن عَامَّةَ الشُّهرَةِ في زمَنِنا قد فَعَلهُ[14] أهلُ الدين، وإنَّما هُو[15] على قَدْرِ الرِّجَالِ في أنْفُسِهِم، [وإنما][16] يشْهر اللباسَ الرِّجَالُ على قدر ذلك؛ لأنه لو تنَسَّكَ بعضُ المُلُوكِ

(1) الأزهر: يسدِلُون.

(2) الأزهر: أرجلهم.

(3) الأزهر: ليس بشهرة.

(4) الأزهر: بشهرة.

(5) الأزهر: وما.

(6) الرغم: محنة أن يفعل ما يكره على كره وذل، وأرغمته: حملته على ما لا يمتنع منه. انظر: العين. الخليل بن أحمد الفراهيدي: ج٤،ص٤١٧.

(7) الأزهر: وفعالهم.

(8) الأزهر: وفعالهم ليست شهرة.

(9) الأزهر: وإنما هو.

(10) الأزهر: تقيد واتباع.

(11) الأزهر: وإنما.

(12) الأزهر: من.

(13) الأزهر: العبد.

(14) الأزهر: فعلها.

(15) الأزهر: هي.

(16) الأزهر: وإنما.

ثُم لَبِسَ زِيَّ المساكين من الصوف وغيره لاستنكرته العامة وشهَرَتْه بالحديث والذكر؛ لأنه خلاف زِيِّهِ وزِيِّ أهلِ بيتِهِ، لأنه[1] قَدْ لبِسَ ذلك اللِّبَاسَ مِنَ العَوَامِ والحَمَّالِين، وغيرهم؛ فلا[2] تُشْهِره العَامَّة ولا تَسْتَنْكِره، وقد رُوِي عن بَعضِ وِلدَان عُمر[3] أَنه لَبِسَ ثَوبًا، فقال له ابنُ عمر[4]: أَمَّا عَلَيكَ أنتَ فَهو شُهرَة، وكذَلِك كلُّ مَن عُرِفَ بزِيٍّ مِن زِيِّ الأَغْنِيَاءِ فَغَيَّرَ زِيَّهُ إِلَى التَّقَشُّفِ[5].

كمن عُرِف بلِباس[6] المَرْوِي[7] (فانتقَل إلى اللِّباس الصُّوف واستنكرته العامة على قَدْرِه، حتى أنه لَيُشارُ إليه بالأصَابع)[8]؛ وهذا لِيَكثُرَ[9] فِيهِ الأحاديث، وكل من عُرِف بلباسٍ [من][10] الصوف الذي قَد لَبِسَه[11] العامَّة فانتقَل إلى المشهور

---

(١) الأزهر: لأنه.

(٢) الأزهر: فلا.

(٣) ولدان عمر: هو عبيد الله بن عمر ابن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب. الإمام المجود الحافظ أبو عثمان القرشي، سمع من: سالم بن عبد الله، والقاسم بن محمد ونافع، وخاله حبيب بن عبد الرحمن. انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج٣، ص٣٠٥.

(٤) ابن عمر: عبد الله بن عمر بن الخطاب أبو عبد الرحمن القريشي الإمام القدوة محدث، وفقيه، محل ثقة الناس، روى عن: النبي (ص)، أبو بكر، عمر بن الخطاب، روى عنه: آدم بن علي، وأنس ابن سيرين، والحسن البصري، توفى سنة ٧٣هجرية.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج٣، ص٢٠٤.

(٥) التقشف: لبس الثياب المرقعة الوسخة، والقشف: شدة العيش، والمتقشف: المتزهد.

انظر: التعريفات الفقهية. محمد البركتي: ج١، ص٦٠.

(٦) الأزهر: بلبس.

(٧) المصنف رحمه الله.

(٨) قال الجنيد البغدادي: (مات أبو الحارث وفي موته كان محتاج إلى دانق فضة، وخلف أبوه مالاً كثيرًا، وما أخذ منها).
انظر: طبقات الشافعية الكبرى. السبكي: ج٢، ص٢٢٧. مذهب أهل التصوف. الكلاباذي: ج١، ص١١٤.

(٩) الأزهر: تكثر.

(١٠) الأزهر: من.

(١١) الأزهر: لبسته.

منه، كالعباء المُخطَّطِ[1]، والشّمْل[2]، والبُرودِ[3]، وعلى زِيِّ الأعْراب، ألَا تَرى أنَّ الأعْرابَ لا يَستَنكِرون[4] ذلك منهم؛ لأنَّه زِيَّـهم الذي يُعرَفُون به، ويُستَنكَر مِن غيْرِهم، ذلك دليلٌ [على][5] أنّ الشُّهْرَة على أقْدَارِ الناس؛ لأنّ الشُّهرةَ إنَّما يُسَمُّونها هذا الاسْم؛ لِاسْتِنكَار الناسِ لها صَارَت[6] عِنْدَهم شُهْرَة.

وكذلك إنَّ لِبسَ الجَورب[7] كلِبَاسِ الملاَّحين أستَنكر ذلك منه، ولا يُستَنكَرُ من الملاحين، فإنّما هو على قَدْرِ[8] الناسِ إذا[9] انتَقَل[10] عمّا يُعرَف[11] بِه في زِيٍّ أو فِعلٍ ممَّا يسْتَنكِره العامَّة كان شُهْرَة.

وقال قومٌ: ليس هو على قدر الأزمنة ولا على أقدار الناس؛ لأنّ على الناس الاتّبَاع، وقد كان الصُّوفُ وغَيرُه لباسَ مَن مَضَى، وقد كان الرجُل إذا تَنَسَّكَ

---

(١) العباءة المخطط، وتسمى سبان: وهي عبارة عن ملحف صغير مفتوح من الجهة الأمامية لا أكمام لها فيها تقويرات لمد الذراعين خاصة بالبدو، وهي من الصوف الجوخ الرقيق المخطط المبروم الموزع على سطور بيضاء وسوداء.
انظر: المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب. رينهارت دوزي : ج٣، ص١٥٤.

(٢) الشّمل: هو كِسَاءٌ غير مطرَّز مصنوعٌ من الصوف، قال رسول الله «البُردَةُ هي الشّملَة».
انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٤٦٤. السنن الكبرى: ج٣، ص٥٦٦.

(٣) البُرُود: قطعة طَوِيلة من القُماش الصُّوفِيّ السّمِيك، ومُمكِنُ أن تَكونَ غِطَاءً فِي اللّيلِ، ويكون لونُها رماديًّا، وفي حديث ابن عمر: كان الرسول (ص) له بُردَةٌ قصِيرةٌ يومَ الفَتْح.
انظر: المُعجَم بأسمَاء الملَابِسِ عندَ العَرَب: ج٢، ص٤٣. السنن الكبرى. البيهقي: ج٣، ٣٨٨.

(٤) الأزهر: يستنكر.

(٥) الأزهر: على.

(٦) الأزهر: فصارت.

(٧) الجورب: الجَمعُ هو جَوارِب، وجَوْرَبَه أي أَلْبَسَه الجَورَبَ فلَبِسَه (لغة)، يقول الرحالة نيبور (ان الشرقيون يلفُّون أقدَامَهم وسِيقَانَهُم بِخِرَقٍ صُوفِيَّة كَبِيرَة، وهذِه الخِرَقُ تحْمِيهِم مِن شِدَّة الْبَرد، ويقول ابن بطوطة: إنّ المُسلمين يرتَدُون الجَورَبَ حين طَوافِهِم بالكعبة؛ لِحمايةِ أقدَامِهِم من الحَرَارَة.
انظر: المعجم بأسماء الملابس عند العرَب. رينهارت دوزي : ج١، ص٢٥.

(٨) الأزهر: أقْدَار.

(٩) الأزهر: فإذا

(١٠) الأزهر: انتَقَلوا.

(١١) الأزهر: يعرفون.

انتقَل عن زِيِّه إلى زِيِّ النُّسَّاكِ[١]، فمَن جعَلَه على أقْدَار الناس لم يَآمَن[٢] من تَنَسَّكَ أن يَنزِعَ الوشْيَ[٣] والخَزِّ[٤]؛ لأنه قد عُرِف بِه، ولا رُكُوبَ المَرَاكِبِ وما أشْبَه ذلك، وقد تُزَكِّه نفسُه عَلى ذلِك.

أمّا تَنعُّمُه بالدنيا والتكَثُّر منها[٥] فما زالَ المسلمون[٦] يتقلَّلُونَ إذا تَابُوا وأرَادُوا الزُّهدَ في زِيِّهِم وأحْوالِهِم إلى حَالِ التقشُّفِ في اللِّباسِ وغَيرِه، إمّا حَرامًا فينْتقِلُون[٧] عَنْه ويأخُذُون القَلِيلَ منه ويَرْفُضُون الرَّفِيعَ من الزِّيِّ واللِّباسِ إذَا[٨] لم يُمكنْهُم أخْذَه من حَيث مِمَّا[٩] يحَلُّ فيَدَعُوه[١٠] وَرَعًا ويَأخُذوا[١١] [فَي][١٢] الأقلِّ الّذي هو مِنَ المُباحِ، أو يزْهَدوا[١٣] في الدُّنيا ويَدَعُوا[١٤] الرَّفِيعَ من

---

(١) النَّسّاك: أي عَابِد، وهو من النُّسّاك: الْعِبَاد.

انظر: أساس البلاغة. محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله: ج٢، ص٢٦٧.

(٢) الأزهر: يأمن.

(٣) الوشي: العَمامَة الصّغِيرَة، وتُطلَق عليها شَاشِية من الوشْي قَصيرة لا تَدُور إلا عدّة دَوْرَات على الرّأْس.

انظر: المعجم بأسماء الملابس عند العرب. رينهارت دوزي: ج١، ص٦٩.

(٤) الخز: وهو قطعة صغيرة من الشاش الموصلي او من النسيج الصوفي الذي يطوى ويلف عدة لفات حول الطربوش.

انظر: المعجَم بأسْماء الملابس عند العرب. رينهارت دوزي: ج٢، ص٦٩.

(٥) الأزهر: فيها.

(٦) الأزهر: الناس.

(٧) الأزهر: ف.ينتقلون.

(٨) الأزهر: إن.

(٩) الأزهر: أما.

(١٠) الأزهر: فيدَعُونه.

(١١) الأزهر: ويأْخُذون.

(١٢) الأزهر: في.

(١٣) الأزهر: يزهَدُون.

(١٤) الأزهر: ويدْعُون.

الثِّيابِ[١] وغيرِها من الحَلاَلِ ويقْتَصِروا[٢] على الأَقَلّ، ويُقَدِّمُوا ما أُفضِلَ[٣] منهم لِيَوم المَعَاد، وإنّما أُرِيد مِنَ العِبَادَ قوّةَ قلوبهم في ذلك، فإذَا صَحَّ العَزْم[٤] مِنَ العَبْد انتَقَل من رِفْعَةِ الدُّنيا إلى ضَعَتِها[٥] في زِيِّه وغَيرِه وَرَعًا أو زُهْدًا على المِنْهَاج والسَّبيل وإن استَنْكَر النّاسُ حَالَه؛ لأنَّه إنَّما يَسْتَنكِره الجُهّال المُنْهَمِكون فِي المَعَاصِي.

قد يَرَوا[٦] غيرَه من الزّيِّ [الذي][٧] لا يجوزُ منَ السَّوادِ وغيرِه فلا يَستَنكِروا[٨] ذلك، وإنّما يَستَنكِرُون منه خلافَ حالِهِ التي كانوا بها يَعرِفُونَه وليَسَ على المُؤمِن أن يتَّبِعَ ما يَستَحْسِن الناسَ ولا مَا يَسْتَنكِرونه[٩]، ولكن يَلزِم[١٠] الاتّبَاع لِمَنْ مَضَى ويتّبِع مِن اللّباسِ والزِّيِّ وغَيرِه ما هُوَ أصْلَح لقَلْبِه وأَرْفَق به فِي عَيشِه ودِينِه، ويَلْهُو عنِ الناسِ ويُعَامِل الله عز وجل وحْدَه، أَلَا تَرى قَوْلَ الحَسَن: «حَسْبُ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أن يُشَارَ إِلَيه بالأَصَابِع فِي دِينِه أو دُنْيَاه»[١١]، فقيل: يا

---

(١) الأزهر: اللّباس.

(٢) الأزهر: يقْتَصِرون.

(٣) الأزهر: فُضِّل.

(٤) العزم، والعزيمة: عقد القلب على إمضاء الأمر، {إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ}، الشورى:٤٣، الآية.
انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٥٦٥.

(٥) ضَعَتِها: وهو الخُضُوع والتّذلّل، حديث أبي بكر (رض) قال: قد تضَعْضَعَ بهمُ الدّهْرَ لمَّا أصْبَحُوا في ظُلِمَات القُبُور.
انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج٧، ص٢٥٨٧.

(٦) الأزهر: يرون.

(٧) الأزهر: الذي.

(٨) الأزهر: يستنكرونه.

(٩) الأزهر: يستنكرون.

(١٠) الأزهر: يلزم.هـ.

(١١) جاء في الحديث: «حَسْبُ امرئٍ منَ الشَّر أن يُشِير الناسُ إلَيه بالأَصَابِع في دِينِه ودُنيَاه، إلّا مَن عَصَمَه الله».
انظر: اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح. شمس الدين العسقلاني : ج٤، ص٦٣٥. المعجم الأوسط. الطبراني: ج٧ ص٧٢. ابن مبارك. الزهد: ج١، ص٤٤٨.

أبا سعيد، إنّ الناسَ إذا رَأَوْكَ أشَارُوا[١] إلَيكَ بالأَصَابعِ، قال: يقُولونَ ماذَا؟، قالوا[٢]: يقُولونَ هذا الحَسَنُ رَجُلٌ صَالِح، قال: «الحَمدُ لله الذِي سَتَرَ القَبيحَ وأظْهَرَ الجَمِيلَ»[٣]. إنما أُريدُ بذَلِك البْدَع[٤] في الدِّين أو الفُسُوق[٥] فِي الدُّنْيا، فأخْبر[٦] أنّ الشُّهرةَ ليْس هِي ما هُو أصْلَح وأفْضَل[٧].

وقال قومٌ: إنّما الشُّهرةُ على مَن أرَادَها وأخَذهَا لِغَيرِ مَعْنى عُذر، ولكِن لِيُبيِّن بِها عن العامَّة ولِيُشْهِرُوه بِها طَعْنًا علَيْهم ومُخَالَفَةً لَهُم، أو لِيُشْهرُوا ذِكره[٨]، فأمّا مَن أخذَها لِمَنْفَعةِ دِينٍ أو دُنيا فَليسَ عَلَيه شُهْرَة، ولَيسَت مِن شُهْرةٍ عِندَ العَوَامّ، إلّا وقد يَفعلُها بعضُ النّاسِ فلا يَشْتَهر[٩]، قد[١٠] تَرْتفِع المَسَاكِن بَعضُها عَلى بَعضٍ فلا تُشْهِره العَامّة بِذَلِك.

---

(١) الأزهر: يشيرون.

(٢) الأزهر: قالوا.

(٣) الأزهر: «الحمد لله الذي أظْهر الجَمِيلَ وسَتَر القَبِيح».

انظر: المُستَدْرَك على الصحيحَين. الحاكم النيسابوري: ج٢، ص٢٤٠.

(٤) البِدع: من البِدعَةِ: هي الأمْرُ المُحدَثُ الذي لَم يكُن عَلَيه الصَّحَابةُ والتابِعُون، ولم يكن مما اقتَضَاه الدّلِيل الشّرْعِيّ.

انظر: التعْرِيفَات الفقْهيّة. محمد البركتي: ج١، ص٤٣.

(٥) الفسوق: من الفِسْق: أي خُروجٌ عن الشَّرْعِ، وهُو أعَمّ مِنَ الكُفْر، قال تعالى: {فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ}، الكهف: ٥٠، الآية.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٦٣٦.

(٦) الأزهر: فأخذ.

(٧) الأزهر: أفضل وأصلح.

(٨) الأزهر: ليشهروه إذا ذُكر.

(٩) الأزهر: يشْتَهِرون.

(١٠) الأزهر: فقد.

وقد يلبسُ الأعرابُ[1] الزيَّ الشّنِيعَ فلا يَشتَهروا[2] بذلك، [أو][3] ويلبسُ أهل الصناعاتِ[4] الجِبَابَ[5] السّود من الصُّوف وسائرِ الألوانِ، وكذلك الملاحون وأصحابُ الحَمَّامَاتِ وغيرِهم فلا يُشهِرهُم[6] العوَام بذلك، ولو كان ذلك محرّمًا في عينه لَحَرُمَ على هؤلاءِ أجْمَعِين[7].

ولكن مَن أخذَ الشّيْءَ لِغير سببِ منفعَةٍ، ولكن يُريدُ به الشُّهرةَ ومباينَة العامّة فهو المشهور؛ كالرقاع[8] على غيرِ خِرْق وتَتَبُّع الشَّنَع[9] من الصُّوف فهَذِه الشُّهرَة بعَيْنِها، فمَنْ[10] أرادَها وقَصدَها، وَأمَّا سِواهُم مِن النَّاس فلَيْس[11] فِعالُهم بشُهرَة.

وقال قومٌ: إنَّمَا كُرِّهَت الشُّهْرة خَوْفًا أَن يَفْسَدَ الْقَلبُ[12] بِها؛ فيَتصَنَّع أو يُعْجَب أو يتكَبَّر أو يترَأَّس، فإنّ الشُّهرة على قدْرِ ضَعْفِ القلبِ وقُوّته، ومِن ذلك ما يُروَى عن ابن المُسيبِ[13] أنّ سَائِلًا سألَه عن اللِّباس، فَقَال لَه سعِيد:

(١) العرب: يطلق على ولد إسماعيل، وصار ذلك اسمًا لسُكّان البادِيةِ، والأعْرَاب جمْعُه.
انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٥٥٧.

(٢) الأزهر: يشْتهِرون.

(٣) الأزهر: أو.

(٤) أهْل الصِّناعَات: تعْني الحِرفَة والاحْتراف: أي طَلَبِ حِرفَةٍ لِلْمَكسَب.
انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٢٢٨.

(٥) الأزهر: الجِبَب.

(٦) الأزهر: يشْهُرُون.

(٧) الأزهر: جميعًا.

(٨) الرقاع من الرِّقْعَة.

(٩) الشنع: هي الفَضَّاعَة بالأَمْر، يعْنِي القُبْح.
انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج٦، ص٢٣٣٩.

(١٠) الأزهر: مِمَّن.

(١١) الأزهر: فلَيسَت.

(١٢) الأزهر: القلوب.

(١٣) ابن المسيب: هو سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب، الإمام العلم، وسيد التابعين في زمانه، رأى عمر، وسمع عثمان، وعليًا، روى عنه خلق : منهم إدريس بن صبيح، وأسامة بن زيد

«نَقِّ قلْبَكَ والْبِس مَا شِئْت»[1]، فمَن قَوِيَ علىَ أَخْذ شَيْءٍ مِن الزِّيِّ وَغيرِه يُريد به رفْقًا في دُنْياه، أو مَصْلحة لِقَلبه، أو أيقَاضًا[2] لِلْعامّة، أو مَبَاينَ للفاسقِين، أو لِسُلطانٍ، أو للفُقراء المُخادعِين ثُمّ قَوِي قلْبُه على ذلك فَعَامَل اللهَ وحْدَه فلَيسَ ذلكَ مِنه بِشُهْرَة.

ولَمْ تُحرَّم الشُّهْرة ولَو كَانَت مُحرَّمَة، ولَقد كَان[3] أصْحَابُ النبي[4] صلّى اللهُ عَليه وسلّم قَدْ دَخلُوا فِي التَّحرِيم؛ لأنّهم قد لَبسُوا البَرَانِس وَغَير ذلك، ولقَدْ كَان قَوْمٌ يفْعَلُون أشْياءً فَما هِيَ[5] شُهرَةٌ عِند العَوام طلَبُ[6] رِفْق في دِينِهم أو دُنْياهُم، ومن ذلك أنّ الأعمش[7] كان يُقلِّبُ فروةً ويُخرِجُ صُوفَهُ إلى الخَارِج؛ لأنّ ذلك كَانَ أرفَق بثيابِه، وقد وَضَع يوسُفُ بن أسْباط[8] الجَورَبَ على رَأْسِه، وأمثَالُ ذَلِك كَثِير.

فمَنْ قَوِيَ قَلبُه فلْيأْخُذ الأشْيَاءَ عِلى قَدْر المَنَافِع ولا يَخْرُج عن اتّبَاع مَن قَد مَضَى ولا يُرِيدُ الشُّهرَةَ ولا يَأْخُذ الشَّيْء لِغَير منْفَعَة كَقَومٍ رَكَبُوا القَصَب[9]

الليثي، كان ممن برز في العلم والعمل، كان ابن المسيب يفتي والصحابة أحياء، وأفقهَهم في رأيه،، وأخذته أسماء عن أبيها، مات سنة ٩٣هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي، ج٤، ص٢٢٠. الطبقات الكبرى. لابن سعد : ج٥، ص١٠٦. الثقات. لابن حبان: ج٤، ص٢٧٣

(١) انظر: المصنف. عبدالرزاق الصنعاني : ج٦، ص٣٦. مسند الإمام أحمد: ج٢، ص١٨١.

(٢) الأزهر: اتعاضًا.

(٣) الأزهر: لدخل.

(٤) الأزهر: الرسول.

(٥) الأزهر: ممّا هُو.

(٦) الأزهر: لطَلَب.

(٧) سُلَيمان بن مَهْران محمّد الأسَدِي، شيخُ المحدّثين، أصْلُه من نَوَاحِي الرّيّ، قد رأَى أنَسَ بن مالك. انظر: الإصابة في تمْيِيز الصّحَابة. العسقلاني : ج٧، ص٢٠٢.

(٨) يوسُفُ بن اسباط، الزاهد: من سَادَات المشايخ، له موَاعِظُ وحِكَم، روَى عن: محل بن خليفة، والثوري. انظر: سيَر أعلام النبلاء. الذهبي: ج٩، ص١٧٠.

(٩) الأزهر: القضَب.
القصب، والقصبة: مجارِي المَاءَ من العُيون.

ووَضَعُوا القَوَاصِر[1] على رُؤُوسِهم مِن غير اضْطِرار ولا مَنفَعَة إرادة، وحَلَق بعضُهُم لِحيَتَه فهَذَا لا يَجُوزُ لَهُ وإن قَوِيَ قلبُه لسُوءِ إرادَتِهِ ومُخَالَفَتِه لمَن مَضَى.

وكذلك لباسُ الشَّعْرِ[2] إلاّ لِضُرورة [إذا][3] لا يَجد ما يَسْتُر به عورَتَه، فأما[4] أن يتعدَّى خِلافَ لِبَاسِ مَن مَضَى فَلا يجُوزُ له، والذي أختار من ذلك أن يتّبع العَبْدُ مَن مَضَى ولَا يُخَالِفَه ويَأْخُذُ الأَشْياء بَعدُ عَلى قَدْر مَصَالِحِ دِينِهِ ودُنْياه، وإن اجْتنَبَ ما لا يَلْبسُه إلَّا مَن لَيْسَت[5] على دِينِ الإسْلام فَهو أحَبّ إلى طَلَب السَّلَامةِ للعامَّة، وإن فعله لمصلحةِ دُنْيا أو دِينٍ فجائز له غير مُحَرَّم، وقد كَرِه النَاس شُهَرًا كثيرة على غَيرِ تَحْرِيم، ولكن إشْفَاقًا على الضُّعَفاءِ، ووجَدْنَا الأَقْوِيَاء يفْعَلُون ذلك وأعظَم منه، الَذين كرَّهُوا ذلك خاصَّة منهم الحَسَن، قال: «إن كان أحدهم ليَمُرُّ بالأَذى فَمَا يمْنَعَه مِن[6] رَفعِه[7] عَن الطَّريقِ إلَّا مَخَافَةَ الشُّهرَة»[8]، والنبيّ صلىّ اللهُ علَيهِ وسلَّمَ يدْعُو العِبَاد إلى ذَلِك، فقال: «مِنَ الصَّدَقةِ إمَاطَةُ الأذَى عَن الطَّرِيقِ»[9]، وقال: الإِيمَان بِضْعٌ وسَبعُون[بَابًا][10]

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج٧، ص٣٦٤١.

(١) القواصر: أصل الكلمة قصر: هي أصُول الشّجَر العِظَام، وهو مَن كَان لَهُ فِي المَدِينَة أصْلٌ ونَسَب.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج٧، ص٣٦٤٨.

(٢) لباس الشعر: يسمى القهز: وهو ضرب من الثياب يتخذ من صوف كالمرعزي، وربما يخالطه الحرير، ويشبه الشعر اللين.

انظر: الإبانة في اللغة. سلمة بن مسلم العوتبي: ج١، ص٤٠٠.

(٣) الأزهر: إذا.

(٤) الأزهر: أما.

(٥) الأزهر: يلبس.

(٦) الأزهر: فلا.

(٧) الأزهر: يرفَعه.

(٨) انظر: الترغيب والترهيب. زكي الدين المنذري: ج١، ص٢٤٦.شرح معاني الآثار. أحمد الطحاوي: ج٢، ص٩. نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار في شرح معاني الآثار. محمود بدر الدين: ج٧، ص٥٢٥.

(٩) صحيح مسلم. مسلم بن حجاج : ج١، ص٦٣

(١٠) الأزهر: بابًا.

وأَدْنَاها إماطَةُ الأَذى عَنِ الطّريق»[1].

ثم الحَسَن[نفسُه][2] الذِي كرّه ذلك يقومُ يُذَكِّر الناسَ ويُخطُبهَم[3] ويُفتِيهم؛ فذَلِك أعظَمُ لِلشُّهرَةِ[4] من إماطَةِ الأذَى عَن الطَّرِيقِ، ولكن إنّمَا حظَرَ[5]ذلِك على الضُّعفَاءِ كراهَتَه[6] أنْ يَمِيلُوا إلى التّصَنُّع وغَيرِه، قال: (إن كَان الرّجُلُ لَيَزُورُه الزُّوَّارُ فَمَا[7] يقُوم اللَّيلَ مَخافَةَ الشُّهرَة) وعَن مَن مضىَ خِلافُ ذَلكَ ما[8] كَان يُوقِظُهُم من نَوْمِهم إلاّ قِراءَةَ معاذ[9] الْقَارِئَ فِي اللّيلِ، وقَال النبيّ صلّى الله عليه وسلم لِعُمَرَ في جَهْره بصَوتِه باللّيلِ فقَال: (أَوْقِظ الوَسْنَان[10] وَاطْرُد الشّيطان)[11] فهَذَا للقوِيّ وذَاكَ للضّعِيفِ.

وقال الحسَن: (إنْ كَانَ لِلرّجُلِ لَتَأْتِيهِ الدَّمْعَة فيَصْرِفُها إِلَى الضَّحك)[12] مَخافَة الشُّهرة، وقد بَكى مَن مَضَى مِنَ الصَّالحِين حتّى ظَهرَ ذَلِك مِنه، ومِن ذلك ما

---

(١) انظر: صحيح البخاري. محمد بن إسماعيل: ج١، ص١٣.

(٢) الأزهر: نفسُه.

(٣) الأزهر: ويخطبُ النّاسَ.

(٤) الأزهر: شُهرَة.

(٥) حظر: كُلّ من حَالَ بَينَكَ وبينَ شَيءٍ فَقد حَظَرَه علَيْك.
انظر: تهذيب اللغة. محمد الهروي: ج٤، ص٢٦٢.

(٦) الأزهر: كراهته.

(٧) الأزهر: فلا.

(٨) الأزهر: فما.

(٩) معاذ بن جبل: هو ابن عمرو بن أوس بن عائذ روى عنه: ابن عمر، وابن عباس، وجابر، جمع القرآن على عهد رسول الله (ص)، تابعه إبراهيم النخعي عن مسروق، وسالم مولى أبي حذيفة، مات سنة ١٨هـ.
انظر: سير أعلام نبلاء. للذهبي: ج١، ص٤٤٤.

(١٠) الوسن: الغفلة، والغفوة ورجل وسنان، وتوسّنها: غشيها نائمة، ويُرى أنّ وسن: لتصور النوم.
انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٨٧٢.

(١١) انظر: المستدرك على الصحيحين. الحاكم النيسابوري: ج١، ص٦١٧. السنن الكبرى. النسائي: ج٢، ص٩.

(١٢) انظر: الرقة والبكاء. لأبي دنيا: ج١، ص١٣٢.

رَوَى ابن الشّخَير[١] عَن أَبِيه [عن جَدِّه][٢].

قال: «أتيتُ النبيّ صلى الله عليه وسلَم وهو يُصلّي فسمِعتُ لصَدْره أزيزًا[٣] كأزيزِ[٤] المِرجَلِ[٥] منَ البُكَاء»[٦] ومن ذلك: ((أنّ عُمَر لّما لَقِي أبا عُبَيدَة بالشّام قَبّل كُلّ واحِدٍ منهُمَا يَدَ صَاحِبه وبَكَى كلّ واحِد مِنهُما إلى الآخر، وقد اجْتَمَعَت بالشّام أمراءُ الأجْناد وأجْنادِهِم[٧] يَنظرُونَ إليهم[٨]، وَبكَى فِي الصّلَاة حيَن أتَى على ذِكرِ يعقوُبَ حتى سُمعَ نشيجُه[٩] من وراء الصّفوف))[١٠]، ثم الحسن نفسُه قال: الرّبيعُ بن صُبيح[١١]((ما دخَلتُ على الحَسَن قطّ إلا وَجدتّه

(١) هو: يزيد بن عبد الله بن الشخير، أبو العلاء العامري، البصري، أحد الأئمة، حدث عن: أبيه، وأخيه، ومطرف بن عبد الله، وعمران بن حصين، حدث عنه: قتادة، وسعيد الجريري، كبير القدر. مات سنة ١١١هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج٤، ص٤٩٤.

(٢) الأزهر: عن جده.

(٣) الأزهر: أزيرًا.

أزيز: خنين في الجوف، إذا سمعتَه كأنه يبْكي. صوتُ النّشِيش.

انظر: العين. الخليل الفراهيدي: ج٧،ص٢٩٨.

(٤) الأزهر: كأزِير.

(٥) المرجل: الإناء الذي يغلِي فيه المَاءَ، وسواء كان من حَديدٍ أو صفْرٍ أو حِجارَة أو خَزَف.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج٨، ص٤١٧٠.

(٦) انظر: المستدرك في الصحيحين. الحاكم النيسابوري: ج١، ص٣٩٠. مسند الإمام أحمد: ج٤، ص٢٧. غريب الحديث. إبراهيم الحربي: ج٣، ص٩٨١.

(٧) الأزهر: الأجناد.

(٨) الأزهر: إليهما.

(٩) النشج: الصوت، والنشيج: أشد البكاء ومثل بكاء الصبي، وفي حديث عمر رحمه الله: أنّه صلّى الفجْر بالناسِ فقرأ سُورةَ يوسُف حتى جاء ذِكرُ يوسُف بكَى حتى سُمِع نشجَه خلْفَ الصّفوف.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج٨، ص٤٤٢٠.

(١٠) انظر: المصنف. عبد الرزاق الصنعاني، ج٢، ص١١١. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال. علاء الدين المتقي: ج١٢، ص٥٧٤.

(١١) الأزهر: صُبح.

هو: الربيعُ بن صبيح البصري العابد، الإمام، أعيان مشايخ البصرة، كان كبيرَ الشّأْن، مات سنة ١٦٠هـ.

عاضًا على أصْبَعِه تدمعُ عيناه[1]))[2]، وإبراهِيمُ دخلَ عليَه[رجُلٍ][3] فأطَبقَ المُصحَف وَقال: ((ألَا [4] يرَى[5] هذا الدَّاخِلِ مِنّي أنّا[6] نقْرَأُ كلّ يوم))[7]، داري قلبَه خشْيَةَ التّصنُّع[8]، وَقَد دخَل [رجُلٌ][9] على أَبي عَامِر[10] وهوَ يقرَأُ فِي المُصْحَف[11] فقال: ((فَاتَنِي جزءٌ منَ الليلِ فقَرأْتُه))[12]، وما زالَ المسلمون يقرؤُون في مصَاحِفِهم ومسَاجِدِهم وغَيرِها، وإنّما ذلِكَ على قَدْر الضَّعْفِ والقُوَّةِ إلّا ما كان خلاف زِيِّ مَن مِضى فَلَا يَجُوز إلا أن يضطر عَبدٌ[13] إلَيهِ.

فأما أخذُه للتزيّن فَلَا، وذلك كالرّجلِ لا يَجِد ما يستُرُ به عَورَته إلّا بمَسْح أو

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج٧، ص٢٨٨.

(١) الأزهر: عيناه تدمع.

(٢) انظر: الرقة والبكاء. لأبي دنيا: ص١٦٨.

(٣) الأزهر: رجل.

(٤) الأزهر: لئَلاّ، (أَنْ لاَ).

(٥) الأزهر: يرَى.

(٦) الأزهر: أنّنا.

(٧) انظر: الآداب الشرعية والمنح المرعية. عبد الله المقدسي: ج١، ص٢٦٧. سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج٤، ص٢٦٠.

(٨) التصنع: إجادة الفعل، فكل صنع فعل، وليس كل فعل صنعًا، قال تعالى: { صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ}، النمل: ٨٨.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٤٩٢.

(٩) الأزهر: رجل.

(١٠) أبو عامر: هو أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث، شيخ الإسلام، حجة الأمة، مات سنة١٧٩هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج٨، ص٤٩.

(١١) المصحف: مجموع من الصحف في مجلد، وغلب استعماله في القرآن الكريم، وهو مصدر الكتاب المنزّل على نبي الله محمد (ص) تسمية القرآن من بين كتب الله لكونه جامعًا لثمرة كتبه، قال تعالى: { تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ}، النحل :٨٩.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٦٦٩.

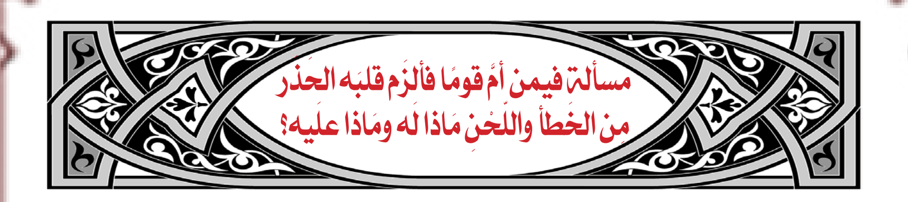
(١٢) انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج٨، ص٤٩.

(١٣) الأزهر: لعبد أن يضطر.

جِلد، ومِن ذلك أنّ أبا مُوسى[1] قِيل له أنّ قومًا يتخلّفُون عن الجَمع مِن أجلِ ثِيابِهم -يعْنُون دناءَتَها- فلَبِسَ قطِيفَة ثم خرج فخَطَبَ بالنّاسِ فِيها وَصلّى بهِم الجُمعة.

(١) أبو موسى الأشعري: عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب، الإمام الكبير صاحب رسول الله (ص)، أبو موسى الأشعري التميمي الفقيه المقرئ، أقْرَأَ أهلَ البصْرة، وفقَّهَهُم في الدين، بعثه عمر أميرًا على البصرة، توفي سنة ٤٤هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج٢، ص٣٩٦.



قلت: فما تقُولُ في الرّجلِ يَؤُمُّ[١] القومَ فيما يَجْهَر بِه، فيلزِم[٢] قَلْبَه الحذَر أن يُخطئَ في قراءتِه أو يُلحِن[٣] فيهَا ماذا له، وماذا عليه؟

قال: إن ذلك على وجُوه؛ فمنها ما هو له ومِنهَا ما هو عليه، فأمّا الّذي هو له فَهُو أن يغْلِب على قلبه حبُّ إكْمالِ صلَاتِه وتمَامُ قراءَتِه وتِلاوَته[٤] كتابَ ربِّه على ما أنزَلَه لا يُقارِن ذلك خطأً ولا لَحْن إذا عَلِم أنّ ذلِك محبَّةً لِربِّه فيَغلِب عَلى قلبه الرَّغبة في ذلك والحَذَر من التقْصِير عنهُ ليؤَدِّي فرضَه كامِلًا ويسمَعَ اللهُ تعالَى منْه تلاوةَ كلامِه[٥] كما يُحِبّ أن يتلُوه عِبَادُه إذا أقَامُوا بين يديهِ لأدَاء فَرضِهم[٦] أو يتلُوه في غيرِ صَلاةٍ، فذلِك مأجورٌ على حَذْرِه ومُثَابٌ[٧] على [قَدْر][٨] همَّتِه ونيّتِه، وأعظَم مقامًا مِن ذلِك وأجْزَأ[٩] ثوابًا من نَوى مع حَذرِه

---

(١) أمّ، يؤُمّ: تعنِي الإمام نقِيضَ الورَاء، ويكُون اسم ظرف.
انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج١، ص١٣٩.

(٢) فيلزم: أي إلزام، إلزام بالحكم، قال تعالى: {أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ}. هود: ٢٨.
انظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص٧٤٠.

(٣) اللحن: له ستّة معَانٍ: منها اللُّغة، والغِنَاء، والفَطِينَة، لقوله تعالى: {وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ}، محمد: ٣٠.
انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج٨، ص٤٠١٤.

(٤) الأزهر: تِلاوَة.

(٥) الأزهر: كتَابه.

(٦) الأزهر: فروضَهم.

(٧) الأزهر: ويثاب.

(٨) الأزهر: قدر.

(٩) الأزهر: وأجزل.

من الخَطَأ في تلَاوةِ كلام ربِّه واللَّحنِ فيهِ أن يكُونَ مُناجِيًا[1] لربِّه بلِسَانِه وقلْبه؛ يَفْهَم ما يتْلوا ويعْقِل منَ الله تعالى مَا يقُول، فَهُو مع حَذره لِلخَطَأ واللَّحْن مُهتَمّ بالفَهْمِ عنِ الله تعَالى فِيها، يتْلُو عَالِمًا[2] بين يَدي من هُو وَلِمَن[3] يُناجِي ورضى مَن يطلُب في مقَامِه ومُناجَاتِه.

وأعظمُ من[4] ذا منزلةٍ من قرن[5] مع هذِه الهمّة عظيمُ الرغبة، وحسن الظن، وهيجان [رغبة][6] الأمل أن يرضى عنه في مقامه، ويقبَله على ما كان منه ويحوله عمّا هو مقيم عليه ويطهّره مما يتدنّس[7] به راجٍ[8] لذلك، معلقًا[9][به][10] قلبه [و][11] بما عند ربه يترضَاه ويتملَّقه ومستبصِرٌ[12] به، متوقعًا له في كل طرفَةِ عين.

(١) مُناجيًا: وهي مُناجَاة الله في السرّ والعلانِية قال تعالى: {إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلاَ تَتَنَاجَوْا بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} المجادلة:٩، الآية.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٧٩٣.

(٢) الأزهر: عالم.

(٣) الأزهر: من.

(٤) الأزهر: منه.

(٥) الاقتران: من قرن: وهو الازدواج في كونه اجتماع شيئين، قال تعالى: {الْمَلاَئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ}، الزخرف:٥٣.

انظر: التقفية في اللغة. اليمان بن أبي اليمان البندنيجي: ج١،ص١٨٤.

(٦) الأزهر: الرغبة.

(٧) يتدنس من الدنس: ضد النظافة والنقاء.

انظر: جمهرة اللغة. : محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ج٢، ص٦٤٨.

(٨) الأزهر: راجيًا.

(٩) الأزهر: متعلقًا.

(١٠) الأزهر: به.

(١١) الأزهر: و.

(١٢) الأزهر: ويتبصبَصُ. لغة أهل مصر في الذي ينظر بلذّة ولهف.

مستبصر: من بصر: والتبصر في الشيء: التأمّل والتعرّف، هو أن يتضح له الأمر حتى كأنه يبصره.

انظر: العين. للفراهيدي: ج٧، ص١١٧. الفروق اللغوية. الحسن بن العسكري: ج١،ص٨٢.

وأقـلّ من ذلك أن ينظر إليه بالرضَا والمحبّة، وقد ألزَم قلبه مع ذلك هيَجانَ الخوفِ وحركة الحذَرِ والْتهاب الإشفاق[1] وانكسَار الرّهْبة[2] والوجَل[3] لِمَا قد مَضَى من سالفِ ذنُوبه ولِمَا هُو مقيمٌ عليهِ لم يزُغ[4] عَنه إلى ربِّه فهو قَائمٌ بيَن يدَيه بغَير[5] ظهارة[6] ولا أعذار فيمَا أوجبَ عليه فَهو خائفٌ مُشفقٌ من مقتِ[7] ربّه وَجِلٌ[8] رَاهبٌ[9] فَزِعٌ[10] فَرِق[11] أن ينظر إليه بالبَغضَة[12]، وأَن يلقَاه بالمَقْت

(١) الإشفاق: هو العناية مختلطَة بخَوف، قال تعالى: {وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ}، الأنبياء :٤٩.
انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٤٥٨

(٢) الأزهر: الزهد.

(٣) الوجل: أي: وَجَل يُوجِل استِشعَار الخَوف، قال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ}، الانفال: ٢.
انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٨٥٥.

(٤) الأزهر: يتزحزح عنه.
يزغ: أي الميل عن الاستقامة قوله تعالى: {فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ}، الصف: ٥، الآية.
انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٣٨٧.

(٥) الأزهر: بلا.

(٦) الأزهر: طهارة.
ظَهَارة: يعني بالظَّاهِرة: من البُرُوز في الشّيء، قال تعالى: {فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا}، الجن:٢٦، الآية.
انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٥٤١.

(٧) المقت: أشد الإبغَاض، لمَن تراه تعاطَى القبيح، قال تعالى: {إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلاً}، النساء:٢٢، الآية.
انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٧٧٢.

(٨) الوجل: استشعار الخوف، قال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ}، الأنفال: ٢.
انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٨٥٥. الابانة في اللغة العربية: ج٤، ص٥٣٣.

(٩) راهِب من رَهَب: مخافَةٌ مع تحرُّزٍ واضطراب، قال تعالى: {وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ}، القصص:٣٢، الآية.
انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٣٦٦.

(١٠) الفزع: انقباض والنفار يعتري الإنسان من الشيء المخيف، قوله تعالى: {لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ}، الانبياء: ١٠٣.
انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٦٣٥.

(١١) الفَرْق: هو يقَارب اعتبارًا بالانفِصال، قال تعالى: {وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ}، البقرة :٥٠،الآية.
انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٦٣٢.

(١٢) بالبَغضَة: نفارُ الشّيء عن الشّيء ضدّ الحُبّ، قال الله تعالى: {وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ}

والسخط فلا يرحَم مقامَه ولا يُجيبُ دعوتَه ولا يغِيثُ[1] تضّرعَه[2]، ويحجِب عنه صوتَه ولا يقبَل صلاتَه إذا كان جميع ذلك مستحقًا من ربّه؛ فالخَوف والرّجَاء قَد غَلَبَا على قلبه مع تيقّظه وشدّة[3]، [و][4] فهمه لما يتلُو من كلام ربّه؛ فتارة يكاد [قلبُه][5] أن يطِير فرحًا لما هَاج من الأمَلِ والرّجَاء أن ينظُر إلَيهَ سيّدُه وموَلَاه[6] بالرِّضَا والحَظْوة، وتارة أخرى يكاد أن يذوب [قلبه][7] غمًّا[8] ويطير قلبُه فزعًا [ورعبًا][9]، ويغلب على قلبه تعبًا عند هيجان المخافة، والحذر والإشفاق والرهبة من نظر المولى إليه بالمَقْتِ والبَغْضَة؛ فينصرف بلا يَأْس[10] ولا خَيبَة[11].

المائدة :٦٤.
انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص١٣٦.

(١) الغَيث من المَطَر والغَوْث من النُّصْرة، واستغثتُه طلَبتُ الغَوث أو الغَيث، قال تعالى: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ}، الانفال :٩.
انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٦١٧.

(٢) تضرعه: من التضرّع: أي ضَعفٍ وذلّ: قال تعالى: {لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ}، الأنعام :٤٢.
انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٥٠٦.

(٣) الأزهر: وشدة تيقظه.

(٤) الأزهر: وفهمه.

(٥) الأزهر: قلبه.

(٦) الأزهر: مولاه وسيده.

(٧) الأزهر: قلبه.

(٨) غمًا: من الغمّ: الكَرب أو الحُزن يحصل للقلب بسبَبٍ ما، قال تعالى: {ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً}، يونس:٧١.
انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٦١٤.

(٩) الأزهر:

(١٠) يأس: الياء والهمزة والسين. كلمتان: إحداهما اليأس: قطع الرجاء.
انظر: معجم مقاييس اللغة. أحمد بن فارس الرازي:ج٦،ص١٥٣.

(١١) خيبة: من خاب: الخسران، عدم تحقق الأمل، قال تعالى: {فتخبت له قلوبهم}، الحج :٥٤.
انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٢٧٢.

فهو[بَين][1] في هاتين الحالتين يتردَّدُ، ولمعاني كلام رِّبهِ[2] يفهمُ مع ما[3] يغلبُ على قلبهِ في أكثر أحوالهِ في صلاتهِ[من][4] إجلالِ مَنْ قامَ بين يديهِ وتعظيم مِنْ قصدَ إليهِ ومحبةِ مَنْ مَنَّ[5] عليهِ بمناجاتهِ، فذلك دَأَبُهُ[6] حتى ينصرفَ من صلاتهِ، فاذا انفتلَ[7][كان][8] منها ووجهُهُ غير الوجهِ الذي دخلَ بهِ [في][9] هيأتهِ وسَحْنَتُه[10]؛ لَأَنَّه لَمْ يزلْ يُلِحُّ[11] على قلبهِ بالفهْمِ عن رّبهِ بالرجا[12] والوَجلِ والإشفاقِ منه، وللرَّجا[13] والطمَعِ إلى ما عنده، والتَّبْجِيل[14] والتعظيم لجلالهِ؛ فانصرف بوجهٍ ينكرُهُ من النظرِ إليهِ من إشراقهِ مع انكسارٍ قد شَابهُ[15].

(١) الأزهر: بين.

(٢) الأزهر: ربهم.

(٣) الأزهر: لما.

(٤) الأزهر: من.

(٥) المنَّ: النعمة: أن يكون ذلك بالفعل، قال تعالى: {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ}، آل عمران: ١٦٤.
انظر: مفردات ألفاظ القران. الأصفهاني: ص٧٧٧. النظم المستعذب في تفسير غريب الألفاظ. محمد بطال الركبي: ج١، ص٧٣

(٦) دائبه: دَائِبٌ فِي عَمَلِهِ: جَادٌّ، مُنْهَمِكٌ، وهي من العادة والملازمة.
انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج٣، ص١٣١٠.

(٧) فَتِلَ، يَفْتِلُ، مصدر فَتْلٌ فهو أَفْتَلُ، وهي فَتْلَاءُ أي انصرف فلان عن صلاتهُ.
انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج٧، ص٣٣٤٤.

(٨) الأزهر: كان.

(٩) الأزهر: في.

(١٠) سَحْنَتُه: من تغيّر اللون إِذَا حَسُنَتْ سَحْنَتُه.
انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج٧، ص٩..

(١١) يَلِحُّ: الإقبالُ على الشيء لا يفتر عنه.
انظر: العين. الخليل بن أحمد الفراهيدي: ج٣، ص٢٩.

(١٢) الأزهر: الرجاء.

(١٣) الأزهر: الرجاء.

(١٤) التَّبْجِيل: من البَجِيل أي وقر والتَّعْظِيمُ.
انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس. محمد بن القاسم الأنباري: ج١،ص١٨٨.

(١٥) شابهُ: مَا جَاءَ عَلَى صُورَتِهِ، قال تعالى: {وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا}، البقرة :٢٥.

وإنَّ ذلك لَموجُود في فِطرنا[1] أنَّ[2] أحَدنا ليُدخل على بعضِ الملوكِ أو بعضِ مَنْ يَطمع فيهِ ويخافهُ[3] فيقومَ بين يديهِ غيرِ القيامِ الذي كانَ فيهِ قبلَ أنْ يَدخل عليهِ ويَخرُجَ عنه[4] بغيرِ الوجهِ الذي دَخلَ بهِ، فكيف بربِّ العالمين القديمِ الذي لم[5] يزلْ ولا يزالُ، والذي ليسَ كمثلهِ شيءٌ كانَ ولا يكونُ.

وأمّــا الذي عليهِ فهو أَن يغلبَ على قلبهِ خوفَ مذمةِ مَنْ خَلْفَهُ إنْ أخطأَ أو لحَنَ، والرغبةَ في معرفَتهم إيّاهُ بالحفظِ وحُسنَ التلاوة؛ ليعرفوا أنَّهُ قد قرأَ على الرِّجالِ وأنَّه حافظٌ للْقُرْآنِ، وقد تصيبهُ هذه الفتنةُ في صلاتهِ و[قَد تُصيبهُ][6] قبلهَا لعلّهُ[7] يظلُّ بعضَ نهارهِ أو ليلهِ يتلُو السورةَ التي يريدُ قراءتها ويتعاهدُ خَطأها[8] وحواها[9] خوفًا أنْ يتلوها في صلاتِهِ بَين أَيديهم وليسَ عهده بتلاوتِها قَريب[10].

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٤٤٣.

(١) فطرنا: من الفِطْرةِ التي فُطرَ عليها المولود، وقول النبي، صلى الله عليه وسلم: «كلُّ مولودٍ يُولَدُ على الفِطْرةِ».

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج٧، ص٣٤٣٤.

(٢) الأزهر: فإن.

(٣) الأزهر: ويخاف منه.

(٤) الأزهر: من عنده.

(٥) الأزهر: ذلك ومن.

(٦) الأزهر: قد تصيبهُ.

(٧) الأزهر: العلّة.

(٨) خطاها: من الخُطْوةُ ما بين القدمين، قال تعالى: {**وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ**}، البقرة/١٦٨.
انظر: مفردات ألفاظ القران. الأصفهاني: ص٢٨٨.

(٩) حواها: من حوَى الشَّيءَ: جمعهُ، يحوي الكتابُ مختارات واصله من حويتُ.
انظر: مفردات ألفاظ القران. الأصفهاني: ص٢٧١.

(١٠) الأزهر: قريبًا.

مُستعدًا لهم بالحذَرِ والتلاوةِ قبلَ أَنْ لا يدخُلَ[1] في صلاتهِ لا يريد [وجه][2] الله عزَّ وجلّ بذلك، ولا يخطرُ ببالهِ إلا مخافةَ تخطيئهم[3] إياهُ والحذرُ مِنْ [ذلك ومِنْ] ذمّهم حتى يدخل في صلاتهِ على ذلك، فإنْ أجادَ القراءةَ وحفظَ مواضعَ ما كان يَخافَ[4] مِنْ الخطأ واللّحن سرَّ واستبشر لغيرِ التقرب إلى الله عزَّ وجلّ بذلك، وإن أخطأَ ولّحنَ حَزنَ [لذلك][5] واغتمَّ[6] لغيرِ مخافَةَ نقص فيما بينهُ وبينَ رَبّه من فضلِ التالينَ لكلام رَبِّهم كما يحبُّ منْهم، فكفي بذلكَ بلية[7] إذ صارَ عامةَ فرحِهِ وحُزنهِ في صلاتهِ لغيرِ طلب رضى رَبّهِ عزَّ وجلّ، وهو مع ذلك مشتغلٌ بالحُزْن والفرح [بعيدًا][8]عَن فهم ما يتلو من كلام رَبِّه، وأن[9] يؤدّي فَرضَهُ بحضورِ عقلهِ، فليس بمأجورِ على مَا تَلَا[10] قبل صلاَتهِ إذا كان لمْ يتلوه[11] لخشيةٍ ولا إرادةٍ لله عزَّ وجلّ ولا لّثوابِ التلاوة عَليْهِ. فأمَّا[12]

---

(١) الأزهر: يدخل.

(٢) الأزهر: بذلك.

(٣) الأزهر: تخطئتهم.

(٤) الأزهر: يخشى.

(٥) الأزهر: لذلك.

(٦) واغتنم: من غَنِم الشّيءَ: فاز به، ربحه، ناله بلا مشقَّة، عكسه غرِم، وفي الحديث: «الصوم في الشتاء الغنيمة الباردةُ»

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج٧، ص٣٣٠٧.

(٧) بلية: هي من البلاء والاختبار: قوله تعالى: {وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً}، الانبياء:٣٥.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج٢، ص٣٥٥.

(٨) الأزهر: بعيدًا.

(٩) الأزهر: عن.

(١٠) تَلَا الشيءَ: تَبِعَه تُلُوًّا تَلَا فلانٌ القرآن يتلُو تِلاوةً.

انظر: العين. الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي: ج٣،ص١٨٤.

(١١) الأزهر: يتله.

(١٢) الأزهر: واما.

فرضُهُ فهو مجزِئٌ عنهُ والتلاوة فيهِ لكلامِ ربه، غير أنَّ[1] مَعهُ تقصير[2] في تلاوةِ كتابِ رَبِّه أَنْ يتلوه كما أَنزلهُ مولاه وكما يحبُّ ربّهُ أنْ يسمعهُ منهُ، وأعظمُ من ذلكَ فتنة أَنَّهُ مُتهمٌ قبل أَنْ يدخل في صلاتهِ معتقدٌ لأي سورة يقرأها[3] مّما فيها التخويف الذي يستثير الشجوَ[4] والأحزانَ ما به [يكونُ][5] صلاح قلبهِ، ولا يهيجُ الخوفُ والحزنُ لله عزَّ وجلّ من قلبهِ، ولكن ليحظَى بذلك عندهم ويخفَّ على قلوبهم ويشتهوا الصلاةَ خَلفَهُ فيدخُلها بهذهِ الهمّة ثم يقرأ السورةُ التي قد أعدّها فَيحزنَ صوتهُ ويتثبتَ[6] عند مواقفِ التخويفِ [والتحزين][7] والتشويق ليحظى بذلك عندهم ويخفَّ[8] على قلوبهم غافلاً في ذلك عن نَفسهِ كأنَّه آمِنٌ لا يحتاجُ إلى خوفٍ، قد أتاهُ الأمانُ[9] مِنْ الله عزَّ وجلّ فَقدْ فرغَ من أَمرِ أَمانِ نفسه، فهو يُخوّفَ غيرهُ ويُحزنهُ كأنَّهُ لا يحتاجُ إلى ذلكَ، وهو أَحوجُهم[10] لو[11] يَعْقل.

---

(١) الأزهر: انهُ.

(٢) الأزهر: مقصر.

(٣) الأزهر: يقرؤها.

(٤) الشجو: من الشَّجَنُ: الهمّ والحُزْن.
انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج٦، ص٢٢٠١.

(٥) الأزهر: يكون.

(٦) الأزهر: يثبت.

(٧) الأزهر: تخزين.

(٨) خفَ: ويقال خفيف فيما يستحليهِ الناس، أَنِسَتْ بهِ،قال تعالى: {الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ}، الانفال :٦٦.
انظر: مفردات ألفاظ القران. الأصفهاني: ص٢٨٨.

(٩) الأزهر: الأمن.

(١٠) أَحوجهم: من الحاجة، وقوله تعالى: {لِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً}، غافر :٧٩.
انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج٤، ص١٠٣٨.

(١١) الأزهر: ولم.

وأَعــظمهم[1] غَفلة وأشدُّهم[2] فتنةً إذ جعلوهُ بين أَيديهم وهو المَخْلَفُ[3] خلفهُم في سوءِ همته متعرضًا للمَقتِ على ذلك من رَبِّه، لعلَّ بعضَهم مع ذلك ينتفعُ إمّا بعزم يحدُثهُ على توبةٍ وعملٍ صالح فيما يستقبلُ، أو توجعَ في مقامهِ ذلك خوف، فهو يطلبُ نجاتَهم[4] بهلاكهِ[5] ويخوّفهم بما يزيدُهُ اللهُ عزَّ وجلَّ غدًا خوفًا في مقامهِ وفي محشره؛ لأنَّ همتهُ[6] في غيرِ الله وقصده إلى سواه يخوّفُ مَنْ خلفَهُ بقراءتهِ وهو آمنٌ لمقتِ[7] الله عزَّ وجلَّ على سوءِ[8] همّتهِ، فَمَنْ سمعَ بأعجب ممَّن يخوّفُ بالأمنِ ويشَوقُ باللهو عمّا يشوقُ إليهِ، وأَعــظمُ مِنْ ذلك وأعجبُ أنَّه يخوّفهُم بالتعرَّضِ؛ لأنَّ يحقّ لَهُ مِنْ الله سبحانه ما يخوفهُم بهِ مِنْ العذابِ، ويشوّقهُم لما[9] يتعرضَ [لهُ][10] بتشويقهِ إيّاهم [مِنْ][11] الحرمانِ[12] لما يشوّقُهم إليهِ من جوارهِ.

---

(١) الأزهر: وأعظم منه.

(٢) الأزهر: وأشد.

(٣) المَخْلَفُ: أَحْمَقُ، قَالَ ولَمْ يَفْعَلْ.
انظر: تاج العروس من جواهر القاموس. محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني: ج٢٣، ص٢٧١.

(٤) الأزهر: نجاة غيرهِ.

(٥) بهلاكه: من هلك الشيء يهلكهُ التهلكة، من نوادر المصادر وليست للقياس.
انظر: مفردات ألفاظ القران. الأصفهاني: ص٢٩٠.

(٦) همتهُ: من العزم.
انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج٧، ص.٤٧٠٢

(٧) الأزهر: من مقْت.

(٨) الأزهر: بسوء.

(٩) الأزهر: بما.

(١٠) الأزهر: لهُ.

(١١) الأزهر: من.

(١٢) الحرمان: من الحِرامِ الممنوع منهُ، قال تعالى: {وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ}، القصص:١٢.
انظر: مفردات ألفاظ القران. الأصفهاني: ص٢٢٩.

وأَعـظَمُ من ذلك بلية وأَعظمُ[1] فتنةً من حاوَل هذا المقامُ في طلبِ عظم مَنْزلةٍ عندهم وشرْفِ الحمدِ منهم أَنَّه[2] يحزنُ ويخوّفُ ويشوقُ ويرجعُ بتلاوتِهِ ليستدلوا [على][3] أَنَّه من الخائفين المحزونين ومِنْ الراغبين المشتاقين وليسَ ذلك عندَه، كذلك فيما يوهمهُم إياه من نفسهِ لو لمْ يكنْ إلا نفسَ هِمتهِ [و][4]أَنَّهُ مُنْسَلخٌ[5] مِنَ الحُزْن والخوفِ، إذا[6] كانت همتُهُ أَنْ يوهِمهم بتحزينهِ وتخويفه أَنَّه خائفٌ لرَبِّه محزونٌ[7] لآخرتِهِ كان[8] بهمتهِ[9] هذهِ أَمانًا، فكيف تأْمنهُ نفسهُ في أحوالِهِ قبل دخولهِ في صلاتهِ، وكذلك همتُهُ في تشويقهِ لزوالِ الرغبةِ إلى الله أَنْ يعطيهُ ما يشوّقهم إليهِ؛ فهو يتحبَّبُ إليهم بمّا يتبغَّضُ بهِ إلى رَبِّه، ويتقرَّبُ [إليهم][10] بما يتباعدُ بهِ منهُ، ويتحَضىَّ[11] عندهم بالتعرّضِ بالسقوطِ من عينِهِ.

لو تطلّعوا على همَّتهِ لمقتوهُ عليها، فكيفَ بمَنْ قد اطّلعَ عليها كيف أَمنَهُ أن يَمقتهُ على سوءِ ضميرهِ؟ وإن برأَ[12]على نفسهِ أَنْ لا يَرحَمهُ ولا يجيب دعاءَهُ؟

---

(١) الأزهر: وأشد.

(٢) الأزهر: أن.

(٣) الأزهر: على.

(٤) الأزهر: وأنهُ.

(٥) السَّلْخُ: كُشْطُ الإهابِ عنِ زيّهِ: كَشَطه، وسلخت المرأة عن درعها.
انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج٦، ص٢٠٦٢.

(٦) الأزهر: فإذا.

(٧) الأزهر: مخزون.

(٨) الأزهر: وكان.

(٩) الأزهر: بهمتهِ.

(١٠) الأزهر: إليهم.

(١١) ويتحَضّى من حَضَى: وَهُوَ هَيْجُ الشَّيْءِ، شَدِيدُ الحمرة وَيَكُونُ فِي النَّارِ خَاصَّةً.
انظر: : معجم مقاييس اللغة. أحمد بن فارس : ج٢، ص٧٤.

(١٢) برا: بَرِيءٌ التقصي مما يكره مجاورتهِ ومِنْهُ ديْنِ وَعَيْبِ، قال تعالى: {بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ}، التوبة:١، الآية.
انظر: مفردات ألفاظ القران. الأصفهاني: ص١٢١.

و[كيف][1] لا يأَمن معَ ذلك أَن يهتكَ [اللهُ][2] ستره عندهم ويفضَحهُ عندهم لما أَبدا لهُ مِنْ سوءِ سريرتِهِ؟ وأدنى ذلك إنْ لمْ يفضَحهُ عندهم بعيبِ يظهرَهُ منهُ عندهُم أَنْ يثقلهُ على قلوبِهم من أَجلِ كذبهِ الذي أَضمَرَ في قلبه، فَقدْ تمقتَ إليهْم وإلى رَبِّه وإنْ حظيَ عندهُم بغير عوضٍ من رَبِّه أنْ يكونَ، [فهو][3] يحظى عندهم بما يعرّضُ[4] للسقوطِ من عَينْ سيِّده، وغدًا يوم القيامةِ بَين يديهِ لا يأمنَ أَن يفضَحهُ[5] على رؤوسهم ورؤوسِ الخلائق؛ [لأَنَّهُ][6] إنْ لَمْ يعام الله عزَّ وجلّ، و[بَل][7] أقرب إلى العباد بالمَقْتِ إليهِ[8][مولاه][9] [ويجب على العاملِ أنْ يفَسّرَ القرآن بقلبهِ ويتلوه بلسانهِ لينجو][10].

أمـّا قولهِ: {بِسْم اللهَّ}، فإنّه يرجعُ تاليها[11] من قلبهِ بالمعرفةِ[12] باسم مَنْ له الإلاهية[13]، والإلهيَةُ هيَ الكمال، وكلُّ منقوصٍ بأَقلِّ المعاني لا تجبُ لهُ الإلهيةِ، ولا يمكنهُ اختراعُ الأَشياءِ إلاّ مِنْ شيء.

---

(١) الأزهر: كيف.

(٢) الأزهر: الله.

(٣) الأزهر: فهو.

(٤) الأزهر: يرضه.

(٥) الفَضْحُ: فعلُ مجاوز من الفاضح إلى المَفْضُوح، افْتَضَحَ الرجلُ يَفْتَضِحُ افْتِضاحًا إذا ركب أَمرًا سَيِّئًا فاشتهر به.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج٧، ص٣٤٢٥.

(٦) الأزهر: لأنهُ.

(٧) الأزهر: بل.

(٨) الأزهر: عليهِ.

(٩) الأزهر: مولاه.

(١٠) الأزهر: ويجب على العامل أن يفسّر القرآن بقلبهِ ويتلوه بلسانهِ لينجو.

(١١) الأزهر: بتاليها.

(١٢) الأزهر: إلى المعرفة.

(١٣) الأزهر: الإلهية.

{الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}[(١)]: الذي لهُ الرحمةُ صفةً له بها يرحمُ أهلَ الدنيا في دنياهِم وعافاهُم، وبها رحِمَ أهلَ الآخرةِ في الآخرةِ؛ يُنجّيهم من العذابِ ويسكنُهُم جنتهِ.

ومعاني: {الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}، أَنَّ لهُ الرحمةَ كقولِ العرب: (نديم وندمان).

{الْحَمْدُ لِلَّهِ}: الشكرُ لله. [القائمُ على كلِّ شيء بالربوبيةِ][(٢)].

{رَبِّ الْعَالَمِينَ}[(٣)]: يعني الجنّ والأنسَ.

{الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}[(٤)]: اسمان رقيقانِ أحدهُما أَرقُّ من الآخر.

{الرَّحْمَنِ}: المُترَحِّمُ.

{الرَّحِيمِ}: العطوف بالرحمةِ.

{مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}[(٥)]: يعني القادرُ على إقامةِ يومِ الدين وهو الحسابُ،

{والمَالِكِ}: هو القادر، ومن قرأها (مَلك) فمعناه[(٦)]: الذي يلي إقامةُ الدين على جميع الخلائق فيعذبُ مَنْ يشاء ويرحمُ مَنْ يريد.

{إِيَّاكَ نَعْبُدُ}: أي أَنتَ نَعبدُ نوحدُك ونطيعكَ.

{وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}[(٧)]: أَيّ وأَنت نتقّوى بك ونسألك معونتَك على عبادتِك.

---

(١) الفاتحة:١، الآية.

(٢) الأزهر: القائم على كل شيء بالربوبية.

(٣) الفاتحة:٢، الآية.

(٤) الفاتحة:٣، الآية.

(٥) الفاتحة: ٤، الآية.

(٦) الأزهر: فمعناها.

(٧) الفاتحة: ٥، الآية.

{اهْدِنَا}: اسلك بنا ووفقنا.

{الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}[1]: الطريقُ الذي هو السبيلُ إليكَ لا نميلُ عنك[2] بِهِ فيما ارتضْيتَ وأَحبَبْت.

{صِّرَاطَ}: طريق.

{الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ}: مَنْ أَنعْمتَ عليهم يعني الذينَ استخلَصْتَهُم فحَملتهَم على رضوانِ[3] رضوانك ثم استثنى من المُنْعمِ {عَلَيْهِمْ}، لَأَنَّه قد أَنعَمَ على الكافرينَ من الدُّنيا.

فقالَ: {غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ}: يعني سوى من غَضْبتَ عـليهم، وقـد قـيل هـم اليهود.

{وَلَا الضَّالِّينَ}[4]: وَسِوَي الضَّالِّيَن من ضَّل عن طريِقك، وَقد قيلَ همُ النصارى[5].

و[قد][6] يروى عن أَبي الَأحوص[7] عن عبدِ الله[8] قال: «لكلِّ آيةٍ من

---

(١) الفاتحة:٦، الآية.

(٢) الأزهر: ولا يميل بنا.

(٣) الرضوان: من الرضا الكثير، خص لفظ الرضوان في القرآن، قال تعالى: {يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا}، الفتح :٢٩.
انظر: مفردات ألفاظ القران. الأصفهاني: ص٣٥٦.

(٤) الفاتحة:٧، الآية.

(٥) انظر: فهم الصلاة – المصنف رحمه الله: ص٣٦٧.

(٦) الأزهر: قد.

(٧) أبو الأحوص: هو سلام بن سليم الحنفي، الإمام الثقة الحافظ: ثقة مات سنة ١٧٩هـ..
انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج٨، ص٢٨٢ .تهذيب التهذيب. ابن حجر العسقلاني : ج٣، ص٢٨٣.

(٨) هو: عمرو بن عبد الله بن علي الهمداني الكوفي، أبو إسحاق السبيعي، الحافظ، شيخ الكوفة وعالمها كبير القدر، حدث عنه: محمد بن سيرين وهو من شيوخه، والزهري، وقتادة. ثقة، مات سنة ١٢٧هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي، ج٥، ص٣٩٣.

كتابِ الله عزَّ وجلَّ ظهرٌ وبَطْنٌ وحدٌّ ومَطْلعٌ»[1]،وقالَ أبو عبد الله: «أَما ظاهِرُها فتلاوتها، وأما باطنُها فتأويلِها، وأما حدُّها فمنتهى فِهْمِها»[2] وعِنْدَ هذهِ الخلّةِ فَرّقَ الله سبحانهُ بين الكاذبينَ والصادقينَ ممَّنْ تلاها أو مَنْ عَرفَ تفسيرَها ولم يبلغُ منتهى فهْمِها، أو صادقٌ بلَغَ منتهى فهْمها؛ لأَن أقلَّ الصدِّق من المُريدَ المؤمن بعد الإيمانِ بالآيةِ أَنْ يَفهمها عن رَبِّه وإنْ لمْ يعملَ بها، وإنّما قصرَ بالنّاس عن فَهمها قلَّةَ[3] تعظيمهم لقائلِها، وأمّا «مطلعُها فمجاوزَةِ حدَّها بالغلُوِّ والتعمُّق والفجورِ والمعاصي»، فَمِنْ ذلك قولَ الله عزَّ وجلّ: {تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا}[4].

قالَ عبد الله[5] وذكرَ الحديث: «إنَّ الجَنَّةَ حُفَّتْ [6]بِالْمَكَارِهِ، والنَّار حُفّتْ بالشَّهواتِ»[7]، ومَنْ اطَّلعَ الحجابِ واقعٌ ما وراءهِ، يعني من جَاوزَ حجابَ[8] اَلنّار وَقعَ فيها؛ لأَنَّ حجابها الشهواتُ[9]، ومَنْ جَاوزَ حجابَ الجنّةِ دخلَ؛ لأن

(١) انظر: ص٤٢٢. مسند الإمام أحمد: ج٥، ص١٧. الزهد. لابن مبارك: ج١، ص٤٥٥. سنن الترمذي: ج٥، ص١٧٨.

(٢) انظر: المعجم الأوسط. الطبراني: ج١، ص٤٣٣. البحر الزخار. أحمد بن عمرو : ج٥، ص٤٤٢.

(٣) الأزهر: لقلة.

(٤) البقرة:٢٢٩، الآية.

(٥) انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج٥، ص٣٩٣.

(٦) حُفَّتِ: حافة الطَّرِيق أَي جَانبهَا، وَمِنْه حفت الْجنَّة بالمكاره، وَقَوله فِي محفتها هِيَ شبه الهودج إِلَّا أَنه لَا قُبَّة عَلَيْهَا.
انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج٩،ص٤٩.

(٧) جاء في الحديث: «حُجِبتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، وحُجِبتْ الْجَنَّةُ بَالمكَارِهِ».
انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري. ابن حجر العسقلاني : ج٤، ص٣٢٨. مسند الإمام أحمد: ج٢، ص٣٧٤.

(٨) حجب من الحجاب: وهو المنع من وصول شيء، وما يحجب عن الفؤاد، قوله تعالى: {وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ}، الأعراف: ٤٦، الآية. ويعني فيه المنع من الوصول إلى اللذة لأهل الجنة إلى أهل النار، وأذية أهل النار لأهل الجنة.
انظر: مفردات ألفاظ القران. الأصفهاني: ص٢١٩.

(٩) الشهوة: نزوع النفس إلى ما تريد وذلك في الدنيا، قوله تعالى: {زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ}، آل عمران: ١٤.
انظر: مفردات ألفاظ القران. الأصفهاني: ص٤٦٨.

حجابها المكروهاتُ، فَمنْ تحّملَ[1] المكروهاتِ[2] دَخلَ الجنةِ، ومنْ أتى الشهواتِ دَخلَ النّار، إلا أنْ يعفو الله عزَّ وجل؛ لأن الله تعالى أمر عبادَهُ أنْ يتحملوا المكروه حتى يدخلوا الجنَّة، وأمرهم بترك الشهواتِ حتى ينجوا[3] من النّار.

والمناجــاةُ كلُّ مَنْ خَاطبَ به مخاطبٌ وسَمِعهُ منك[4] قريب، فإذا بَعُدَ[5] كانتْ مناداةُ لا منجاةُ.

مِنْ[6] ذلك ما يُروى عن موسى عليهِ السلام حين نُودي، [حيث][7] قالَ: (يا رب أبعيد فأناديك أو[8] قريبٌ فأناجيكَ)[9]، قالَ[10] الله تعالى: {وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ}[11]، ثمَّ قالَ: {وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا}[12]، فجعل المناجاةَ بالقرب من السَمْعِ، فكلّ من قَرَأَ قرآنًا أو دعا بدعاءٍ أو ذَكَرَ الله بلسانهِ بتحميدٍ أو تمجيدٍ فَقَدْ ناجى الله تباركَ وتعالى بهِ لقَصدِه[13] إلى الله عزَّ وجلّ بذلكَ ولقُربِ الله منهُ،

(١) الأزهر: حمل.

(٢) مكروهات: جمع فِعْل مَكْرُوه: أي مَا يُسْتَحْسَنُ تَرْكُهُ، قال تعالى: {لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا}، النساء: ١٩.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج٧، ص٣٨٦٥.

(٣) الأزهر: ينجوا.

(٤) الأزهر: منهُ.

(٥) البُعدَ: ضد القرب، وليس لهما حد محدود، قوله تعالى: {فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} المؤمنون:٤١، الآية.

انظر: مفردات ألفاظ القران: ص١٣٣.

(٦) الأزهر: ومن.

(٧) الأزهر: حيث.

(٨) الأزهر: أم.

(٩) انظر: كنز العمال في السنن والأقوال. علاء الدين بن علي المتقي : ج١، ص٤٣٣. جامع الأحاديث القدسية:. عصام الدين الصبابطي ج٣، ص٣٧

(١٠) الأزهر: فقال.

(١١) مريم:٥٢، الآية.

(١٢) مريم :٥٢، الآية.

(١٣) الأزهر: بقصدهِ.

الله[1]تعالى أَقربُ إلى كلامه[2] مِنْ كلامك إلى لسانك، ومِنْ ذلك ما رُوي عن النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قالَ: «فَلَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الثَّالِثِ»[3].

وقالَ: [النبيّ] [4]صَلىَّ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [لبعضِ الصحابة][5]: «إِنِّي أُنَاجِي مَنْ لَا تُنَاجِي»[6].

---

(١) الأزهر: فالله.

(٢) الأزهر: كلامك.

(٣) انظر: صحيح مسلم. مسلم بن حجاج القشيري : ج٤، ١٧١٨.السنن الكبرى. البيهقي: ج٣، ٢٣٣ص. المعجم الأوسط. الطبراني: ج١، ص٢٩٦.

(٤) الأزهر: النبي.

(٥) الأزهر: لبعض الصحابة.

(٦) انظر: صحيح البخاري. محمد بن إسماعيل : ج٦.ص٢٦٧٩. صحيح مسلم: مسلم بن حجاج القشيري: ج١، ص٣٩٥.



مسألة في إزَالةِ الخوف

قلتُ: ما الذي يزيلُ الخوفَ[1]؟

قال: الذي يزيلُ الخَوفَ من قلوبِ الخائفين بعد ما تمكنَّ فيها، والذي حالَ بين المغترّين[2] وبين الخوفِ الأَمنِ والغرّةِ، والأَمنِ والغرّةِ يحلاّن في القلب بالغَفْلة عن عظيمِ حقوق الله عزَّ وجلّ والجهل بواجب طاعتهِ، والعجَب باليسير من عملهِ، واستكثار القليل من عمله، فإذا كان كذلك أَمنَ واغترَّ حتى يغفلَ[3] عن عظيمِ إساءتهِ ويستعظمُ[4] القليل من عملهِ.

(١) الخَوْفُ: توقع مكروه عن معلومةٍ، ويستعمل ذلك في الأمور الدنيوية، والأخروية. قال تعالى: {وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ}، الإسراء :٥٧، الآية.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ٣٠٣.

(٢) المغترّين: والمُغترّ: اسم المفعول من اغترَّ، اِغْتَرَّ الرَّجُلُ: غفلَ، والغُرّةُ: وهي غَفَلة في اليقظة، وجمعها مغترين، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ}، الانفطار، الآية ٦.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٦٠٣.

(٣) الأزهر: غفل.

يغفل: من غفل: أي جاهل بأمره لا يعرف ما عنده.

انظر: الإبانة في اللغة. سَلَمة بن مُسْلِم العوْتبي الصُحاري: ج٣، ص٥٣٧.

(٤) الأزهر: واستعظم.

وكذلك يُروى عن ابن مسعود[1] أَنَّهُ قالَ: «الهلاكُ في اثنتين؛ القُنُوطُ[2] والْعَجَبُ[3]»[4]، فمَنْ أُعجب بعملِهِ ونسي[5] عظيمَ ذنبه لَزِم[6] الَأمنُ والغرّة قَلْبَهُ، والدليل على الأُمنِ صلابةُ القلب وتجلّدهُ على وعيدِ الله عزَّ وجلّ، وتلك [هي][7] القسوةُ، فهو[8] عقوبةُ الَأمنِ، وكذلك قال اللهُ عزَّ وجلّ: {ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً}[9]، الآية، وقيلَ في التفسيرِ كلٌ {مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ}[10]، فأَخبر أنَّ الحجارةَ مع[11] صلابتِها تُفجّرُ[12] وتُشقّقُ[13] وتسقطُ خوفًا منهُ، والآمنُ القاسي قلبُهُ لصلبٍ منها، وعلى وعيد الله لا ينكسرُ ولا يَخافُ مقيمًا[14] على ما يكرهُ مضيعًا[15] لمَا أَحبَّ.

---

(١) ابن مسعود: هو عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ، الإِمَامُ الْحَبْرُ، فَقِيهُ الأُمَّةِ، كَانَ مِنَ السَّابِقِينَ الأَوَّلِينَ وَمِنَ النُّجَبَاءِ الْعَالِمِينَ، رَوَى عِلْمًا كَثِيرًا، حَدَّثَ عَنْهُ: أبو مُوسَى وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَابْنُ عُمَرَ، وَروى عَنْهُ الْقِرَاءَةَ: أبو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ، توفي سنة ٣٢هـ..

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج١، ص٤٦٢. أسد الغابة في معرفة الصحابة. علي كرم الجزري: ص٧٣٧.

(٢) القُنُوطُ: اليَأسُ من الخَيْرِ، قال تعالى: {لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ}، الزمر:٥٣، الآية.

انظر: مفردات ألفاظ القران. الأصفهاني: ص٦٨٥.

(٣) الْعَجَبُ: أصل الْعَجَب فِي اللُّغة أَنّ الإِنْسَان إِذا رأى مَا ينكرُه ويَقِلُّ.
انظر: تهذيب اللغة. محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي: ج١، ص٢٤٧.

(٤) انظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. أحمد بن عبد الله الأصبهاني: ج٧، ص٢٩٨.

(٥) الأزهر: نسي.

(٦) الأزهر: ولزم.

(٧) الأزهر: هي.

(٨) الأزهر: فهي.

(٩) سورة البقرة :٧٤، الآية.

(١٠) سورة البقرة :٧٤، الآية.

(١١) الأزهر: على.

(١٢) الأزهر: تتفجر.

(١٣) الأزهر: وتتشقق.

(١٤) الأزهر: مقيم

(١٥) الأزهر: مضيع.

وأمـــا الغِرَّةُ فالدليلُ عليها تمنّي المغفرة وطيبُ النفسِ [بها][1]، وسرورُها فيما نَظنُّ[2] أَنَّهُ حُسنُ ظَنٍ بالله تعالى ورجا[3] له مع المقام على المعصيةِ، وتلك الغرّةُ لا رجا[4]؛ لأَنَّه مَن وضع الرجاءِ في غير موضعهِ، فهو مغترّ لأَنَّ الله عزَّ وجلّ رجا التائبين أَنْ لا يَقنطوا [ولا يعصوا][5]، ويعلموا أَنَّهُ غفورٌ[رحيم][6]، ورجا المعاملين[7] أَن لا يمسكوا عَنْ العملِ لما كانَ من تفريطِهم فقال: {وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ}[8] الآية.

فروى عَنْ البراء[9] في تفسيرها: «أَنَّ العبدَ كانَ يصيبُ الذنبَ العظيمَ فيقولُ: قَدْ هلكْتُ، فيمسكُ عن النفقةِ في سبيل الله؛ فنهاهُ الله سبحانهُ عن القُنُوطِ[10] وأَمَرهُ بالتقرّب إليه بالعملِ»[11]، وقالَ: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُواْ لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا}[12]، قيل في التفسير: {يَرْجُواْ لِقَاءَ رَبِّهِ}، فأمر الله أَنْ يُستعملَ الرجاءِ في

---

(١) الأزهر: بها.

(٢) الأزهر: يظن.

(٣) الأزهر: رجاء.
رجا: الظنَّ يقتضي حصوله في مسرة، قال تعالى: {وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ}، النساء: ١٠٤، الآية.
انظر: مفردات ألفاظ القران. الأصفهاني: ص٣٤٦.

(٤) الأزهر: رجاء.

(٥) الأزهر: ولا يعصوا.

(٦) الأزهر: رحيم.

(٧) الأزهر: العالمين.

(٨) سورة البقرة: ١٩٥، الآية.

(٩) البراء بن عازب ابن الحارث، الفقيه الكبير أبو عمارة الأنصاري نزيل الكوفة، من أعيان الصحابة، روى حديثًا كثيرًا وشهد غزوات كثيرة مع النبي (ص)، وروى عن: أبي بكر الصديق، حدّث عنه: عبد الله بن يزيد الخطمي، توفي سنة ٧٢هـ..
انظر: سير أعلام نبلاء. الذهبي: ج٣، ص١٩٥.

(١٠) القُنُوطُ: الإِيَاسُ من الْخَيْرِ.
انظر: تهذيب اللغة. محمد الهروي: ج٩،ص٢٥.

(١١) انظر: صحيح البخاري. محمد إسماعيل : ج٦، ص٢٧.

(١٢) سورة الكهف:١١٠، الآية.

ثلاثة مواضع:

أَحـدُها: أَن لا نقنطَ بعدما أَصَبْنا الذنوب فنمسكَ عن التوبةِ فنتوب إليهِ رجاءً[1] أَن يقبلها[2] كما رجانا، فإنْ عارضَنا القنوطَ رَجينا أَنفُسَنا مَغفرَتهُ، وَلقَولهِ: {وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا}[3]، حتى تسخو[4] أَنفُسُنا بالتوبةِ.

وأمّا الموضع الآخر، [الثاني][5]: فهو أَنْ نَذكَر ما كانَ مِنّا من الذنوبِ فنمسك عن العملِ الصالح خوفَ أَنْ لا يُقبلَ[6]، فأَمرنا أَن لا نقنطَ وأَن نعملَ، فإنْ أَبَتْ أَنفُسنا رجيناها القبولَ حتى تسخو بالرجاءِ؛ فأَمَرَنا بالرجاءِ[7] في هذين الموضعين.

وأمّـا الموضع الثالث: فالرجاء الذي يبعثنا على العملِ الصالح، إن[8] استثقلَتْ أَنفُسُنا العملَ الصالحَ رجيناها كريمَ الثوابِ [من][9] الله عزَّ وجلّ، وجزيلُ عطائهِ حتى يخففَ علينا العمل؛ لأَنَّ كثيرَ الأَجرِ[10] هو الَذي خفّف عن العمالِ أعمالهم، وكذلكَ قالَ عزَّ وجلّ: {إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا

(١) الأزهر: رجاء.

(٢) الأزهر: يقبلنا.

(٣) سورة طه:٨٢، الآية.

(٤) تسخو، يَسخُو، فهو سَخِيّ والجمع: أسْخياءُ: أي رجلٌ سَبْطُ اليَدين.
انظر: الإبانة في اللغة العربية. : سَلَمة بن مُسْلِم العوْتبي الصُحاري: ج٣، ص٢١٧

(٥) الأزهر: الثاني.

(٦) الأزهر: ألا نقبل.

(٧) الأزهر: الرجاء.

(٨) الأزهر: فإن.

(٩) الأزهر: من.

(١٠) الأزهر: العطاء.

وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ}[1].

وقيل للحسنِ[البصري][2]: قومٌ يقولون نرجو أو يضيعونَ العملَ، قالَ: (هيهات تلك أَمانيهم يترجحون فيها، مِنْ رجَا شيئًا طلبهُ، ومِنْ خافَ [من][3]شيئًا[4] هربَ منهُ)[5]، ورُويَ نحوه عن مسلم بن يسار[6] «فأَمَرَنا بالخوفِ عندَ المعصية»[7]، وعندَ تضييع واجب حقَّهُ فعلينا أَنْ نخوّفَ أَنفُسنا من سخطهِ وأَليم عقابِهِ؛ حتى تذعَنَ[8] بتركِ الذنب[9] وأَداء واجب الحقِّ، فَمَنْ وضعَ الخوفَ حيثُ وضَعهُ الله عزَّ وجلّ والرجاءَ، حيثُ وضَعَهُ ثمَّ لمْ[10] يقنط ولمْ يَغترّ[11] أَراهُ قَد بقيَ منهُ فَقد تأَدبَّ بأَدبِ الله عزَّ وجلَّ.

---

(١) سورة البقرة :٢١٨، الآية.

(٢) الأزهر: البصري.

(٣) الأزهر: من.

(٤) الأزهر: شيء.

(٥) انظر: كتاب الزهد. لابن مبارك: ص١٩٠.

(٦) مسلم بن يسار: القدوة، الفقيه، الزاهد، أبو عبد الله البصري، تابعي، ثقة، روى عن: ابن عباس وابن عمر، كان لا يُفضّل عليه أحد، حدث عنه: ابن سيرين، وقتادة، مات سنة ١٠٠هـ. (إن الحسن البصري لما مات مسلم بن يسار قال: وامعلماه).

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي : ج٤، ص ٥١١، ص٥١٣. الجرح والتعديل. محمد عبد الرحمن التميمي: ج٢، ص١٩٩.

(٧) انظر: الجامع الصحيح. الترمذي: ج٥، ص٤٩٤. الأحاديث القدسية: عصام الدين الصبابطي: م٢، ص١٧٠. الزهد. لأبي مبارك: ص٤٦٣.

(٨) الأزهر: نذعن.

تذعن: أي تنقاد بدون إرادة، قال تعالى: {وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ}، النور:٤٩، الآية.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٣٢٨.

(٩) الأزهر: ذنوب.

(١٠) الأزهر: فلم.

(١١) الغِرَّة: الْغَفْلَةُ، وَقَدِ اغْتَرّ، وَالِاسْمُ مِنْهُمَا الغِرة.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج٥،ص١٦.

فالمغترُّ قَلَبَ أَدبَ الله تعالى واستعمل الرجا[1] حيث أَمر [الله تعالى][2] أَنْ يستعمل الخوف؛ فعصى [الله][3] وأَساءَ وطيّبَ نَفسَهُ بذكرِ مغفرةِ الله تعالى[4] وتفضّله، فأَقامَ على المعصيةِ وتمنى المغفرة، فكانَ أَولى بهِ أَنْ يخوّفَ نفسَهُ كما ندبهُ الله عزَّ وجلّ، فإنْ خافَ فأَرادَ[5] أَنْ يقلعَ ثم عارضَهُ القنوط أَنْ لا يُقبلَ منه التوبة رجا نفسهُ حتى تسخو بالتوبةِ، فحينئذٍ وضعَ الخوف موضعَه، ووضَعَ الرجاءُ موضَعهُ كما أَمَرهُ الله تعالى، والمغترُّ حَوّلهُ عن موضعهِ فوضعَ الرجا[6] موضعَ الخوفَ وظنَّ أَنَّ ذلك حُسنُ ظنٍّ بالله، وتلكَ الغرةُ، ولذلكَ رُويَ عن وهب بن منبه[7] قال: «حُسْنُ الظنِّ باللهِ ما جانبَ الغرّةَ»[8].

---

(١) الأزهر: الرجاء.

(٢) الأزهر: الله تعالى.

(٣) الأزهر: الله.

(٤) الأزهر: عز وجل.

(٥) الأزهر: وأرادَ.

(٦) الأزهر: الرجاء.

(٧) وهب بن منبه: هو ابن كامل بن سيج بن ذي كبار، العلامة الإخباري، حدث عن: ابن عباس، وعبد الله بن عمرو بن العاص، حدث عنه: ولداه: عبد الله وعبد الرحمن، تابعي ثقة، مات سنة ١١٠هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج٤، ص٥٤٥. تهذيب الكمال في أسماء الرجال. يوسف بن عبد الرحمن الكلبي : ص٤٧٧.

الطبقات الكبرى. لابن سعد : ص٣٧٤.

(٨) جاء في الحديث: «يَقُولُ اللَّهُ تعالى أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي».

انظر: شرح النووي. مسلم: ج٤، ص٣٣٠. فتح الباري في شرح الصحيح البخاري: العسقلاني ج٤، ص٣٨٩.

ورُويَ عن لقمان[1] أَنَّهُ قال لابنهِ[2]: ((يا بني، إياكَ والغرّةِ بالله تعالى أَنْ تضيّعَ أَمرهُ وتتمنى مغفرَتهُ)[3]. ولذلكَ مثلٌ بَيِّنٌ[4] :((لو أَنَّ رجلًا وَعدكَ إن جِئتَهُ اليومَ أَعطاكَ ألفَ درهمٍ، وإنْ أخّرتَ المجيء إلى غدٍ عَاقبكَ وَحبسكَ، فَقلتَ في نفسِك هو كريمُ الخُلق أُؤخر المجيَء إلى الغدِ ويعفو عنّي ويعطني الأَلفَ درهم التي وعدني تفضلًا منهُ، كنتْ قد اغترَرتَ إليهِ؛ لأَنَّهُ إنّما وعدكَ الأَلفَ [درهمٍ][5]على مجيءِ اليومِ ووعدكَ العقابَ على تأخيرِ المجيءِ مِنَ[6] الغدِ، فأخّرتَ[7] المجيءَ إلى الغدِ ترجو أَنْ يعطيكَ ثَوابهُ مع التَضييع لأَمرهِ رجاءً منك لفضلهِ، ولو جِئتَهُ ليومِك[8] لوفّى[9] لكَ بما وعدك، فَتركْتَ الوثيقةَ وغَرَرْتَ بنفسكَ بتأخيركَ لأَمرهِ الذي رجاكَ على فعلهِ وتَوعَّدَكَ على

---

(١) لقمان بن عنقاء بن مربد بنم صاوون وكان نوبيًا، من النوبة في السودان عبدًا صالحًا، كان لقمان عبدًا حبشيًا نجارًا، وقال يحيى بن سعيد الأنصاري: كان لقمان من سودان مصر أعطاه الله الحكمة ومنعهُ النبوة، قال رسول الله (ص): «اتخذوا السودان لثلاثة منهم من سادات الجنة: لقمان الحكيم، النجاشي، وبلال المؤذن».

انظر: القرآن الكريم: سورة لقمان: ١٣. تفسير الكشاف. الزمخشري، ج٢١، ص٨٣٦. مروج الذهب ومعادن الجواهر. المسعودي: ج١، ص٢٠.

(٢) الأزهر: لولده.

(٣) انظر: تفسير الكاشف. الزمخشري: ج٦، ص٣٣٧. الزهد. لابن مبارك: ص٤٦٣.

(٤) بَيِّن: هو من الْبَيِّنَةِ: الشاهِدُ، لأنَّه يُبَيِّنُ الشيءَ، أي: يُوَضِّحُه، قال اللهُ تعالى: {حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ}، البينة:١، الآية.

انظر: حلية الفقهاء. أحمد بن فارس بن زكريا القزويني: ج١، ص٢٠٧.

(٥) الأزهر: درهم.

(٦) الأزهر: إلى.

(٧) الأزهر: فاخترت.

(٨) الأزهر: اليوم.

(٩) الأزهر: لو في.

تضيعْهِ، فَضيعْتَ ترجو[1] الثوابَ في مَوضعِ يُستوجبُ به[2] العَقابُ))[3].

(١) الأزهر: ترجو.

(٢) الأزهر: تستوجب فيهِ.

(٣) انظر: الزهد. لابن مبارك: ص٣٤١.



مسألة في النوافل

وقالَ: جميعُ ما تطوّعَ به العبادُ للنوافلِ[1] التي لم تفرَضْ عليهم ستُّ خصالٍ:

إِحداها: تكفيرُ السيّئاتِ[2] وتكميل للفرائض، وكذلك جاءَ عن النَّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رواه عنهُ أبو هريرة وتميم الداري[3]: «أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إذا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُعرضُ [عليهِ][4] صَلاةُ الْفَرِيضَةِ، فَإِذا[5] كَانَتْ كاملةً قبِلَها، وإن كَانَ فيها نُقصان[6]، قيل: انْظُرُوا هَلْ لهُ من تطوع، فإن كانَ لهُ تَطَوّع، قال: أكملوا[7] بها[8] فَرضَهُ»[9].

قال: أبو هريرة في حديثِهِ عن النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ثُمَّ تُؤْخَذُ الْأعمال عَلَى سَائِرِ ذَلكَ»[10].

(١) الأزهر: من النوافل.

(٢) الأزهر: الذنوب.

(٣) تميم بن أوس بن خارجة بن سود بن جذيمة اللخمي، صاحب رسول الله (ص)، أبو رقية، ولتميم عدة أحاديث، وحديثه يبلغ ثمانية عشر حديثًا، منها في صحيح مسلم حديثٌ واحد، حدث عنه: ابن عباس. وابن موهب عبد الله، وأنس بن مالك، لم يزل بالمدينة حتى تحول بعد قتل عثمان إلى الشام، مات سنة ٤٠هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج٢، ص٤٤٢.

(٤) الأزهر: عليه.

(٥) الأزهر: فإن.

(٦) الأزهر: ناقصة.

(٧) الأزهر: أكملوها.

(٨) الأزهر: بهِ.

(٩) انظر: تحفة الأحوذي بشرح الترمذي. عبد الرحمن المباركفوري: ج٢، ص٤٦٢.

(١٠) جاء في الحديث: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتَهُ، فَإِنْ صَلُحَتْ فَقَدْ

وقال تميم الداري عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مثلَ حديث أَبو هريرة، إلا أَنَّهُ قال: «فإنْ لم يكنْ له تطوع أُخِذ بطرفيهِ فأُلقيَ[1] في النّارِ»[2]، فسبحان [الله] [3]من يتفضَلُ على العبدِ حتى يُكملَ بتطوعهِ فرضَهُ حتى كانَ التطوعُ عملهَ[4] فرضًا في الدُّنيا، وأمـّـا[5] تكفيرُ السيئات فمثلَ قول النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَن أَتى السوقَ فقالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ كُفِّرَت عَنهُ أَلفي سَيئة»[6]، وقالَ: «ما طلِعَتْ الشمسُ على رجلٍ مُحْرِمًا مُلبّيًا فغابَتْ [عنهُ][7] إلا غابَتْ بذنوبهِ فعادَ كيوم وَلدتْهُ أَمُّه»[8].

وقالَ عَلَيْهِ السَّلَامِ: «مَنْ توضأ فَغسلَ وجهَهُ فذكرَ [الله][9] أَنَّهُ يكفِّرّ[10] عنهُ عن كلَّ عُضوٍ ما أَصابَ من الذْنبِ ما أَصابَ الماءُ»[11]، وقال: «وخفقانُ

أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ، فَإِن انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْءٌ قَالَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ؛ فَيُكَمَّلَ بِهَا مَا انْتَقَصَ مِنْ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَى ذَلِكَ»
انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري. العسقلاني : ج٥، ص١٤١.

(١) الأزهر: وألقي.

(٢) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري. السقلاني : ج٥، ص١٤١.

(٣) الأزهر: الله.

(٤) الأزهر: عمل تطوع.

(٥) الأزهر: أما.

(٦) انظر: الأحاديث القدسية. عصام الدين الصبابطي : ص٨٣. الترهيب والترغيب في الأحاديث. زكي الدين المنذري : ج٢، ص٣٣٧.

(٧) الأزهر: عنهُ.

(٨) انظر: مسند الإمام أحمد: ج١، ص٣٦٨. روائع التفسير. لابن رجب الحنبلي: ج٢، ص١٤٨.

(٩) الأزهر: الله.

(١٠) الأزهر: كفر.

(١١) انظر: المستدرك على الصحيحين: ج١، ص٣٤٢. الترغيب والترهيب. زكي الدين المنذري: ج١، ص٩٣. مسند الإمام أحمد: ج١، ص٥٧١.

القلبِ في سَبيلِ الله ممحاةٌ[1] للذنوبِ»[2]، فياليتَهُ يفعلُ بنا ذلك، وإنّما خَصّه بالنافلَةِ التي لا يكمَلُ بها فرضٌ، ولا يكفّرُ بها ذنبٌ مَنْ غفرَ لهُ ما تقدَّمَ من ذنبهِ وما تأخر.

وكذلك يرويه ابن مبارك[3] أَنَّ النَّبيّ صَلىَّ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان في مسير لهُ فأَوتَرَ على بعيرِهِ ونزلَ[4] ابنُ رَوَاحَة[5] فأَوتَر بالأَرض، فقال لهُ النَّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ابنَ رَوَاحَة، أَمَا لَكَ فِيَّ أُسوة» قالَ: بلى يا رسول الله، ولكنكَ تعملُ في عِتْقٍ[6] وأَنا أَعملُ في رِقّ[7]»[8].

---

(١) الأزهر: يحات.

مِمْحاة: اسم أداة تُمحى بها الكتابةُ، تُستعمل لمحو الخطّ وإزالة الخطأ المكتوب.

انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة: ج٣، ص٢٠٧٣.

(٢) انظر: الجامع الصحيح: محمد بن عيسى الترمذي: ج٤، ص١٧٥. حلية الأولياء. الأصفهاني: ج٥، ص٢٠٩.مسند أبي يعلى: ج٧، ص٣٠٧.

(٣) عبد الله بن المبارك ابن واضح الإمام شيخ الإسلام، عالم زمانه، وأمير الأتقياء في وقته، سمع من: أبي عبد الرحمن الحنظلي، وأبي حنيفة، حدث عنه: معمر والثوري وطائفة من شيوخه، كان ابن المبارك يكثر الجلوس في بيته، فقيل له: ألا تستوحش؟ فقال: كيف أستوحش وأنا مع النبي (ص) وأصحابه، مات في سنة ١١٨هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج٨، ص٣٧٩.

(٤) الأزهر: تركَ.

(٥) عبد الله بن رواحة الأنصاري ابن ثعلبة بن امرئ القيس، كان حارسَ النبي وشاعرهُ، مات سنة ٨هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج١، ص٢٣١.أسد الغابة في معرفة الصحابة: ج١، ص١٦٤٠.

(٦) عِتق من العَتِيق: الكَرِيم الرَّائع، ولمن خلاَ من الرّقّ.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٥٤٥.

(٧) الرّقُّ: المملوك منهم، العبيد.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٣٦١.

(٨) انظر: المستدرك صحيح على الصحيحين. الحاكم النيسابوري : ج١، ص٦٠١. صحيح مسلم: ج١، ص٤٨٧. الجامع الصحيح. الترمذي : ج٢، ص٣٣٦.

وأمّا الخَصْلةُ الثانية: فشكرُ النعم؛ ليرضَى بذلك المنعمُ ولا يُزيلها [عنك][1]، ومَن ذلك ما روَى مسعر[2] و[سفيانٍ] بن عيينةِ[3] عن زياد بن علاقة[4] عن المُغيرة بن شعبة[5] أَنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقومُ حتى تورَّم قَدَمَاهُ، فَقِيلَ لَهُ: يا رسولَ الله أليسَ قَد غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأخر، قَالَ: أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا»[6]. وكان عليِ بن أَبِي طالب رضي الله عنهُ إذا جاءَه شيء يعجْبهُ قَالَ[7]: «الحَمْدُ للهِ

---

(1) الأزهر: عنك.

(2) مسعر بن كدام بن ظهير بن عبيدة بن الحارث، الإمام الثبت، شيخ العراق أبو سلمة الهلالي الكوفي، روى عن: عدي بن ثابت. وعمرو بن مرة، وزياد بن علاقة، ومحمد بن المنكدر، روى عنه: سفيان بن عُيَينة، ويحيى القطان. مات سنة ١٥٥هـ..
انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج٧، ص١٦٤.

(3) الأزهر: سفيان.

سفيان بن عيينة: أبو عمران، أخو الضحاك بن مزاحم الإمام الكبير حافظ العصر، طلب الحديث وهو حدث، بل غلام، ولقي الكبار، وحمل عنهم علمًا جمًا، فسمع من: عمرو بن دينار، زياد بن علاقة، حدث عنه: الأعمش، وابن جريج، وشعبة -وهؤلاء من شيوخه-، من أعلم الناس بحديث الحجاز، مات سنة١٩٦هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج٨، ص٤٥٥.

(4) زياد بن علاقة ابن مالك أبو مالك الثعلبي الكوفي، من الثقات المعمرين. يقال: إنه أدرك ابن مسعود، وقد حدث عن: قطبة بن مالك، وجرير بن عبد الله البجلي، حدث عنه: سفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، وقال النسائي: ثقة. وأبو حاتم: صدوق، توفي ١٢٥هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج٥، ص٢١٥. كتاب العلل. عبد الرحمن الرازي: ج٣، ص٣١.

(5) المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود بن معتب، أبو محمد، من كبار الصحابة أولي الشجاعة، شهد بيعة الرضوان روى عنه: الزهري، وهو أول من وضع ديوان البصرة، وولي على الكوفة في زمن عمر (رض)، مات سنة ٥٠هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج٣، ص٢٢. ٢٣. أسد الغابة في معرفة الصحابة. الجزري : ص١١٦٢.

(6) انظر: صحيح مسلم: ج٤، ص٢١٧٢. صحيح البخاري: ج٤، ص١٨٣١، ص٥٠. الجامع الصحيح. الترمذي : ج٢، ص٢٦٩.

(7) الأزهر: يقول.

الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ »[١]، ورُوِيَ عنه: أَنَّهُ رَأَى رجلاً مُحاطبًا[٢] فَخَرَّ[٣] سَاجِدًا، وقال: «الحَمْدُ لله الَّذِي لَمْ يُجْعَلْنِي مِثْلَ زُنَيْم[٤]»[٥].

وأما الخَصْلةُ الثالثةُ: فتجريد القلوبِ وحياةٌ لها[٦] وعمارةٌ لها[٧]؛ ليرجعَ ذلك إلى قلوبهم، لقولهِ عزَّ وجلّ: {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ}[٨]، ومِنْ ذلك الحديثُ [القدسي][٩]، لقولهِ تعالى: «ما تَعبَّدَ لي عبدٌ بمثلِ أَداء ما افترضْتُ[١٠] عليهِ، ولايزالُ العبدُ[١١] يتقرَّب إلَيَّ بالنوافِلِ حتى أَحبَّه؛ فإذا أَحبْبتُهُ كنْتُ سَمَعَهُ الذي يَسمعُ بهِ، وبَصَرَه الذي يبُصرُ بهِ، ولسانَهُ الذي ينطقُ به، وعقلهُ الذي يعْقلُ بهِ»[١٢]، وإنمّا معنى ذلك:

---

(١) انظر: ابن ماجة: ج٢، ص١٢٥٠. البحر الزخار. أحمد بن عمرو : ج٢، ص١٦٦. مختصر الأحكام. الطوسي: ج٤، ص٢٤١.

(٢) ورَجُل حاطِبُ لَيْلٍ: يتكلّم بالغَثِّ وَالسَّمِين، مُخَلِّطٌ فِي كلامِه وأَمْرِه، لاَ يَتَفَقَّدُ كَلامَه، كالحاطِبِ بِاللَّيْلِ الّذِي يَحْطِبُ كُلَّ رَدِيءٍ وجَيِّدٍ؛ لأَنه لا يُبْصِرُ مَا يَجْمعُ فِي حَبْلِه، وهو شُبِّه الجانِي عَلَى نَفْسه بِلِسانِه.

انظر: مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار. الكجراتي: ج٥: ص٣٨٢. لسان العرب. ابن منظور: ج١: ص٣٢٢.

(٣) فَخَرَّ: مَعْنَاهُ كُله سقط وَأَصله السقوط من علو.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج١٠، ص١١٥.

(٤) (الزَّنِيمُ):، الدَّعِيُّ المُلْصَقُ بِالْقَوْمِ وَلَيْسَ مِنْهُمْ. ورجل زَنيم: ذُو علامةِ سَوْءٍ، وَقَوْلُهُ تعالى: {عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ}. ١٣، القلم الآية.

انظر: جمهرة اللغة. محمد بن الحسن: ج٢، ص٨٣٨. لسان العرب. ابن منظور: ج١٢، ص٢٧٧.

(٥) انظر: المصنف. لابن أبي شيبةِ :ج٥،ص٤٥٩. الإصابة في تميز الصحابة. أحمد بن علي العسقلاني: ج٢، ص٤٧١.

(٦) الأزهر: وحياتها.

(٧) الأزهر: وعمارتها.

(٨) محمد :١٧، الآية.

(٩) الأزهر: القدسي.

(١٠) الأزهر: افترضته.

(١١) الأزهر: عبدي.

(١٢) صحيح البخاري محمد بن إسماعيل : ج٥، ص٢٣٨٥. فتح الباري شرح صحيح البخاري.

أَنْ[1] يَقُومَ لهُ عقلُه وجوارَحهُ لطاعَتهِ، لَا أَنَّ اللهَ يَسكُن في العُقولِ والجوارح تعالى عن ذلك، وقالَ: {إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ}[2].

وقالَ: عبدُ الله [ابن مبارك][3]: «الذِكْرَ يُثبتُ الإيمانَ في القلبِ»[4]، وقالَ الحسَنُ[5]: «إنَّ العَبْدَ ليعملُ الحسنةَ فتكونُ نورًا في قلبِهِ»[6]، ورُوي عن النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَّهُ كان دائمُ التفكّرِ متواصلُ الأَحزانِ»[7]. وذلك [هو][8] عمارةٌ للقلبِ بذِكْرِ الله، وقيلَ: يا رسولَ الله من أَكيَس[9] المؤمنين كيسًا، قالَ: «أَكْثَرُهُمْ لِلْمَوْتِ ذِكْرًا»[10]، وأُثنِيَ على رَجلٍ؛ فقال عَليهِ [الصلاة][11] والسلام: «كيف ذكْرُهُ للموتِ؟» قالوا: ما هو كثيُر الذِكْرِ[12]

العسقلاني : ج١١، ص٣٥٠. السنن الكبرى. النسائي: ج١، ص٣٤٦.

(١) الأزهر: أنهُ.

(٢) النحل: ١٢٨، الآية.

(٣) الأزهر: بن مبارك.

(٤) انظر: الزهد. لأبي مبارك: ص٩٩. كنز العمال في السنن والأقوال. علاء الدين المتقي: م١، ص٤٠٦.

(٥) الحسن البصري.

(٦) انظر: المصنف. لأبي شيبة: ج٨، ص٢٥٦.

(٧) انظر: المعجم الكبير. للطبراني: ج٢٥، ص٢٤٧. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. نور الدين علي الهيثمي: ج٨، ص٢٧٤.

(٨) الأزهر: هو.

(٩) أكيس: أَعقل، أَي الْمُؤمنِينَ أَكيس أَي أَعقل.
انظر: غريب الحديث. لابن الجوزي: ج٢، ص٣٠٧.

(١٠) انظر: سنن ابن ماجه: ج٥، ص٣٢٧. حلية الأولياء. أصبهاني: ج١، ص٣١٣. الزهد. لأبي مبارك: ص١١٤.

(١١) الأزهر: الصلاة.

(١٢) الأزهر: لذكر.

للموتِ، قال: ليسَ صاحبُكم حيثُ تذهبون»[١].

وقالَ عليهِ السلام: «مَنْ استحيَى مِن الله حقَّ الحياءِ ولمْ يَنْسَ المقابرَ والبلى»[٢]، وقالَ عليهِ السلام: «الجليسُ الصالحُ مثلَ صاحبِ العِطرِ إنْ لا يجْدْك عطرُه يعبقُ بكَ من ريحِهِ»[٣]، ورُويَ عن الربيع بن أَبي راشد[٤][أَنَّهُ][٥] قيلَ لهُ: (لمَ لا تجالسَ أصحابكَ؟! قالَ[٦]: إنَّهُ إذا فارق ذَكْرُ الموتِ قلبي ساعةً فسَدَ على قلبي)[٧].

وقال الحسنُ: (إنَّ الرَّجلَ ليجلسُ المجلس فيتغيرُ عليه قلبُهُ، ويأكلُ الأكلَةَ فيتغيرُ عليهِ قلبهُ، أَلا تراهُ ينْدُبُ[٨] إلى تركِ ما يغيُرُ[٩] على العْبدِ قلبُهُ)، وقال

---

(١) انظر: المصدر نفسهُ: ص١١٣.

(٢) انظر: الترغيب والترهيب في الأحاديث. زكي الدين المنذري : ج٣، ص٢٦٩.

(٣) انظر: مسند الإمام أحمد: ج٣٢، ص٣٩٩. المستدرك على الصحيحين. الحاكم النيسابوري : ج٤، ص٣١٢. الكفاية في علم الرواية. أحمد بن علي الخطيب البغدادي: ج١، ص٦٠.

(٤) الربيع: هو جامع بن أبي راشد الكاهلي الصيرفي الكوفي، قال الربيع: لو أعلم أي العمل أحبّ إلى الله لعلّي أكفلهُ، انظر: الطبقات. لابن سعد: ج٨، ص٤٤٦. تهذيب التهذيب. العسقلاني : ج١، ص٢٨٨. موسوعة أقوال الإمام أحمد بن حنبل: ص٣٦٧.

(٥) الأزهر: أنهُ.

(٦) الأزهر: فقال.

(٧) انظر: التاريخ الكبير. تاريخ ابن خيثمة: ج١، ص٩٨. موسوعة أقوال الإمام أحمد بن حنبل: ص١٩٩.

(٨) الأزهر: يدل.
ينْدُبُ: هو احْتِراقٌ ولَذْعٌ مِنَ الحُزْن.
انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج١، ص٧٥٤.

(٩) الأزهر: ما بغير.

أبو حازم[1]: لقاءُ الإخوانِ يَلْقَحُ القلوبَ، و[في][2] الحديثِ: « إِنَّ اللهَ يُحيِي بالحِكْمَةِ الْقلبَ[3] كَمَا يُحيِي الأَرْضَ بِوَابِلِ السَّمَاءِ »[4].

والخصلة الرابعة: جزْءٌ مِنْ خسرانِ العمرِ أَنْ تمضي [منهُ][5] ساعةٌ بغير طاعةٍ، وكذلك يُروَى في التفسير قوله عزَّ وجلّ: {وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا}[6]، قالَ: لا تدعْ أيامَ عُمْرِك [دونَ][7] أَنْ تعمل فيها لنفسكَ، وكذلك جاءَ في الحديثِ: «إنَّ العبْدَ تُعرضُ لهُ الساعاتِ يوم القيامةِ كلما مَرَّتْ ساعةٌ لم يَذكُر الله فيها كانتْ عليهِ حَسرةً[8]»[9]، ورُوي عن الحسنِ أَنَّه قالَ: «أَدركْتُ أَقوامًا كانوا على ساعاتهم أَشحُّ منكم على دنانيركم ودراهمكم»[10]، ورُوِيَ عن النَّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما جَلَسَ قومٌ مجلسًا لم يذكروا الله فيهِ إلاّ كانَ

---

(١) أبو حازم: هو سلمة بن دينار، الإمام القدوة، الواعظ، شيخ المدينة النبوية الزاهد، وروى عن: سعيد بن المسيب، وروى عنه: ابن شهاب، ويزيد بن عبد الله بن الهاد، وعمارة بن غزية، وثّقَه ابن معين، لم يكن في زمانه مثله.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج٦، ص٩٧.

(٢) الأزهر: في.

(٣) الأزهر: قلوب.

(٤) ورد الحديث: «إِنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْقُلُوبَ بنور الْحِكْمَةِ كَمَا يُحْيِي اللَّهُ الْأَرْضَ الميتة بِوَابِلِ السَّمَاءِ».
انظر: شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك: ج١، ص٦٨٤. المعجم الكبير. الطبراني: ج٨، ص٢٠٠.

(٥) الأزهر: منهُ.

(٦) القصص:٧٧، الآية.

(٧) الأزهر: دون.

(٨) الحسرةُ: الغمُ على ما فاتهُ والندم عليه قال تعالى: {وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ}، الحاقة :٥٠.
انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٢٣٥.

(٩) انظر: المعجم الكبير. الطبراني: ج٢٠، ص٩٤. غذاء الألباب في شرح مقطوعة الآداب. محمد السفاريني: ج٢، ٤٩٣.

(١٠) انظر: الزهد. لأبي مبارك: ص٥٢. المعجم الكبير. الطبراني: ج١٠، ص٩٤. البحر الزخار. أحمد بن عمرو: ج٥، ص٥٢.

عليهم حسرةً يوم القيامة»(١)، ورُويَ عنهُ(٢)[النَّبِيّ](٣) عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قالَ: «ما قَعَد قومٌ على ذكرِ الله عزَّ وجلّ إلا حَفَّتْ بِهم الملائكةُ ونزلتْ عليهم السكينةُ»(٤).

ورُويَ عن أَبي هريرةِ عنهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قالَ: «إنَّ الله تباركَ وتعالى يقولُ: يا ابنَ آدم، إنْ ذكرتني خالي(٥) ذكرتكَ خاليًا، وإنْ ذكرتني في ملأٍ ذكرتُك في ملأٍ خيرٌ منهمُ، وَإنْ تَقَرَّبَت إِلَيَّ فِتْرًا (٦) تَقَرَّبْتُ إليك باعًا(٧)، وإن أَتيتني تسعى أَتَيْتُكَ هَرْوَلَةً»(٨)، وإنما ذلك عند العطايا بالمَعُونةِ والتوفيق(٩) معَ الرَحمَةِ، لا أَنَّ(١٠) الله عزَّ وجلّ(١١) ينزلُ(١٢) إلى

---

(١) انظر: مسند الإمام أحمد: ج١، ص ٢٢٤. مَجْمَعُ الزَّوَائِدِ وَمَنْبَعُ الفَوَائِدِ. نور الدين علي: ج١، ص٧٤. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال. علاء الدين علي ج١، ص٤٢٤.

(٢) الأزهر: عن

(٣) الأزهر: النبي.

(٤) انظر: مسند الإمام أحمد: ج٣: ص٤٩. الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع. عبد الفتاح الغني: ج١، ص٣٨٢.

(٥) الأزهر: خاليا.

(٦) فترًا: مقدار ما بين طَرَف الإِبْهام وطَرَف المُشيرة، وفَتَرتُ الشَّيءَ فَتْرًا بفِتري، وشَبَرْته شَبْرًا بشِبري. يَدُلُّ عَلَى ضَعْفٍ فِي الشَّيْءِ.
انظر: العين. الفراهيدي: ج٨، ص١١٤. معجم مقاييس اللغة. أحمد الرازي: ج٤، ص٤٧٠.
الأزهر: شبرًا.

(٧) باع: نحو ذرعه إذا قدّره بذراعه.
انظر: أساس البلاغة. الزمخشري: ج١،ص٨٢.
الأزهر: ذراعًا.

(٨) انظر: المستدرك على الصحيحين. الحاكم النيسابوري: ج٥، ص٣٥١. صحيح مسلم: ج٤، ص٢١٠٢. الترغيب والترهيب في الحديث. زكي الدين المنذري: ج٢، ص٢٥٢.

(٩) الأزهر: والتوفيق والمعونة.

(١٠) الأزهر: لأنَّ.

(١١) الأزهر: تعالى.

(١٢) الأزهر: لا ينزل.

أَحدٍ أَطاعَه أَمْ عصاهُ.

وأمّا الخصلةُ الخامسةُ: وهي أعظمُ الخصال، وهيَ التي تهيجُ من قلوبِ أَهل الاشتغالِ بالله تعالى والمحبةِ له، وهي الكراهةُ[1] والجزَعُ من مَدْخلِ طَرْفةِ عينٍ بينهم وبين رَبِّهم [بالغفلةِ] حُبًّا لهُ[2] واشتغالاً بذكرِهِ، وكذلك كلُّ مُحبٍ لمحبٍ ويَجْزعُ من كلِّ حائل يحولُ بينه وبين الأَسباب المُشغِلة؛ كراهةً أَنْ تحلَّ في قلوبهم الغفْلةُ عن رَبِّهم، ومن ذلك ما رُوِيَ عن النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَّ أبا جَهْم[3] أهدى إليهِ رِداءً[4] مُعْلَّماً[5] وأخَذَ من النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كساءً[6] أَنبجانيًا[7]، فلما صلىّ فيه وانصرف نزعهُ عنهُ، فقال: إنَّ هذا شَغَلَ قلبي[8] آنِفًا[9]، اذْهَبُوا بَهِا[10] إلى أَبِي جَهْمٍ وَأْتُونِي بِأَنْبِجَانِيَّتِهِ»[11]. وَسَتَرتْ عائشةُ رضي

(١) الأزهر: الكراهية.

(٢) الأزهر: حبالهُ.

(٣) أبو جهم بن حذيفة القرشي العدوي، وكان علامة بالنسب، كان ممن بنى البيت في الجاهلية، وهو الذي قال فيه النبي (ص)، لفاطمة بنت قيس، إذ خطبها: أما أبو جهم فإنه ضراب للنساء.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج٢، ص٥٥٧.

(٤) الأزهر: ثوبًا.

(٥) وهي البردة من نوع سِبان مخططة تم تعريفها.

(٦) الكساء: وهو اللباس، قال تعالى: {أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ}، المائدة: ٨٩.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٧١١.

(٧) الكِسَاءٌ أَنْبِجانيٌّ:، وَهُوَ كِسَاءٌ يُتخذ مِنَ الصُّوفِ لَهُ خَمْلٌ ولا عَلَم له.

انظر: لسان العرب ابن منظور: ج١، ص٣٧٢.

(٨) الأزهر: شغل هذا قلبي.

(٩) : آنِفًا: أي مبداهُ، قوله تعالى: {مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ}، محمد:١٦، الآية.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٩٥.

(١٠) الأزهر: بي.

(١١) انظر: صحيح مسلم: ج١، ص٣٩٢. سنن ابي ماجة: ج٢: ص١١٧٦.السنن المأثورة للشافعي: ج١، ص٢٤٦.

الله عنها بابَها بسترٍ[1] فقالَ: «يا عائشة انزعيهِ؛ فإني إذا رأيتهُ ذكرتُ الدُّنيا»[2].

وَلبسَ النَّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاتمًا من ذهْبٍ ثمَ صعدَ [على][3] المنبر فَرماهُ، وقال: «نظرةٌ إليهِ ونظرةٌ إليكم إنَّهُ شَغلني عَنكم»[4]، وَشَرَكَ نعلهُ بشراكٍ جديدٍ، فقال: «انزعوه وأَعِيدوا[5] الأَول[6]؛ فإنَّه أَشغل[7] قلبي»[8] أَفلا تراهم يجزعون في الصلاةِ من أَنْ يحولَ بينهُم وَبَيَن رَبهِّم.

فهم الصلاة. للحارث المحاسبي: ص٣٧٤.

(١) السَّتْرُ: الظِلّ، وظِلُّ الشَّجَرةِ، أي: سَتْرُها وتَغْطيَتُه، والكِلَّةُ: السِّتْرُ الرَّقِيقُ، والقرام إذا خِيط فصارَ كالبيْت، فَهُوَ كلّة، وعلى الباب قِرَام» في الحديث.

انظر: الإبانة في اللغة. سَلَمة بن مُسْلِم العوْتبي: ج٣، ص٤٥٧. تهذيب اللغة. محمد الهروي: ج٨، ص١٢١.

(٢) جاء في الحديث الشريف: عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: «خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرْجَةً، ثُمَّ دَخَلَ وَقَدْ عَلَّقْتُ قِرَامًا فِيهِ الْخَيْلُ أُولَاتُ الْأَجْنِحَةِ، فَلَمَّا رَآهُ، قَالَ: انْزَعِيهِ».

انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري. زين الدين عبد الرحمن الدمشقي : ج١٠، ص٥٤٤. سنن النسائي: ج٨ ص٤٥٨. الزهد. لأبي مبارك: ص١٤٥.

(٣) الأزهر: على.

(٤) الشَّرَكُ: شيور من جلد يدخل ذلك في الثقب من الطرف الآخر، ويزم بها المنطقة على الوسط، الشِّرَاكُ سيْرُ النَّعْلِ على القدَم.

انظر: جمهرة اللغة. محمد بن الحسن: ج٢، ص٧٤٣.

(٥) الأزهر: وائتوني.

(٦) الأزهر: بالأول.

(٧) الأزهر: شغل.

(٨) انظر: الزهد. لأبي مبارك: ص١٤٦.

وأمـّا الخَصْلةُ السَادسةُ: فلِخفّةُ الحسابِ(١) وقلِةُ الحُبْس(٢)، [و](٣)لقربه مِنْ الله عزَّ وجلّ(٤) في الآخرةِ في الارتفاع بالدرجاتِ(٥)؛ لَأنَّهم إنَّما يدخلونَ الجنَّة بعد الرحمةِ بالتقوى، ويعلون في درجاتها بالقُربةِ إلى الله تعالى بالأعمال الصالحةِ، أَلا تراهُ يقولُ تباركَ وتعالى: {فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إلى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا}(٦).

وقالَ: {فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ}(٧)، الآية. وقال: {وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ* أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ}(٨).

وقال: {وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ}(٩).

ورُوِيَ عنِ النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قال: «أَتاني جبريل فَعرضَ عليَّ خزائنَ الأرضِ، فقالَ: يا محمد هذه مفاتيحُ خزائن الأرض فَخُذْها ولا

(١) الحساب: هُوَ صفة من صِفَات الله اسْتَأْثر بهَا فَلاَ يشركهُ فِيهَا شَيْء. إن سُوءُ الحِسابِ أن لاَ يُقْبَلَ مِنْهُمْ حسنة.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج١، ص٩٩. المحكم المحيط الأعظم. علي بن إسماعيل: ج١، ص٧٤. معجم في المصطلحات والفروق اللغوية الكليات. أيوب بن موسى الحسيني: ج١، ص٥٣.

(٢) والحَبْس والمَحْبَس: موضعان للمحبوس، فالمَحْبَس يكون سِجْنًا، الحْبيس يعني زاهد.

انظر: العين. الفراهيدي: ج٣، ص١٥٠.

(٣) الأزهر: و.

(٤) الأزهر: تعالى.

(٥) الأزهر: في الدرجات.

(٦) المائدة: ٤٨، الآية.

(٧) فاطر :٣٢، الآية.

(٨) الواقعة: ١٠،١١، الآية.

(٩) البقرة:١٨٥، الآية.

ينقصُ[1] مماّ لك عِنْدَ الله شيئًا، فقلتُ: اجمعوها لي جميعًا في الآخرةِ»[2]. فنزَلتْ: {تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا}[3]. وقالَ النَّبِيّ صَلىَّ اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لبلال[4]: «يا بلال، ما لي لا أَرى موضعًا من الجنَّةِ إلا سمعْتُ حِسَّكَ فيها[5]. قالَ[6]: يا رسولُ الله، إني ما أَحدثْتُ إلا توضأت، ولا توضأَتُ إلا صَّليتُ ركعتين»[7].

وقالَ النَّبِيّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :» إنَّ أَهلَ الجنَّة ينظرون إلى عليين كما تنظرونَ إلى الكوكبِ الدرِّي في آفَاقِ السَّماءِ، وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ مِنْهُمْ وَأَنْعَمَا»[8]، وقال[النَّبيّ][9] عَليهِ السلام وذَكَرَ المتحابين في الله تعالى فقالَ: «هم قومٌ ليْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمُ الأنبياءُ وَالشُّهَدَاءُ عَلَى مجلسِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنَ اللهَّ عَز

---

(١) الأزهر: تنقص.

(٢) انظر: فتح الباري للبخاري شرح صحيح البخاري. زين الدين عبد الرحمن : ج٤، ص٧٤٤. مسند الإمام أحمد: ج٣: ص٤٨٩. جامع الأحاديث القدسية. عصام الدين الصبابطي: ج٦، ص٢٧٠.

(٣) الفرقان: ١٠، الآية.

(٤) هو بلال بن رباح (رض)، أبا عبد الكريم وهو مؤذن رسول الله (ص) وخازنًا، روى أبو الدرداء: فنزل داريًا في خولان، فقال لهم بلال (رض): قد أتيناكم خاطبين، وقد كنا كافرين فهدانا الله، وكنا مملوكين فأعتقنا الله، وكنا فقيرين فأغنانا الله، فإن تزوجونا فالحمد لله، وإن تردونا فلا حول ولا قوة إلا بالله، فزوجوهما، دفن في حلب سنة١٧هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج١، ص٣٤٨. أسد الغابة في معرفة الصحابة. عز الدين الجزري: ص١٣٠.

(٥) الأزهر: فيه.

(٦) الأزهر: فقال.

(٧) انظر: صحيح البخاري. محمد إسماعيل : ج١، ص٣٨٦..مسند الإمام أحمد: ج٥، ص٣٥٤.

(٨) انظر: المصنف لأبي شيبة: ج١٠، ص٤٤٧.الجامع الصحيح. الترمذي: ج٤، ص٦٠٧. سنن ابي داوود: ج٤، ص٣٤.

(٩) الأزهر: النبي.

وَجَل، فَجَثَا[1] رَجُلٌ مِنَ أَقَاصِيةُ[2] القوم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهَّ أيُّ الناس مِنْ الناسِ لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمُ[3] الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ عَلَىَ مَجَالِسِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنَ اللهَّ عَزَّ وَجلّ[4]؟

فَسُرَّ النَّبِيِّ صَلَّى اللهَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسُؤَالِ الرَجلُ إياه، فَقَالَ: «نعم هُمْ قَوم؛ نَاسٌ مِنْ أَفْنَاءِ[5]الْقَبَائِلِ[6] وَنَوَازِعِ[7] الْقَبَائِلِ لَمْ تَصِلْ بَيْنَهُمْ أَرْحَامٌ مُتَقَارِبَةٌ، يتَحَابُّونَ فِي اللهَّ وَيتجالسونَ في الله وَيتزاورونَ في الله، فإذا كانَ يوْمُ القيامة يَجْعَلُ الله وُجُوهَهُمْ نُورًا وَثِيَابَهُمْ نُورًا، فوُضعَ[8] لهم منابر [من نور] [9] فأَجلسوا عليها، يحزنَ الناسُ ولا يَحزنونَ، ويَخافُ الناسُ ولا يخافونَ،يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ

---

(١) الأزهر: فحبَا.

فجَثا: برَكَ. جَلس عَلَى رُكْبَتَيه، وأيضًا جُثَّ جَثًّا، قَوْلُهُ تعالى: {وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جُثِيًّا} مريم: ٧٢.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج٢، ص١٢٧.

(٢) أقاصية: أي أقاصي: أقاصي المعمورة: من آخر الدنيا المكان البعيد.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج١، ص٦.

(٣) يغبطهم: أي أغبط: هُوَ إِذا اشتهيْتَ أَن يَكُونَ لَكَ نعمة أو رزق مثل شخص آخر من غير أَن يَزول عَنْهُ مَا هُوَ فِيهِ، انظر: الفروق اللغوية. العسكري: ج١، ص١٢٨.لسان العرب. ابن منظور: ج٧، ص٣٥٧.

(٤) الأزهر: تعالى.

(٥) أفناء القبائل: أي الأَمْصَار ونَوَاحِيهَا، رجل من «أفناء» الناس، أي لم يعلم ممَن هو، وَلاَ يقالُ فِي الواحِدِ رجُلٌ مِن أَفْنَاءِ الناسِ، وهم قَوْمٌ نُزَّاعٌ من هَهُنَا وَهَهُنَا.

انظر: مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار. جمال الدين الكجراتي : ج٤، ص١٧٩.

(٦) الأزهر: الناس.

(٧) ونوازع: ينزع إلى أوطانه، غرائب نزعن عن قوم آخرين، ونساء نزائع: تزوّجن في غير عشائرهن.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج٨، ص٣٥٠.

(٨) الأزهر: ووضع.

(٩) الأزهر: من نور.

وَالشُّهَدَاءُ عَلَى مَجَالِسِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنَ اللهِ عَز وَجل[1] »[2] فلهذه الستُ خصال يطولُ عَملُ العُمّال.

وقد يعملُ العبدُ بخصلةٍ منها وبخصلتين وأَكثرُ، وقد يجمُعها العاقلُ المرُيد[3][لله][4] فيعمل ُبها، وذلك العاملُ بالله عزَّ وجلّ المشغول بهِ وهي ستُ خصالٍ تكميلًا للفرائض وتكفيرًا للسيئاتِ وتجريدًا[5] للقلوبِ وحياةً لها وعمارةً لها وشكرًا للنعمةِ وربحًا للعُمْر، جزعًا أَنْ يخسر منه ساعةً في غيرِ طاعة، وكراهة وجزعًا أَن يدخُل بين المريدِ وبين رَبِّه غَفلْةً، ولِدَوام الاشتغال بهِ والإقبالِ عليهِ ولخفةِ الحسابِ وطولِ الحبْسِ في الموقفِ للقربةِ[6] مِنْ اللهِ تعالى والارتفاعِ في الدرَجاتِ.

---

(١) الأزهر: تعالى.

(٢) انظر: الزهد. لأبي مبارك: ص٤٧٧. مسند الإمام أحمد: ج٥، ص٣٤٥. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. نور الدين علي : ج١٠، ص٢٧٧.

(٣) المريد أصولها تمردَ: عصى خرج عن الطاعة، من ظهر شرهُ، هو من الجن والإنس. انظر: الإبانة في اللغة العربية. سَلَمة بن مُسْلِمِ العَوْتبي الصُحاري: ج٤، ص٣٤٥.

(٤) الأزهر: لله.

(٥) تجريدًا أي التجريد: مصدر جرّد الجِلد حلق شعره أو صوفه. انظر:. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية. أيوب بن موسى الحسيني: ج١، ص٢٧٤.

(٦) الأزهر: وللقربة.



مسألة[1]

قال: إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ أوجبَ على العبادِ حقوقًا في القلبِ دون أعمال الجوارحِ فجملتُها ثلاثة:

أولـها: اعتقادُ[2] الإيمان ومُجانبةُ[3] الكُفرِ.

والثاني: اعتقادُ السُنَّةِ ومُجانبةُ البِدُعةِ.

والثالث: اعتقادُ الطاعةِ[4] ومُجانبةُ الإصرارِ على ماكَرِهَ الله عزَّ وجلَّ.

ثمَّ تفترق هذه الخصال الثلاث لفروع[5] لا تُحصى من أعمال القلب خاصةً، ومن هموم القلب بعملِ[6] الجوارح، فَمِنْ أعمال القلبِ خاصةً التي تكونُ عن هذه الجملَة:

(١) الأزهر: من أعمال القلوب.

(٢) اعتِقادٌ: اسم اطمئنان القلوب على شيء، اعتِقادٌ وَتَصْدِيقٌ بِالْقَلْبِ. فَذَلِكَ الإيمانُ الَّذِي يُقَالُ لِلْمَوْصُوفِ بِهِ هُوَ مؤمنٌ مسلمٌ.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج١، ص٣٣. الكليات:. معجم في المصطلحات والفروق اللغوية. أيوب الحسيني: ج١، ص٧٤.

(٣) مجانبة: أي الجنب: وجَنَّبَ الشيءَ واجْتَنَبَهُ: بَعُدَ عَنْهُ، قوله تعالى: {وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ}، إبراهيم: ٣٥

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج١، ص٢٧٨. القاموس المحيط:. مجد الدين الفيروز آبادى ج١، ص٦٩.

(٤) الطاعة: من الطوع وهو نَقِيضُ الكُرْهِ، إذا انْقَادَ لَهُ.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج١، ص٢٤٠. تهذيب اللغة. محمد الهروي : ج١، ص١٧٧.

(٥) الأزهر: إلى فروع.

(٦) الأزهر: بأعمال.

اعتقادُ التواضعِ ونفي الكِبر، واعترافٌ[1] في الظاهرِ أَنها مِنَّةٌ من الله تعالى وتفضلٌ ونفيٌ للعجَبِ، واعتقاد لنصحِ العبادِ[2] وحَبِّ الخير لَهم.

واعتقاد الكراهيةِ لنزولِ البلاءِ بالمسلمينَ نُصَحًا لهم واتقاءَ الشَّماتَةَ[3].

واعتقاد الخوْف ونفيِ الأَمنِ.

واعتقاد الحَذْرِ والشَفقةِ والوَجْلِ مع[4] العملِ الصالح ونفي الْغِرَّةِ بالله.

واعتقاد السلامةِ للعبادِ ونفي الحقدِ وتمني البلاء.

واعتقاد الصبرِ ونفي الجَزَعِ.

واعتقاد الرضى وَنفْيِ السَخْطِ.

واعتقاد اليأسِ ممّا في أَيدي العبادِ[5] يقينًا بالمقدورِ ونفي الطمعِ.

واعتقاد الثقة بالله والتوكّل عليه يقينًا؛ لأَنَّهُ المالكُ لا مالكَ غيرُهُ، ولا مُقدمْ لما أخر ولا مؤخر لما قدَّم، ولا زائد[6] لما قللَّ ولا مُقللَّ لما كثّر، وأَنَّهُ أَنظرُ للعبدِ من نفسهِ وأَعلمُ بما يصلُحُه[7].

واعتقاد الزُّهْدُ[8] ونفي الرغبةِ.

---

(١) الأزهر: اعتقاد.

(٢) الأزهر: النصح للعباد.

(٣) للشماتة: من (شَمِتَ): الشماتَةُ: فرحُ العدُوِّ ببلِيّة تنزل بِمن يُعاديه، قوله تعالى: {فَلَا تُشْمِتْ بِىَ الأَعْدَاءَ}، الأَعْرَاف: ١٥٠.
انظر: معجم مقاييس اللغة. أحمد بن فارس: ج٣، ص٢١٠.

(٤) الأزهر: من.

(٥) الأزهر: الناس.

(٦) الأزهر: زائد.

(٧) الأزهر: بمصالحه.

(٨) (الزُّهْدُ) ضِدُّ الرَّغْبَةِ في الشيء، والتَّزَهُّدُ: التَّعَبُّدُ، وَفِي الْحَدِيثِ: «أَفْضَلُ النَّاسِ مُؤْمِنٌ مُزْهِد».
انظر: تهذيب اللغة. محمد الهروي : ج٦، ص٨٧.

واعتقاد اليقينِ ونفي الخوفِ والرجاءِ[1] من المخلوقين.

[واعتقاد الإخلاصِ] [2]، ونفي الرياءِ وكَظْم[3]الغيظِ[4]، ونفي الغَضْب أنْ يستعمْلهُ[5] فيما كرِهَ الله تعالى بقلبهِ دون جوارِحِهِ، [وقالَ][6]: مِنْ اغتاظَ فلَم يستعملْ غيظَه لستِ خلالٍ:

لَمْ يكافِئ بمعصيةٍ؛ بشَتْم[7] ولا ضَرَبٍ ولا تصادم[8] فوق ثلاث.

ولَمْ يتمنَّ بقلبهِ لِمَنْ اغتاظَ عليهِ بَلاءً في دينٍ ولا دنيا، إلاّ أَن يتمنى لهُ رجا أَنْ يَتّعظَ[9] وتكون لهُ كفارةً، وتركُ المُنى بذلك أفضلُ، [بلِ][10] يتمنى لهُ التوفيق بلا بلاءٍ أَولى بأَن يتمنى لهُ البَلاءَ، ولمْ يبغْضه بغضًا لا يستحقَّه في الدِينِ يستثقلهُ[11] بذلك، [بل][12] ويُعرضُ عنه إذا رآه بغِضًا لما

---

(١) الأزهر: الرجال.

(٢) الأزهر: اعتقاد الإخلاص.

(٣) كظم: كظمْتُ الغيظ إذا أَمْسكتَ على مَا فِي نفسِكَ، قالَ الله عزّ وجلّ: {وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ}، آل عمرَان: ١٣٤.

انظر: أساس البلاغة. : محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله ج٢، ص١٣٨.

(٤) الغيظ: فِعلٌ فِي مُهْلَةٍ مِنْهُمَا جَمِيعًا، يباريه ويغالبه، وَتأتي كغَيره.

انظر: أساس البلاغة. محمود بن عمرو الزمخشري جار الله: ج١، ص٧١٨. تهذيب اللغة. محمد الهروي: ج٨، ص١٥٧.

(٥) الأزهر: استعمله.

(٦) الأزهر: قال.

(٧) الشَتْمُ: وهو السبُّ، والاسم الشَتيمَةُ، والتَشاتُمُ: التسابُّ، والشتم هو وصف الرجل بما فيه إزراء سيّما فيما يتعلق بالنسب.

انظر: الإبانة في اللغة العربية. سَلَمة بن مُسْلِم العوْتبي: ج٣، ص٣٢١.

(٨) الأزهر: تصارم.

(٩) الأزهر: يتغيظ.

(١٠) الأزهر: بل.

(١١) الأزهر: فيستثقلهُ.

(١٢) الأزهر: بل.

فعلَ[1] ما[2] لا يبغضُ بهِ الفاسقين، فَمَنْ لمْ يستعمل هذهِ الستّ خصالٍ فقد كظمَ غيظَهُ، ولمْ يَستعملِ غيظَهُ إذا[3] كان غيظهُ لنفسهِ، ولم يغتمّ[4] بهِ لما رأى بهِ مِنْ نعمةٍ ويحبُّ زَوَالَهَا، ولم يفرحْ بما ينزلُ بهِ من مصيبةٍ.

وَقالَ: خُلّة[5][واحدةٌ][6] من الخلالِ[7] لا نقصٌ معها مِنْ العارفِ في كل حالٍ وهي: التيقظُ.

وخُلّةَ لا زيادةٌ معها مِنْ عارفٍ[8] ولا جاهلٍ وهي : الغَفْلة والنسيان.

وقال: آفة[9] المريد التي أغفَلتهُ عن الله عزَّ وجلَّ لتحرّي[10] رضاه عندَ مخاطبةِ الخَلْقِ ومُعَاملتهم؛ ذكرُهُ بقلبهِ طلب رضاهم ومجانبةِ سخطِهم[11] في مجاورتِهم ومعاملتهِم، فإذا بدأ بذِكْرِ رضاهم ومجانبةِ سخطِهم [أَشَغلُهُ][12]

(١) الأزهر: عمل.

(٢) الأزهر: بما.

(٣) الأزهر: وإذا.

(٤) الغُنْمُ: هو الْفَوْز بالشَّيْء من غير مشقّة، قال تعالى: {وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ}، الانفال:٤.

انظر: تهذيب اللغة. محمد الهروي : ج٨، ص١٤١.لسان العرب. ابن منظور: ج١، ص٢٩٠.

(٥) الأزهر: خصلة.

(٦) الأزهر: واحدة.

(٧) الأزهر: الخصال.

(٨) الأزهر: لعارف.

(٩) آفة: هي الأَرَضَةُ، دُودةٌ بيضاءُ شِبْهُ النَّملةِ تَظْهَرُ في أيامِ الربيعِ.
انظر: المحكم والمحيط الأعظم. علي بن إسماعيل: ج٨، ص٢٢١.

(١٠) الأزهر: عن تحري.

(١١) السخط: الغضب الشديد المقتضي للعقوبةِ.
انظر: مفردات ألفاظ القرآن. راغب الأصفهاني: ص٤٠٢.

(١٢) الأزهر: أشغلهُ.

ذلكَ عنِ ذِكْرِ[1] رضى[2] الله عزَّ وجلَّ ومجانبةِ سَخطِهِ؛ فَصارَ ذكْرُ رضاهم شعارًا أَلزَمَ[3] قلبَهُ يحرّكُ[4][به][5] جوارَحهُ، ولهُ ينطقُ بلسانِهِ، وصارَ رضى الله عزَّ وجلَّ يتمنى تمنيًا وحال قَد زالَ عنها يتوجّع لها، ثمَّ لا يمنعهُ ذلك من المعاودةِ أن يبدأ[6] بذِكْرِ رضاهُم قبل رضى الله عزّ وجلّ.

فإذا كانَ قد استحكمَ هذا الداءُ فيه واعتادَتهُ نفسُه بطولِ المواظبةِ عليه فَصار ذكْرُ رضى الله عزَّ وجلَّ خطراتُ[7]، فإن أَراد بعضُهم [أَنْ][8] تَعْظُم[9] نفسُه عن ذلك وينتقلُ عن عادتهِ فلا بدَّ من الصبر على خلتين:

أَحدهما: يبدأ[10] بها فيجعلها أصلًا في قلبِهِ، وهي الاهتمام والعزمُ على أَنْ لا يحاورُهُ محاورٌ[11] ولا يعاملُهُ معاملُ في أمر دنياه ولا أخرة[12] إلّا بدأ بذكر رضى الله عزّ وجلّ فيه بقلبِهِ قبل ذكر محاورِهِ[13] ومُعَامَلة، فإذا أَلزَمَ هذا الأَصلُ قلبهُ

---

(١) الأزهر: ذكره.

(٢) الأزهر: رضي.

(٣) الأزهر: لزم.

(٤) الأزهر: تتحرك.

(٥) الأزهر: به.

(٦) الأزهر: فيبدأ.

(٧) الخَاطِرُ: مَا يَخْطِرُ فِي الْقلب من تَدبيرٍ أَو أَمْر.
انظر: تهذيب اللغة. محمد الهروي: ج١، ص١٠٤.

(٨) الأزهر: أن.

(٩) الأزهر: تفطم.
تعظم: من العَظَمَة، وعُظَمَاء الْقَوْم: سادتهم وذوو شرفهم، فَقَالَ تعالى في النساء: {إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ} يُوسُف: ٢٨، الآية.
انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٥٧٣.

(١٠) الأزهر: يبتدى.

(١١) الأزهر: يجاوره مجاور.

(١٢) الأزهر: آخرتهِ.

(١٣) الأزهر: يجاورهُ.

قَرنَ[1] إليهِ الحذرُ من أَنْ يفجؤهُ[2] مُعَامَلةً وهو على غفْلةٍ؛ فيسبق ذكرُ رضاهم على[ذِكْرِ][3] رضى[4] رَبِّه[5].

والخـلَّة الثانية: إذا لقيهم فعاملهم أو حاورهم[6] تيقَّظ؛ فذكر رضى[7] الله تعالى قبل رضاهم، فإنْ خشيتْ النفسُ ونازعتْ إلى عادتها ذَكَّرَها عظيم قَدرِ خالقهِ[8] وَاطّلاعهِ على ضميرهِ وجوارحهِ وصغرِ قدرِهم؛ ليعظمَ بذلك قدرُ رضى [الله][9] خالقِهِ في قلبهِ ويصغرُ [قَدْرَ][10] رضاهم.

فإنْ غفل ونسيَ في بعضِ أحوالهِ لَمَا يَغْلب عليهِ مِنْ الأَشغالِ فَزِعَ فَزَعَ المطلوبُ الهاربَ مِنْ الهَلكةِ واستغفرَ[واستعانَ بـ][11] الله، وعاودَ ذكرَ [رضى][12] الله عزَّ وجلَّ.

فإن هو دامَ على ذلك تَقلَّبَتْ أحوالهُ وأَبصرَ ما مضى من طولِ غَفْلتهِ عن الله عزّ وجلّ بخلقهِ؛ فصَارَ ذِكْرُ رضى الله شعارًا قد لزمَ قلبَهُ يهيجُ مِنْ قلبهِ الذِّكر

---

(١) قَرنَ: يستعمل في الجمع بين اثنين.
انظر: مفردات ألفاظ القرآن. راغب الأصفهاني:ص٦٦٧.

(٢) الأزهر: يفجأه.
يفجؤه: من أفجى: أي متباعد بمساحة واسعة.
انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٦٢٦.

(٣) الأزهر: ذكر.

(٤) الأزهر: رضا.

(٥) الأزهر: الله عز وجل.

(٦) الأزهر: جاورهم.

(٧) الأزهر: رضا.

(٨) الأزهر: خالقهم.

(٩) الأزهر: الله.

(١٠) الأزهر: قدر.

(١١) الأزهر: استعان بـ.

(١٢) الأزهر: رضى.

حين يُعَايِنَهُم[1] ويحسنُ بهم[2] قبل معاملتِهم ومحاورتِهم[3].

فإذا عَاملهم أو حاورَهم[4] لم تزلْ المناجاة بقلبهِ لرَبِّه؛ فقلبهُ مشغولٌ بمناجاةِ رَبِّه، وأحوالُه وجوارحُهُ مشغولةٌ بما يرضي رَبّه في خَلْقهِ؛ فَقَدْ اجتمعتْ لهُ خصالٌ ثلاثة[5]:

إحـداها: فرحٌ لآمالِ الرضى [الذي][6] يهيجُ من قلبهِ رجاء[7] [لرضا][8] أَن ينظر إليهِ ربّهُ بين العاملين وليس بناسِي[9].

الخصلة الثانية: سلامتُهُ من الآَثامِ[10]؛ اشتغلَ[11] قلبه بمناجاة رَبِّه عزّ وجلّ.

الخصلة الثالثة: سلامتهُ من الآثامِ التي كانتْ منه طولَ دَهْرِهِ[12] في

---

(١) الأزهر: يعاتبهم.
يعاينهم من الْعَيْن حَاسَّةُ الرُّؤْيَةِ وَ (عَايَنَ) الشَّيْءَ رَآهُ بِعَيْنِهِ، قَالَ اللَّهُ تعالى: {وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي}، طه: ٣٩.
انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٥٩٩.

(٢) الأزهر: إليهم.

(٣) الأزهر: مجاورتهم.

(٤) الأزهر: جاورهم.

(٥) الأزهر: ثلاث خصال.

(٦) الأزهر: الذي.

(٧) الأزهر: الرجاء.

(٨) الأزهر: لرضا.

(٩) الأزهر: بناس.

(١٠) الإثم، والآثام: اسم للأفعال المبطئة عن الثواب، وجمعهُ آثام، قال تعالى: {قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ}، البقرة:٢١٩.
انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٦٣.

(١١) الأزهر: فاشتغل.

(١٢) دهره: من الدَّهْرُ: اسم مدة العالم من مبدأ وجوده إلى انقضائه، ويعبّر به عن كل مدة كثيرة، وهو خلاف الزمن؛ فإن الزمان يقع على المدة القليلة والكثيرة، قال تعالى: {وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ}، الجاثية: ٢٤.
انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٣١٩,٣٢٠.

معاملتِهم ومحاورتِهم[1] من غيرِ ازديادٍ في دينٍ ولا دنيا، فهذا المراقبُ لرَبِّه والخائفُ منه في سريرتهِ، والمؤثّرُ لمحبتهِ علَى محبةِ نفسهِ، والمنقطعُ إلى الله سبحانه عن خلقهِ فظاهرهُ ظاهرُ أهلِ الدنيا، وباطنُهُ باطن المِحلَبَيْنِ[2] الهائبين[3] لرَبِّه؛ لَأَنَّهُ في ظاهرِ أحوالِهِ كأحواله الأولى التي كانتْ بالغَفلة من قَلبِهِ، فلمّا صرفَ قلبهُ إلَى رَبِّه اشتغل بذكْر رضِي رّبهِ عن ذِكْر رضى خَلقِهِ فطابَ في الدُّنيا عيشُهُ، وتطَّهرَ من آثامهِ، وأنزلَ الخلقَ بالمنزلة التي أَنزلهُم [فيها][4] ربهُّم عبيدًا أَذلاء لا يملكون لهُ ضراً ولا نفْعًا؛ فآثر رضى الله[5] على رضاهُم وسَخَتْ[6] نفسُه برضى اللهِ عزّ وجل، وإنْ سخط جميع خلقه برضى[7] الله تعالى يُسخط كل أَحدٍ ولا يسخط الله تعالى برضى أحدٍ من خَلقهِ، وَمَلكَ[8] أمرهُ في جميع ذلك؛ ترك الاستعجال ولزوم التأني والتثبت ليراقب الرقيبَ عليه ولا يعجَلِ فيسخط عليه، وسأل ابن المبارك فقال لهُ رجل: إنيّ أَعزمُ على الاجتهاد فأَجتهدُ ثمّ أَفترُ[9]، ثمّ

---

(١) الأزهر: مجاورتهم.

(٢) الأزهر: المجلين.

مِحْلَبَيْنِ: ناقة صَفوف: تَصف يديها. أي تضم يدها عند إعطائها ما عندها من الحليب. وقد تعطي ما عندها في الجَمع بين مِحْلبين أو ثلاثة في حلبة واحدة، وهِيَ تَضَعُ خُفَّ رِجْلِهَا مَوْضِعَ خُفِّ يَدِهَا في الحلب.

انظر: المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم. محمد جبل: ج٣، ص١٢٣١. لسان العرب. ابن منظور: ج١، ص٣٣٨.

(٣) الهائبين: من (الْهَيْبَةُ) الْمَهَابَةُ وَهِيَ الْإِجْلَالُ وَالْمَخَافَةُ.

انظر: كتاب الألفاظ. ابن السكيت: ج١، ص١٢٨.

(٤) الأزهر: فيها.

(٥) الأزهر: ربهِ.

(٦) السَّخْتُ: أي ارتياح شديد، وهي الأصل كلمة فارسية، مستخدمة عند العرب.

انظر: الإبانة في اللغة. سَلَمة بن مُسْلِم العوْتبي الصُحاري: ج١، ص٢٥٢.

(٧) الأزهر: يرضى.

(٨) الأزهر: وملاك.

(٩) أفتر: من الفُتُورُ: سكون بعد حدة، وضعف بعد قوة، قال تعالى: {قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ }، المائدة:١٩، الآية.

أَعود فأَجتهدُ ثمّ أَفترُ، فقالَ لهُ ابن مبارك: فأَنتَ على اجتهادك؛ لأَنك تنوي الاجتهاد وإنْ فَترتْ، أَرأيت[1] شاربَ الخَمْرِ يشربهُا مرةً ثم يمكثُ عشر سنين لا يشرُبها وهو ينوي شُربها،أَلم[2]يكن مدمنًا عليها؟ فكيف يحسبُ الله ذلك في الشرِّ ولا يحسبُهُ في الخيرِ.

وقال[3]: أَسَرعُ الأَشياء إزالةً لغلظِ القلب وانكسارًا لهُ ذكْرُ اطّلاع الله عزَّ وجلَّ عليه بالتعظيم، وأَسرعُ الأشياءِ استشارةً للخوفِ مِنْ قلبِ العارفِ مع ذكرِ سَالفِ[4] الذنوب، ومع ذكْر خشية حلول الغضَبِ عليه من أَجلها، وأَسرع الأَشياء إزالةِ للاشتغال بالدنيا عند المعاينة والمباشرة والاعتبار بها والنظر بها إلى ما غاب من الآخرة.

وأَسرعُ الأَشياء هيجانًا لتعظيم الله عزَّ جلَّ في القلب تأَمّلُ الآياتِ والدلائل في التدبيرِ[5] المُحْكمةِ والصنعةِ المُتقنة من السماءِ والأَرض وما بثّ فيهما [من][6] دلائلِ ناطقة[7] وشواهدٍ واضحةٍ، [و][8] أَنَّ الذي صيَّرها عظيمٌ قدرهُ نافذة مشيئتهُ عزيز في سلطانهِ.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٦٢٢.

(١) الأزهر: فأنت مثل.

أَرَأَيْتَ: من رأى: ويَجرِي فِي الْكَلامِ مَجْرَى الاسْتِخْبَارِ، قوله تعالى: {أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهى عَبْدًا إِذا صَلَّى} العلق:٩، الآية.

انظر: العين : الفراهيدي: ج٨، ص٣٠٧.

(٢) الأزهر: لم.

(٣) المحاسبي رحمه الله.

(٤) السَّلفُ: سَلَفَ الشَّيْءُ: إذا تَقَدَّم، وَمِنْهُ قِيلَ: حَدِيث مَأْثُورٌ، أيْ يَذْكُرُهُ خَلَفٌ عَنْ سَلَفٍ، قال تعالى: {فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلى اللَّهِ}، البقرة:٢٧٥، الآية. يعني يتجافى عما تقدم من ذنبهِ.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٤٢٠. النَّظْمُ المُسْتَعْذَبُ فِي تفْسِير غريبِ ألفاظ المهذّبِ. محمد بن أحمد: ج٢، ص١٥٩.

(٥) الأزهر: التدابير.

(٦) الأزهر: من.

(٧) الأزهر: باطنة.

(٨) الأزهر: و.

وأَشدُّ الأَشياء إماتةً للشهواتِ لزوم الأَحزان للقلب، وأَكسَرُ[1] الَأشياءِ عن القلب نشاطًا للدُّنيا الكَمَدُ[2] من بَعْد الحزن، وليعدّ[3] الَأشياء على سخا[4] النفسِّ لترك الشهواتِ [و][5] الشوقِ إلى جوار العزيز الكبير.

وأشدُّ الأشياء إزالةً للمكاثراتِ في علوِّ الدرجات في منازلِ العبادات لزومُ القلب محبةَ الرَّحْمَنِ جلّ وعزّ[6]، وأَنعمُ الأشياءِ لقلوبِ العارفين وأَدومُها لها سرُورًا الشوقُ إلى قربِ الله جلّ وعزّ[7] واستماعِ كلامهِ والنظرِ إلى [رحمة][8] وجههِ الكريم عزّ وجلّ.

وأطهرُ الأَشياءِ لقلوبِ المريدين: التوبةُ النصوح للعرضِ على ربِّ العالمين، وتلك طهارةُ المتقين ومِنْ بعدها طهارةُ المحبين، وهي في قطَع الاشتغال بشيء من الدُّنيا عن محبوبهم، فإذا طهّرَ القلبُ من كل شيء سوى الله عزّ وجلّ خلا مِن ذكْرِ كلِّ قاطعٍ عن الله، وزال عنه كلُّ حاجبٍ يحجبُ[9] عنه؛ فتمَّ باللهِ تعالى سرورَه وصفا ذكرُهُ في قلبهِ فاستنار له سبيلُ الاعتبار.

فكانت الدُّنيا وأَهلها عَيْنًا ينظرُ بها إلى سِترِ ما يحجبُ من الملكوتِ، فحينئذ دامَ باللهِ شغلُهُ وطار إليهِ حنينُه وقُرَّتْ بالله عَيْنُهُ؛ فالحزنُ والكَمْدُ[10] قد كسرا

(١) الأزهر: وأكثر.

(٢) الكَمَدُ: الحزن المكتوم والكُمْدَةُ: تغيُّر اللون.
انظر: العين. الفراهيدي: ج٥، ص٣٣٤.

(٣) الأزهر: واعون.

(٤) الأزهر: مخالفة.

(٥) الأزهر: و.

(٦) الأزهر: عز وجل.

(٧) الأزهر: عز وجل.

(٨) الأزهر: رحمة.

(٩) الأزهر: يحجبه.

(١٠) الكَمْدُ والكمْدَةُ: تغيرُ اللونِ وذَهابُ صَفَائِهِ وبقاءُ أَثَرِه.
انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج٣،ص٣٨٠.

قلبهُ والمحبةُ والشوقُ قد أسخا[١] إلى الله عزّ وجلّ[٢] فؤادَهُ؛ فشوقُهُ إلى طلبِ القُرب وحزنهُ لفوتِ[٣] المحبّة خشيهُ أنْ يحال بينه[٤] وبينَهُ[٥].

وفي[٦] رســالة الكلثوم بن عمرو[٧]: ((أمّا بعد، فإني كتبتُ[٨] إليك والناس في فَتْنِةٍ[٩] وتحيرٍّ[١٠] قد عمى على الذي توجه [فيه][١١] مذهبُهُ فيما كان فيه من

(١) سخا يَسْخَى: من الْجواد.

انظر: المحكم والمحيط الأعظم. علي بن إسماعيل بن سيده:ج٥، ص٢٨٥.

(٢) الأزهر: قد أَسخطا قلبه على الدنيا.

(٣) لفوت من فَاتَ: اي أدبرَ: نقيض الإقبال، قال تعالى: {الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدبارَهُمْ}، الأنفال: ٥٠، الآية.

انظر: العين. الفراهيدي: ج٢، ص٦٥٤. مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٣٠٧.

(٤) والنوى: النِّيَّة: عزم القلب على عمل من الأعمال فرض أو غيره.

انظر: الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي: ج١، ص٢٤.جمهرة اللغة. محمد بن الحسن بن دريد الأزدي: ج١، ص٤٩.

(٥) بينهِ وبينهُ: من التبيَّن: أي المتصل به ليس بينه وبينه حاجز شيء، قوله تعالى: {تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ}، سبا:٣٤، الآية.

انظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم. نشوان بن سعيد الحميرى: ج١، ص٦٩١.

(٦) الأزهر: من.

(٧) هو الكلثوم بن عمرو بن أيوب العتابي، صاحب المعلقة، نشأ في قنسرين فتعلم ما كان في خزائن الكتب بمرو، عاد ذلك على شعره بثمرات يانعة، ومدح العتابي البرامكة فنال حظوتهم ووصلوه بالرشيد الخليفة العباسي فقرّبه إليه، حدثنا الجاحظ: كان كلثوم العتابي يضع من قدر أبي نراس، يصف شِعره بالسرقة من أبي هذيل الجامحي، رثى العتابي سيدنا عثمان بقصيدة، منها: ضَحوا بأشمط عُنوانٌ السجود بهِ*يقطع الليل تسبيحًا وقُرآنًا. توفي العتابي سنة ٢٠٨هـ.

انظر: الأنساب. عبد الكريم بن محمد السمعاني: ج٩،ص٢١٦. مروج الذهب ومعادن الجواهر. المسعودي: ج٣، ص٢٩٤.

(٨) الأزهر: أكتب.

(٩) فتنةُ: من الفَتْن: هو معنى إدخال الذهب النار لتظهر جودته من رداءته، وفي إدخال الإنسان النار، قال تعالى: {ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ} الذاريات :١٤، أي عذابكم، وجُعلت الفتنة كالبلاء في أنهما يستعملان فيما يدفع إليه الإنسان من شدةٍ ورخاء.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٦٢٣.

(١٠) الأزهر: وبحر.

(١١) الأزهر: فيه.

أَدبه وعقلِه[1] مع قلَّةِ المؤنسين[2] له على طريقِ الطاعة، قد كان يُقال إنَّ المغبونَ مَنْ غَبَن[3] دينهِ فلا تغبننَّ دينكَ، واعلمْ أنَّ الاحتراسَ من النَّاسِ عقلٌ حاضر؛ فاحترسْ ممن سَلك طريقَ الجَهلِ فإنك تغنمُ[4]، وإياك ومخالطتهم فإنك تندمُ، والعزلةُ شرفٌ والرَّيْنُ[5] والاختلاط بالناسِ في زمانِك هذا عارٌ[6]، وشيْنٌ يلزُمك منهُم وكلُّ تَبعَتهُ[7]، ويلحقُ من مجالستِهم كل ذلةٍ؛ فإنّ طريقهم طريقُ المغبونين، وهذا زمانُ سكوت ولزوم للبيوتِ؛ فاعقل ما أنتَ فيهِ من مذهبك وانظرْ لنفسِكَ نظر العاقل اللبيب[8]، ولا تكنْ عنها غافلاً فتكونَ غير أديب، وحاسبها في كلِّ يوم تسلك بها طريق النجاة يوم تحتاج إلى التقرب[9] مِنْ دار الفائزين، وتخلّصْ ما قدرت من الدخولِ في الرضى بما يأتيك من أخبارِ المفسدين، فإنّ الرضى بذلك ليس من طريقِ أهل الدين، وإنْ كانت نفسك

(١) الأزهر: غفلة.

(٢) المؤنسين: من آنَسَ شيئًا: أي عَلِمْته، قوله تعالى: {لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُم حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا}، النور:٢٧، الآية.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج٦، ص١٥.

(٣) غبن: الغَبْنُ، بِالتَّسْكِينِ، فِي الْبَيْعِ، والغَبَنُ، بِالتَّحْرِيكِ، فِي الرأْي. أَي نَسِيته وضَيَّعْته. نَسِيَهُ وأَغفله وَجَهِلَ.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج١٣، ص٣٠٩.

(٤) الأزهر: تقيم عليه معهم.

(٥) الأزهر: زين.

والرَّيْنُ: الطَّبَع.

انظر: المنتخب من كلام العرب. علي بن حسن الازدي : ج١،ص٣٩٨.

(٦) عَارُ: كل شيء لزمت به سببية أو عيب.

انظر: الإبانة في اللغة العربية:. : سَلَمة بن مُسْلِم العَوْتبي الصُحاري ج٣، ص٥١١.

(٧) تَبِعَته: فعلك شيئًا بعد شيء. تقول: تتبّعتُ علمه، والمتابعة أن تُتْبِعَهُ هواك وقلبك. قال الله تعالى: {فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ}، الاعراف:١٧٥، الآية.

انظر: العين. للفراهيدي: ج٢، ص٧٨.

انظر: لسان العرب. الأصفهاني: ج٨، ص٤.

(٨) اللبيب: من لُبَّ، لُزُومٍ وَثَبَاتٍ، اللَّبِيبُ: العاقِلُ.

انظر: معجم مقاييس اللغة. أحمد بن فارس: ج٥، ص١٩٩.

(٩) الأزهر: القرب.

تنازعكَ إلى مُحادثهِ الإخوانِ ومُنادمة الخلّان فاحترز[1] منهم فإنهَّم يُظهرون ودًّا[2] ويبطنونِ شًرا، وهكذا كلُّ مَنْ كانتْ مؤاخاتهِ على غيرِ التقوى، ولا[3] تأمن شرَّهم أَبدًا، وَهَبَ الله لنا ولكَ السلامةَ وغفر لنا ولَكَ يومَ العرضِ والحسابِ))[4].

(١) فاحترز: من الْحِرْزُ: أَيْ تَوَقَّاهُ مِنْهُ، الْمَوْضِعُ الْحَصِينُ.

انظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم. نشوان بن سعيد الحميرى: ج٣،ص١٤٣٠.

(٢) ودًّا: الْوَاوُ وَالدَّالُ: كَلِمَةٌ تَدُلُّ عَلَى مَحَبَّةٍ.

انظر: معجم مقاييس اللغة. أحمد بن فارس: ج٦، ص٧٥.

(٣) الأزهر: ولا.

(٤) جاء في كتاب التراث العربي (عرف المحاسبي كلثوم بن عمرو، روى عنهُ رسالة دعا فيها إلى الزهد).

انظر: كتاب التراث العربي. فؤاد سزكين: ج٤،ص١١٣. تاريخ الأدب العربي. بروكلمان: ج٢، ص٣٥.



مسألة في الصّمتِ والكلامِ في الوعظِ(١)

وللبلاغة قلتُ: الصمتُ أَفضلُ أم(٢) الكلامُ؟

قالَ: الصمتُ أَسلمُ والكلامُ أَفضلُ عند الله تعالى إذا أُريدَ به وجهَهُ وقُصد فيه معَ الإصَابةِ، يُكلِّم كلَّ قوم على قَدرِ فهمهم ولغةِ أَلسنتِهم، ولا يفرِّط أيضًا في الصمْتِ كما لا يفرِّطُ [أيضًا](٣) في الكلام، إلّا أنَّهُ أَنْ(٤) أفرط في الصَّمتِ ضيَّعَ كثيرًا من حقوقِ الله تعالى أَنْ يقوم بها بلسانهِ يعْتَري(٥) مِنْ الإفراطِ آفَاتٌ(٦) كثيرةٌ.

قالَ: عبيد الله بن الحسن(٧)، قُلتُ لزيد بن علي(٨): الصمتُ خيرٌ أَم الكلامُ؟

---

(١) الأزهر: مسألة في الصمت والكلام في الوعظ والبلاغة.

(٢) أمْ: إذا قوبل به ألف الاستفهام فمعناه: أي، قوله تعالى: {أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ}، ص: ٦٣، الآية. معناه: أي زاغت.
انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٨٨.

(٣) الأزهر: أيضًا.

(٤) الأزهر: إذا.

(٥) يعْتَري: عراه أمرٌ يَعْرُوه عَرْوًا إذا غشيه وأصابه.
انظر: العين. الفراهيدي : ج٢، ص٢٣٣.

(٦) أَفَأْتُ: أَفَأْتُ فُلاَنًا عَلَى الأمر إفاءَةً إِذَا أَراد أَمْرًا، فَعَدَلْتَه إلى أَمْرٍ غَيْرِه.
انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج١،ص١٢٥.

(٧) عبيد الله بن الحسن بن حصين العنبري بن عمرو بن تميم، وُلّيَ قضاء البصرة، وكان محمودًا ثقة عاقلاً من الرجال، سمع عن: داوود بن أبي هند وخالد الحذاء وسعيد الجريري، روى عنه: عبد الرحمن بن مهدي، ومعاذ بن معاذ القاضي، وخالد بن الحارث الهجيمي، قدم بغداد أيام المهدي، كان فقيهًا، مات سنة ١٦٨ هـ.
انظر: الأنساب. السمعاني: ج٤، ص٢٤٦. تهذيب الأسماء واللغات. محيي الدين يحيى بن شرف النووي ج١، ص٣١١.

(٨) زيد بن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب، روى عن: أبيه زين العابدين، وأخيه الباقر، وله

فقالَ: (أَخْزَى[1] الله الساكنة [2]فما أَفسدُها للسانِ وأَجلبُها للضَجَرِ،[3] والله لمرارةٌ[4] في هذا العَيّ[5] هي أَسرع في هدمِ الغْيِّ[6] من النّارِ في يابسِ العَرْفَج[7]، وَمِن السَّيْل[8] إلى الجذورِ).

تفاسير في القرآن عاش نيّفًا وأربعين سنة، وقتل يوم ثاني صفر سنة١٢٢هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج٥، ص٣٩٠.

(١) أَخْزَى: خَزِيَ خِزْيًا: أي عَلِمَ ذلَّ وَهَانَ، وَأَخْزَاهُ اللَّهُ أَذَلَّهُ وَأَهَانَهُ.
انظر: : تاج العروس من جواهر القاموس. محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني: ج٣، ص٥٤٤.

(٢) الأزهر: السكتة.

الساكنة من السُكُون: هُوَ يَقِين النَّفس وثلج الصَّدْر بِمَا عُلمَ.

انظر: الفروق اللغوية. الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري: ج١، ص٨١.

(٣) الضَّجَرُ: إذا بَدَت عَدَاوتُه فَلم يَقْدِر على كَتْمها.

انظر: المخصص. علي بن إسماعيل بن سيده المرسي: ج١، ص٢٤٦

(٤) الْمَرَارَةَ: نسبهما إلى المرارة لِمَا فيهمَا من مَرارة الإِثْم.
انظر: تهذيب اللغة. محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي: ج١٥، ص١٤١.

(٥) العيُّ: عجز يلحق من تولي الأمر بالكلام، وهو لا دواء لهُ، قوله تعالى: {وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ}، الأحقاف :٣٣، الآية.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٦٠٠.

(٦) الأزهر: العيّ.

الغْيّ: جهل من اعتقاد فاسد، وانهماك في الباطل، قوله تعالى: {وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ}، الأعراف: ٢٠٢، الآية.
انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٦٢٠.

(٧) العَرْفَجُ: نباتٌ من نَبات وهو سريع الاتّقاد إذا كان يابسًا يسمى في العراق (القصب).

انظر: العين. الفراهيدي: ج٢، ص٣٢٢.

(٨) السَّيْل: جمعه: سُيُول. ومَسيلُ الماءِ، وجَمْعُه أَمْسِلة: وهي مياهُ الأمطار إذا سالت.

انظر: العين. الفراهيدي: ج٧، ص٢٩٩.

وقال في هذا الحديث بعضُ الحُكماء[1] في هذا الحدث قد عَرفَ زيدٌ أَنَّ المرارةَ مذمومةٌ إِلاّ أَنَّها أَقلُّ ضررًا مِن السكوتِ الذي يورثُ البَلَادَةَ[2] ويخَتل العقل ويورثُ عللًا[3] ويولِّدُ أَدْواءً[4] أَيسرها العيّ؛ فالإفراط منهُ [في الصمتِ][5] يضرُّ[6]، إِلّا أَنْ يسكتَ عن كلِ محرّم، وما[7] لا يعرفُ من القولِ أوعن بعض الكلام بالخيرِ[8] إذا غلب على قلبهِ فتنتهُ وهَجَمَ التصنّع له، وَقوة[9] نوازعُ العجبَ بهِ، فإذا سَلِمَ الكلامُ من جميع الآفاتِ سكَتَ عنه أيضًا إلاّ أَن ينطقَ في موضعهِ وفي أوانهِ ولِمَنْ ينتفع، وإلا فالصّمتُ أولى بهِ.

---

(١) الأزهر: بعض الحكماء في الحديث.

(٢) بَلاَدَةً: هو المَعْتُوه، المَنْقَطَع بهِ، راجعٌ إلى الحَيْرةِ.
انظر: المحكم والمحيط الأعظم. علي بن إسماعيل بن سيده المرسي: ج٩، ص٣٤٤.

(٣) علَلاً: من العَلَّهُ: خبث النَّفس وضعفها.
انظر: المحكم والمحيط الأعظم. علي بن إسماعيل بن سيده المرسي: ج١، ص١٢٤.

(٤) أدَوَاءً: من الداء: المَرَضُ، وَالْجَمْعُ أَدْواءٌ. اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مرَض وعَيْبٍ فِي الرِّجَالِ ظَاهِرٍ أَو بَاطِنٍ.
انظر لسان العرب. ابن منظور: ج١، ص٧٩.

(٥) الأزهر: في الصمت.

(٦) الأزهر: يضير.

(٧) الأزهر: أو ما.

(٨) الأزهر: في الخير.

(٩) الأزهر: وقويت.

وقد نَهى العلماءُ[1] أَنْ ينطقَ كثيرٌ من العلماءِ[2] ببعض الحكمةِ[3]، إذا غَلب عليه في النُّطْقِ أَسبابَ الفتنةِ، ولو سَلمَ المُتكلّمُ من الفتنةِ ومن جميع[4] الآفاتِ، ووجدَ لها مَوْضعًا وأَهلًا يأملُ المنفعة لهم بقولهِ لكان مع ذلك أَولى به أَنْ يخافَ المُقْتَ من الله عزّ وجلّ، إذ كلُ شيء ليس يتحققُ [من قائلهِ][5] لما يقول من فعلهِ[6] وأَخلاقه وآدابهِ [فهو ممقوتٌ][7]، كما خافَ عُمر رضي الله عنه على الأَحنف بن قيس[8] والربيع بن زياد[9] أَن يكونا غير محقّقَين لما يقولان. وقال عمرُ بن ذَرّ[10]: «المستعانُ الله على أَلسنةٍ تصفُ وقلوبٍ تعرِفُ

---

(١) العلماء الذين نهوا عن الحكمة: أبو موسى الأشعري ٤٤ هـ. الحسن البصري ١١٠هـ. محمد بن إدريس الشافعيّ ٢٠٤هـ. عبد الله بن مبارك ١٨١ هـ. عبد الله بن سعيد ٢٤٢هـ.

انظر: بيان فضل علم السلف على علم الخلف. عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي: ص٤٩.

(٢) العلماء الذين نطقوا بالحكمة: يحيى النحوي ٢٧هـ. يعقوب بن إسحاق الكندي ٢٥٦هـ. حنين بن إسحاق ٢٦٠هـ.

انظر: الوافي بالوفيات. صلاح الدين الصفدي: ج٢، ص٣٣٧. الملل والنحل. الشهرستاني: ج٣، ص٥٠١. عيون الأنباء في طبقات الأطباء. أحمد بن أبي أُصيبعة: ج٦، ص١٥١.

(٣) الحكمة المنهى عنها: هي (الفلسفة) باليونانية، والفيلسوف هو: فيلا سوفًا: تعني فيلا هو (المحب)، وسوفا هي (الحكمة).

انظر: كشف الظنون. حاج جلبي: ج٢، ص٣٠. الملل والنحل. الشهرستاني : ج٢، ص٣٦٤.

(٤) الأزهر: كل.

(٥) الأزهر: من قائلهِ.

(٦) الأزهر: بفعلهِ.

(٧) الأزهر: فهو ممقوت.

(٨) الأحنف بن قيس ابن معاوية بن حصين، الأمير الكبير، العالم النبيل، اسمه الضحاك، مات في الكوفة سنة ٦٧هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج٤، ص٨٧.

(٩) الربيع بن خثيم ابن عائذ، الإمام القدوة العابد، أبو يزيد الثوري الكوفي، إنه عندما كان يدخل عليه الداخل وفي حجره المصحف فيغطيه، توفي الربيع بن خثيم قبل سنة ٦٥هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج٤، ص٢٥٨. ٢٦٠.

(١٠) عمر بن ذر: عبد الله بن زرارة، الإمام الزاهد العابد أبو ذر الهمداني الكوفي. وكان ثقة، توفي في سنة١٥٣هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج٦،ص٣٨٨.

وأعمالٍ تخالفُ»[١].

وقالَ: جعفر بن برقان[٢] لميمون بن مهران[٣]، أَنَّ[٤] قول الله تعالى: {كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهَّ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ}[٥]، هو للرجلِ يذكرُ من نفسهِ مالْم يعملْ، أو يأْمر بها لمَ يفعلْ، قالَ: (كلاهما ممقوت).

---

(١) الأزهر: عمر رض الله عنهُ.

انظر: البيان والتبين. الجاحظ: ج١، ص٢٨٤. الكشكول. محمد بهاء الدين العاملي : ص٣٦٧.

(٢) جَعفَر بْن بُرقان، الجزري، أبو عَبد اللهِ، سَمِعَ من: ميمون بْن مَهران،، ثقة، مات سنة ١٥٤هـ.

انظر: تاريخ مدينة السلام. الخطيب البغدادي : ج٩، ص٢٣٢. الطبقات الكبرى. محمد بن سعد بن منيع الهاشمي : ج٢، ص١٨٧. الجرح والتعديل. عبد الرحمن بن محمد بن إدريس : ج٢، ص٤٧٤.

(٣) ميمون بن مهران: الإمام الحجة، عالم الجزيرة ومفتيها، أبو أيوب الجزري، إنهُ من ضمن العلماء الأربعة للناس في زمن هشام بن عبد الملك، مكحول، والحسن، والزهري، وميمون بن مهران. توفي سنة ١١٧هـ.

تنظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج٥، ص٧٢.

(٤) الأزهر: في.

(٥) الصف:٣، الآية.

قال الشاعر: [١]

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها

فإذا انتهت عنْهُ فأَنت حَكِيمُ

فهناك تُسمَعُ[٢] إنْ وَعَظتَ

وَيُقتدَى[٣] بالقَولِ منكَ وَيُقبَلُ التعليمُ.

وفي هذا أَحاديثٌ كثيرة تركناها، ومع ذلك إنْ أَراد أَنْ يعِظ[٤] فقد أَمَرَ النَبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإقصارِ الخُطَب وبالإيجازِ في الكلامِ، فقالَ: «إنَّ الله بعثني بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ واختصرَ لي الحديثَ اختصارًا»[٥].

---

(١) الشاعر: هو أبو أسود الدؤلي (ظالم بن عمرو بن سفيان)، كان مشهورًا بمصاحبته علي بن أبي طالب (رض)، وكان عالي المكانة وقاضيًا في البصرة في الحديث والفقه. وُلد في أيام النبوة وحدّث عن عمر (رض). وعلي (رض)، وأبي ذر، وعبد الله بن مسعود، قرأ القرآن على عثمان (رض)، وعلي (رض). ومن أكملهم عقلًا ورأيًا، أبو الأسود هو أول من وضع باب الفاعل والمفعول والمضاف، وحرف الرفع والنصب والجر والجزم، ثقة، كان أول من تكلم في النحو، كان معدودًا في الفقهاء والشعراء، والمحدثين، والأشراف، والفرسان والأمراء، والدهاة، عاش ٨٥سنة، مات سنة ٦٩هـ.

انظر: اللباب في تهذيب الأنساب. الجزري : ج١، ص٥١٤. الإصابة في تميز الصحابة. أحمد بن علي: ج٤، ص٢٨٦. نزهة الألباء وطبقات الأدباء. عبد الرحمن بن محمد الأنصاري: ج٣، ص٢٠.

(٢) الأزهر: يسمع.

(٣) الأزهر: يقتدي.

(٤) يعظ من الوَعْظُ: هو التذكير بالخير فيما يرقُ لهُ القلب، قال تعالى {يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}، النحل: ٩٠، الآية.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٨٧٦.

(٥) جاء في الحديث «بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، فَبَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُتِيتُ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الْأَرْضِ فَوُضِعَتْ فِي يَدِي».

انظر: صحيح مسلم: ج١، ص٣٧٢. صحيح البخاري: ج٣، ص١٠٨٧. مسند الإمام أحمد: ج٢، ص٤٥٥.

وذمَّ بعضَ البيان[١]، وقال: «هو من النفاق»[٢]، ومدحَ بعضَ العَيّ، فقال: «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا »[٣]، ولم يَقل البيان كله.

وقال: النابغة[٤] قال: (وجاءتْ بنو تميم[٥] ليعارضوه بالبلاغةِ بخطيبهم وشاعرهم فخطب خاطبهم وأَنشدَ شاعرهم)[٦]، فقالَ[٧]: لثابت بن قيس[٨]: فقامَ فخطب، ثم قالَ: لحسان بن ثابت[٩] فقام فأَنشدَ شِعرَهُ فعلاهم النَبِي صَلىَّ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) البيان: هو الكشف عن الشيء وهو أعمّ من النطق، يكون: الأول بالتسخير، والثانية بالاختيار. انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص١٥٨.

(٢) المستدرك على الصحيحين. الحاكم النيسابوري : ج٤، ص٨٠٦.

(٣) انظر: مسند الإمام أحمد: ج١، ص٢٦٩.فتح الباري شرح صحيح البخاري. العسقلاني: ج٣، ص٢٤٨. الجامع الصحيح لسنن الترمذي. الترمذي: ج٤، ص٣٣٠.

(٤) قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعة بن جعدة من بني عامر بن صعصعة يُكنّى (النابغة الجعدي)، شاعر زمانه، وقد حدث عنه: يعلى بن الأشدق، عاش مائة وثمانين سنة، شاهد الرسول الكريم (ص)، وأنشد لهُ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج٣، ص١٧٨.

(٥) بنو تميم: هي من أكبر القبائل العربية وينقسمون إلى عدة عشائر منها: بني عمرو، بني الحارث، بني مر، بني العنبر.

انظر: جمهرة النسب. لابن الكلبي: ص٢٥٢. جمل من أنساب الأشراف. البلاذري: ج١٣، ص٧.

(٦) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري. العسقلاني: ج٣، ص٦٨٥. الجامع الصحيح. الترمذي: ج٥، ص٦٨٩. مسند أحمد: ج٤، ص٤٣٢.

(٧) رسول الله (ص).

(٨) ثابت بن قيس، ابن شماس بن زهير بن مالك بن امرئ وكان جهير الصوت، ولما قدم وفد بني تميم، وافتخر خطيبهم بأمور، فقال النبي (ص) لثابت بن قيس: قم فأجب خطيبهم. فقام، فحمد الله وأبلغ، وسر رسول الله (ص)، والمسلمون بمقامه، توفي سنة ١٢هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج١، ص ٣١٢.

(٩) حسان بن ثابت بن المنذر النجار شاعر رسول الله (ص) وصاحبه، توفي سنة ٥٤هـ..

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ص٥١٣.

وقالت بنو تميم: وأَبيك إنَّ خطيبهُ أَخطبُ من خطيبنا، وإنَّ شاعرَهُ أَشعرُ من شاعرنا، فذمَّ بعضَ البيانِ وقالَ[1]:« إِنَّ اللهَّ يَبْغَضُ الْبَلِيغَ مِنْ الرِّجَالِ»[2]، ثم لم يدعهُ مقطوعًا فيكون كلُّ بليغ يبغضُ الله، فقالَ:«[وهو][3] الَّذِي يَتَخَلَّلُ بِلِسَانِهِ كَمَا تَتَخَلَّلُ الْبَقَرَةُ بِلِسَانِهَا»[4]، وقالَ النبَي: «يأكل بِلسانهُ كَمَا تَأْكُلُ الْبَقَرةُ بِلسانِها»[5]، فأَمرَ[6] بالإيجازِ مع البيانِ للحقِّ ونهى عن الإكثارِ.

---

(١) الأزهر: جاء.

(٢) انظر: الجامع الصحيح. الترمذي : ج٥: ص١٣٠.سنن ابي داوود: ج٤، ص٣٠٢. المصنف. لأبي شيبة: ج٦، ص٢١٢.

(٣) الأزهر: وهو.

(٤) انظر: البحر الزخار: ج٤، ص٤٨. مسند الإمام أحمد: ج١، ص١٨٤.

(٥) جاء في الحديث «لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ قَوْمٌ يَأْكُلُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ كَمَا تَأْكُلُ الْبَقَرُ بِأَلْسِنَتِهَا». انظر: المعجم البسيط. الطبراني : ج٦، ص٤٣.تحفة الاحوذي. المباركفوري : ج٨، ص١٢٢.

(٦) الأزهر: امرنا.

قالَ: «حدثنا سنيد بن داوود[١] قال: أَبو سفيان[٢] عن معمر[٣] عن قتادة[٤] قال: جاء رجل إلى النَبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فناداهُ من وراءِ الحُجُرَاتِ، فقالَ: «يَا مُحَمَّدُ، إِنْ مَدْحِي زَيْنٌ وَإِنَّ ذَمِّي شَيْنٌ، فقالَ: وَيْلَكَ ذَلِكَ اللهُ وَيْلَكَ ذَلِكَ اللهُ»[٥]، فَأَنْزَلَ اللهُ عزَّ وجلَّ: {إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ}[٦].

(١) سنيد بن داوود، الإمام الحافظ، محدث الثغر أبو علي حسين بن داود، صاحب التفسير الكبير، حدث عن: جعفر بن سليمان الضبعي، وأبي بكر بن عياش، وعبد الله بن المبارك، حدث عنه: أبو بكر الأثرم، مات في سنة ٢٢٦هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي : ج١٠، ص٦٢٨.

(٢) سفيان سعيد بن مسروق بن حبيب، شيخ الإسلام، أبو عبد الله الثوري الكوفي المجتهد، مصنف كتاب الجامع، حدث عنه: ابن جريج، وجعفر الصادق، وجعفر بن برقان وأبو حنيفة، أعلم رجلٍ بالحلال والحرام سفيان الثوري، قد كان رأسا في الزهد، قال سفيان: زينوا العلم والحديث بأنفسكم ولا تتزينوا به، وددتُ أني قرأت القرآن ووقفت عنده لم أتجاوزه إلى غيرها، أوصى إلى عمار بن سيف في كتبه فأحرقها.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي : ج٧، ص٢٦٣.

(٣) معمر بن راشد، الإمام الحافظ، أبو عمرو الأزدي، نزيل اليمن، شهد جنازة الحسن البصري وطلب العلم وهو حدث، روى عن: معمر، وشعبة والثوري، حدث عنه: أيوب، وأبو إسحاق، وعمرو بن دينار، ثقة، رجل صالح بصري، سكن صنعاء، وتزوج بها، ورحل إليه سفيان الثوري، مات سنة ٥٤هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي : ج٧، ص٦.

(٤) قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، حافظ العصر، قدوة المفسرين والمحدثين، البصري الضرير الأكمه، وروى عن: عبد الله بن سرجس، وأنس بن مالك، وسعيد بن المسيب، روى عنه: أئمة الإسلام أيوب السختياني، وابن أبي عروبة، ومعمر بن راشد، وهو حجة بالإجماع إذا بين السماع، فقيه زمانه، مات سنة ١٢٨هـ..

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي : ج٥، ص٢٧٠.

(٥) جاء في الحديث « يَا مُحَمَّدُ إِنْ مَدْحِي زَيْنٌ، وَإِنَّ شَتْمِي شَيْنٌ فَخَرَجَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ (ص)، فَقَالَ: وَيْلَكَ ذَلِكَ اللَّهُ».

انظر: مسند الإمام أحمد: ج٤، ص٩. الجامع الصحيح. الترمذي : ج٥، ص٣٦٢. صحيح البخاري. محمد إسماعيل : ج٤، ص١٨٣٤.

(٦) الحجرات: ٤، الآية.

حـدثنا سنيد قال: يا حجاج[١] عن أبي بكر بن عبد الله[٢] أَنَّ وفدَ تميم قدموا على النَبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيهم القعقاع بن سعيد بن زرارة[٣]، وخالد بن ربعي النهشلي[٤]، ولبيد بن عطارد[٥]، والأقرع بن حابس،

---

(١) حجاج بن محمد، الإمام الحجة الحافظ، أبو محمد المصيصي، الأعور، ترمذي الأصل. سكن بغداد، ثم تحول إلى المصيصة، سمع من: ابن جريج فأكثر، وأتقن، ومن يونس بن أبي إسحاق، حدث عنه: أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وإسحاق، وأبو خيثمة، ذكره أحمد بن حنبل فقال: ما كان أضبطه، وأصح حديثه، كان ثقة، فمات ببغداد في سنة٢٠٦هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج٩، ص٤٤٨.الوافي بالوفيات. صلاح الدين خليل: ج١١، ص٢٣٤.

(٢) عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، أمير المدينة ثم قاضي المدينة، أحد الأئمة الأثبات، كان أعلم أهل زمانه بالقضاء، روى عن: أبيه، وعن عباد بن تميم، وعن سلمان الأغر، حدث عنه: ابناه عبد الله ومحمد والأوزاعي، وأفلح بن حميد والمسعودي، لم يكن على المدينة أمير أنصاري سواه، وقيل: كان كثير العبادة والتهجد، توفي سنة ١٢٠هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي : ج٥، ص٣١٤. الإصابة في تميز الصحابة. أحمد بن علي: ج٧، ص٢٣. الطبقات الكبرى. محمد بن سعد بن منيع: ج١، ص٢٣٢.

(٣) القعقاع بن معبد بن زرارة التميمي، من سادات العرب يقال لهُ (تيار الفرات لسخائه)، وأدرك الإسلام مع وفد بني تميم إلى رسول الله (ص)، ويوم كان حنين بعثهُ النبي (ص) أن يأتيه بالخبر.

انظر: أنساب الأشراف: أحمد بن يحيى البَلَاذُري ج٢، ص٨٦٣. الأعلام. للزركلي: ج٥، ص٢٠٢.

(٤) خالد بن ربعي النهشلي، التميمي، ويقال: خالد بن مالك بن الربعي، التميمي أحد وفود بني تميم إلى رسول الله (ص)، كان خالد مقدّ في رهطهِ، وكان متنافر هو والقعقاع بن معبد، فقال لهما رسول الله (ص) «عرفتكما».

انظر: الوافي بالوفيات. صلاح الدين خليل: ج٣، ص١٥٩. الإصابة في تميز الصحابة. العسقلاني : ج٢، ص٨٩.

(٥) لبيد بن عطارد بن صاحب التميمي، كان أحد الوفود القادمين من بني تميم إلى رسول الله، هو الحاجب الذي ضرب به المثل، عندما رهن قوسه لدى كسرى ملك الفرس بألف جمل، وعاد بالجمال وأرجعَ قوسه المرهونة.

انظر: الإصابة في تميز الصحابة. العسقلاني: ج٦، ص٦. الأنساب. محمد بن طاهر : ج٤، ص١٢. تاريخ دمشق. محمد بن مكرم بن على: ج٥٠، ص٢٩٠.

ومعاوية بن صعصعة[1]، وقيس بن عاصم[2]، والزبرقان بن بدر[3] أَخو بني هدلة، وعمرو بن الأَهْتَم[4]، فلما دفعوا إلى رَسولِ الله صَلىَّ اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكان له تسعُ حجراتْ[5] من شَعْرٍ[6] معلقة بخشبِ العَرْعَر[7]، فناداهُ القومُ من وراءِ الحُجُراتِ أَنْ «يا محمد اخرج إلينا»، وكان فيهم

---

(١) يزيد بن الأصم، عبد عمرو بن عدس بن معاوية بن صعصعة، الكوفي، التابعي، كان ثقة، كثير الحديث، هو ابن اخت زوجة النبي (ص)، ميمونه، رأى النبي (ص) وسعد بن أبي وقاص، وسمع من ابن عباس، وأبي هريرة، ومعاوية، عائشة وميمونة، (رضى الله عنهما)، روى عنهُ: جعفر بن البرقان، عبيد الله بن ميمون، سكن الرقة، توفي سنة ١٠٣هـ..

انظر: الثقات. أحمد بن حبان : ج٥، ص٥٣١. الإصابة في تميز الصحابة. العسقلاني: ج٦، ص١١٤. تهذيب الأسماء واللغات. محيي الدين يحيى: ج٢، ص١٦١.

(٢) قيس بن عاصم بن سنان المنقري التميمي، صحابي جليل، وهو الذي قدم على رسول الله في وفد بني تميم فأكرمه، وقال له: «هذا سيد أهل الوبر»، فأمره النبي أن يغتسل بماء وسدر. روى عنه: الحسن البصري، والأحنف، وخليفة بن حصين.

الإصابة في تميز الصحابة. العسقلاني: ج٥، ص١٠١. تهذيب الكمال في أسماء الرجال. جمال الدين ابن الزكي: ج٨، ص٣١٣.

(٣) ابن خلف بن بهدلة بن عوف بن كعب بن تميم، وكان اسمه الزبرقان حصين، وكان شاعرًا جميلاً يقال لهُ قمر نجد، وكان في وفد بني تميم الذين قدموا على رسول الله (ص)، فأسلم واستعمله رسول الله (ص) على صدقة قومه بني سعد بن زيد مناة بن تميم، وكان ينزل أرض بني تميم ببادية البصرة وينزل البصرة كثيرًا.

انظر: الطبقات الكبرى. لابن سعد: ج١، ص٥٣١.الثقات. أحمد بن حبان : ج٣، ص١٤٢.الاصابة في تميز الصحابه. العسقلاني : ج٣، ص٣.

(٤) عمرو بن الاهتم، شبيب بن شيبة بن عمرو الاهتم، التميمي، أبو معمر البصري، الخطيب، شاعر بليغ في قومه وسمي بالاهتم ضرب قوس اسنانه فهتمها، صالح صدوق، روى عن: حسن البصري، وعطاء بن رباح، ومحمد بن المنكدر.

انظر: تهذيب الكمال في اسماء الرجال. : جمال الدين ابن الزكي ج١٢، ص٣٦٨.الإصابة في تميز الصحابة. العسقلاني: ج٤، ص٢٨٦.

(٥) الْحجرات: جمع حجرَة وَهِي الْبيُوت، وَمِنْه حجرات أَزوَاج النَّبِي (ص).

انظر: مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار. الكجراتي : ج٤، ص١٤٥.

(٦) وشَعْر: مكانٌ ذُو شجر، بالموصل جبلٌ يُقَال لَهُ شَعْران، سمِّي بِهِ لِكَثْرَة شجرِه.

انظر: تهذيب اللغة. محمد الهروي،: ج١، ص٢٦٩. العين. الفراهيدي: ج١، ص٢٥٣.

(٧) عَرْعَر: شجر من الفصيلة الصنوبرية له ساق عال متين، خشبه جيد حسن المنظر.

انظر: جمهرة اللغة. محمد بن الحسن الأزدي: ج١، ص١٩٧.

رجلٌ شاعرٌ، فقالَ: «يا محمد اخرج إلينا فو الله إنّ مَدْحِي زَيْنٌ، وَإِنَّ ذَمِّي شَيْنٌ فخرجَ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُغضبًا فقالَ من قائلِ الكلمة، فقيلَ: شاعرٌ، فقالَ: «كذبت، بل ذَلِكم اللهُ».

قالَ: وبعثَ رسولُ الله إلى بني العنبر(١) عُيَيْنة بن حِصْن(٢) فقتَلَ المقاتلةَ وسبى(٣) الذراري(٤) فجاءَ بسباياهم، فقالَ النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «مَنْ أحبَّ أَنْ يَعتقَ من ولدِ إسماعيل فليَعتق هؤلاءِ»(٥).

ورجع الحديثُ إلى حديثِ أَبي بكر(٦)، قالَ فحدثني محمد بن المنكدر(٧) أَنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ للقِعقاع بن معبد وخالد بن ملك بن ربعي: «قد

---

(١) بنو العنبر: هم بنو عمرو بن تميم، وبنو كعب بن تميم، وهم قبيلة عربية من قبائل بني تميم.

انظر: جمهرة النسب. لابن الكلبي: ص٢٥٥.

(٢) عُيَيْنَة بن حِصْن بن حُذَيْفَة الفَزَاري، واسمه عمرو، وكان ضربه أخ له ففَزَرَه فسُمي فَزَارة، فَجَحَظَت عيناه فَسُمِّيَ عُيَيْنَة دخل على عمر، فقال: يا ابن الخطّاب، والله ما تَقْسِم بالعدل، ولا تُعْطي الجَزلَ، فغضب عمر (رض) غضبًا شديدًا حتى هَمَّ أن يُوقع به، قال عنهُ رسول الله (ص): «هَذَا أَحْمَقٌ مُطاعٌ». كان من العرب الجفاة.

انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة. العسقلاني: ص٩٨٠.

(٣) سَبْيٍ: أَخْذُ شَيْءٍ مِنْ بَلَدٍ إلى بَلَدٍ آخَرَ كَرْهًا، سَبَى الْجَارِيَةَ يَسْبِيهَا سَبْيًا فَهُوَ سَابٍ وَالْمَأْخُوذَةُ سَبِيَّةٌ.

انظر: تهذيب اللغة. محمد الهروي: ج١٣، ص٦٩. معجم مقاييس اللغة. أحمد بن فارس: ج٣، ص١٣٠.

(٤) الذراري: تعني الذُّرِّيَّة: يعني الخلق، قَوْله تعالى: {يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}، الشورى:١١، الآية.

انظر: تاج العروس من جواهر القاموس. محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق: ج١، ص٢٣٣.

(٥) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري. العسقلاني: ج٢، ص٢٠٥. مَجْمَعُ الزَّوَائِدِ وَمَنْبَعُ الفَوَائِدِ. نور الدين علي: ج١٠، ص٤٧. معجم الكبير. الطبراني: ج٤، ص٢٤١.

(٦) عبد الله بن أبي بكر بن حزم.

(٧) محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير بن عبد العزّى بن عامر، الإمام الحافظ القدوة وحدث عن النبي (ص)، وأبي قتادة وطائفة مرسلًا عنه: عمرو بن دينار، ثقة، كان المنكدر خال عائشة، كان هو غاية في والحفظ والزهد، مات سنة ١٣٠هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي : ج٥، ص٣٥٤. أنساب الاشراف. البَلَاذُري: ج١٠، نص٤٢٤٤.

عرفتكما»[1]، وذلكَ أنَّهما سافرا إلى ربيعةِ بن حدادِ أخي بني أَسدٍ بن خزيمةِ. قالَ: محمد بن المنكدر: [أراد][2] أَن يستعمل أَحدهما على بني تميم، فقالَ أَبو بكر: يا رسولَ الله لتَستعمل[3] فلانًا، وقالَ عُمر: يا رسولَ الله استَعْمِل فلانًا، فقالَ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أمَا انَّكُمَا لو كُنتُما تَخْتَلِفَانِ عَلَيَّ أَحْيَانًا»[4]، فأَنزلَ الله عزَّ وجلَّ[5]: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ}[6] الآية، وأَنزَلَ في نداءِ القومِ: {إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ}[7].

قالَ: وبلغنا أَنَّهم قالوا: يا رسولَ الله إنّا نُحبُ أَن تأذنَ لخطيبنا فيخطبُ ولشاعرنا فينشدُ، فقامَ عمرو بن الأهتم ولبيد بن عطارد، فقالَ: (الحمدُ لله الذي لهُ الفضلُ علينا وهو أهلهُ الذي جعلنا ملوكًا وجعل لنا أَموالًا عظامًا نفعلُ فيها المعروفَ[8]، فَمَنْ له مثل أَموالنا ومَنْ لهُ مثل فعالنا، أَلَسْنَا نروي عن العربِ ونروي فضلهم، وإنا لنستحيي من الإِكثارِ فيما أَعطانا)، ثم كانَ لقولهِ: «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا»، بأَن قالهُ عندهُ.

(١) انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة. العسقلاني: ص٣٢٢. الجامع الصحيح: الترمذي ج٥، ص٣٦.

(٢) الأزهر: أراد.

(٣) الأزهر: استعمل.

(٤) جاء في الحديث: «أَمَا إِنَّكُمَا لَوِ اجْتَمَعْتُمَا لَأَخَذْتُ بِرَأْيِكُمَا، وَلَكِنَّكُمَا تَخْتَلِفَانِ عَلَيَّ أَحْيَانًا».
انظر: العلل الكبير. الترمذي : ج٢، ص٥٢٦.فتح الباري شرح صحيح البخاري. العسقلاني: ج٨، ص٤٦٥.

(٥) الأزهر: فنزل قوله تعالى.

(٦) الحجرات:١، الآية.

(٧) الحجرات:٤، الآية.

(٨) الأزهر: بالمعروف.

لأنه[حينها][(١)] وفد إلى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قيس بن عاصم وعمرو بن الأَهتم والزبرقان، فقالَ عمرو [عن الزبرقان][(٢)]: ((إنهُ مانعُ لحوزتهِ مُطَاعٌ فِي أَدْنيهِ[(٣)]، فَقَالَ الزِّبْرِقَانُ: حَسَدني يا رَسُولَ اللهَّ ولم يقلِ الحقّ، وإنهُ[(٤)] ليعلمَ أَني أَفضلُ ممّا قالَ، فَغضبَ عمرو، فقالَ: هو واللهَ زَريٌّ[(٥)] المروءةِ ضيّقُ المنطق لئيمُ الحال[(٦)]، فنظرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [إلى عمرو][(٧)] فِي عَينيهِ، فقالَ: يا رَسُولَ اللهَّ، رَضيتُ فقلتُ أَحسنَ ما علمتُ وغَضبتُ فقلتُ أَسوأ ما علمْتُ وما كذبتُ فِي الأَولى، ولقد صدَقْتُ فِي الآخرةِ))[(٨)]، فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا»[(٩)].

قال أَبو عبيد[(١٠)]: ((أَخبر أَنَّ من البيانِ أَنْ يُذمَّ فيقولُ الحقَّ، ويمدحُ فيقولُ الحقَّ، وإنَّ من البيانِ ما يصورُّ الباطنَ في صورةِ الحقِ حتى يسحرَ العقولَ فيعتقدُ

---

(١) الأزهر: حينما.

(٢) الأزهر: عن الزبرقان.

(٣) أَنْدِيه: مجلِسُ يَنْدو إليه مَنْ حَوالَيْه، ولا يُسَمَّى ناديًا من غير أهله، وهو النَّدِيُّ، ويجمعُ أَنْدِيه. وسُمِّيَ به لأنّهم يَنْدُون إليه نَدْوًا ونَدْوةً، وبه سُمِّيَ دارُ النَّدْوة بمَكَّةَ.
انظر: العين. الخليل البصري: ج٨، ص٩٦.

(٤) الأزهر: فإنهُ.

(٥) زرى من زَرَيتُ: أي قصرت به.
انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٣٧٩.

(٦) الأزهر: الخال.

(٧) الزهر: إلى عمرو.

(٨) انظر: عمدة الكتاب. النَّحَّاس أحمد النحوي: ج١، ص٣٢٧.

(٩) انظر: مسند الإمام أحمد: ج١، ص٢٦٩. المستدرك على الصحيحين. الحاكم النيسابوري: ج٤، ص٤٥

(١٠) : هو سلام بن عبد الله الهروي البغدادي، لإمام الحافظ المجتهد من كبار علماء الحديث، وسمع عن: إسماعيل بن جعفر وسفيان بن عُيَيْنة، وعبد الله بن المبارك، مفننًا في أصناف علوم الإسلام من القرآن، والفقه والعربية توفي سنة٢٢٤هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي : ج١٠، ص٤٩١. ألفية العراقي. بالتبصرة والتذكرة في علوم الحديث. زين الدين عبد الرحيم بن الحسين : ج٢، ص٢٧٩.

الباطلُ أَنَّهُ حقٌ))[١].

وقال: الشاعر[٢]:

أَلا رُبَّ خَصمٍ[٣] ذي فنُونٍ عَلوتهُ

وإنْ كَان ممَّن يشبهُ الحقُّ باطِلُهُ.

قالَ بعضُ الحُكماء[٤]: ((البلاغةُ إظهارُ ما غمض من الحقّ، وتصويرُ الباطلِ في صورةِ الحقِّ))[٥].

---

(١) انظر: غريب الحديث. سلام الهروي: ج١، ص٢٢٧. لوائح الأنوار السنية. محمد بن أحمد بن سالم السفاريني: ص٢١٣.

(٢) هو عمرو بن كلثوم العتابي. وأسند الشعرَ في كتاب البيان والتبين إلى (ابن المقفع). انظر: البيان والتبين. الجاحظ: ج١، ص٢٢٠. ديوان المعاني. لأبي عساكر: ج٢، ص٤٣٥

(٣) خصم: الخُصومَةُ: الجَدَلُ. غَلَبَهُ بِالْحُجَّةِ.
انظر: لسان العرب. ابن منظور ج١، ص١٨٠.

(٤) الأزهر: الحكماء.
الحكماء: عبد الله ابن المقفع، ١٤٢هـ. عبد الملك بن قريب الأصمعي ٢١٦هـ. عمر بن كلثوم العتابي ٢٠٨هـ. النابغة الذبياني ١٦٦هـ. الفرزدق ٩هـ.
انظر: ديوان المعاني. لأبي عساكر: ج٢، ص٤٣٥.

(٥) انظر: ديوان المعاني. لأبي عساكر: ص٢٢٠.

حـدثنا[1]: [القاسم][2]بن سلام[3] قال: حدثنا: أَبو عبد الله الفزاري[4] عن مالك بن دينار[5] قالَ: ((ما رأَينا أَحدًا أَنفقَ[6] من الحجاج[7]، إن كان ليرقَى المنبرَ فيذكرُ إحسانَهُ إلى أَهلِ العراقِ[8] وصَفحَهُ[9] عنهُم وإساءتِهم إليهِ، حتى أَقول: في نفسي إني لأَحسبُهُ صادقًا، وإني لأَظنهم كاذبين ظَالمين لهُ))[10].

---

(١) القول عن المحاسبي رحمه الله.

(٢) الأزهر: القاسم.

(٣) سلام بن عبد الله الهروي البغدادي، أبو عبيد القاسم.

(٤) أبو عبد الله الفزاري: هو مروان بن معاوية،، الإمام الحافظ، الثقة، الكوفي ثم الدمشقي، عن أحمد بن حنبل، قال: ثبت حافظ. ثقة، مات سنة ١٧٣هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي : ج٩، ص٥٢.

(٥) مالك بن دينار ،معدود في ثقات التابعين، ومن أعيان كتبة المصاحف، وسمع من أنس بن مالك وحدث عن: الأحنف بن قيس، وسعيد بن جبير ، والحسن البصري، حدث عنه: سعيد بن أبي عروبة، له نحو من أربعين حديثًا، ثقة، توفي ١٣٠هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي : ج٥، ص٣٦٢.

(٦) أنفق من النفاق: وهو الدخول بالشرعِ من باب والخروج عنهُ من باب، قوله تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا}، التوبة:٦٨، الآية.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٨١٩.

(٧) هو: الحجاج أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي، من أبرز ولاة بني أُمية، والساسة الدهاة، توفي سنة ٩٥هـ.
انظر: جمهرة أنساب العرب. علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي: ج١،ص٢٦٧.

(٨) العراق: ويسمى عِراقْ إعراقًا، عراقًا: الأصول، أي الحد العلوي لأرض العرب وأهل الحجاز على ما هو قريب من البحر عراقًا، وقد سميت من باب آخر هذه التسمية لشاطئيه دجلة والفرات، ومن باب آخر لاتصال عروق الأشجار والنخيل به كأنهُ عرقًا، ثم جمع على العراق، والعراق يتكون من قسمين رئيسين: أرض السواد، والجزيرة، وسميت أرض السواد؛ لكثرة النخل والشجر وخضرتهُ لكثافتها وتقارب السواد. والجزيرة هي ما بين دجلة والفرات من شمال بغداد سامراء تكريت الفلوجة.
انظر: معجم البلدان. الحموي: ج٤، ص١٠٧. البيان والتبين. الجاحظ: ج١، ص١٨٥

(٩) وصفحِهِ من صفح: وأَصلُ الصَّفح أن تَنْصَرف عنه وتُولِّيَه صَفحةَ وجهك، قوله تعالى: {فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ}، الزخرف:٨٩، الآية.

انظر: التقفية في اللغة. اليمان بن أبي اليمان البَندنيجي: ج١، ص٣٩٧.

(١٠) انظر: غريب الأحاديث. الخطابي: ج١، ص٢٢٨.

فهذا من البيانِ الذي كأَنهُ سحرٌ يَسحرُ العقولَ حتى يميلوا[1] إلى قولهِ، ومثلِ هذا قولٌ للنَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَّ يَبْغَضُ الْبَلِيغَ مِنْ الرِّجَالِ»[2]، فلم يَذمّ البيانَ عن الحقِ بالإخلاصِ بغيرِ تشقيقٍ، ولا مدحَ العيَّ عن الحقِ وترك البيانِ له للمريد.

ولكن ذمَّ البيانَ الذي جاوزَ المقدارَ كما ذمَّ التقتيرَ[3] والسرَّفَ[4]، ومدحَ الجودَ[5] بغير سرفٍ والإمساكُ[6] لغير تضيّع الحقّ ولا تقصير عن الفضلِ، فمدح البيانِ لا غُلوًّا ولا تقصيرًا ولا خطلًا[7]، كما حبسَ عُمر رضي الله عَنهُ الأَحنفَ [بن قيس][8] لما سمعَ بلاغتَهُ فحبسهُ سنَةً مخافةَ أَنْ تكون بلاغتُهُ على غيرِ صِدْقٍ.

ثم قالَ: بعْدَ سنةٍ سمعتُ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [يقول][9] :

---

(١) الأزهر: تميل.

(٢) انظر: سنن أبي داوود: ج٤، ص٣٠٢. الجامع الصحيح. الترمذي: ج٥، ص١٣٠.

(٣) التقْتيرُ: ضاق عيشه، قوله تعالى: {وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا}، الفرقان:٦٧، الآية.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٦٥٥.

(٤) السَّرفُ: تجاوز الحد في كل فعل يفعلهُ الإنسان، قوله تعالى: {وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا}، النساء:٦، الآية.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٤٠٧.

(٥) الجُود: شيء جيد على فيعل، وبذل المقتنيات مالاً كان أو علمًا،

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٢١١.

(٦) الأزهر: الامتلاك.

(٧) خطلاً من الخطل: الِاضْطِرَاب، والخطل فِي الْكَلَام: اضطرابه واختلافه.

انظر: جمهرة اللغة. محمد بن الحسن بن دريد الأزدي : ج١، ص٦١٠.

(٨) الأزهر: بن قيس.

(٩) الأزهر: يقول.

«احذروا مُنَافِقًا عَلِيمَ اللِّسَانِ»[١].

فإذا أَنتَ لسْتَ منهُم، فعلمَ منهُ بلاغةَ قولٍ مع حُسنِ إيمانٍ وصدق، وإنّما نهاهُ عن المُراءَةِ[٢]، والتزيّد، والسُمْعَةِ، والبذخ[٣]، والتهاتر[٤]، والتشغّبِ[٥]، والمغالبةِ[٦]، والمباينةِ[٧]، وَلم ينْهَهُ عن البَيانِ للحقِّ بإرادةِ الله عزّ وجلّ.

---

(١) انظر: مسند الإمام أحمد: ج١، ص٢٤. البحر الزخار. أحمد بن عمرو : ج١، ص٤٣٤.

(٢) مُرَاءَةً: هي من الرياء: يُظهر أمامَ الناس خلاف ما يُبطن.
انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج١، ص١٥٥. تاج العروس من جواهر القاموس. محمّد بن محمد بن عبد الرزّاق: ج٣٨، ص١٠٣.

(٣) البَذَخُ: الكِبْرُ، وتَطَاوُلِ.
انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج٣، ص٧.

(٤) تَهَاتَرَ: إذا ادَّعى كل واحد منهم على صاحبه باطلاً، ثُمَّ قِيلَ تَهَاتَرَتْ الْبَيِّنَاتُ إذَا تَسَاقَطَتْ وَبَطَلَتْ.
انظر: المنتخب من غريب كلام العرب. علي بن الحسن الهُنائي الأزدي: ج١، ص٣٤٨.

(٥) الأزهر: والتشعّث.
والتَّشْغِيبُ: تَهْيِيجُ الشَّرِّ، وأربك لك ارتياب في فهمك بالشبهات.
انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج١، ص٥٠٤. تاج العروس من جواهر القاموس. محمّد بن محمد بن عبد الرزّاق: ج٣، ص١٥٠.

(٦) مغالبة: مصدرهُ غلب، اسْتَوْلَى عَلَيْهِ قَهْرًا، قَولُه سُبحانَه وتعالى: {وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ}، الصافات: ١٧٣، الآية.
انظر: المُنَجَّد في اللغة. علي بن الحسن الهُنائي الأزدي: ج١، ص٢٧٣.

(٧) مُبايَنَةً: (هاجَرَه) وفارَقَه.
انظر: تاج العروس من جواهر القاموس. محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق: ج٣٤، ص٣٠٠.

فإذا جاوزَ ذلكَ كان هو الخطأ والتبْهِيت[١]، وللمتشدقين[٢] والثرثارين[٣] والمتفييهقين[٤]، وكـلُّ ذلك قد ذمَّهُ النَّبِيّ صَلىَّ اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونهى عنهُ، فلمْ يروِ عن النَّبيّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا عن أَصحابهِ أَنَّهم تشدّقوا ولا أَغدقوا[٥] ولا تعمقّوا، ورويَ: عَمَّن بَعْدهُم وكانَ قليلًا ثم قَد كَـثِرُ.

قالَ الشاعرُ[٦]:

تَشَادَقَ حتى مَالَ بالقَولِ شُدْقُهُ

وكلُّ خَطِيبٍ لاَ أَبَالكَ(٧) أَشدَقُ.

---

(١) التبهيت: استقبالك الرَّجل بأَمْرٍ تَقْذِفُه بِهِ، وَهُوَ مِنْهُ بَرِيء.

انظر: تهذيب اللغة. محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي: ج٦، ص١٣٣.

(٢) المتشدقون: مصدر مُتَشَدِّق: فَهُمُ الْمُتَوَسِّعُونَ فِي الْكَلَامِ مِنْ غَيْرِ احْتِيَاطٍ وَاحْتِرَازٍ، وَفِي الْحَدِيثِ «أَبْغَضُكم إليّ الثَّرْثارون المُتَشَدِّقون».

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج١٠، ص١٧٣.

(٣) الثرثارون: مصدرها ثَرْثار لا يكِلُّ ولا يملّ، مِهذار يكثر الكلام في تكلُّف وخروج عن الحدّ، لا يؤتمن على سرّ، ورُوي عَن النبيّ صلى الله عَلَيْهِ وَسلم أَنه قَالَ: «إنْ أَبْغضكم إليّ الثَّرْثارون المُتَفَيْهِقون».
انظر: تهذيب اللغة. محمد الهروي : ج١٥، ص٤٣.

(٤) المُتَفَيْهِقون مصدرها انْفَهَقَ فِي الكلامِ، وتَفَيْهَقَ الَّذِي يتوسّع فِي كَلَامه ويَفْهَقُ بِهِ فَمَه والَّذِي يتفتح بالبذَخ أيضًا، قيل: يَا رَسُول الله، وَمَا المُتَفَيْهِقُون، قَالَ: «المتكبّرون».
انظر: تهذيب اللغة. محمد الهروي : ج٥، ص٢٦٢.

(٥) أغدقوا مصدرها غدق: هُوَ الْكثير الْوَاسِع من كل شَيْء.

انظر: المحكم المحيط. علي بن إسماعيل بن سيده المرسي: ج٥، ص٣٨٣.

(٦) جاء قول الشاعر: في عمرو بن سعيد الأشدق.
انظر: البيان والتبين. الجاحظ : ج١، ص١٢١. غريب الحديث. للخطابي: ج١، ص٤٤١.

(٧) لاَ أبا لك: قيل هِيَ كلمة مدح، أَنْت شُجَاع مستغنٍ عَن أَب ينصرك، وَفِي لُغَة الْعَرَب هنالك كلمات يُرِيدُونَ مِنْهَا بَاطِنًا.
انظر: الكليات. أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي: ج١، ص٩٧٠. الإبانة في اللغة العربية. سَلَمة العَوْتبي: ج٤، ص٦٣.

وقالَ معاويةُ[1]: و[قد][2] تكلَّمَتْ عندهُ الخطباءُ (والله لَأرمينَّهم بالخطيبِ الأَشدقِ، قُمْ يا يزيدُ[3])[4].

وإنماَّ سمّى عمرو بن سعيد[5] الَأشدق؛ لتشادقِهِ في الكلامِ.

حـدْثنا: عتابُ بن زياد[6] قالَ: يا ابنَ مباركِ، قالَ: يا الَأوزاعي[7] عن عَرْوة[8] قالَ، قالَ رَسُولُ اللهَّ صَلىَّ اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: » شَرارُ أُمَّتِي الَّذِينَ وُلِدُوا فِي النَّعِيمِ وَغُذُّوا بِهِ هِمَّتُهُمْ أَلْوَانُ الطَّعَامِ وَأَلْوَانُ الثِّيَابِ يَتَشَدَّقُونَ فِي الْكَلامِ «[9].

(١) معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب، روى عنه: ابن عباس وسعيد بن المسيب، مات معاوية سنة٦٠هـ. انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة. عز الدين ابن الأثير: ص١١٤٦٠.

(٢) الأزهر: قد.

(٣) الأزهر: زياد.

(٤) انظر: البيان والتبين الجاحظ: ج١، ص١٢٢.

(٥) عمرو بن سعيد بن العاص بن أبي أحيحة سعيد بن العاص، الملقب بالأشدق لفصاحته، راوي أحاديث، وروى عنهُ: ابنهُ إسماعيل، وما زالت آثار قصره في المدينة شاخصة لهذا اليوم، مات سنة٧٠هـ.

انظر: الطبقات الكبرى. لابن سعد: ج١، ص٤٥٢. الإصابة في تمييز الصحابة. أحمد بن علي: ج٦، ص٣٦٤.

(٦) عتاب بن زياد الخرساني المزروي، ثقة، صاحب حديث، مات سنة ٢١٢هـ.
انظر: الجرح والتعديل: ج٧، ص١٣. تهذيب الكمال في أسماء الرجال. جمال الدين ابن الزكي: ص٢٥٧.

(٧) الأوزاعي: هو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد، شيخ الإسلام، وعالم أهل الشام، ثم تحول إلى بيروت مرابطًا بها إلى أن مات، وكان ثقة، وكان خيرًا، فاضلًا، مأمونًا كثير العلم والحديث والفقه، حجة، توفي ١٥٧هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي : ج٧، ص١٠٩.

(٨) عروة: هو عُرْوة بن رُوَيْم اللَّخميّ، الفقيه المحدث، أبو القاسم، حدث عن: أبي ثعلبة الخشني، فقيل سمع منه، وعن أنس بن مالك وأبي إدريس الخولاني، روى عنه: الأوزاعي، كان يخرج آخر الليل ينادي يا أهل البصرة الصلاة، مات في البصرة سنة ١٢٥ هـ.
انظر: الثقات. ابن حبان: ج٥، ص١٩٦. الإصابة في تميز الصحابة. أحمد بن علي : ج٦، ص١١٢.

(٩) انظر: الزهد. لأبي وكيع: ج١، ص٤٠٢.

حدثنا: محمد بن كناسة[١]، قالَ: مسعر بن كدام[٢] عن عدِي[٣] وقالَ: خَطَبَ عمر رضي الله عنهُ فقيل لهُ، لو زِدتَنا، فقالَ: «إنمّا أُمِرنا بإِقْصَارِ الخُطَبِ»[٤].

---

(١) الأزهر: محمد بن كناشة.

محمد بن كناسة: محمد بن عبد الله بن عبد الأعلى بن عبد الله، الإمام العلامة، الثقة البارع الأديب الشاعر، أبو عبد الله، وسمع من: هشام بن عروة، والأعمش، وإسماعيل بن أبي خالد، سمع عنه: أحمد بن حنبل وأبو بكر بن أبي شيبة، وابن نمير، وأبو خيثمة، ثقة، مات في الكوفة سنة٢٠٧هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي : ج٩، ص٥٠٩.

(٢) مسعر بن كدام بن ظهير بن عبيدة بن الحارث، الإمام الثبت، شيخ العراق أبو سلمة الهلالي الكوفي، روى عن: عدي بن ثابت، وعمرو بن مرة، والحكم بن عتيبة، وثابت بن عبيد، وقتادة بن دعامة، روى عنه: سفيان بن عيينة، ويحيى القطان وسليمان التيمي، ثقة، ثابت، توفي سنة ١٥٥هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي : ج٧، ص١٦٤.

(٣) عدي بن ثابت، الإمام الحافظ الواعظ الأنصاري الكوفي، روى عن أبيه، وعن البراء بن عازب، وسليمان بن صرد، وعنه: علي بن زيد بن جدعان، ويحيى بن سعيد الأنصاري، ومسعر، ثقة، صدوق، وثابت صحابي كبير، مات سنة ١١٦هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج٥: ص١٨٨.

(٤) انظر: سنن أبي داوود. سليمان بن الأشعث: ج٢، ص٣٢٥.

حـدَثنا عبد الله بن بكر بن السهمي[1]، قالَ: جُويبر[2]عن كثير بن زياد[3] عن الحسن[4]قالَ: ((قامَ رَسُولُ اللهَّ صَلىَّ اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذات يوم خطيبًا[5] فأوجزَ في الخُطبةِ، ثم قال لأبي بكر رَضي الله عنهُ: قمْ فاخطُب، فقامَ دون مقام رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخَطبَ دونَ خطبتهِ، ثم قال لعُمر رضي اللهَ عنهَ: قمْ فاخطب، فقامَ دون مقام أَبي بكر وخَطبَ دون خطبتهِ، ثمَّ قالَ لرجل آخر: قمْ فاخطب، فذهبَ يُطنبُ[6] ويشقِّقُ، فقالَ: رَسُولُ اللهَّ صَلىَّ اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اسكتْ؛ إنَّ التشقيقَ من الشيطانِ وإنَّ مِنَ الْبيَانِ لَسِحْرًا»[7]، ثم قالَ: لابنَ مسعود قمْ فاخطب، فقامَ فتشهَّد وَحمدَ اللهَ وأثنى عليهِ ثم قالَ: أَيها الناس إلا أَنَّ[8] اللهَّ رَبَّكُمْ))[9].

---

(١) عبد الله بن بكر السهمي، ابن حبيب، الحافظ الحجة، أبو وهب السهمي الباهلي البصري، نزيل بغداد، سمع أباه بكر بن حبيب شيخ العربية، وحميدا الطويل، ج، ثقة، وكان أحد الفقهاء وأصحاب الحديث، مات سنة ٢٠٨هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء الذهبي: ج٩، ص٤٥١.

(٢) جويبر بن سعيد الأزدي البلخي، عداده في الكوفيين، سكن بغداد ويقال: اسمه جابر وجويبر لقب، روى عن أنس بن مالك وجواب التيمي وذكوان أبي صالح السمان والضحاك بن مزاحم، تلاميذه: إسحاق بن بشر، إسماعيل بن زياد. مات سنة ١٥٠هـ.

انظر. تهذيب الكمال في أسماء الرجال. جمال الدين ابن الزكي: ج٥، ص١٧١. الكامل في ضعفاء الرجال: ج٢، ص٣٣٩

(٣) كثير بن زياد، أبو سهل العتكي البصري، سكن بلخ، وروى عن: توبة العنبري، والحسن البصري، وعمرو بن عثمان، حدث عنهُ: جعفر بن زياد، جويبر بن سعيد البلخي، والحسن بن يحيى، روى لهُ: أبو داوود، الترمذي، وابن ماجه.

انظر: الجرح والتعديل: ج٧، ص١٥١. تهذيب الكمال في أسماء الرجال. جمال الدين ابن زكي : ج٢٤، ص١١٢.

(٤) الحسن البصري.

(٥) الأزهر: فخطبنا.

(٦) أطنبَ، إطنابًا: المبالغة بالكلام، وَأَطْنَبَ الرجل فِي الْمَدْح والذم، إِذا بَالغ فيه.

انظر: جمهرة اللغة. محمد بن الحسن بن دريد الأزدي: ج١، ص٣٦٣.

(٧) انظر: مسند الإمام أحمد: ج٤، ص٧٢

(٨) الأزهر: إن.

(٩) انظر: الآداب الشرعية والمنح المرعية. حمد بن مفلح بن محمد المقدسي: ج٢، ص٩٠.

حـدَّثنا يزيدُ بن هارون[١]، قال حدّثنا: محمد بن عمرو[٢] عن أَبي مسلمة[٣] عن أَبِي هريرة، قالَ رَسُولُ اللهَّ صَلىَّ اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «يأَيها الناس، قُولُوا بِقَوْلِكُمْ وَلَا يستهوينكم الشَّيْطَانُ، فَإِنّ تشقيق الكلام من الشيطان»[٤].

---

(١) يزيد بن هارون ابن زاذي الإمام القدوة شيخ الإسلام أبو خالد السلمي، سمع من: عاصم الأحول، ويحيى بن سعيد الأنصاري القاضي، وسليمان التيمي، حدّث عنه: بقية بن الوليد مع تقدمه، وعلي بن المديني، وأحمد بن حنبل، كان رأسًا في العلم والعمل، ثقة حجة، كبير الشأن، مات سنة ٢٠٦هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي : ج٧، ص٣٥٨. الإكمال في مشكاة الرجال: ص١١٧.

(٢) محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص، الإمام، المحدث، حدث عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب، وإبراهيم بن عبد الله بن حنين، حدث عنه: مالك، والثوري، وإسماعيل بن جعفر، ويزيد بن هارون. حدث في العراق مات سنة ١٤٥هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج٦، ص١٣٦.

(٣) أبو مسلمة بن عبد الرحمن، ابن عوف بن عبد عوف، الحافظ، أحد الأعلام بالمدينة، مات سنة ١٠٤هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي : ج٤، ص٢٨٥.

(٤) جاء الحديث» قُولُوا بِقَوْلِكُمْ أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ وَلاَ يَسْتَجْرِيَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ».

انظر: مسند أحمد: ج٤، ص٢٥. عون المعبود شرح سنن أبي داود. محمد أشرف: ج١٣، ص١٣٤.

حدَّثنا محمد بن بشار[١]، قالَ: حدّثنا محمد بن جعفر[٢]، قالَ: حدَّثنا شعبةٌ[٣]، قالَ: سَمعْتُ قتادةَ عن مَصرْفٍ[٤] عن أَبيهِ[٥] قال: «جَاءَ رَجُلٌ إلى النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَنْتَ سَيِّدُ قُرَيْشٍ، فَقَالَ: السَّيِّدُ اللهُ، قَالَ: أَنْتَ أَفْضَلُهَا فِيهَا قَوْلًا وَأَعْظَمُهَا فِيهَا طَوْلًا، فَقَالَ: رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لِيَقُلْ أَحَدُكُمْ بِقَوْلِهِ وَلَا يَستهوِيَنهُ الشَّيْطَانُ»[٦].

---

(١) محمد بن بشار بن عثمان بن داود بن كيسان، الإمام الحافظ، أستاذ الإمام البخاري، كتب عن بندار نحو خمسين ألف حديث، كان يحفظ حديثه، مات سنة٢٥٢هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي : ج١٢، ص١٤٥.

(٢) محمد بن جعفر بن غندر، أبو عبد الله الهذلي البصري، الحافظ المجود الثبت، وابن جريج هو الذين سماه غندرًا صدوقًا، مؤديًا، ثقة، مات سنة ١٩٣هـ.

انظر: كشف النقاب عن الأسماء والألقاب. عبد الرحمن بن علي الجوزي: ج٢، نص٣٤٦. سير أعلام النبلاء. الذهبي : ج٩، ص٩٩.

(٣) شعبة ابن الحجاج بن الورد الواسطي، الإمام الحافظ، عالم أهل البصرة وشيخها، سكن البصرة من الصغر، ورأى الحسن، وأخذ عنه مسائل، مات سنة ١٦٠هـ. في البصرة.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي : ج٧، ص٢٠٣.

(٤) الأزهر: مطرف.

مصرف: هو محمد بن طلحة بن مصرف اليامي، الإمام الحافظ المقرئ، روى عن: أبيه طلحة بن مصرف، إبراهيم بْن عبد الأعلى بْن عامر، وأبي صخرة جامع بْن شدان، حدث عنهُ: أحمد بن عبد الله، سود بن عامر، مات سنة ١٦٧هـ.

انظر: الثقات. ابن حبان : ج٧، ص٣٨٨.

(٥) أبيه: طلحة بن مصرف ابن عمرو بن كعب، الإمام الحافظ المقرئ، تابعي من أهل الكوفة، أما عن ميول طلحة وآرائه، فقد خالف أهل الكوفة في حبه لعثمان (رض)، وحدث عن: أنس بن مالك، ومرة الطيب، وزيد بن وهب، حدث عنه: ابنهُ محمد بن طلحة ومنصور، والأعمش، رجل لا يخطئ ولا يلحن إذا قرأ، ما خلف مثله، توفي في سنة ١١٢هـ.

انظر سير أعلام النبلاء. الذهبي : ج٥، ص١٩٠.

(٦) انظر: مسند الإمام أحمد: ج١٢، ص٥٢٠.

حدَّثنا: روح بن عبادة[١]، قالَ: حدّثنا حسين المعلم[٢] عن عبد الله بنَ بردة[٣]: أَنَّ عُمرَ بن الخطابِ رضي الله عنهُ جمعَ الناسِ لقدومِ الوفْدِ، فقالَ لإذنِهِ[٤] عبيد الله[٥] أو عبد الله بن الأَرقم[٦] انظُرْ أَصحابَ محمدٍ، فأَذنَ[٧] لهم أَوّل الناسِ ثم القرْن[٨] الذينَ يلونهُم، قالَ: فَدخلوا فَصُفّوا[٩] قِدَّامَهُ[١٠]، قالّ:

---

(١) روح بن عبادة بن العلاء بن حسان بن عمرو، الحافظ الصدوق، صدوق ليس به بأس، حديثه يدل على صدقه، مات سنة ٢٠٥هـ.

انظر: تهذيب التهذيب. أحمد بن علي: ج١، ض٦١٤. سير أعلام النبلاء. الذهبي : ج٩، ص٤٠٣.

(٢) حسين بن ذكوان المعلم، من أهل البصرة عالم ثقة، صاحب حديث، وقد احتج به صاحب الصحيحين يقول عنهُ: الكتاب إما حسين ذكوان أو حسين المكتب. مات سنة ١٥٠هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي : ج٥، ص٣٤٦. الثقات. ابن حبان : ج٦، ص٢٠٧.

(٣) عبد الله بن بردة بن أبي موسى الاشعري، الإمام، الفقيه، الثبت، اسمه كنيته، ابن صاحب رسول الله (ص)، مات سنة١٠٧هـ..

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي : ج٤، ص٣٦٤.

(٤) الأزهر: لابنهِ عبد الله.

(٥) عبيد الله بن عمر بن الخطاب.

(٦) عبد الله بن الأرقم بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف وكان ممن حسن إسلامه، كتب للرسول (ص) وكان يكتب ويختم لبعض الملوك، وكتب لأبي بكر، ولعمر، وولّاه عمر بيت المال، روى عنه: عروة وغيره، توفى سنة ٦٤هـ.

انظر: الإصابة في تميز الصحابة. العسقلاني : ج٤، ص٣٣. الطبقات الكبرى. لابن سعد: ج٦، ص٧٢.

(٧) أذن أو الأَذنُ: الاستِماع للشيء، قوله تعالى: {أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ}، سبا:٢٣، الآية.
انظر: الإبانة في اللغة العربية. سَلَمة بن مُسْلِم العَوْتبي الصّحاري: ج٨، ص١١٥.

(٨) والقَرنُ: الأَمة.

انظر: العين. الفراهيدي: ج٥، ص١٤١.

(٩) فصفوا من صفَ: أَي فِي سهولة وسراح، (وَأَدْرَكَ الأَمْر عفوًا، صفوًا: أي فِي سهولة وسراح).
انظر: المحكم المحيط. علي بن إسماعيل بن سيده المرسي: ج٢، ص٣٧٣.

(١٠) قِدَّامهُ: أي يسبقهُ، والقَدَمَ المحرَّكةً: السَّابِقَةُ في الأَمْرِ، أَقْدَامٌ وحَيٌّ، وَقَوْلُهُ، (ص): «ولَا تقدَّموا رَمَضَانَ بصيامٍ قبلَه».

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج١١، ص٥٣٧.

فنظر فإذا رجلٌ ضَخمٌ عَلَيةُ[1] ثم سَاقَ الحديث، ثم قَالَ عمرُ: (عَهدَ إلينا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ أَخوفَ ما أَخافُ عليكم مُنافقٌ عالم اللَّسانِ)[2].

حدَّثنا: روح بن عبادة، قال: حدَّثنا ابن عون[3] عن الحسن[4] قال: إنَّهم والله ما كانوا بالهاترين[5]، ولكنَّهم كانوا يجمعون الكلام ليعقلَ عنهُم.

حدَّثنا: يزيد بن هارون، قالَ: حدَّثنا المسعودي[6] عن عون بن عبد الله قال: إلا إنَّ الحِلْمَ والحياءَ والإيمان[7] والعيَّ عيُّ اللسان لاعيَ العّفةِ والقلب، وهُنَّ مّما ينقصُ في الدّنيا ويزيدُ في الآخرةِ، وما يزيدني[8] في الآخرةِ أكثَر مّما ينقصُ بهِ في الدنّيا إلا أنَّ الجفاءِ والبيانِ والبذاءةِ من النفاقِ وهو مّما يزيدُ في الدّنيا وينقصُ من الآخرةِ، وما

---

(١) عَلْيَةُ من العلو: عال، عَلْيَةُ كل شيء: أَعْلاَهُ، والعرب تقول: عليهُمُ بضم الهاء والميم، وَرَجُلٌ مِنْ عِليةِ: أي من أَعْلاَهُمْ.

انظر: الإبانة في اللغة العربية. سَلَمة بن مُسْلِم العَوْتبي الصُحاري: ج٣، ص٤٨٧. المنتخب من كلام العرب. علي بن الحسن الهُنائي الأزدي: ج١، ص٨٩.

(٢) انظر: المفهم من تخليص كتاب مسلم. أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي: ج٦، ص٥٧٢.

(٣) ابن عون، عبد الله بن عون بن أرطبان العثماني، الإمام القدوة عالم البصرة، أبو عون المزني، ثقة، مات سنة١٥١هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي : ج٦، ص٣٦٥. الوافي بالوفيات. صلاح الدين خليل الصفدي: ج١٧، ص٢١١.

(٤) الحسن البصري رحمه الله.

(٥) الهتارين أصولها هِتْرُ: مَزْقُ العِرْض. رجلٌ مُسْتَهْتَر لا يُبالي ما قِيلَ فيه. وما شُتِمَ به. وأُهْتِرَ الرَّجُلُ: فَقَدَ عَقْلَه من الكبر فهو المهتر.

انظر: العين. الفراهيدي: ج٤، ص٣٢.

(٦) المسعودي: عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن مسعود المسعودي الهذلي، كان من أهل الكوفة محدث، قدم بغداد وحدث فيها أصبح في نهاية عمره أَصمًا، ثقة، مات ببغداد سنة ١٦٠هـ.

انظر: تاريخ مدينة السلام. الخطيب البغدادي: ج١١، ص٤٨٥.

(٧) الأزهر: من الإيمان.

(٨) الأزهر: يزيد.

ينقصُ من الآخرةِ أكثرُ مما يزيدُ في الدّنيا، قال: (يزُيد[1] البيَان الفصاحةَ للبلاغةِ).

قـلتْ: فالصمْتُ أَسلمُ.

قال: أَجل، والكلامُ أَفضلُ عند الله إذا أُريدَ بِهِ وجهَهُ وقصدَ فيهِ مع الإصابةِ، فكلِّم كلَّ قوم على قَدْرِ فَهمهم وَلغو[2] أَلسنتهِم، ولا تفرطُ[3] أَيضًا في الصّمتِ كما لا تفرُطً[4] في الكلامِ؛ لأَنَّه إنْ أَفرطَ في الصّمتَ ضيَّعَ كثيًرا من حقوقِ الله تعالى أَنْ يقومَ بها بلسانهِ، ويعتري[5] من الأَفراطِ آفاتِ كثيرةٍ؛ فإذا سَلّمَ الكلام من جميع الآفات سكتَ عنه أَيضًا، إلاّ أَن ينطِقَ في موضعهِ وفي أَوانهِ ولمن ينتفعُ بهِ، وإلا فالصَمْتُ أَولى بهِ، ولو سَلمَ المتكّلمُ مِنْ جميع الآفاتِ وَوجدَ لقولهِ مَوضعًا وأَملًا[6]، فآملَ المنفعةِ لهم بقولهِ لكافٍ[7] مع ذلك أَولِى بهِ أَنْ يَخافَ المَقْتَ مِنْ الله عزَّ وجلَّ إذا كانَ مَنْ ليسَ يتحققُّ لما يقولُ من فعلهِ وأَخلاقهِ وآدابهِ، كما خَافَ عُمر رضى الله عنه على الأَحنفِ بن قيس والربيع بن زياد أَنْ

---

(١) الأزهر: يريد.

(٢) لغو: أي صوت.
انظر: تهذيب اللغة. محمد الهروي: ج١٢، ص٣١٠.

(٣) الأزهر: يفرط.
تفرط من الفرط: أي التقصير والعجز.
انظر: الإبانة في اللغة العربية. سَلَمة بن مُسْلِمِ العَوْتبي الصُحاري: ج٣، ص٦٤٣.

(٤) الأزهر: يفرط.

(٥) يعتري من عري: عراه أمرٌ يَعْرُوه عَرْوًا: إذا غشيه وأصابه.
انظر: العين. الفراهيدي: ج٢، ص٢٣٣.

(٦) أملاً من الأَمَل: الرَّجاء والتثبت.
انظر: تهذيب اللغة:. محمد الهروي ج١٥، ص٢٨٤.

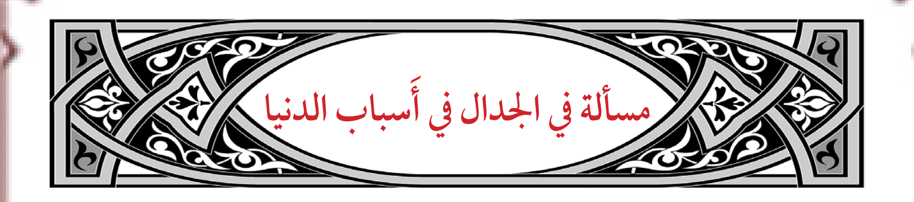
(٧) كافِ: أي كاف لهم بالمعصية، قوله تعالى: {كَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا}، النساء: ٦، الآية.
انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٧١٤.

يكونا غيرَ محقّقَين[١] لما يقولان، وقالَ عُمر بن ذرّ: «المستعان الله[٢] على أَلسنةٍ تصف وقلوبٍ تَعرف وأعمال تُخالف»[٣].

(١) محققين أصلها: (الْحَقُّ): وهي ضِدُّ الْبَاطِلِ، وَالْجَمْعُ (مُحقُّوقُونَ)، وَكَلاَمٌ (مُحَقَّقٌ) أَيْ رَصِينٌ وجب. انظر: الإبانة في اللغة العربية. سَلَمة بن مُسْلِمِ العَوْتبي الصُحاري: ج٢، ص٢٨٦.

(٢) الأزهر : الله المستعان

(٣) انظر: آداب الدنيا والدين. الماوردي: ج٣، ص٢٠٠.



مسألة في الجدال في أسباب الدنيا

قلتُ: والجدالُ في أَسبابِ الدُّنيا منه مذمومٌ وممدوحٌ[1].

قال: نَعَم، أمّا الممدُوح منهُ فمجادلتُك عن المظلوم عند حاكم أو غيره، تجادل بالحقّ؛ لتدفعَ عنهُ ظلمًا، أو لتستخرج لهُ حقًا، وكذلك المكذُوبُ عليه فَتُجادِل عنه بالحقِّ لتردّ عنه الكذب، أو المظنون بهِ[2] السوءَ وهو مستورٌ عندك فتجادل عنه لتزولَ عنه التهمة، أو منْ اغْتِيب فتجادلَ عنهُ بغير تكذيب للقائل، ولكن تجادُله[3] لتقيم عليهِ الحُجةَ لِمَا حرَّم الله عزَّ وجلَّ عليهِ مِن الغيبةِ، ولِمَا أَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ سَتْرِ عوراتِ المسلمين، وكذلك مجادلتك عَن نفسك في جميعِ ذلك.

قُلتْ: فمجادلتي في هذا الوجه أَفيهِ[4] آفةٌ أَكونُ فيها مذمومًا؟

قالَ: نعم، تجادل لِتردَّ ظلمًا أو غيبةَ أو كذبًا أو لِتستخرجَ حقًا، إلا أنكّ تجادلُ بغيرِ الحقِّ.

قُلت: وكيف ذلك؟

(١) الممَدْوح من المَدْحِ: أثنى عليه بما له من الصِّفات الحَسَنة.
انظر: تاج العروس من جواهر القاموس. محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني: ج٧، ص١١١.

(٢) الأزهر: فيهِ.

(٣) الأزهر: تجادل.

(٤) الأزهر: هل فيهِ.

قال: تدّعي[1] فوقَ الحقِّ [الذي تريدُ أنْ تستخْرجه][2] وفوقَ الظلم الذي تريد رَدّهُ، أو تجادل بالسَّفهِ والشَتْمِ للظالمِ بما لا يحلُّ لك، أو تحمل[3] شهُودَ زورٍ[4] على أَنْ يشهدوا [عَليه][5]، وإنْ كانَ الذين يشهدوا عليهِ حقًا إلا أنَّهم يشهدوا على ما قدْ علموا أَنَّهم لم يَعْلموه يقينًا، وأَنْ[6] تستعين عليهِ بمَنْ يظلمهُ أو يشتمهُ ليصيرَ إلى الحقِّ والرجوعِ عن الظلمِ؛ فأَنت غيرُ مذمومٍ بقصدِك، وأَنْ تَرُدَّ الظالمَ وأَنتْ مذمومٌ إذا جادَلتهُ بغيرِ حقٍّ، أو خرَجتْ إلى السَّفهِ والشَتْمِ أو اشتغالك بما لا يحلَّ مِنْ أشهادِ بالزورِ واستعانةِ على ظلمِ مَنْ يجادله وإنْ كانَ ظالمًا فيما تطالبهُ بهِ لنفسكِ أو لغيرِك.

وأمّا الجدال المذمومُ فمجادلتِك عَن الظالمِ؛ لتردَّ عنهُ أَخذَ الظلامةِ مِنهُ، أو عنْ الكاذبِ على مُسلم أو مُعاهِدٍ[7] ليصدقَ ولا يَكذبَ، أو عَن الظانِّ بالسوءِ ليَحقق ظنَّهُ، وعَنْ الذي اغتابَ لتثبْتَ ما غَابَ[8] بهِ المشتوم ليبرأ مِنْ عيبهِ[9]، وكذلكَ مجادلتكَ عَنْ نَفسك في جميعِ ذلك لتدفعَ عنْك أَخذ ظلامتِك[10]، أو لتمنعَ حقًا

(١) تدعي أصلها دَعيٌّ: وهي تدّعي حقًّا لك ولغيرك.
انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج٢، ص ٢٢١.

(٢) الأزهر: الذي تريد أن تستخرجه.

(٣) الأزهر: تحلم.

(٤) زور: الكَذِب، وقد زَوَّر الشَّهادة، أي: كَذبَها، وزَوَّر كلامَه تزويرًا: نَمَّقَهُ وأَصْلَحَهُ.
انظر: المنجد في اللغة. علي بن الحسن الهُنائي الأزدي: ج١، ص٢٢١.

(٥) الأزهر: عليه.

(٦) الأزهر: أو أن.

(٧) مَعَاهِدٌ: الذِّمّيُّ لأنَّهُ مُعَاهَدٌ ومُبايَعٌ على ما عليه من إعطاء الجزية والكف عنه.
انظر: العين. الفراهيدي: ج١، ص١٠٢.

(٨) الأزهر: عاب.

(٩) الأزهر: غيبتهِ.

(١٠) الأزهر: ظلامة.

أو ليصدق كذبُك، أو لتحققَّ ظنّك السوء[١]، أو لتثبُتَ عيبًا بغيبةِ مسلمٍ.

قُلْتُ: فإنْ جادَلتُ عن ظالمٍ أو كاذبٍ فَعلمتُ بظلمهِ أو كذبهِ أو لمْ أَعلمْ.

قال: ذلك على نوعينِ، والناسُ فيه فرقتان:

أمّا أَحد الوجهين أنْ[٢] تكون علمتَ ذلكَ منهُ وأَنَّ خصمهُ بَرِيءٌ أو مظلوم، فذلك أَعظمُ عند الله تعالى وأَنتَ شريكٌ للظالم بقَدْرِ[٣] مجادلتكَ عَنْهُ وبتجْويزك[٤] لفعْلهِ، وبدفعكَ صاحب الحقّ عن حقِّهِ.

والوجه الآخر: أَنَّ تجُادلَ عن الظالمَ والكاذبِ أو الظانِّ أو المغتابِ وأَنت لا تعلم[٥]، فالنّاسُ في هذا الوجهِ نوعان: فنوعٌ من الإخوانِ وغيرهم قد عرفتَ براءتهم في مثلِ ذلك لطولِ[٦] خبرتكَ بهم، وإنْ كانَ أحدُهم قد علمَ وأَنت لا تعلمْ فأَنتَ ممدوْح؛ لأَنكَّ جادلتَ بما علمْتَ من طولِ خبرتك بهم ومَعْرفتك بَأَنهم[٧] مجانبون لمثلِ ذلكَ من الورْعِ لله عزَّ وجلَّ، والقولِ بالسُنَّة، أَنتَ[٨] مطيعٌ إذا جادلتَ عنهُم لعلمك المتقدّمُ، إلا أَنْ يُبينَّ خَصمَ منْ تجادل عنهُ حُجةٌ واضحةٌ لا يمكنُ فيهِ غلط، فإنْ لمْ يُبيّن خصمُهُ حُجةً فلك أَنْ تجادل عنهُ، إلاّ

(١) الأزهر: سوء ظنك.

(٢) الأزهر: فإن.

(٣) الأزهر: بعد.

(٤) بتجويزك الاجْتِيازُ: السُّلُوكُ.
انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج٥، ص٣٢٧.

(٥) الأزهر: تعلمهُ.

(٦) الأزهر: بطول.

(٧) الأزهر: بأنهُ.

(٨) الأزهر: فأنت.

أَنْ تكونَ مُعاملة[1] على المُناظرةِ[2] لخصمهِ؛ ليُبيِّنَ حجّتهُ أو يُبطل[3] حجّتهُ.

و[أمّا][4]النوع الثاني: أَنْ[5] تكونَ لم تخبْرهم بالوَرْعِ ولا باتبّاع السُنَّةِ ومُجانبةِ البدع[6]، فلا تجادل عنهْم، وإن كانوا عِندك مستورين فإنَّهُ قَدْ يمكنُ أَنْ يكونَ أَحدُهم قد فعلَ خلاف ظاهرِ[7] ستره، فـتثبتَ ولا تجادلَ فيما لا عِلمَ لكَ بهِ.

وقد نهانا اللهُ عزَّ وجلَّ عن ذلك فقال: {وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ}[8]، الآية كلها، وذلك أَنّ رجُلاً مِنْ المسلمين اخْتانَ[9] رجلًا من اليهودِ خيانةَ فرَدَّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُ لظاهرِ سِتْر الإسلام[10]، فنهى اللهُ عزَّ وجَّل نبيهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم حين رَدَّ عَنْهُ عن ذلك[11]، فلا يجوز لكَ أَنْ تجادلَ عَمّنْ لَمْ تطل

---

(١) الأزهر: فمعاملتهِ.

(٢) المناظرة: الجِدال وَأَن يسْتَخْرج الرجلُ من مُناظره كلاَمًا ومعاني الخُصومة وغيرها.
انظر: تهذيب اللغة. محمد الهروي: ج١٥، ص٢٠٤.

(٣) الأزهر: ليبطل.

(٤) الأزهر: أما.

(٥) الأزهر: فإن.

(٦) الأزهر: البدعة.

(٧) لظاهر: أي غَائِب بَعِيدٍ عن الحَقِّ، وقِيل: زَائِلٌ، قوله عَزَّ وجَلَّ: {أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ }، الرعد:٣٣، الآية.

انظر: تهذيب اللغة: محمد الهروي ج٦: ص١٣٥.

(٨) النساء :١٠٥. ١٠٦، الآية.

(٩) اخْتانَ: مِنَ الخيانةِ.
انظر: معجم ديوان الأدب. الفرابي: ج٣، ص٤٤٦.

(١٠) الأزهر: بالإسلام.

(١١) انظر: تفسير الكاشف. الزمخشري: ص٢٨٥. تفسير القرآن العظيم. ابن كثير: ج٢، ص٤٠٥. مسند أحمد: ج٦، ص٣٢٠.

خبرتِك بهِ بالوَرْعَ والتقوى، ولكن مناظرةً مع تثبتِ ولا لظليم[١] لخصمهِ حتى تعلم. ومِنْ النَّاسِ مَنْ تَعْرفُه[٢] بالظلمِ فيعترضُ له من يَطلب مِنْهُ ظلامتُهُ ولْم تَعلمْ أَنَّهُ قد ظَلَمَهُ، فلا تجادلُ عَنْهُ ولا تناظرهُ في أمْرِهِ وأَمسك واطلب السلامة[٣] مِنْه.

ومعنى ثالـث: تَدخل بَيِّنَ الرجلينِ أو القوم لِتصلحَ بينهم وقد غيبَ عَنْكَ مَن الظَالِم منهُم من المَظْلوم، فيكونُ لك هواءٌ في أَحَدهم لقَرابةِ أو صُحبةِ أو مَرْفق[٤] يَدخُلَ عليك من نَاحيتهِ؛ فتُجادلَ عَنهُ مجُادلةَ مَنْ قَدْ استيقَن أَنَّهُ مظلومٌ وتظلُّمُ خصمُهُ، فذلك جورٌ منكَ وظلمٌ لهُ إذا جادلتَ عَنْهُ عَمَّنْ لا[٥]تعلمْ أَمظلومٌ أَمْ ظالم[٦]، بل تكونُ بينهم كالقاضي لا تميلُ ولا تَحيَّفُ[٧]، وكلُّ[٨] مَنْ صَحّتْ لهُ حُجة، كُنْتَ معهُ حتى تُخرجَ الآخر منها ببرهانٍ أو تكونَ ليسَ لك في واحدٍ منهُم هوى [في إحداهما][٩] فتجورَ في محاورتك، فتظلم مرةً هذا ومرةً هذا[١٠] بغير عِلْمٍ تُريدُ بذلك الصُلحَ فهذا لا يجوزُ لكَ.

قلـتُ: فأين قول النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مّا كذِب مَنْ أَصْلحَ بَيْنَ اثْنَيْنِ»[١١].

---

(١) الأزهر: عن ظالم.

(٢) الأزهر: يُعرف.

(٣) الأزهر: الظلامة.

(٤) والمَرْفِقُ: أي الأَمْرُ الرَّافِقُ بِكَ أَنْ يَجْمَعَكَ وَإِيَّاهُ رُفْقَةٌ.
انظر: معجم مقاييس اللغة. أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني: ج٢، ص٤١٨.

(٥) الأزهر: لم.

(٦) الأزهر: ظالم أو مظلوم.

(٧) تَحَيَّفُ: مَا يَزِيدُ فتَنْقُصه.
انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج٩، ص٦٠.

(٨) الأزهر: فكل.

(٩) الأزهر: هوى في إحداهما.

(١٠) الأزهر: هذا مرة وهذا مرة.

(١١) انظر: صحيح مسلم. مسلم بن الحجاج : ج٤، ص٢٠١٢..سنن أبي داوود. سليمان بن الأشعث: ج٤، ص ٢٨١.

قالَ: ليسَ معنى ذلكَ [أنْ][1] يظلمَ[2] مُسلمًا بغيرِ عِلْمٍ، ولكنْ مداراة ومعارضة ليرى[3] ما في صَدْر كلٍّ واحدٍ على صاحبهِ أو صَدْرٍ الغَضبانِ منهما، أو الضارِّ حتى يصطلحا، فلا يجوزَ أَن يُعين[4] ظالمًا ولا مظلومًا إِلّا بالحَقِّ، [لا][5] بتَصِرْيح[6] ولا بتَعْريضٍ[7] ولا يَشهدُ[8].

(١) الأزهر: أن.

(٢) الأزهر: تظلم.

(٣) الأزهر: لترى.

(٤) يُعين من العْين: ويقال للمراعي الشيء عَيْن، قال تعالى: {فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا} الطور:٤٨، الآية.
انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٥٩٨.

(٥) الأزهر: لا.

(٦) تَصْرِيح: أعطاه إذنًا، فهو التبيين وانكشاف الأمر.
انظر: معجم الصواب اللغوي. أحمد مختار عمر: ج١، ص٢٣٥.

(٧) التعريض أصلها عرض: اقْطَعُوا الْأَمرَ فِيهِ، جَانِبهُ.
انظر: التعريفات. علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني: ج١، ص٦٢.

(٨) الأزهر: شاهد.
يشهد: وهي الشهادة إما بالبصر أو البصيرة، قال تعالى: {عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ} السجدة:٦، الآية.
انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٤٦٥.

ما حَدثنا: سليمان بن حرب[1]، قالَ: حماد بن زيد[2] قالَ: أَيوب[3] عن هارون بن رئاب[4] عن زيد بن سويد الرقاشي[5]، قالَ سَعيد بن المسيب: «مَنْ مشيَ معَ خِصْمٍ[6] يَرى خصمُهُ أَنَّهُ شَهدَ[7] عَليهِ فهو شاهدٌ زُورٌ»[8].

(١) سليمان بن حرب، ابن بجيل، أبو أيوب الإمام الثقة الحافظ،، البصري، قاضي مكة، مات بالبصرة سنة ٢٢٤هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي : ج١٠، ص٣٣١.

(٢) حماد بن يزيد، ابن درهم، العلامة، أبو إسماعيل الأزدي، أدبه كسرَى، وفقهه عمر (رض)، مات سنة ١٧٩هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي : ج٧، ص٤٥٧.

(٣) أيوب: هو يحيى بن أيوب، الإمام المحدث الغافقي المصري، احتج به الأئمة الستة في كتبهم، توفي سنة ١٦٨هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج٨، ص٩.

(٤) هو هارون بن رئاب بن رباب الأسيدي التميمي البصري، أبو بكر، من أهل السُّنة روى له مسلم، وأبو داوود، والبخاري.

انظر: حلية الأولياء. الأصفهاني: ج٣، ص٥٥. الثقات. لابن حبان: ج٧، ص٥٧٨.

(٥) زيد بن سويد الرقاشي: سويد بن زيد بن سويد الرقاشي البصري روى عن أبيه والمسيب، وروى عنه: سقط، وهارون

انظر: الثقات. ابن حبان: ج٦، ص٣١٥. الجرح والتعديل. عبد الرحمن بن محمد بن إدريس: ج٤، ص٢٣٩.

(٦) خَصْمٍ من الخُصومَةُ: والخَصْمِ المدّعِي والمدّعَى عليه. قوله تعالى: {هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ}، الحج:١٩ الآية.

انظرك لسان العرب. ابن منظور: ج١٢، ص١٨٠.

(٧) الأزهر: يشهد.

(٨) انظر: موطأ الإمام مالك. مالك بن أنس: ج١، ص٢٧٤. السنن الكبرى. النسائي: ج١٠، ص٢٠١.المبسوط. محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي: ج١٦، ص١٤٥.

حدَّثنا: سُريح[1] عن حماد بن يزيد عَنْ أيوب وعبد الله بن أبي زايدة[2] عَنْ هارون بن رباب عَنْ زيد بن سويد الرقاشي عَنْ سَعيد بن المسيب، مثلهُ.

---

(١) الأزهر: شريح.

هو سُريح بن أبي يونس، هو الإمام القدوة الحافظ أبو الحارث المروزي من الأئمة العابدين، مات في شهر ربيع الأول سنة ٢٣٥هـ..

انظر: الجرح والتعديل. لأبي حاتم: ج٤، ص٣٠٥.

(٢) عبد الله بن أبي زائدة: هو يحيى بن زكريا، ابن أبي زائدة الحافظ، العلم، جده ميمون بن فيروز،، أفقه أهل الكوفة، ثقة، مستقيم الحديث أسند لهُ الحديث: «إن أهل الجنة ليرون أهل عليين كما ترون الكوكب الدري في أفق السماء، وإن أبا بكر وعمر لمنهم وأنعما»، وهو أول من صنف الكتب بالكوفة، مات سنة ١٨٣هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج٨، ص٣٣٨. الجرح والتعديل. عبد الرحمن بن محمد بن إدريس: ج٩، ص١٤٤.



مسألة في التفويضِ

قُلتْ: ما التفويضُ إلى الله عزَّ وجلَّ؟ فإنَّ الله [تعالى](١) سبحانَهُ مدحَ مؤمن آلَ فرعون فأخبَرَ بما ناجَاهُ بهِ حينَ بَايَن(٢) قومَهُ وأَظهرَ لَهُم الخلاف، فقال: {وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ}(٣)، وقالَ النبيُّ صَلىَّ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَوِّضَا أَمْرَكُما إِلَى اللهَّ عزَّ وجلَّ تَسْتَرِيحا»(٤)، وقالَ: عامر بن عبد الله(٥) لأُختهِ ((فوِّضي أمرُكِ إلى اللهَ تَستريحي))(٦).

قال: إنكَ سألْتَ عن أَمر عظيم مَنْ وهَبهُ الله ذلك زالتْ عَنْهُ هموم الدنيا والمخافة للعبادِ والطَمْع لما في أَيديهم وَتَرْكِ النَظْرِ من المؤمن إلى حِيلَةِ(٧) نَفْسِهِ،

---

(١) الأزهر: تعالى.

(٢) باين من تَبَيَّن: استخفَّ به.

انظر: كتاب الأفعال. علي بن جعفر بن علي السعدي: ج٢، ص٣١٩.

(٣) غافر: ٤٤، الآية.

(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر. ابن الأثير: ج٧، ص٣٢٥٩. الجامع لشعب الإيمان. أحمد الهيقي :ج١٤،ص٣٦٣.

(٥) عامر بن عبد الله ابن عبد قيس العنبري، زاهد البصرة، من التابعين، زكي النفس، زاهد في الدنيا، لزم أبا موسى الأشعري في سِلمِه وحربه، كان ثقة من عباد التابعين، حدث عنهُ: الحسن البصري، وابن سيرين، كان يصلي باليوم ألف ركعة، ترك البصرة مرغمًا، واختار بيت المقدس دار إقامته، مات في زمن معاوية.

انظر: تاريخ دمشق: ج٢٦، ص٢٢. سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج٤، ص١٦.

(٦) جاء في الرواية: أن عامر عبد الله العنبري قال لابن عم لهُ: «فوّضا أمركما إلى الله تستريحا».

انظر: تاريخ دمشق. لابن عساكر: ج٢٧، ص٢٩.

(٧) حِيلَةٌ: لأنه شيء أحيل من جهة إلى جهة أخرى، وَالْقُدْرَة على دقة التَّصَرُّف.

انظر: المحكم والمحيط. علي بن إسماعيل بن سيده المرسي: ج٤، ص٦.

فهذه راحةٌ للقلوبِ وفراغٌ[١] منها لطاعةِ [الله][٢]، ويدلّك على ذلك قولُ المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ قالَ لرجلينِ: «فَوِّضَا أَمْرَكُمَا إلى اللهِ تَسْتَرِيحَا»

والتفويضُ: عَمَلُ نيةٍ، لا مَؤُونةٍ[٣] لهُ على القَلْبِ والبَدَنِ، بلْ فيهِ الراحةُ للقلبِ والبَدَنِ، وكيفَ تلحقُ المؤونةُ[٤] والهَمُّ مَنْ فَوّض أمره إلى الله تعالى وتبرَّأ هو مِن النَظَرِ فيهِ إلى نَفْسِهِ أو إلى أحدٍ سوى من فَوَّضَ إليهِ أَمرُهُ؛ لأَنَّ مَنْ فَعل ذلك من أَهلِ الدنيا ففوّضَ أَمرُه إلى مَن طمِعَ أَنْ يَقومَ له بهِ ليستريح[٥] القلبُ والبَدْنُ قليلُ الهمَّ والغمَّ والاهتمامِ والاحتيالِ.

فكيفَ بمّنْ فوّضَ أَمرهُ إلى الله عزَّ وجلَّ الملك الأعلى، الذي لا يكونُ شيءٌ إلاّ ما أَرادَهُ وَدبّرَهُ ولا يفوتُهُ شيءٌ ولا يعجزُهُ شيء، ومع ذلك إنهُ أَمَرَ بالتفويضِ إليه وضَمنَ للمفوضين [إليهِ] [٦]الكفايةُ لما همهم والقيام لهم بما فوضوا إليه من أُمورِهم، والتفويضُ من خالصِ التوكلِ على الله عزَّ وجلَّ، للثقةِ بهِ والمعرفةِ بنفاذِ قدرتهِ ورحمتهِ ورأفتِهِ.

فالتفويض: الإلْجَاءُ[٧] من قلبِ المؤمن إلى الله تعالى، [في][٨] الأَمورِ كلّها التي تخافُ وتُرجا، أو يحتاجُ إليها من أمورِ الدُّنيا والآخرةِ يوم الحسابِ،

(١) فَرَغَ من يَفْرُغُ: أي خالي، قال تعالى: وقوله تعالى: {وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا} القصص: ١٠، الآية.
انظر: العين. الفراهيدي: ج٤، ص٤٠٨.

(٢) الأزهر: الله.

(٣) الأزهر: مؤنة.
مؤونة من الْمَئُونَةُ: أي الثِّقْلُ.
انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي: ج٢، ص٥٨٦.

(٤) الأزهر: المؤنة.

(٥) الأزهر: لمستريح.

(٦) الأزهر: إليهِ.

(٧) الإِلْجَاءُ: أي الاضطرار، يكون فيما لا يجد الإنسان عنهُ بدًا من أفعال نفسه.
انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج١، ص١٥٢. الفروق اللغوية. للعسكري: ج١، ص١٣٢.

(٨) الأزهر: في.

والمريدون في ذلك رَجُلان:

رجلٌ اعتقدَ من قلبهِ أَنَّهُ أَلجَأَ أَمورَه كلَّها [إلى الله][1] إليه مُتبرئ من الحَوْلِ[2] والقوة من نفسهِ، ومن الخَلْقِ إلاّ إلى الله تعالَى، ولا ينتظرُ صُنْعًا ولا لُطفًا[3] إلا مَنْ عنده، قد طَابت[4] وسَخَت نَفسُه بإلجائهِ أَموره[5] إلى مولاه، وهو مع ذلك على خَطرِ أَنْ يختدِعَهُ الشيطانُ فيدخلَ إليه[6] على النسيان والغَفْلةِ [في][7] أنَّهُ يملكُ أَمره، [ولكنهُ][8] عَجزَ عنهُ فألجأه إلى مولاه، [فعند ذلك][9] قد دَخلَ عليه [من الشيطانِ][10] بابٌ من العجبِ دقيق لا يقطنُ لهُ إلا العلماءُ السماسرةِ[11].

---

(١) الأزهر: إلى الله.

(٢) الحَوْلُ: أَي لَيْسَ لَهُ حِيلَة، وَمِنْه الحديث الشريف: «لاَحول وَلاَ قُوَّة إلاَّ بِاللَّه فإنها كنز من كنوز الجنة».

انظر: الإبانة في اللغة العربية. سَلَمة بن مُسْلِم العَوْتبي الصُحاري: ج٢، ص٢٠٦.

(٣) الأزهر: لطفًا ولا صنعًا.

(٤) طابَتْ: وَطَابَتْ نَفْسُه بالشيءِ إذا سَمَحَت بِهِ مِنْ غَيْرِ كَرَاهَةٍ وَلاَ غَضَب.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج١، ص٥٦٦.

(٥) الأزهر: الأمور.

(٦) الأزهر: عليه.

(٧) الأزهر: في.

(٨) الأزهر: ولكنهُ.

(٩) الأزهر: عند ذلك.

(١٠) الأزهر: من الشيطان.

(١١) السماسرة: الدلالون بكلام الفرس، وعند كلام العراقيون الأوباش: تعني الْجَماعاتُ والأَخْلاطُ مِنْ قَبائِلَ شَتَّى.

انظر: شرح غريب ألفاظ المدونة. الجبي :ج١، ص٧٤. المُسْتَعْذَبُ فِي تفْسِير غريبِ ألفاظ المهذب. محمد الركبي : ج٢، ص٢٧٧.

و[الرجلُ][1] الثاني: اعتَقَدَ في قلبهِ أَنَّهُ لا أَمرٌ لهُ ولا حول لهُ ولا قوة ولا ملك لهُ يحتاجُ يَلْجَأُه إلى رَبِّه، ولكن رَبِّه مالكٌ نفسهُ وجميعُ أُموره، فإنَّما معناه بتفويضهِ أمورهِ أَنَّهُ فوّضَ الأَمورَ التي لا يملكُها إلى الله عزَّ وجلَّ، يقولُ في نفسهِ الأَمور كلَّها لله وبالله تكونُ وتتصرفُ فألجأتُ الأَمورَ كلّها إلى الله تعالى[2]< فأَنا مُنتظرٌ لما يَقضيَ[3] وَيقدر أُحسنُ الظنَّ بهِ إذ مَنّ[4] عليَّ بالانتظارِ؛ لذلك أَنْ يلطفَ لي [5]وينظر [إليّ][6]ويحسن [إليّ][7] ويختارُ [لي][8] فلا أَمرَ لي فأَفوضُّهُ والأَمرُ كلّه لربّي.

فقد فوّضتُ إليهِ الأَمورَ كلَّها وألجَأتُها مُنتظرًا لصُنْعهِ ولُطْفهِ، وإنّما قولي أفوّضُ أَمري إلى الله [أي][9]الذي لا أَملكهُ، وإنما تسميتي ليس أَعني [بها][10] ملكِي، إنّما قولي أَمري مَعْناهُ أَمري الذي أَحتاجُ إليهِ [من مُلكِ رَبّي][11] لستُ أَملكُهُ[12][فهو المالكُ لهُ][13] كقولي: أحتاجُ إلى أَنْ يأتينِي رزقي ولم أَملكْهُ بعد؛

(١) الأزهر: الرجلُ.

(٢) الأزهر: عز وجل.

(٣) قَضَى يَقْضِي قَضَاءً، فهو قاض، وَأَوْفَى بِنَذْرِهِ، إذا حكم وفَصَل، انظر: التقفية في اللغة. اليمان بن أبي اليمان البَندنيجي: ج١،ص١٣١.

(٤) مَنَّ: هي من المنّة.

(٥) الأزهر: يطاف بي.

(٦) الأزهر: إلي.

(٧) الأزهر: إلي.

(٨) الأزهر: لي.

(٩) الأزهر: أي.

(١٠) الأزهر: بها.

(١١) الأزهر: من مُلك ربي.

(١٢) الأزهر: لا من ملكي.

(١٣) الأزهر: فهو المالك لهُ.

فكذلك أفوّضُ أموري التي يحتاج إليها بملكةِ[1] رَبيِّ لا أنا، فهو المالكُ لهُ.

فهذا الذي لمْ تدخل عليهِ أَغلوطةٌ ووضَعَ نفسهُ مِن العبودية حيثُ وضعَها مولاها، وأَفردَ الله بالربوبيةِ والقْدرةِ على جميعِ الأُمورِ والتدبيرِ لها دونَ مَنْ سواه فهذا الذي يكفيه الله ويختارُ له، فإنْ غلطَ رَجَوْتُ لهُ أَنْ يتجاوزَ [الله][2] عن غَلطهِ إذا كان الغالبُ على قَلبهِ تفويضُ جميع الأَمور [كلّها][3] إلى رَبِّه والمُفَوضُ[4] مكتفي[5] مستريح، أَلمْ تسمع مولاي[6] يقولُ ويخبُر عَنْ قَولِ العَبْدِ الصالح وكيف فعلَ بهِ حينَ فوّضَ إليهِ أَمرُهُ، فقالَ: {وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ}[7].

قالَ: الله عزَّ وجلَّ: {فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا}[8] الآيةِ.

قلتُ: فَبِمَ[9] ينالُ التفويضُ [لله عزَّ وجلَّ][10].

قالَ: بغيرِ كبير مؤونة في قْلب، ولا تَعْبِ بَدْنِ، ولا تعليم مِنْ أَحدٍ، ولا إنفاقٍ مِنْ مالٍ، ولا عَملِ جارحةٍ إلاّ المناجاة الله عزَّ وجلَّ باللّسانِ بعد اعتقاد

---

(١) المَلَكة: هي صفة راسخةٌ في النفس، وملكة الشيء تمليكًا، أي جعله مِلْكًا له.

(٢) الأزهر: الله.

(٣) الأزهر: كلها.

(٤) الْمُفَوّض: أي الموكل أمره إلى الله سبحانه.
انظر: جامع العلوم في اصطلاحات الفنون. عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري: ج٣، ص٣٢١.

(٥) الأزهر: مكتف.

(٦) الله سبحانه وتعالى.

(٧) غافر: ٤٤، الآية.

(٨) غافر: ٤٥، الآية.

(٩) فَبِمَ: أداة استفهام مركَّبة (بِمَ تكتب) قوله تعالى: {فَبِمَ تُبَشِّرُونَ}، الحجر: ٥٤، الآية.
انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة. أحمد مختار عبد الحميد عمر: ج١، ص٢٤٧.

(١٠) الأزهر: لله عز وجل.

[القَلب][1]، وهو أَن يتفكرَ المريد المؤَمنُ في صِغرِ قَدرهِ في نَفْسهِ وما أَزيلَ عنها مِنْ الطلب لشيء مِنْ نَفْسهِ أو مِنْ غيرهِ إلا ما أَعطاهُ مولاهُ وَمَنَّ[2] بهِ عليهِ؛ فيعقلُ[3] مِنْ صُغْر قَدْر نفسهِ (وَما أزيلَ عنها من الطلبِ لشيء مِنْ نفسِّهِ)[4]،(أو مِن غيرهِ إلّا ما أعطاهُ مولاهُ)[5].

وضعفُها ومهانتُها وقلةُ حيلتها وضَعْفُ جميعُ الخَلقِ[6] ومهانتهُم أَن يزيدوا أو يحدثوا[7] مَنْ فَعلَ خيرًا وصرفَ مكروهًا إلا ما دبّرهُ المولى الكريم، ويتفكرُ ويتذكرُ أَنَّ الرَّبِ هو القادرُ [وأنّهُ لا إله][8] إلاَّ هُوَ[9]، لهُ الذي لا يكون[10] إلا ما أَرادَ ودبّر، وأَنَّهُ لا يعجزُهُ شيءٌ أَرادهُ، وأَنَّهُ وجميع العبادِ لا ينالون خيرًا إلا مِنْ عند رَّبهم، ولا يصرفون عن أَنفسُهِم سَوَّأ[11] إلا ما صَرفهُ عنهم.

---

(١) الأزهر: القلب.

(٢) الأزهر: من.

(٣) فيعقل من الْعقل: ضدّ الْجَهْل، سمِّي عقلُ الإِنْسَان وَهُوَ تَمْيِيزه الَّذِي بِهِ فَارق جميعَ الْحَيَوَان عقلا لأنّه يعقله.

انظر: تهذيب اللغة: محمد الهروي: ج١، ص١٦٠.

(٤) الأزهر. لم ترد فيها: (ج.س).

(٥) جاءت الأقواس كما في مخطوطة: (الأصل)

(٦) الأزهر: الخلائق.

(٧) الأزهر: إنهم لا يريدون أو يحدثون.

(٨) الأزهر: وأنهُ لا إله.

(٩) إلاَّ هُوَ: هو الله سبحانه، قال تعالى: {اللّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ}، البقرة:٢٥٥، الآية.
انظر: التعريفات الفقهية. محمد عميم الإحسان المجددي البركتي: ج١، ص١٢.

(١٠) الأزهر: يكون.

(١١) سَوَّأ، السوء: تعني جهنم، والسّوء نعت لكلّ شيء رديء.
انظر: تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب. محمد بن يوسف بن علي : ج١، ص١٥٣. العين. الفراهيدي: ج٧، ص٣٢٧.

فإذا عَقلَ ذلك علمَ أَنَّهُ[1] جهلٌ منهُ أَن ينظرَ إلى نفسِهِ أو إلى أحدٍ سوى مولاهُ، فقالَ في نفسهِ: أَلجأت أموري كلَّها إلى ربّي المالك لا مالكَ لها سواهُ، ولا أَنتظر ولا أتكلُ ولا آملُ ولا أخافُ ولا أحذرُ غيرهُ.

فالمريدُ ينالُ التفويض بهذهِ المعرفةِ عن هذهِ الفكرةِ والتذكُرِ كما وصَفتُ لكَ.

قلتُ: فما يُوْرَث[2] الله المفوّضُ إليهِ الأمور[كلّها][3].

قالَ: زوالُ جميع هموم الدّنيا، وزوالُ خوف جميع العبادِ، وزوالُ الرجا لأَحدٍ منهم، وَتَرْكُ التطلّعِ والاستشرافِ[4] لما يكونُ منهُم، وزوالُ الاتّكالِ[5] على حِيلَةِ[6] نفسهِ، فلمّا حلّ هذا المحلُّ لمْ يَستعملْ جارحةً من جوارحهِ تقرُّبًا إلى أَحدٍ سواه رجاءَ مَنْفعةٍ منهُ، ولا دَفْعِ ضرٍ عَنهُ، و[لا][7]فقرٍ واستغنى[بالله][8].

قلتُ: وكيفَ يجوزُ له طلبَ معاشٍ أو اهتمام لأَمرِ دينهِ أو معاتبةٍ لنفسهِ على ما صنع أو عزمَ على طاعةٍ أو معاشٍ يقومُ لهُ، وَقد فوّضَ أَمرهُ إلى الله تعالى وبرّأ نفسَهُ مِنْ تدبيرِ شيءٍ مِنْ أَمرهِ.

---

(١) الأزهر: أن.

(٢) يُوْرَث أصلها الوراثة، والإرثُ: وهو الحصول على شيء من غير تعب، قوله تعالى: {وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ} الدخان:٢٨، الآية.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٨٦٣.

(٣) الأزهر: كلها.

(٤) الاستشراف: هو التَّشَرُّف لِلشَّيْءِ التَّطَلُّعُ والنظرُ إِلَيْهِ، وَفِي الْحَدِيثِ: «اسْتَشْرَفَ لَهُمْ ناسٌ»، أي رَفَعُوا رؤُوسَهم وأَبصارَهم بالتعجب لهُ.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج٩، ص١٧٢.

(٥) الاّتكال: أي يَكِلُ الأَمرَ إلى غَيْره، ويتَوانَى ولاَ يَنهَضُ بالأَمْرِ أي اعتمد، ومنه حديث الدعاء: «لاَ تكِلْني إلى نَفْسي طَرْفَةَ عَيْنٍ فأهلكَ».

انظر:. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم. نشوان بن سعيد الحميرى: ج١١، ص٧٢٧٥.

(٦) الأزهر: حياة.

(٧) الأزهر: لا.

(٨) الأزهر: بالله.

قـــالَ: إنّ ذلك لا يمنعُهُ أَنِ يُعاتبَ نفسَهُ على تفريطِها وتَعذّلها[١] على ذنوبها اتباعًا لما أَمَرهُ الله عزَّ وجلَّ بِهِ أَنْ يفعلَ ذلك بنفسهِ، ويعلمُ أَنَّهُ لم يصر إلى ذلكِ إلا بتوفيق الله تعالى الذي فوّضَ أَمرهُ إليهِ، فبعَثهُ ووفقهُ على عذلِ نفسهِ ولذَّتها وقدَّر له ذلك أَنْ يفعلهُ.

وكذلك إنْ عَزمَ على أَمرٍ لآخرتهِ أو طلب معاشٍ[٢] يقوّيهِ على طاعةِ رَبِّه لم يعْزم على ذلك؛ لأَنَّ الأَمر إليهِ[٣]، ولكن مَرَّ[٤] بالعْزم على ما يقربُ إلى مولاهِ من طاعةٍ أو معْاشٍ لا تقومُ الطاعةُ إلا بهِ من قَوَام[٥] أَو قوةٍ على قُربهِ إلى رَبِّه، فهو قبل أَن يَعْزمَ يتكلف[٦] العْزمَ، ويعلم أَنَّ ذلك التكلفَ من مولاه هو[٧] مَنّ[٨] بهِ عليهِ.

(١) الأزهر: ويعزلها.
تعذّلها أصلها العَذل: عَذَلَ يَعْذِل، وهو اللّوم، والعُذّال الرّجال، والعُذّلُ النساء.
انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج٩، ص١٢٠. انظر العين. الفراهيدي: ج٢، ص٩٩.

(٢) الأزهر: معاشًا.

(٣) القصد هو الله عز وجل.

(٤) الأزهر: مَنَّ الله.
مَرَّ: المرور، وَ (مَرَّ) عَلَيْهِ وَمَرَّ بِهِ مِنْ بَابِ رَدَّ أَي اجْتَازَ.
انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج٥، ص١٦٥.

(٥) (قِوَامُ) نِظَامُهُ وَعِمَادُهُ، وامتلاكه،، قوله تعالى: {وَلاَ تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا}، النِّسَاء: ٥، الآية.
انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس. محمد بن القاسم بن محمد بن بشار: ج١، ص٣٣٥.

(٦) يتكلف من الكلف: شدة الحب والمبالغة فيه،
انظر: الإبانة في اللغة العربية. سَلَمة بن مُسْلِم العَوْتبي الصُحاري: ج٤، ص١٢٥..

(٧) الأزهر: فهو.

(٨) هي المنَّة.

فإذا عزمَ عَلِمَ أَنَّ العَزْمَ هو من تقدير الله عزَّ وجلَّ لهُ، وإذا طلب رزقًا أو طاعةً فيفوّضُ[١] إلى مولاهِ أَنْ يقدّرَ ذلك له[٢]، فإن خَطِر[٣][لهُ][٤] خاطرٌ[٥] يدعوهُ إلى رجاءِ حيلتهِ، أو تدبيرٍ، أو معونةِ أَحدٍ من خلقِ الله، نَفى ذلكَ ورجعَ إلى انتظارِ المقدور مِنْ رَبِّه فهو في طلبهِ كأَنَّهُ ليس يطلبُ.

لأَنَّ أُلهِمَ [٦] أن [إلاّ][٧] يتمَّ لهُ ذلك من قِبَلِ نفسهِ، أو مِنْ قبَلِ أَحدٍ مِنَ الخلْقِ عَنْ قلبهِ زائل لا يلزمُ قلبُهُ خوفٌ مِنْ أَحدٍ مِن الخلقِ مما يخافهُ، أو يكرهُ أَنْ يقع بهِ ولا يلزمُ قلبُهُ طمعَ فيما عند غير الله عزَّ وجلَّ لأَمرٍ كان إلى الخَطَراتِ[٨]، بذلكَ لا يَنْفِيها[٩] إلا بذِكْرِ قَدْرِ مولاهُ[١٠]، وأَنَّ الأَشياءَ كلَّها بيدِهِ.

قلتُ: كيفَ سميَّتهُ تفويضِ إلجْاءِ وزعَمْتَ أَنَّ المفُوّضَ هو المنتظرُ الناظرُ إلى رَبِّه لا إلى غيرهِ، ولم تُسميهِ محبةً ولا رضًى ولا سرورًا؟

قَالَ: لأَنَّ التفويضَ قبلَ نزولِ القضاءِ والقَدرِ لمْ يكنْ فَوّضَ فيهِ المفوّضُ،

---

(١) الأزهر: فوض.

(٢) الأزهر: لهُ ذلك.

(٣) خَطَر: الْقَدْرُ وَالْمَكَانَةُ.

انظر: معجم مقاييس اللغة. أحمد القزويني: ج٢، ص١٩٩.

(٤) الأزهر: لهُ.

(٥) الخاطر: راهنة بِبَالِهِ مِنْ بَابِ دَخَلَ، وَ (أَخْطَرَهُ) اللَّهُ بِبَالِهِ.

انظر: أساس البلاغة. محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري : ج١، ص٢٥٥.

(٦) الْهمِّ: الحُزْن، ومَا هَمَمْت بِهِ من أَمر فِي نَفسك.

انظر: تهذيب اللغة: محمد الهروي ج٥، ص٢٤٨.

(٧) الأزهر: إلا.

(٨) الْخَطَرَاتُ: جَمْعُ خَطْرَة، وَهِيَ منْ خَطَرَ الشَّيْءُ فِي قَلْبِهِ.

انظر: طلبة الطلبة. نجم الدين النسفي: ج١، ص٦٧. موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم. محمد بن علي ابن القاضي: ج١، ص٧٥٣.

(٩) ينفيها من يَنْفِي: أي تنَحَّى، ودفعه وأزاله.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج١٥، ص٣٣٦.

(١٠) قدر الله عز وجل.

فلما كانَ تفويضًا فيما يستقبلُ سَمّيته إِلْجاءً، وبَعْد الإِلْجاءِ [سَمْيتهُ انتظارًا لأَنَّهُ][1] نَظرَ[إلى][2] مولاه لا إلى غيرِهِ، والرضا والسرور [يكون][3] بما قَدْ نزلَ بهِ [من][4] القضاءِ[5] والقدرِ، والرضى في المكروهِ وَحْدَه[6] بَعْدَ وقوعِ القضاءِ، ورُويَ عَنْ عمار[7]عَن النَّبيّ صَلىَّ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «وأَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعْدَ الْقَضَاءِ»[8]، فأمّا قبلَ القضاءِ[9] فإنّما هو نيَّةُ الرضا إنْ نَزلَ بهِ المكروهُ، وقَدْ بيّنا ذلكَ في *كتابِ الرضا*[10].

---

(١) الأزهر: سميتهُ انتظارًا لأنهُ.

(٢) الأزهر: إلى.

(٣) الأزهر: يكون.

(٤) الأزهر: من.

(٥) الأزهر: قضاء.

(٦) وَحْدَهُ: أي أوحد معناه لا يُداخله فيه أحد، الإيمانُ بِاللَّه وحْدَهُ، وَالله الْوَاحِدُ الأَحَد ذُو الوحْدانيَّة والتَّوَحُّدِ.

انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس. محمد بن بشار : ج١، ص١٤٩. الإبانة في اللغة العربية. سَلَمة بن مُسْلِم العَوْتبي الصُحاري: ج٥، ص١٢٥.

(٧) عمار بن ياسر: ابن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن الوذيم، وقيل بين قيس والوذيم حصين بن الوذيم بن ثعلبة بن عوف، عدة أحاديث: ففي مسند بقي له اثنان وستون حديثًا، ومنها في «الصحيحين» خمسة، روى عنه: ابن عباس وأبو موسى الأشعري، وأبو أمامة الباهلي، وجابر بن عبد الله، ومحمد بن الحنفية، قال رسول الله (ص): لم يكن نبي قط إلا وقد أُعطي سبعة رفقاء نجباء وزراء، وإني أعطيت أربعة عشر: حمزة، وأبو بكر، وعمر، وعلي، وجعفر، وحسن، وحسين، وابن مسعود، وأبو ذر، والمقداد، وحذيفة، وعمار، مات في صفين سنة ٣٧هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي : ج١، ص.٤٠٧.

(٨) انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح. نور الدين الملا الهروي: ج٥، ص٤١٤. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال. علاء الدين علي بن حسام الدين : ج٢، ص١٧٤.

(٩) الأزهر: قضا.

(١٠) كتاب الرضا، ورد كمخطوطة في مكتبة (Nagpur. الهندية)، (١. ١٣)، رقم ٨٢٠، كتبت المخطوطة سنة٦٢١هـ. نشرها كمحقق لها الكاتب Spics: O. في مجلة إسلاميكا، العدد ٦، ص٢٨٣. ٢٨٩، سنة ١٩٣٤.

انظر: تاريخ الأدب العربي. كارل بروكلمان: ج٤، ص٦. تاريخ التراث العربي. فؤاد سزكين: ج١، ص١١٨.

قـلـتُ: فلمَ لا سَمْيتهُ التفويضَ توكلًا وهو في مستقبلِ الأَشياءِ؟

قَالَ: لأَنَّ التفويضَ عَن التوكّل، والتوكّلُ عَن الثقةِ [بهِ][1] فإذا وثَقَ توكّلَ، وإذا توكّلَ فوّضَ المفوِّضِ وهو الملتجئ إلى الله عزَّ وجلَّ أَمورَهُ عن التوكّلِ والثقةِ بهِ منتظرٌ[2] لمواقعِ القضاءِ والقَدرِ لِحُسَنِ الظنِّ بهِ أَنْ ينزَلَ القضاءُ والقدر بما يحبُّ ويأَملُ الصُنعَ واللطفَ له[3].

(١) الأزهر: بهِ.

(٢) الأزهر: انتظار.

(٣) الأزهر: بهِ.



مسألة في معرفةِ النفس

قُلتُ: أَخبرني عن الْإِزْرَاءِ(١) على النفسِّ، كيف هو؟

قَالَ: معرفتكَ بغدرِها(٢) وسوء رغبتها وأَفعالها، ومَعْرفتكَ بقدرِها أَنْ تَعرفَ كيف بُنيَتْ في طبائَعها وهيئَتها، وكيف اسْتَثْقَالها(٣) لطريقِ نجاتها(٤) مِنْ غيرِ بُغْضٍ للنجاة، ولكنْ كراهية لحملِ المُؤَن [وكراهة](٥) تركِ(٦) محبوبها(٧) مِن عَاجِلِ(٨) الدُّنيا، وكيف استخفافها لما فيه هلكتُها(٩) من غيرِ حبّ الهلَكَةِ(١٠) في

---

(١) الأزهر: الازْدِرَاءُ.

والإزراء: التهاون بالشيء.

انظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم. الحموي: ج٥، ص٢٧٨٨.

(٢) الأزهر: بقدرها.

(٣) اسْتَثْقَالها من اسْتَثْقَل: الَّذِي قد اسْتَثْقَل نومًا، نامَ فَسال لُعَابه.

انظر: المخصص. علي بن إسماعيل بن سيده: ج١، ص٤٩٤.

(٤) نجاتها أصلها نجاةً: إذا سلِم من شرّ النفس.

انظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم. نشوان بن سعيد الحميرى: ج١٠، ص٦٥٠٣.

(٥) الأزهر: كراهة.

(٦) الأزهر: لترك.

(٧) الله سبحانه وتعالى.

(٨) عَاجِلٌ: هي مَوْتٌ زُعَافٌ، والزعاف الكذب.

انظر: معجم مقاييس اللغة. أحمد بن فارس :ج٣، ص٨.

(٩) الأزهر: هلاكها.

(١٠) الْهَلَكَةُ: ايَ هالِكٌ.

انظر: تاج العروس من جواهر القاموس. محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق: ج٧، ص٤٠٧.

آخرتها، ولكن بمفارقةٍ لذاتها ومُجانبةِ هواها في غير عاجلِ دُنياها[١].

هذا مع إقرارها بأَنَّ ثوابَ الآخرةِ وعقابَها أَعظمُ وأَبقى، وأَنَّ محبوب[٢] الدنُّيا ومكروهَها الدَّنيءَ[٣] الْفَاني[٤]هي تُوثَر بَعد العِلْم والمعرفة بذلك [الدنيء][٥] الفاني على العظيمِ الباقي[٦] من غيرِ جحودٍ منهَا للعظيم الباقي، ولكن لتعجيلِ دُنيا من لذَّةٍ تصيبها أو راحةٍ من مكروهٍ نَالتهُ، أو يشغَلها عن محبوبها ويعلمُ أَنَّ طبعها قائمٌ يطلبُ[٧] ما يوافقها مِن الدُّنيا لا يغفلُ عن ذلك طرفةَ عَين، تتقلّب مِن[٨] الطلبِ بقدْرِ الأَسبابِ والحاجاتِ إذا نالتْ ما تريدُ من شيءٍ تعلّقت بآخر لا تنفك دائمةٌ من ذلكِ ومَرَادِها[٩] [ما][١٠] هي عليهِ قائمةً.

وجوارحُها له مُدْرِكةٌ وهي لا تَنسى ما تهوى ولا تتركُهُ طرفةَ عين حتى

---

(١) الأزهر: دنيا

(٢) الأزهر: محبوبات.

(٣) الأزهر: دنيء.
الدَّنيءُ: الخبيث، الخَبِيثُ الْبَطْنِ والفَرجِ.
انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج١، ص٧٨.

(٤) الأزهر: فانٍ.
الْفَانِي: ذهبت قوته إذ استُهلِكَت.
انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج١، ص٣٢٩.

(٥) الأزهر: الدنيء.

(٦) الله سبحانه وتعالى.

(٧) الأزهر: بطلب.

(٨) الأزهر: يتقلب في.

(٩) مرادها :أصلها مَرَادٍ وهي رمال مُنْبَطِحَةٌ لا نَبْتَ فيها، ومنه للمرأة التي لا تلد عاقرٌ.
انظر: المنتخب من غريب كلام العرب. علي بن الحسن الهُنائي الأزدي: ج١، ص٤١٩.

(١٠) الأزهر: ما.

تَقْصِرُ[١] قصًرا وتُجبُرُ[٢] جبرًا، ويُحالُ[٣] بينها وبين ذلك، والذي بهِ تقصِّرها[٤] وتجبرَّها ليس هو حاضرًا تدرُكُهُ فتخافهُ أو تَأَملهُ، ولكنهُ غائب عنها فلا تَنالهُ إلا بالتَكلّفِ، وتَرْداد[٥] الفِكْرِ فيهِ لعظيمِ قَدْرِهِ، ولا ينالُ التكلّفُ لذلك إلا بالتيقّظِ وتَرْكِ إشغالها بلذّاتِها؛ فحقٌّ على العاقِلِ عن الله عزَّ وجلَّ إذ أَرادَ نجاتَها أَنْ لا يغفلَ التيقّظَ ولا يدع التفكْر ولا يَغفلُ عنها ولا يأَمنُها، [بل][٦] ويزيلُ حسنَ الظنِّ عنها[٧] ويسرُع إليها بالتهَم إذا سارعتْ إلى طلبِ النجاةِ.

إذ كان يعرفُ منها خلافَ ذلك مما تقدَّم من سوءِ فعلها وسوءِ رغبتها؛ لأَنَّه قَدْ عرفها مستثقلةً لطريقِ النّجاة، مُسْتَخِفَّةً[٨] لطريقِ الهلكةِ، [و][٩] لنْ تنقادَ إلى سُبلِ النجاةِ إلا بالقَصرِ[١٠] والجَبْر ومع انقيادها تجاذبه[١١]، فإنْ مَنعتْ المُجَاذَبَةِ[١٢] طلبَتْ أَنْ تَجعلَ سُبلَ النجاةِ سُبلَ الهَلكةِ، فطلبتْ التصَنعَ بالطاعةِ

(١) الأزهر: تقسر قسرًا.
تَقْصُرَ: يَدُلُّ عَلَى أَلَّا يَبْلُغَ الشَّيْءُ مَدَاهُ وَنِهَايَتَهُ.
انظر: معجم مقاييس اللغة. أحمد فارس: ج٥، ص٩٦.

(٢) تجبير من جبر: وَهَذَا من أحد مَا جَاءَ على فعلته، فَفعل، جبر الْعظم جبورا.
انظر: جمهرة اللغة. محمد الهروي: ج١، ص٢٥٦.

(٣) يُحالُ: الذي يَقْبَلُ.
انظر: تاج العروس من جواهر القاموس. محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق: ج٢٨، ص٢٨٣.

(٤) الأزهر: تقسرها.

(٥) تَرْداد من تَرَدَّدَ، تَرْدادٌ: تراجَعَ. وقَوْلُه تعالى: {فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدًا}، القصص: ٣٤، الآية.
انظر: المحكم والمحيط الأعظم. علي بن إسماعيل بن سيده: ج٩، ص٢٦٨.

(٦) الأزهر: بل.

(٧) الأزهر: بها.

(٨) مستخفة من اسْتَخَفَّ: وهي مُسْتَتِرٌ.
انظر: تهذيب اللغة. : محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي: ج٧،ص٢٤٣.

(٩) الأزهر: و.

(١٠) الأزهر: تقسر.

(١١) الأزهر: تحاربه.

(١٢) الأزهر: المحاربة.

والعُجبِ بعظيم النعمةِ والتكّبرِ بكثيرِ المنَّةِ والحَسدِ لِمَنْ فُضّلَ عليها.

والغرَّةُ لِمَنْ لمْ تنقاد لهُ إلا كارهةً، فَمَن كانَتْ هذهِ صفتُهُ فقد حَلّتْ تهمتُهُ وأَبيحَ سوءُ الظنِّ بهِ بل يقينًا[١] لا شكَ فيهِ أَنَّهُ كذلك، فلا تدع تهمتها عند مُسَارعتِها[٢] إلى طريقِ النجاةِ حتى توقِفُها وتفتشُها أَنْ لا[٣] تكونَ أَضمرَتْ فيهِ بَلِيّة[٤] لتنالَ عاجلَ دُنياها.

قالَ عبد الله وذكرَ الحديث: «إنَّ الجَنَّة حُفَّتْ بِالمَكَارِهِ والنَّارُ حُفَّتْ بالشَّهَواتِ، ومَن اطَّلَعَ الحجاب واقعَ ما وراءه»، يعني من جَازَ[٥] حجابَ النّارِ وقعَ فيها؛ لأَنَّ حجابها الشهواتُ، ومَنْ جَاوزَ حجابَ الجنّةِ دخلَ الجنَّة؛ لأَنَّ حجابَها المكروهاتُ، فَمنْ تحمّلَ المكروهاتِ دَخلَ الجنةِ. ومَنْ أَتى الشهواتِ دَخلَ النّارِ إلّا أَنْ يعفو الله تعالى؛ لأَنَّ الله عزَّ وجلَّ أمر عبادَهُ بأَنَّ يتحملوا المكروه حتى يدخلوا الجنَّةِ، وأَمَرهم بتركِ الشهواتِ حتى ينجوا مِنْ النّارِ، وَقالَ: ثلاثُ خلالٍ يلزمُها قلبُك:

اَولــها: الْيَقِين[٦] بأَنَّ الْمَقْدُور[٧] يأَتي وإنْ لَمْ يُقدّرْ لا يأتي، فَمَن أَيقنَ بذلك وَرّثَ اللهُ قلبهُ خصلتين أَحدهما:

أَنْ يأَمنَ قلبهُ أَنْ يفوتهُ ما قدرَّ لهُ.

---

(١) الأزهر: يقينًا.

(٢) الأزهر: منازعتها.

(٣) الأزهر: لئلا،. في اللغة العربية هي تعطي نفس المعنى.

(٤) بَلِيّة من البلوى: والبَلاءُ، في الخَيْر والشَّرِّ. وَقَعَ فُلاَنٌ فِي وَرْطَةٍ وَفِي بَلِيَّةٍ وَفِي هُوَّةٍ.
انظر: العين. الفراهيدي: ج٨، ص٣٤٠.

(٥) الأزهر: جاوزَ.

(٦) الْيَقِين: إزاحة الشَّك، قَوْلِهِ تعالى: {وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ}، الحاقة: ٥١، الآية.
انظر: المحكم والمحيط الأعظم. علي بن إسماعيل بن سيده المرسي: ج٦، ص٥١٠.

(٧) الْمَقْدُورُ: الْمَقْدُور وَالْقُدْرَة كِلاَهُمَا وَاقع بقدرة الله.
انظر: الكليات. أيوب بن موسى الحسيني القريمي: ج١، ص١٦١.

والثانية: أَن ييأسَ أَنْ ينالَ مالم يقدّرَ لهُ، فَمِنْ لزم[1] قلبُهُ الأَمنَ أَنْ لا يفوتهُ رزقُه وإلاّ يئِسَ أَنْ ينالَ مالمْ يقدّرُ لهُ، قلَّ همَّهُ وغمَّهُ وخضوعهُ للخلقِ والمداراةِ لهُم لأَن يَنالَ بهم منفعْةً، فهذا الغني باللهِ.

والخَلَّةُ الثانيةُ: الحذرُ من الله عزَّ وجلَّ أَنْ [لا][2] يغفلَ [عنهُ][3] فيَزِلُّ[4] فيسقطَ من عينهِ[5]؛ لَأنَّ الحذَر يوَقظُهُ والتيقُظُ يذكّرُهُ والذكرُ ينبههُ حتى يراقبَ [مولاه و][6] مليكهُ.

الخَلَّة الثالثة: ذكرُ اطلاع الله[7] عزَّ وجلَّ في ضميرِهِ وجوارحِهِ، فإنّ ذلك يورثهُ الحياء، فإن عَرضَ لهُ شيء ممّا يكرَهُ الله عزّ وجلّ ذَكرَ[8] النظر وخاف [من][9] المقت إنْ رَكنَ إلى شيء من ذلك، وإنْ عَرَضَ لهُ ما فيهِ النقصِ، وإن لم يكنْ مُحْرَّمًا استَحْيَا[10] من الله تعالى[11] أَن يَراهُ مُقصِّرا عمّا يحبُّ مولاهُ مع ما قد استودَعهُ من العِلْم وعرفهُ من عظيمِ قدرِه وكبرياء جلالهِ.

---

(1) الأزهر: ألزم.

(2) الأزهر: لا.

(3) الأزهر: عنهُ.

(4) فيَزِلُّ من يَزِلُّ: زَلِقَ.
انظر: المحكم والمحيط. علي بن إسماعيل بن سيده المرسي: ج9، ص6.

(5) الأزهر: عين الله.

(6) الأزهر: مولاه و.

(7) الأزهر: الرب.

(8) ذَكَّرُ من يَتَذَكَّرُ: أي قولُه تعالى: {يَتَذَكَّرُ الإنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى}، الفجر:23، الآية.
انظر: تاج العروس من جواهر القاموس. محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني: ج11، ص380.

(9) الأزهر: من.

(10) الأزهر: استحيى.

(11) الأزهر: عز وجل.

وجملةُ ذلك أَنْ تَغْدُو[1] إلى سوقِكَ وأَنْ تكونَ في جميع أحوالكَ في سوقٍ كُنْتَ أو غيرها، فتُلزمُ قلبكَ اليقينَ والحَذرَ وذِكرَ الاطلاع بالنظرِ، فباليقينِ تستريحُ وبالحَذرَ تتيقّظُ، وبذكرِ النَظْرِ تستحي من الناظرِ الأعلى جلَّ وتباركَ وتعالى[2].

وقالَ[3]: ينبغي للعبدِ المؤمن إذا رأى القسوةَ في قلبهِ أَنْ يعلمَ أَنهَّا من الرَّان[4] [على قلبهِ][5] [من سوءٍ][6] عن فعلهِ؛ فيخافُ أَن يكون الله عزّ وجلّ إذا حجبَ قلبُهُ عنهُ بالرَّان والقسوةِ أَن يحجِبهُ غدًا عن النَّظر إليهِ؛ لأَنَّ الله جلّ ذِكرهُ أَخبر بأَنَّهُ عاقبَ من أخرجهُ من ولايتهِ بحجبِ قلبهِ عنه في الدَّنيا وحجبِ بصرهِ أَنْ ينظرَ في الآخرةِ إلى جلالهِ.

فقالَ تعالى: {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}[7]، {كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ}[8].

فأخبرَ أَنَّهُ حجبَ قلوبهُم عنهُ في الدنيا وحجبَ أبصارهُم عنه[9] في الآخرة، أَنزلهما[10] جميعًا أحدهُما يتلو الآخر ليس بينهما معنىً ثالثٍ.

---

(١) تَغْدُو: للوقت، جاء في الْحَدِيث «كالطَّيْر تَغْدُو خِمَاصًا وترَوح بِطانًا»، أَيْ تَغْدُو بُكْرَة وَهِيَ جِياع انظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم. نشوان بن سعيد الحميرى اليمني: ج٣، ص١٩٢١.

(٢) الأزهر: جلّ وعلا وتبارك.

(٣) المصنف رحمه الله.

(٤) الرَّان والرَّيْن، وهو ما يغشى القلب ويتخلّله من ظلمة الذنوب، قال الله تعالى: {كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}، الآية.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٣٧٣.

(٥) الأزهر: على قلبهِ.

(٦) الأزهر: من سوء.

(٧) المطففين:١٤،الآية.

(٨) المطففين:١٥، الآية.

(٩) الأزهر: عن النظر إليه.

(١٠) الأزهر: لينزلهما.

وإن اعترضَ للمريدِ خاطرٌ من الشيطان ليقطَعهُ عن الخوفِ مِن الله عزّ وجلّ[١] أنْ يحلَّ[٢] بهِ هاتين العقوبتين، فقالَ: إنّما أَنزلهما في الكافرين، فليُرَد[٣] [بقوله][٤] عليهِ، وإنْ كانَ الله [قد][٥] أَنزلهما للكافرين فإنَّ الله سبحانه لمْ يؤَمّن منهما كثيرًا من المؤمنين، وقد رأى أحدهما قد حَلَّ بكثير من المسلمين وقد حَذّرَ الله المؤمنين أَنْ يعاقبهم بما يعاقبُ بهِ الكافرين، فقالَ تبارك وتعالى: {وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ}[٦]، يعني لأُعَذبكم بها معهُم وقد ذكـرَ الكافرين.

فقالَ: {قُلِ اللهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي}[٧]، {فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ}[٨]، ثم أَخبرَ بعاقبةِ مَن عَبدَ شيئًا دونَهُ. فقالَ: {قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ}[٩]، {لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ}[١٠]، يحذّرهُم أَنْ يعذّبهم بما عذّبَ بهِ الكافرين.

وقالَ عُمر بن الخطاب رضي الله عنه: (أَما تروني أبصِرُ رقيقَ العيشِ وقال: أَيضًا لغُلامهِ: يا يرفا أَنْضِج العصيدةَ بالماءِ فتنكسرُ حرارةَ الزيت، فإني

---

(١) الأزهر: تعالى.

(٢) جاءت كلمة أن يَحِلّ: أنَّها حُدَّت لتكونَ مانِعَةً عن التَّعدِّي.
انظر: حلية الأولياء. الأصفهاني: ج١، ص١٩٩.

(٣) فليرِد من يُرِد: يقال ذلك لكل من جاء لِيَنْفُذَ فسُدَّ سَبيلُه.
انظر: المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث. الأصبهاني : ج١، ص٧٤٩.

(٤) الأزهر: بقوله.

(٥) الأزهر: قد.

(٦) آل عمران: ١٣١، الآية.

(٧) الزمر: ١٤، الآية.

(٨) الزمر: ١٥، الآية.

(٩) الزمر تكملة: ١٥، الآية.

(١٠) الزمر: ١٦، الآية.

سَمعْتُ الله عزّ وجلّ عَيَّرَ[1] أقوامًا[2] فقالَ {أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ}[3]، فأنزَلها في الكافرين؛ فحذَّرَها عُمر أَنْ يقعَ بِهِ ما خوفَّ اللهُ بِهِ الكافرين ولَمْ يُؤمّنْ[4] منهُ المؤمنِين، فعليهم[5] الخوفُ من الله تعالى والحَذَر مِنه أَنْ يجمَعهم وإيّاهم في دارِ الخزْيِ والعذابِ.

وقالَ: العَجَبُ كلُ العجب من عبد آمنَ بربِّه وعَرَفَ عظيم قدر ثوابه وأيقَنَ بشدّةِ عقابهِ وأليم عذابهِ، كيف تَقِرّ[6] عينهُ أو يُزايلُ[7] الحزن والوجع قلبهُ وهو يرى نفسَهُ كل يوم في إدْبَارٍ[8]، وأَعظمُ من جميع ذلك معرفتُهُ أَنَّ ذلك حقٌّ من الله عزّ وجلّ[9] بِهِ وَإبعادٌ لهُ منهُ، فإنْ كان عبدًا[10] قد عوّدَهُ الله [عزّ][11]

(١) عَيَّر: الذي يخلي نفسَه وهواها، لا يردعها ولا يزجرها. قولهم: فلانٌ عَيّارٌ.
انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس. محمد بن القاسم بن محمد بن بشار: ج١، ص١٥٣.

(٢) انظر: كتاب الزهد. لأبي داوود السجستاني: ج١، ص٧٥.

(٣) الأحقاف: ٢٠، الآية.

(٤) يُؤمَن: قال تعالى: {يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ} (التَّوْبَة: ٦٢).
انظر: تهذيب اللغة. محمد الهروي: ج١٥، ص١٤. المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث. الأصبهاني: ج١، ص٤٧٢.

(٥) الأزهر: وعلمهم.

(٦) تَقِرّ: أَقَرَّ اللَّهُ عَيْنَهُ: أَيْ أَعْطَاهُ حَتَّى تَقِرَّ عَيْنُهُ فَلاَ تَطْمَحَ إلى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ.
انظر: معجم مقاييس اللغة. أحمد بن فارس: ج٥، ص٨.

(٧) يزايل: لزمني فلان لزوم ظله.
انظر: اللباب في قواعد اللغة. محمد علي السَّراج: ج١، ص٢٦٢.

(٨) إدبارِ وهي من دُبُرٍ: أي هُوَ نَقِيضُ الْقُبُلِ، ودُبُرُ كُلِّ شَيْءٍ: عَقِبُه ومُؤَخَّرُه.
انظر: النظام المستعذب في تفسير غريب ألفاظ المهذب. محمد بن أحمد الركبي: ج٢، ص١١٠. المحكم والمحيط الأعظم. علي بن إسماعيل بن سيده المرسي: ج٩، ص٣١٠.

(٩) الأزهر: تعالى.

(١٠) الأزهر: عدا.

(١١) الأزهر: عزّ.

وجلّ ذِكْرُهُ قبل ذلكَ مِنْ التوفيقِ والْفِطْنَةُ[1] وفراغِ للقلبِ لمعاملتهِ، ثمَّ عرفَ أَن الله [عزّ][2] وجلّ ذكرَهُ وقَدْ أَبعدَهُ فحَبسَ عنهُ ما كانَ يتعاهدُ بهِ قلبُهُ من فواضلِ البرِّ والإحسانِ بالمعونةِ والتأييد وفراغ القلبِ عن الاشتغال بالدُّنيا، وَألزمَ قَلبهُ التعظيم لهُ عند ذِكْرهِ وشدّةِ الفزعِ مِنهُ عند نسيانهِ [فَحبَسَ عنهُ][3] فَسلبهُ ذلك[4] [إياه][5]وابتلاهُ بأضدادهِ بإطالةِ الغَفْلةِ وكثرةِ النسيانِ والتَّغميض[6] عند تضييع بعضِ حقوقهِ حتى صارَ مباعدًا عنهُ، مطرودًا مِنْ قربهِ، حيرانًا سَكّرَانًا[7] يطلبُ الرجوعَ ما يجْعَلُ لهُ ربّهُ إليهِ سبيلاً.

وكيفَ لا يتعجّبُ المتّعجبونَ ممّن أَنزَلهُ اللهُ بهذهِ المنزلةِ [منَ الهوان][8] والمذَلةِ والإقصاءِ والبُعْدِ بعْدَ العزِّ والكرامةِ والإقبالِ عليه وسُرعةِ الإجابةِ لدعوته، بل كانَ الربُّ[9][عزّ][10] وجلَّ ذكرهُ يسارعُ إلى محبتهِ من غيرِ دُعاء ولا طلبٍ منهُ إليهِ، وهو بعد ذلك قريرُ العين مسرورُ القلبِ مُشتغلُ بطلبِ

(1) الْفِطْنَةُ: الفهم.
انظر: العين. الفراهيدي: ج7، ص453.

(2) الأزهر: عز.

(3) الأزهر: حبس عنه.

(4) الأزهر: ذلك سلبه.

(5) الأزهر: إياه.

(6) التَّغميضُ: غمّض عينيهُ بدون نوم.
انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج7، ص199.

(7) الأزهر: حيران سكران.
سكرانًا من سُكّرَ: غاب عقلُه وإدراكُه، قال تعالى: {لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا}، الحجر: 15، الآية.
انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة. أحمد مختار : ج2، ص 1083.

(8) الأزهر: من الهوان.

(9) الأزهر: الله.

(10) الأزهر: عز.

الدُّنيا لا يكْترثُ لما فقدَ، ولا يحزنُ لما سُلب[1]، ولا يعبثُ[2] بالرجوعِ عمّا عليه عُوقبَ[3] وإنّما حَزنهُ خطراتُ لا تثبتُ[4] وتَضّرعهُ بقلبٍ مشغولٍ [بغيرِ مَن تضرعَ إليهِ][5].

وكيف لا يدوم لهُ الحزن ويشتغلُ قلبهُ باللهِ عْندَ الطَلَب وهو عَن اللهِ محجوب ومِنْ القربِ منهُ مطرود قد حلّ بهِ منهُ الحرمان، وقد عاقبهُ بأَن سَلبهُ كرامة مواهبِهِ[6] وعزّ الغنى بهِ؛ فصار مُوَلِّيًا[7] عنهُ بَعْدَ القبولِ عليهِ، مُشتغلًا قلبهُ بغيرِ الشغلِ بربِّه، وأَعظم من ذلكَ كلِّهِ أَنَّهُ لا يشتدّ خوفهُ أَنْ يكونَ الله عزّ وجلّ إنمّا سَلبهُ كَرامتهُ وعاقبهُ بغَضبٍ حلَّ بهِ منهُ ومقْتٍ لهُ وسقوطٍ من عينهِ، فالعجبُ كلُّ العَجبِ ممَّن كانَتْ هذهِ منزلتُهُ، (نعوذُ باللهِ من حلولِ عقوباتهِ، ونسأَلهُ النقلةَ إلى ما يحِّبُ ويرضى بتوبةٍ تُطهّرُ[8] من كلِّ ما يكرَهُ وإقبالُ عليهِ والشُغْل بهِ عن الدّنيا وأَهلهِا، ونسأَله أَنْ تجعل ذلك سريعًا بمنِّه)[9].

ولكن حقَّ الحزنِ والعَويل[10] والنفسُ معرضةُ، يا نفس قد اطمأَنَّتْ

---

(١) الأزهر: سلف.

(٢) الأزهر: يعزم.

(٣) الأزهر: عما عوقب عليه.

(٤) الأزهر: لا تلبث.

(٥) الأزهر: بغير من تضرع إليهِ.

(٦) كرامة مَواهبه: أي القُرْبُ بالذِّكْر وَالْعَمَلِ الصَّالحِ.
انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج١، ص٦٦٤.

(٧) مُوَلِّيًا من وَلَّى: أي هاربًا، تَوْلِيَةً: أدبرَ وذَهَبَ.
انظر: تاج العروس من جواهر القاموس. محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني: ج٤٠، ص٢٤٨.

(٨) الأزهر: تطهرنا.

(٩) دعاء للمصنف رحمه الله.
انظر: كتاب معاتبة النفس. الحارث المحاسبي، ت: أحمد عبد القادر عطا : ص٤١.

(١٠) العَوِيل: يكون صَوتًا من غير بكاء، (للصدرِ مِنْهُ عويل فِيهِ حشرجة).
انظر: تهذيب اللغة. محمد الهروي : ج٣، ص١٢٥.

وسَكَنَت، وكثيرًا يَغلبُ عليكِ السرورُ وشواهدُ المَقَتِ [باديةٌ عليكِ][1] من اللهِ عزّ وجلّ، ودلائلُ الغَضبِ بيّنة فيكِ في كثيرٍ من أحوالكِ، فأَنتِ تَرينَ من اللهَ تعالى فيكِ دلائلَ الغَضبِ وشواهد المَقَتِ، ثمَّ لا تكترثين كأنكِ لغضبهِ تستَطيعينِ ولعذابهِ تحملينَ، هيهات إنكِّ عن دونِ غضب الله تضعفينَ، ومِنْ أَقلِّ من أذى الدُّنيا تجزعين، فكيف بشدّة غَضب الجليل والعذابِ الأَليمِ، ولكن عقوباتِ الله عزّ وجلّ مَنعْتكِ مِنْ أَنْ تَجزْعينَ، فكيف يَعْبَأُ[2] الله عزَّ وجلَّ بِمْن لا يجزعُ من غَضَبهِ ولا يتوجّعُ لأَليم عذابهِ ولا يَقبلُ[3][على][4] الله بشُكرٍ[5] الِدَوَام نِعَمهِ[6] ولا يَنْحاشُ[7] ويهربُ إليهِ لمّا رأى من عقوباتِهِ في الدَينِ خاصةً دون معَاشه في دنياه.

فلمْ يَتغيّر لكِ مولاكِ عمّا كان يُعاهدُ[8] بهِ قلبكِ من هيجان التيّقظ وقوةِ التنبيهِ ودوامِ الذّكرِ والجَزَعِ من نسيانهِ وشدّةِ الهَرَبِ ورُعبِ القلبِ من أَقلِّ اللّذاتِ التي تكون منكِ، وَتأديبًا كان تنبيهُ الله منكِ لَكِ وتقرّبًا منكِ إليهِ وتحنُّنًا منهُ عليكِ في وقتِ تنبيه قلبكِ عِندَ الغفلاتِ، ويَمنَّ عليكِ بوجود الحلاوةِ في الطاعاتِ وشِدّةِ التلّذُذ بالمناجاة؛ فأَمسيْتِ وأَصبَحْتِ مباعَدةً من اللهِ مقصاةً

---

(١) الأزهر: بادية عليك.

(٢) يَعْبَأُ من العِبْءِ: أي الثِّقْل، أَي لَمْ أَعُدَّه شَيْئًا، مَا يَعْبَأُ اللَّهُ بِفُلاَنٍ إِذَا كَانَ فَاجِرًا مَائِقًا.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج١، ص١١٨.

(٣) يَقبل من الإقبال: أي لزمَه وأخذ فِيهِ.

انظر: المحكم والمحيط الأعظم. ابن مرسي : ج٦، ص٤٢٧.

(٤) الأزهر: على.

(٥) الأزهر: بشكره.

(٦) الأزهر: نعمائه.

(٧) يَنْحاشُ: إذا لم يكترِثْ له.

انظر: تهذيب اللغة. محمد الهروي : ج٣، ص٧٥.

(٨) الأزهر: يتعاهد.

مطرودةً[١] عن بابهِ مُنحَّاة[٢] من قربهِ، تتمادين في الغفلاتِ فلا ينبهُّكِ، ويدومُ بك النسيانُ فلا يوقظكِ، وتكونُ منكِ الذَّلةِ[٣] بعد الزلّةِ.

فلا يدومُ لكِ الحُزنُ ولا يطيلُ فيكِ[٤] الغمُّ، بل قلب[٥] التنبهُ والتذكير فيكِ فصارَ ينبهُّكِ ويذكُّركِ، ثمَ يَخْذلكِ ويَحْجبُكِ عن استعمالِ التذّكير[٦] وطاعةِ التنبيه[٧].

فالحالة الأَولى: طولُ غفلة؛ لقلّةِ المبالاةِ لأَنْ[٨] يَطّلع وتنظر[٩].

والحالة الثانية: جرأةٌ وإقدامٌ عليه مع التذكيرِ والتنبيهِ [إلى][١٠] أَنْ [صارَ][١١] ذلك يباعد منهُ وَيُحرّمُ الخلودَ في جوارهِ، فهل سمعَ السامعون بأَسوأَ من حالكِ، وهل عرفَ العارفون أَشر[١٢] مِنْ منزلتكِ، ثُمَّ مع ذلكَ الحزنُ عنكِ زائلٌ والغمُّ لك مُباينٌ، والتوجّعُ لك غيرُ لازمٍ.

---

(١) الأزهر: مطرودة.

(٢) مُنحَّاةً أصلها نحاه: نَحْيًا: صَيَّرَه فِي ناحِيَةٍ، بمعنى مقام الساقية على الحوض.
انظر: تاج العروس من جواهر القاموس. محمد الحسني: ج٤٠، ص٤٩.

(٣) الأزهر: الزلة.

(٤) الأزهر: بك.

(٥) الأزهر: قلت.
قَلبُ: تحويلك الشيء عن وجهه. فِي الحديث: «أَعوذُ بكَ مِن كآبة المُنْقَلَب».
انظر: الإبانة في اللغة العربية. سَلَمة بن مُسْلِم العَوْتبي الصُحاري: ج٣، ص٧١٥.

(٦) الأزهر: التذكر.

(٧) الأزهر: التنبه.

(٨) الأزهر: بأن.

(٩) الأزهر: وينظر.

(١٠) الأزهر: إلى.

(١١) الأزهر: صار.

(١٢) الأزهر: بأشر.

وقد رآك مولاكِ في أَسبابِ الدُّنيا بأَضدادِ ذلك كلّهُ، شُغلكِ بِطلبها دائمٌ، تنشطينَ وتقوين إذا رأيتِ الزياداتِ في معاشكِ، وتنكسرينَ إذا رأيتِ النقصان فيهِ، ولا تفعلينَ ذلكَ فيما بينكِ وبَينَ رَّبكِ إلا في أَقلّ الأَوقاتِ، فَقَد أَصبحْتِ عند الله مفتضحة[1]، ومنَ البُعْدِ منهُ غير مُكترثةٍ لأجْرَمَ[2]، قد أَصبحْتِ وهو عنكِ مُعرضٌ، ولكِ مُقصٍ مباعدٌ، ولولا التفضّل بالعفوِ والحِلْم[3] لسلَبَكِ جميع نِعم[4] الدِينِ، ولكنَّهُ يقي[5] مِنَ العقوبة بالعفوِ تفضُّلًا وإحسانًا، مِن أَجلِ ذلكَ وجبَ حبهُ على المطيعينَ والعاصينَ.

---

(١) مفتضحةٌ: أصلها فضح انْكِشَافِ شَيْءٍ، وَلاَ يَكَادُ يُقَالُ إِلاَّ فِي قَبِيحٍ.

انظر: مقايس اللغة. حمد بن فارس بن زكرياء القزويني: ج٤، ص٥٠٩.

(٢) لأَجْرَمَ: لا رد لكلام، ومعنى جرم: كسب.

انظر:. الإبانة في اللغة العربية. سَلَمة بن مُسْلِم العَوْتبي:ج٢،ص٣٨٠.

(٣) الْحِلْمُ: خِلاَفُ الطَّيْشِ، قوله تعالى: {إِنَّ إبراهيم لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ}، التوبة:١١٤، الآية.

انظر: مقايس اللغة. أحمد القزويني : ج٢، ص٩٣.

(٤) نِعَم: بتحريك حرف العين، فهو المنّة وهو الإفضال والعطية، نِعَم شِعارُ الضَّجيعِ، نِعم الْأُمُّ أُمُّكَ في الْغِنَى.

انظر: الإبانة في اللغة العربية. سَلَمة بن مُسْلِم العَوْتبي الصُحاري: ج٤، ص٣٧٥. كتاب الألفاظ. محمد بن سهل بن المَرْزُبان الكرخي: ج١، ص٢٦٥.

(٥) الأزهر: يبقي.

يقي: وهي أن يقي نفسه من اللائمة أو من العقوبة.

انظر: التعريفات الفقهية. محمد عميم الإحسان المجددي البركتي: ج١، ص٦٠.



مسألة في الغفلة والنسيان

قالَ: الغَفْلَةُ[١] غفلتان والنِّسيان[٢] نسيانان، فـأمّا أَحد الغفلتين:

فغْفلةٌ عن نسيانٍ وزوالِ الذِكْـرِ وَهي أَيسرُ الغْفلتَين، وهي غفلةُ الخائفينَ؛ لأَنَّهُم لا يتعّمدونَ وإِنْ كَانُوا مِن أَنفسِهِم بذلك لا يرضونَ، لأَنَّ أَكثرَ النسيان وزوال الذكـر مِن قلَّـةِ العنايةِ؛ لأَنَّ أَقلَّ الناسِ نسيانًا لأَسباب دِينهِ أَشدَّهم عنايةً للقيامِ بحقِّ رَبِّه، وأَشدهم عنايةً بذلك أَشدُّهم تعظيمًا لرَبِّه، وأَشدُّهم تعظيمًا لرَبِّه أَكثرهُم معرفةً بتعظيم قَدْرِ رَبِّه، وأَكثرهُم معرفةً بتعظيم قَدْرِ رَبِّه أَدومهُم فِكْرًا وأَلحَّهم[٣] على الذِكْـرِ والنظر في معاني صفاتهِ العليا وأَسمائهِ الحسنى ونَعْمائهِ التي قد عَمّتْ الدّينَ والدُّنيا.

وأمّـا الغفلة الثانية: وهي أَعظمُ الغْفلتين، ولا تكادَ تكون إلاّ من مُجْتَرِئ[٤] على رَّبه في ساعةِ غَفْلتَه وهي الغفلةُ التي مَعَها الذكْرُ وزوالُ النسيان، ولمْ يغفل؛ لأَنَّهُ لمْ يعلَمْ بل العِلْمَ مَعهُ قايم[٥]، أَنَّ ذلك لا يُرضي الله عزَّ وجلَّ وإنمـّا سُمّيَ

(١) غفلة: التَّعَمُّدُ، (أَغْفَلَ) الشَّيْءَ تَرَكَهُ عَلَى ذِكْرٍ، قَول اللَّهِ تعالى: {مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا}، الكهف:٢٨، الآية.
انظر: العين. الفراهيدي: ج٤، ص٤١٩.

(٢) النِّسيان: هي الغفلةُ عن معلوم في غير حالة السِّنَة.
انظر: التعريفات الفقهية. محمد عميم الإحسان المجددي البركتي: ج١،ص٣٣٧.

(٣) وألحّهم من الإلحاحُ: الإقبالُ على الشيء لا يفتر عنه أي دام به.
انظر: العين. الفراهيدي: ج٣، ص٢٩.

(٤) مجترئ أصلها اجترأ: أي أقدم، تطاول.
انظر: تاج العروس من جواهر القاموس. محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني: ج١، ص١٧٠.

(٥) الأزهر: قائم.
قايم : وهي جمع للقائم، كما في مِيْسم مواسم.
انظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم. نشوان بن سعيد الحميرى: ج١١، ص٧١٥٨.

فعلُهُ عن غفلةٍ؛ لأَنَّه غفل عن تعظيم قَدْرِ مَن يعصي[١] وقدْر شدّةِ عقوبتهِ؛ فلذلكَ سُمّيَ غافلًا. وهذه الغفلةُ وإنْ كان معها الذِكْرُ بمعرفةِ ما يعملُ فإنَّ قلبَهُ غافلٌ محجوبٌ[٢] عن الآخرةِ، فَمِن ثمَّ[٣] سُميّتْ غفلةٌ. ومِنْ ذلك قولُ الله [عزّ][٤] جلَّ ثناؤه لِمَنْ سَخط عليهِ يُعيرِّهُ[٥] بغفْلتهِ يوم الدِّينِ، فقالَ: {لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ}[٦]، فأَخبَرَ الله تعالى أَنَّ للغْفلةِ[٧] غطاءً[٨] على القلبِ فانكشَفتْ عنهُ الغْفلةُ وهو ينظرُ إلى ما غفلَ عنهُ حين كشفَ عنهُ، وهاتانِ الغْفلتانِ تكونانِ في المؤمنِ والكافرِ.

إلاّ أَنَّها مِن المؤمنِ على غيرِ معْناها مِن الكافرِ، المؤمن على سهوٍ ونسيان وهو مقرٌ بما غفلَ عنهُ أَنَّهُ هو الحقُّ، وأَنَّ ما عملَ من عملٍ لا يحلُّ لهُ في غفلتهِ أَنَّ ذلك لا يحلُّ له، إلا أَنَّ المؤمنين في ذلكَ رَجُلَان:

أَحدهما لم يكنْ من قبلِ أَن ينسى ويسهو غافلًا عن الله عزَّ وجلَّ، وقد كانَ قدَّم النيةَ والعزْمَ [على][٩] أَنْ لا يعصي الله تعالى ثمَّ عَرضَتْ[لهُ][١٠] المعصيةُ فنسي نهيَ الله عنها وغَفلَ عن ذِكْرِ سوءِ العقابِ؛ فَغفلَ وعصى، وإنّما كان ما

(١) الأزهر: يعصى.

(٢) الأزهر: محجوب غافل.

(٣) الأزهر: ولذلك.

(٤) الأزهر: عز.

(٥) يُعيِّره: ذممته من العار، تستخدم للتعسفُ.
انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٥٩٦.

(٦) ق: ٢٢، الآية.

(٧) الأزهر: الغفلة.

(٨) الأزهر: الغطاء.

(٩) الأزهر: على.

(١٠) الأزهر: لهُ.

أَتِيَ مِنْ معصيتِهِ[1]، وإنْ كانَ غافلاً؛ لَأَنَّهُ ساهٍ[2] تركَ شدةِ الحذرِ أَنْ يلزمَ قلبُهُ، فإذا عَرضَت المَعْصيةَ هاجَ[3] الحذرُ فورثَّهُ[4] الذكرُ فانتهى، فلمّا تركَ الحذرَ حتى غفلَ وعصى لم يعذرهُ الله تعالى إذ ضيَّعَ الحذرَ، وإنمّا ضيّعَ الحذرَ من ضعفِ خَوفْهِ.

وأمّا ما[5]غفل عن سهوٍ عَنْ عملِ الفرائضِ فهو على قسمين:

مّا كان قد حضر آخر وقته الذي إنْ لم يُبتدئ [فيه][6] خرجَ الوقتُ كلُّهُ حتى خرجَ الوقْتُ، وقد كانَ من قبلِ خروج الوقتِ يذكُرُ الفرائض وغفلَ بعد اللزوم لَما فرضَ عليه أن يبتدئ في أدائهِ، وما كان مالمْ يحْضر آخر وقتهِ الذي إن لمْ يتعدّى[7] فيه كان مضيعًا فيها[8] قبلَ دخول آخر وقتهِ حتى خرجَ الوقتُ، فغير حَرجٍ ولا آثم[9]؛ لَأنَّ النَّبِيّ صَلىَّ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: «مَنْ نَسَي صَلاَةً فَلْيُصَلها إِذَا ذَكَرَهَا»[10] وقالَ: «رُفعَ عن أَمتي النِّسْيَانَ»[11]، وإجماع الُأمّةِ أَنَّ الناسِي

(١) الأزهر: معصية.

(٢) ساهٍ: من السَّهْو الغَفْلة عَن الشَّيْء وذهابُ الْقلب عَنهُ.
انظر: تهذيب اللغة. : محمد الهروي: ج٦،ص١٩٤.

(٣) الأزهر: وهاج.

(٤) الأزهر: أورثه.

(٥) الأزهر: من.

(٦) الأزهر: فيه.

(٧) الأزهر: يبتدئ.

(٨) الأزهر: لها.

(٩) الآثِمَ: اسم الأفعال المبطئة عن الثواب، وجمعه آثام، قال تعالى: {فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ}، البقرة: ٢١٩. الآية.
انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٦٣.

(١٠) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري. العسقلاني: ج١، ص٨٥. صحيح مسلم. محمد بن الحجاج: ج١، ص٤٤٧.

(١١) انظر: المستدرك على الصحيحين. النيسابوري ج٢، ص ٢١٦. سنن ابن ماجه: ج٣، ص٢٠١.

قبل دخولِ آخر الوقتِ حتى خرجَ الوقتُ فغيرِ عاصٍ.

وآخرِ[١]من المؤمنينِ قد كانَتْ نيتُهُ أَنْ يعصيِ[٢] الله تعالى فعرضَتْ له المعصيةُ فأتاها ناسيًا غافلًا عن سَهْوٍ لم يذكُر نَهي الله عزّ وجلّ عنها، فهذا عاصٍ في وقتِ فِعْلهِ وقبلَ وقْتِ فِعْلهِ، إنْ[٣] كان فِعلُ [ما][٤] قَد[٥] فَعلهُ قبلَ وقْتِ غفلتهِ ثم نوى أَن يأتيَهُ فهذا مُصرٌّ[٦]عاصٍ بإصرارهِ قبل وقتِ غفلتهِ، لا اختلاف بينَ العلماء [في][٧] أَنَّهُ عاصي بتلك الغَفلةِ النيّةِ، وإنـّما اختلفوا الحرَجَ أم لا، لقولِ النَّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا هَمَّ العبد بِسَيِّئَةٍ [وَلمْ يَعْمَلْهَا][٨] لمْ تُكْتَبْ عَـليْهِ حتى يَعْمَلها»[٩]، فقالُ القومُ: لْم يَعِنْ[١٠] إذا عزمَ عليها؛ لَأَنَّهُ إذا عزمَ عليها فهو عاصٍ بنيتِهِ قَبلَ وقْتِ فعْلِ مَعْصيتهِ، وعاصٍ أَيضًا بفِعْلهِ المعْصيةِ في وقتِ غفلتهِ.

وقالِ قومُ: ليسَ بعاصٍ؛ لأَنَّ الهَمَّ[١١] هو النيّةُ، وَقْد روى أَبو هريرة عن النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا أرادَ العبدُ أَنْ يعملَ سيئةٍ لم تُكتبْ عليهِ حتى

---

(١) الأزهر: الآخر.

(٢) الأزهر: يعصى.

(٣) الأزهر: وإن.

(٤) الأزهر: ما.

(٥) الأزهر: ما قد.

(٦) مُصَرّ: الثبات، وأصر الرجل على الذَّنب إصرارًا وَهُوَ ممتلئٌ.
انظر: المنتخب من غريب كلام العرب. علي بن الحسن الهُنائي الأزدي: ج١، ص٣٥٨.

(٧) الأزهر: في.

(٨) الأزهر: وَلمْ يَعْمَلْهَا.

(٩) انظر: شرح النووي على مسلم: ج١، ص٣١٣. الجامع الصحيح. الترمذي: ج٥، ص٢٨٤.

(١٠) يَعِنّ: أي يَمْنَعَ صاحِبَه مِن التَّصَرُّفِ.
انظر: حلية الأولياء. الأصفهاني: ج١، ص١٤٤.

(١١) الهمّ من الهِمَّة: لغةً ما همَّ به من أمرٍ، وأول العزم هو توجُّهُ القلب وقصده بجمع قواه الروحانية.
انظر: التعريفات الفقهية: ج١، ص٢٤٢. تهذيب اللغة: ج٥، ص٢٤٨.

يَعْمَلها»[١]، وقد سمّاها إرادة، وقد بيّنّا اختلاف العلماء في كتابِ[٢] *أخلاق الحكيم*[٣]. فأمـا إذا كانَ قد عَملَ[٤] تلكَ المعصيةَ مِنْ قبلِ ثمَّ نوى أَن يأتيها فهو مُصِرٌّ عِنْدَ الأَمةِ عليها عاصٍ بنيتِهِ؛ لأَنَّ الله عزَّ وجلَّ يقولُ: {وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ}[٥].

وأمّا الغفلةُ البايِنَةُ[٦]: التي العاصي ذكرَ[٧] أَنّها معصيةٌ وأَنَّ الله عزَّ وجلَّ نهى عنها؛ فهو ذاكِرٌ غافلٌ، فإنَّ غفلتَهُ لمْ تكنْ سَهْوًا ونسيانًا، وزوالُ الذِكْرِ أَنَّ[٨] ما يأتي مُحُرمٌ عليهِ إنمّا[٩] كانَ غافلًا وإن كانَ ذاكرًا؛ لأَنَّهُ غفلَ عَنْ عظيم قدْرِ العذابِ وقدْرِ الرَّبِ [تعالى][١٠] الذي يعصيه، فلو عَظُمَ قَدْرُ الرَّبِ تعالى تلكَ الساعةَ بقلبِهِ وعَظُمَ قَدْرُ غَضبهِ لَمَا عصى، فإنمّا[١١] هو غافلٌ عن عظيم قَدْر الثوابِ والعقابِ كانَ[١٢] عن الله عزَّ وجلَّ وعن الآخرةِ غافلًا، وإنْ كانَ

---

(١) انظر: صحيح مسلم: ج١، ص١١٨. فتح الباري شرح صحيح البخاري. العسقلاني: ج٤،ص٣٣٢.

(٢) الأزهر: كتب.

(٣) انظر: تاريخ الأدب العربي. كارل بروكلمان: ج٤، ص٦٠.

(٤) الأزهر: فعل.

(٥) آل عمران: ١٣٥، الآية.

(٦) الأزهر: الثانية.
البايِنَةُ : وبان الشيء بَيْنًا ولا يكون إلا من اثنين.
انظر: المحكم والمحيط الأعظم: علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ج١٠، ص٥٠٤.

(٧) الأزهر: ذكر العاصي.

(٨) الأزهر: لأنَّ.

(٩) الأزهر: وإنما.

(١٠) الأزهر: تعالى.

(١١) الأزهر: وإنما.

(١٢) الأزهر: وكان.

للمعصيةِ ذاكْرًا؛ فلذلكَ سمى الله عزّ وجلّ[١] من عصاهُ[٢] غافلًا، وإن ذَكَرَ المعصية؛ لأَنَّهُ غفِلَ عَن قَدْرِ مَنْ يعصيهِ وعنِ قدْرِ غضبهِ وأَليم عقابهِ، فهذهِ الغْفلةُ أَعظمُ من الإِثم وأَبينُ في التعجبِ[٣] ممَّنْ غَفلَ وهو ناسي[٤]؛ لأَنَّ الناسي لعلَّه لو ذَكَرَ الله تعالَى ارْتَدَعَ[٥] وأَقلعَ، ولكنّ هذا الذاكرُ عاصٍ وهو يذكرُ مَنْ يعصيهِ مُتعْمدًا مجترئًا على رَبِّه، وإنَّما اجترأَ ولم يخَفْ ولم يستحيِ من مولاه؛ لأَنَّ قلبهُ[٦] غَفلَ عن عظيمِ قَدْرِ رَبِّه وقَدْرِ غَضبهِ و[قدْرِ][٧]شِدّةِ عذابهِ.

(١) الأزهر: تعالى.

(٢) الأزهر: يعصيه.

(٣) الأزهر: فيا للعجب.

(٤) الأزهر: ذاكر.

ناسٍ من النسيان: ترك الإنسان ضبط ما استودع، إما لضعف بالقلب، وإما عن الغفلة، قال تعالى: {وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا}، طه:١١٥، الآية.

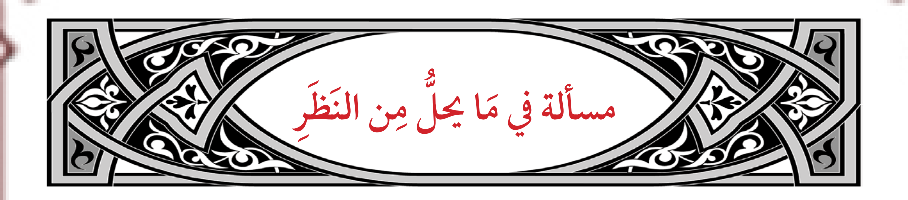
انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٨٠٣.

(٥) ارْتَدَعَ: كفَّ وامتنع وتراجع عنه.

انظر: المحيط: ج١، ص٣٥.

(٦) الأزهر: القلب.

(٧) الأزهر: قدر.



مسألة في مَا يحلُّ مِن النَظرِ

قُلْتُ: ما يحلُّ لي مِن النَظرِ إلى الْأَمَةِ(١) والحرَّةِ(٢)؟

قالَ: إنَّ الحرةَ يحلُّ النظرُ منها إلى مَا [يحلُّ](٣) لَهَا أَنْ تُبديهِ، وَقْد اختلفوا في قولِ الله عزَّ وجلَّ: {وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا}(٤)، فقالَ بعضهُم(٥): الوجهَ والكفينِ(٦)، وقالَ بعضهُم: الْكُحْلُ(٧)والخضابُ(٨) في الكفينِ، وقالَ بعضهُم: الْجِلْبَابُ(٩)، وأَجمعوا [على](١٠) أَنَّهُ ليس لها أَنْ تبدي ما سوى الوجهُ

(١) الْأَمَةُ: الْمَرْأَةُ ذَاتُ عُبُودِيَّةٍ. الْمَمْلُوكَةِ تَقُولُ أَقَرَّتْ بِالْأُمُوَّةِ.
انظر: معجم مقاييس اللغة. أحمد بن فارس: ج١، ص١٣٦.

(٢) الحرة: الكريمة الحسيبة، أي الكريمة تصبر على الجوع والضر ولا تلتمس المكاسب الدنية، ولا ترضع بالأجرة.
انظر: تصحيح الفصيح وشرحهُ. عبد الله بن جعفر بن محمد بن دُرُسْتَوَيْه: ج١، ص٤٤٢.

(٣) الأزهر: ما يحل.

(٤) النور: ٣١، الآية.

(٥) الأزهر: قومٌ.

(٦) الأزهر: والكفان.

(٧) الْكُحْلِ: المِيلُ تُكحَّلُ به العَيْنُ من المِكْحلَة، والكَحَلُ: مصدره.
انظر: العين. الفراهيدي: ج٣، ص٦٣.

(٨) الخِضاب: ما يخضب به أي يلوَّن به، خضاب اليدين بالنسبة إلى المرأة إذا كان بالحنَّاء.
انظر: التعريفات الفقهية: محمد عميم الإحسان المجددي البركتي: ج١، ص٨٧.

(٩) الْجِلْبَابُ: أوْسَعُ مِنَ الْخِمَارِ وَأَلْطَفُ مِنَ الإزَارِ، هي الْمِلْحَفَةُ الَّتِي يُتَغَطَّى بِهَا فَوْقَ الثِّيابِ.
انظر: البارع في اللغة. إسماعيل بن القاسم بن عيذون: ج١،ص٦٤٧.

(١٠) الأزهر: على.

والكفُّ[١]؛ فَمنْ نظرَ إلى[٢]ما [يحلُّ][٣] للحرّةِ أَنْ تبديهِ لغيرِ شهوةٍ فهو مُباحُ لهُ، يعني للشهادةِ عليها ونَحْوهُ وإنْ نظرَ عامدًا إلى ما عليها أَنْ تسترَهُ لغيرِ شهوةٍ فلا يحلُّ لهُ ذلك؛ لأَنَّهُ فيها عورة، وإنْ نظرَ إلى مَا لَهَا أَن تبديه أو عليها أَنْ تخفيهِ لشهوةٍ فَقَدْ فَعلَ ما نهى عَنهُ.

وأمــّا الْأَمَةُ فَقدْ أباحوا النظر إلى[٤] الوجهِ، والشعرِ، والنَحْر[٥]، والصدْرِ، واليدِين، والذراعين، والساقين؛ فَمنْ نظرَ إلى ما أُبيح[٦] مِنْ ذلكَ لغيرِ شهوةٍ فَقدْ أُبيحَ ذلكَ، وَمَنْ نظرَ إلى ما عليها أن تسترهُ لغيرِ شهوةٍ فلا يحلُّ لهُ ذلكَ؛ لأَنَّهُ فيها[٧] عورةٌ، وكذلك ما أُمرَتْ سترُهُ، وَمَنْ نَظرَ إلى مَا لَهَا أَن تبديهِ بشهوةٍ فلا يحلُّ ذلكَ، وكذلكَ الغلام[٨].

فأمّا[٩] الشهوة فليستْ هي بالنيةَ؛ لَأَنَّهُ لو ظفرَ لَأتى ذلك حرامًا من جهةِ المُنكح، تلك النيةُ زيادة في الشهوةِ وذلكَ الذي حرَّم الله ممّا تُخْفِي الصُّدُورُ،

---

(١) الأزهر: والكفين.

(٢) الأزهر: من.

(٣) الأزهر: يحل.

(٤) الأزهر: منها.

(٥) النَّحْر: النُّونُ وَالْحَاءُ وَالرَّاءُ. كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ يَتَفَرَّعُ مِنْهَا كَلِمَاتُ الْبَابِ. هِيَ النَّحْرُ لِلْإِنْسَانِ وَغَيْرِهِ وهو موضع القلادة، وَهِيَ اللَّبَّةُ.
انظر: معجم مقاييس اللغة. أحمد بن القزويني: ج٥، ص٤٠٠.

(٦) أُبِيح: جَاءَ بِهِ فِي بَاب الإتباع.
انظر: تهذيب اللغة. محمد الهروي: ج٣، ص٢٨٨.

(٧) الأزهر: منها.

(٨)، قال رسول الله(ص): «إِذَا زَوَّجَ أَحَدُكُمْ عَبْدَهُ أَمَتَهُ فَلاَ يَنْظُرَنَّ إلى مَا دُونُ السُّرَّةِ وَفَوْقَ الرُّكْبَةِ».
انظر:.مسند الإمام أحمد: ج١، ص١٨٧. السنن الكبرى. النسائي: ج٢، ص٢٢٦.

(٩) الأزهر: وإما.

ولقولِهِ: {يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ}[١]، فخَائِنَةَ الأَعْيُنُ نظرُها[٢]، وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ نيَّةُ أو وَاقع حَرامًا، وكذلك فسّرهُ المفسرون، ولكنَّ الشهوة نَظْرُ العَبْدِ استراحةً منهُ ليتلَّذذَ بالنْظَرِ، وإنْ لم يَنْوِ[٣] النكاح حرامًا؛ لَأنَّ لكلِّ جارحةٍ من اللَّذةِ حظًا ونصيبًا، ومِنْ ذلكِ مّا رُوِيَ أبي هَريرة: «إن الْعَيْنَيْنِ تَزْنِيَانِ، وَالْيَدَينِ تَزْنِيَانِ، وَالرِّجْلَينِ تَزْنِيَانِ، ويُصدقَ ذَلِكَ الْفَرْجُ أَوْ يُكَذِّبُهُ»[٤].

فهو في تلذذٍ بنظرهِ[٥] كتلذذٍ بمسِّهِ[٦]، وإنْ لم يَنْوِ النكاحَ فإنَّما يمَسّ بيده ليرجع[٧] إلى قلبهِ لذةُ من طيبِ ما مَسّ، وكذلك إنمَّا ينظرُ بعينهِ ليَرْجعَ إلى قلبهِ لذةٍ بنظرِه، و قَدْ فرَّقَ بَينَ اللَّذةِ والنَظر إلى ما يجوز نكاحُهُ وما لا يجوز نكاحُهُ، فَمَنْ نظَرَ إلى ثَوْبِ حَسنٍ ولم يَنْوِ أَنْ يلبَسهُ وإلى بناءٍ حَسنٍ ليتلّذذ بِهِ فهو لهُ مباحٌ، وَمَنْ نَظَرَ بمثلِ ذَلكَ إلى ما يصلَحُ من النكاحِ، من اللباسِ فَهو الذَّي حُرِّمَ عَليهِ.

---

(١) غافر: ١٩، الآية.

(٢) الأزهر: بصرها.

(٣) يَنْوِ: نَوَيْتُ الشَّيْءَ، إِذَا جَدَدْتَ فِي طَلَبه، وَفِي حَدِيثِ: «ومَن يَنْوِ الدُّنْيَا تُعْجِزْه»، اي مَنْ يَسْعَ لَهَا يَخِبْ.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج١٥،ص٣٨٤.

(٤) ورد في الحديث: «الْعَيْنَان تَزْنِيَانِ، وَاللِّسَانُ يَزْنِي، وَالْيَدَان تَزْنِيَانِ، وَالرِّجْلَانِ تَزْنِيَان، وَيُحَقِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ أَوْ يُكَذِّبُهُ».

انظر: السنن الكبرى. للبيهقي: ج٧، ص١٤٣. المصنف. عبد الرزاق: ج٧، ص٤١٤. مسند البحر الزخار. أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار: ج٥، ص٣٦٢.

(٥) الأزهر: ببصره.

(٦) مسّهُ من مَسَّ: الْمِيمُ وَالسِّينُ أَصْلٌ صَحِيحٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى جَسِّ الشَّيْءِ بِالْيَدِ.

انظر: تهذيب اللغة. محمد الهروي: ج٥، ص٢٧١.

(٧) الأزهر: لترجع.



مَسْألةٌ في نظر الفجأَة

قُلْتُ: ما نَظرَةُ الفجأَةِ مِنْ غيرها؟

قَالَ: نظرةُ الفجأَةِ هو أَنْ تكونَ لمْ تَقصد بقلبك إلى منظُورٍ إليهِ ممّا نُهيت عنهُ؛ فيفجأُ بصرُك المنظورَ إليهِ من غيرِ أَنْ تكونَ قصدْتَ إليهِ بالنظرِ فتراهُ ببصَرك ضَرورةً مِن غيرِ عَمْدٍ، وتلك النظرةُ التي لمْ تعلمْ بها فعليكَ صَرْفَ بَصرِكَ تلكَ الساعةَ التي فُجأَ بَصرِكَ بَعدَ نَظرةِ الفَجْأَة، فلا فصل بين الفَجْأَةِ وبينَ الصَرْفِ بإقرار البَصَرِ إلى ما فجأة[1][بهِ][2]، ولو كطرفةِ العيْن فما فوقَ ذلك.

فإنْ كانَ فيما بينَ نظرةِ الفجأَةِ وبينَ الصَّرْفِ فَصْلٌ بإقرارِ للبَصرِ، [ولو][3] بقدْرِ طَرْفِ العَين؛ فإقرارُك البَصر وَإنْ خفَّ، فنظرةٌ[4] ثانيةٌ مُحَرَّمةٌ؛ لأنَّ المنظورَ فاجأَ بَصرَك بلا عَملٍ فلا أَنْ ثَبَتّهُ علمْتَ ما هو، فإن أَقررْتَ بصرك بقَدْرِ فَتْحِ البَصرِ بَعْدَ البيانِ والعِلْمِ فتلك النظرةُ الثانية.

وقد يدخُلُ في صَرْفِ البَصرِ على العمّالِ خدَعة أَن يكونوا يرون أَنَّهم عاملون في صَرْفِ أبصارِهم وهو مُقِرُّونَ لها[5] بعدَ الفَجْأَة إلى المنظورِ إليهِ، وذلك كالرجال يفجأَهُ[6] المنظور إليهِ فيَلْفِتُ[7] رَأسَهُ ورَقبَتهُ ليَصْرفَ بَصَرهُ

(١) الأزهر: ما فُجِئت.

(٢) الأزهر: به.

(٣) الأزهر: ولو.

(٤) الأزهر: نظرة.

(٥) الأزهر: لهُ. [يتبين أن اللغة عند الناسخ في مخطوطة الأصل، هو تحويل المذكر إلى مؤنث].

(٦) الأزهر: يفجؤه.

(٧) يَلْفِتُ: يَلْفِتُه إذا لَوَاهُ وفتَلَه؛ ولَفَتَ عُنُقَه: لَوَاهَا.
انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج٢، ص٨٥.

و[هو](١) يكونُ مع(٢) تثنية عُنقِهِ أو تَنكيسهِ رَأْسهِ أو رفعِهِ طرفِهِ إلى السماءِ يَلمحُ [المنظور إليهِ](٣) ببصرَهِ في قطعةِ المسافةِ، وهو في ذلكَ عِنْدَ نَفسِهِ متورِعٌ(٤)، دايبٌ(٥)، فيما وَجبَ عَليهِ من وَرَعِ بصرفِهِ البَصرَ وقَد نَظرَ بَخدْعةٍ وهو لا يعلمُ فليَحذرْها العاملُ، لقولِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَلِيٍّ: «يا عَلِيّ، لك أوَّلُ نَظْرَة، فَما بَال الثانية، وَقَالَ [أيضًا](٦) لِعَلِيٍّ: لاَ تُتْبعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ؛ فَإِنَّما لَكَ الأُولَى وَلَيْسَتْ لَكَ الآخرة(٧)»(٨)، فَبيْنَ النظرة الأُولى وبيْنَ الثانية فَصلٌ مِن المخدوعين بإقرارِ النَظرِ كما وُصِفتْ لكَ مع [اعتقادِهِم](٩) الصرف للبَصِرْ.

قلتُ: كيف لي بأَن أعلمَ أَنيّ قد صَرَفْتُ بَصري بلا خدعةٍ تَفْصِلُ(١٠) بين النظرين إذا حسبتُهما نظرةً واحدة وهما نظرتان قَبلَ صَرفي بَصري؟

قالَ: إنَّ اللهَ تعالى لمْ يوجِبْ عليكَ أَنْ تَصرفَ بصرَكَ بالالتفافِ ولا ترفعْ ولا تخفضْ(١١)، إنّما هذهِ أَسبابٌ استعانَ بها المُتَّقُونَ؛ ليسارِعوا في

---

(١) الأزهر: وهو.

(٢) الأزهر: في.

(٣) الأزهر: المنظور إليه.

(٤) متورع من الورع: الْكَفّ وَالِانْقِبَاض، الْعِفَّةُ.
انظر: معجم مقاييس اللغة. أحمد القزويني: ج٦، ص١٠٠.

(٥) دايب من دائب: أي جَدَّ وَتَعِبَ وكلُ مَا أَدَمْتَه فقَدْ آدابتَه.
انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج١،ص٣٩٦.

(٦) الأزهر: ايضًا.

(٧) الأزهر: وعليك الثانية.

(٨) جاء في الحديث: «قَالَ لِعَلِيٍّ: لاَ تُتْبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ فَإِنَّ لَكَ الأُوْلَى وَلَيْسَتْ لَكَ الثَّانِيَةُ».
انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري. العسقلاني: ج٤، ص٢٨. مسند الإمام أحمد. أحمد بن حنبل: ج١، ص١٥٩.الجامع الصحيح. الترمذي: ج٥، ص٩٤.

(٩) الأزهر: اعتقادهم.

(١٠) الأزهر: بفصل.

(١١) الأزهر: لا برفع ولا بخفض.

الغَضِّ[1] ويمسكوا أَبصارَهُم أَنْ تَغْلبَ إلى النظرِ، وإنماّ أَوجبَ اللهُ عليكَ الغَضّ وإنْ لم تَلتفِتْ و[إنْ][2] لم تَنكِسْ ولم ترفعْ، والغَضُّ كَفٌّ[3] عن المنظورِ إليهِ؛ لأَنَّ تثبيتَ كلِّ رَفٍّ عَينين[4] يزيدُ في النظرةِ الأَولى، ويكونُ ذلكَ بشَيْئين:

أحدهُما سرعةُ تغميضِ العَينِ[5] حيثُ يمكنُ التغميض؛ لأَنَّهُ قد لا يمكُنهُ التغميضَ إذا لمْ يكنْ بدٌّ[6] مِنَ النَظَرِ حيثُ يضعُ قدمهُ إنْ كانَ مَاشيًا، أو كيفَ يفعلُ إنْ كانَ عاملًا، ومنهُ إشغالُ البصرِ حيثُ فجأَةِ [المنظورِ][7] الشيءِ فيشغلُهُ بغيرِ المنظورِ إليهِ لِئَلَّا[8] يتبيَّنَّ المنظور إليهِ؛ لأَنَّ العينَ إذا كانَتْ مفتوحةً مع صحةِ البَصَرِ تَبينَّتْ الأَشياءَ ضرورةً، فإنْ لمْ يشغَلْهُ بغيرِ المنظورِ إليهِ تزيدُ في المنظورِ إليهِ فليسَ ينصرف عن التزيدِ في نَظْرةِ الفجأَةِ إلاّ بتغميضِ عينِهِ أو بإشغالِ بصَرْهِ بغيرِهِ؛ لأَنَّهُ إذا غَمَّضَ[9] لم يرهُ ولا غَيرَهُ، وإذا فَتحَ عينَه لَم يكنْ بدّ من أَنْ يتبيَنّ ما

(١) غَضَّ: إدناءُ الجُفُونِ، وإذا دانَى بينَ جِفْنَيْهِ ولم يُلاقِ.
انظر: العين. الفراهيدي: ج٤، ص٤٣١.

(٢) الأزهر: إن.

(٣) كَفَّ من الْكَاف، يَدُلُّ عَلَى قَبْضٍ وَانْقِبَاضٍ.
انظر: معجم مقاييس اللغة. أحمد القزويني: ج٥، ص١٢٥.

(٤) الأزهر: رفعين.
رفُّ عَيْن: اضطرب وتحرك، مَا زَالَتْ عَيْنِي تَرُفُّ حَتَّى أَبْصَرَتْكَ، تَرُفُّ.
انظر: تاج العروس من جواهر القاموس. محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني: ج٢٣، ص٣٥٦.

(٥) الأزهر: العينين.

(٦) بدّ: تعني لا محالة، «قد ألزمته نفسي وجعلته واجبًا عليها، وفي معنى لا محالة: أي لا حيلة في الأمر.
انظر: الإبانة في اللغة. : سَلَمة بن مُسْلِم العَوْتبي الصُحاري ج٢، ص٢٢١.

(٧) الأزهر: المنظور

(٨) الأزهر: كيلا.

(٩) الأزهر: أغمض.

لاَقَى بَصَرهُ، فإنْ لمْ يُشتغلْ بمنظورٍ إليهِ [آخر][1]عندَما فتحَ [عينهُ] [2] فهو ناظرٌ إلى المنظورِ إليهِ ويصرفُ بصرُه إليهِ بلا فتْنَةٍ.

وربّما دَخَلتْ على العمّالِ الخدعةَ فيتشاغلون بسببٍ مِنْ أَسبابِ المنظورِ إليهِ، يرون أَنَّهُم قد صرفوا البصرَ وذلك كشُغلِهم أبصارهِم بحُسْنِ الثّوبِ الذي على المنظورِ إليهِ، أو بحُسنِ[3] المَرْكبِ الذي تَحتهُ رجأ[4] مِنْ العَدْوِ[5] أَنْ يجوّزُ الحدَّ فيتبيّنُ المنظورُ، فكلُّ ما يُبّنَ للمنظورِ إليهِ بَعْدَ نَظْرةٍ للثوب أو غيرهِ عَدَّها نظرةُ الفجْأَةِ وهي فجْأَةٌ، إلاّ أَنَّهُ قَدْ تَعرّضَ لها وأَشغلَ بصرُهُ بالسببِ الذي لا يَبعدُ أَنْ يَتبيَّن [بهِ][6] المنظور إليهِ كَم قَدَّر ما بيَن الثوبِ والجسم، أو يَتبين المركبَ وما عليهِ، أو ينظرُ إلى الخفِّ[7] يتوهم بما وراهُ، ولا يخلو مِنْ أَنْ يَصعَدَ بّصرهُ إلى ما فَوقَهُ فذلكَ التعرّضُ لنظرةِ الفُجْأَةِ.

فهذهِ خدعةٌ تدخلُ على العمّالِ بما خدعَ لتعجبهِ [8]مِنْ حُسْنِ الثوّب وتقويمهِ[9] إياهُ، فكلُّ خديعةٍ منْ النفسِ لتنظرَ مِنْ غيرِ تعمّدٍ، وهي[10]

---

(١) الأزهر: آخر.

(٢) الأزهر: عينه.

(٣) الأزهر: حسن.

(٤) رجأ: أرجأت الشيء: أخرته، ومنه قول الله عز وجل في قراءة بعضهم: {وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ}.
انظر: العين. الخليل بن أحمد البصري: ج٦، ص١٧٤.

(٥) العَدْوِ: وهو التجاوز ومنافاة الالتئام، وتارةَ في الإخلال بالعدالةِ في المعاملةِ.
انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٥٥٣.

(٦) الأزهر: بهِ.

(٧) الأزهر. الخلفِ.
والخفُّ: في الشرع: اسمٌ للمتَّخذ من الجلد الساتر للكعبين فصاعدًا وما ألحق به.
انظر: التعريفات الفقهية. محمد عميم الإحسان المجددي البركتي: ج١، ص٨٨.

(٨) الأزهر: خدعوا لتعجبهم.

(٩) الأزهر: تقويمهم.

(١٠) الأزهر: فهي.

كالمَفْسدةِ إذا تعرَّضَتْ للسببِ الذي لا يعرّي مِنْ أَنْ يتبيّنَ ما نُهِيَ عنه، وربّما دَخلتْ الخدعةُ على[1] القرّاءِ الجُهّالِ بعدما يَفْجأَهُ فيزيدُ في الفَجْأَة، وربّما فِعْلهُ بعدَ ما يصرفُ بصرُهُ -وهو في نفسّهِ شبهُ المقتدرُ على نفسهِ- أَنَّه ليسَ[2] ينظرُ لِشهوةٍ فينظرُ فيما تخَيّلُ إليهِ نفسُهُ وعَدْوه مُعْتَبَرًا[3] -فيما يزعُم- ليذْكرَ بذلك حورَ الجنانِ أوِ خدّامُها، فتعمّد بالنظرِ إلى ما نُهي عنهُ يريدُ فيما يزعُم أَنْ ينالَ مِن الثوابِ بما أَوعَدَ عليهِ العقابُ، فيطلَبُ الشيءِ بضدّهِ، وكيف يعتبرُ بما حرَّم عليهِ، وإنَّما العبرةُ التي تؤدي الطاعةَ فيما أَمرَ ثُم يَصرفُ[4] بصُر قَلبِهِ غَضّة[5] [و][6] تورعًا إلى ما أَعدّ اللهُ في جنَّتهِ؛ فيكون معتبرًا ورعًا، فإذا نظرَ [إلا ما نهُي عنهُ][7] معتبرًا كانَ ناظرًا فاجرًا وإنْ ظنَّ أَنَّهُ مُعْتَبَرٌ.

وقد يدخلُ أيضًا على العمّالِ خدعةً عندَ سببٍ يحدثُ مِنْ مُنْكرٍ يكونُ مِن المنظور إليهِ مِنْ لفْظٍ لا يحلُّ، أو مناجاةِ مَنْ لا تحلُّ [مُناجاتهِ]،[8] أوِ التَبرُّج[9] فتبدي ما أُمِرَتْ بسترِهِ فتجدُ النفسُ خدعةً لتنظرَ بها بَعْدَ الصَّرْفِ أو عندَ الفجأَةِ يريدُ ليأَمر وينهىَ، كقولهِ: استتري أو غطي عليكِ أو ما أَشبَهَ ذلكَ، وهو قاصدٌ

---

(١) الأزهر: عن.

(٢) الأزهر: لا.

(٣) مُعْتَبَرًا، مُعْتَبَرٌ: أَيْ الاتِّعَاظُ وَالتَّذَكُّرُ. بِمَعْنَى الاِعْتِدَادِ بِالشَّيْءِ فِي تَرَتُّبِ الْحُكْمِ نَحْوُز.
انظر: أساس البلاغة. محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري : ج ١،ص٦٣١.

(٤) الأزهر: بصرف.

(٥) الأزهر: عفة.
غَضّةٌ: الطَّرِيُّ الَّذِي لَمْ يَتَغَيَّرْ. مَثَل الْمُؤمن كَمَثَل خَافت الزَّرْع أَي غضه وَلينه.
انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج٧، ص١٩٦.

(٦) الأزهر: و

(٧) الأزهر: إلا ما نُهي عنهُ.

(٨) الأزهر: مناجاتهِ.

(٩) التَّبَرُّج: الْبُرُوزُ وَالظُّهُورُ، إظهار الزِّينة للنَّاس.
انظر: معجم مقاييس اللغة. أحمد بن فارس القزويني: ج١،ص٢٣٨.

إلى النَظَرِ وهو عنْدَ نفسهِ مطيعٌ بالأَمرِ والنهي، وقد خَدعتهُ[نفسُهُ][١] فَفجر[٢] بتعمُّدِ النَظَرِ، وَقْد كانَ يُجزيهِ الأمرُ مع الغَضِّ، ولكن عُمِيَ عَليهِ أَنّهُ مُتعمّدٌ بالنظر إذْ كانَ إنَّما ينظرُ لينهي أو يأمَرَ، وربَّما خَدعتْهُ نفسُهُ بأَنَّهُ مِمَّن لو كانَ مِمّن يستريحُ إلى النَظَرِ إليهِ لَمَا نشطَ لأمرهِ ولا نَهْيهِ، كانَ ذلك كثيرًا[٣] يكون مِنهُ أَنْ يرى المنكرَ أو التَّبَرُّج مِمَّن لا يعجبهُ النظرُ إليهِ فلا يأمرهُ، وتخدعهُ نفسُهُ عندَما يعجبُ[٤] مِن المنظورِ إليه، فيقصدُ قصد النَظَرِ بالأمرِ، وقد عَلمَ الله عزّ وجلّ أَنّهُ لمْ يغلبْ عليهِ حبُّ الأَمرِ إنّما غلبَ عليهِ حبُّ النَظَرِ، وأَدخلَ الأَمرَ خدعَةً ودُلْسَةُ[٥] كأَنَّهُ يعاملُ مخلوقًا مثلهُ، وكذلك يُدخلُ عليهِ فَيمنَ لا يجدُ بدًّا مِن النَظَرِ إليهِ مِمّنْ يريدُ أَنْ يتثبتَ ليَعْرفهُ بشهادةِ أو مُبايعة أو غيرِ ذلكَ؛ فينظر عامدًا لذلكَ، وقَدْ عَلمَ الله عزَّ وجلَّ لولا السببُ الذي احتاج [لأجلهِ][٦] إلى أَنْ ينظرَ إليهِ ما نظرَ، ولكن تدخلُ عليهِ خُدعةً وإنْ كانَ النظرُ لهُ مباحًا وتعمَدَ[٧] فينظرُ بالتلَّذذِ.

قُلْتُ: وكيف يُجمعُ ذلك وقد أَبحتَ النظرَ؟

قال: لأَنَّ النفسَ تحبُّ أَنْ تنظرَ تعمّدًا؛ لتتلذذ[٨] فَمنعَها ذلك ولمْ يطعها، فلمّا نظرَ إلى ما أُبيحَ لهُ وجدَتْ النفسُ ظُفْرًا[٩] بما كانَتْ تطالبُ مِنْ قبلِ، النظَرَ

---

(١) الأزهر: نفسهُ.

(٢) ففجر من الفجور: وهو شق ستر الديانةِ، قال تعالى:{وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ}،الانفطار:١٤، الآية. انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٦٢٦.

(٣) الأزهر: كبيرًا.

(٤) الأزهر: يفجئه.

(٥) ودُلْسَةُ أصلها دُلّس: وهي بِالضَّمِّ الْخَدِيعَةُ، كَتَمَ عَيْبَه، وَأَخْفَاهُ. انظر: لسان العرب. ابن منظور : ج١، ص٢٥١.

(٦) الأزهر: لأجلهِ.

(٧) الأزهر: ويعمد.

(٨) الأزهر: بتعمّد اللذة.

(٩) ظُفْرًا من الظَّفَر: الفَوْزُ بما طالَبْتَ.

بالتلذّذِ، فدعتهُ بما أُبيحَ وقد جمعَ إلى ما أَبيح لهُ معنى ثاني بالتلّذذِ للمنظورِ إليهِ ثمَّ تعمَّدَ النظرَ، وإنَّما مَثلُ ذلكَ مِثلَ رجلٌ لقيهُ رَجُلانِ أحدهما تَقِيٌّ[1] والآخر فَاجِرٌ[2]، فقالَ لُهما: يا فَاجِرانِ، وكانتْ كلمةٌ واحدةٌ هو فيها صادقٌ وكاذبٌ، كذلك لو قالَ لُهما: يا تَقِيَّان، كانتْ كلمةٌ واحدةٌ وهو فيها صادقٌ وكاذبٌ.

قُلْتُ: وكيف صارَتْ كلمةٌ واحدةٌ صدقٌ وكذبٌ[3] والصدقُ ضدَّ الكذبِ والكلمةُ لا تكون كلمتَين تضادين[4]؟

قَالَ: لم يجِبْ عليهِ الكذبُ والصّدْق من قبلِ تضادِّ الكلمةِ، ولكن مَعهُ الكلمةِ قَصْدانِ؛ قَصْدٌ بكلمةٍ واحدةٍ لِيكذبَ على هذا ويصدقَ على هذا[5]، وكذلك قَصَدَ بنَظرةٍ وَاحدةٍ؛ لينالَ ما أُبيحَ ويلتذُّ بما حُرّمَ عَليهِ، وكذلك للرياءِ؛ لِمْ يتضادِ مِنْ قَبلِ الطاعةِ بالجوارحِ؛ فيكونُ طاعةً [و][6]لَا طاعةً، ولكن مَعهُ قَصْدَانِ أَرادَ بأحدِهما الله وأَرادَ بالآخر غيرَ الله، فهو مطيعٌ بالجوارحِ غير مطيعٍ لله تعالى إذْ أَشركَ مع القَصْدِ إليهِ للقَصْدِ إلى غيرِهِ.

وَقد يدخلُ أيضًا على المريدِ خدعةً، وذلك أَنْ يكونَ [متلَّذذًا][7] بحُسْنِ المنظورِ إليهِ؛ بصوْتٍ يسمعهُ خَلفَهُ، أو إلى قُرْبهِ، أو خيالٍ يراهُ، أو حركةِ مشي

انظر: العين. الفراهيدي: ج٨، ص١٥٨.

(١) تَقِيّ: تَقَى اللَّهَ تَقْيًا، زَكِيٌّ خَافَهُ، قال تعالى: {إِلاَّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً}، آل عمران: ٢٨، الآية.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج٤، ص١٠٢.

(٢) فَاجِرُ: كُلُّ مَائِلٍ عَنِ الْحَقِّ فَاجِرًا.

انظر: معجم مقاييس اللغة. أحمد القزويني: ج٤، ص٤٧٥.

(٣) الأزهر: صدقًا وكذبًا.

(٤) تضادان يعني تضاد: أي الضد في المعنى، مؤمن/كافر، وحسن/سيئ.

انظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: نشوان بن سعيد الحميري اليمني ج٦، ص٣٩٠٧.

(٥) الأزهر: ليصدق على هذا، ويكذب على هذا.

(٦) الأزهر: و.

(٧) الأزهر: يتلذذ.

أو غيرِ ذلك، فلا يعملُ بَصرهُ بالانشغالِ عَن الفُجْأَة؛ لأَنَّ إذْ أفْجَأهُ لمْ يقعْ بَصرهُ عليه فيدعْ بَصرَهُ مفتوحًا في الجهةِ التي لابدَّ للمنظور أَنْ يلقاهُ فيها مَحبةً من النفسِ أَنْ يَفجَأها المنظور إليهِ، فإذا فجأته[١] صرَفَ بصَرهُ وعدَّ نفسَهُ متورعًا بهِ غاضًا[٢]، وقد أقَرَّ[٣] بَصَرهُ في الجهةِ التي يعلَمُ أَنَّ المنظورَ إليهِ يَفجأهُ [بهِ][٤] بالعَمِدِ لأَنْ يفجْأهُ المنظور إليهِ بسبب نَظرةٍ في فَجْأَةٍ، ومَثَل ذلكَ؛ رَجلٌ قيلَ لهُ دَخلَتْ فُلانة[٥] مِنْ بابِ البيتِ؛ فهو ينظرُ مِنْ قَبْلُ إلى بابِ البيتِ فأَقَرَّ[٦] بَصْرَهُ ينظرُ إلى بابِ البيتِ والنفسُ تنظرُ أَنْ تدخلُ من البابِ؛ فيقعَ عليها البصرُ فتدركَ ما تريدُ من اللّذةِ.

وقد يدخلُ أَيضًا على المُريدِ خدعةً أَنْ يَفجْأهُ المنظورُ إليهِ؛ فيكونَ بين يديهِ وهو ماش[٧] [مِنْ][٨] خَلفهُ فلا يسرعُ؛ فيتقدمُهُ[٩] فيرى أَنَّهُ إذا مشى كمشيهِ الأَولِ قبلَ أَنْ يَصير المَنظورِ إليهِ بين يديهِ أَنَّ ذلك مباحٌ ويغَضَّ بصرَهُ إلى

---

(١) الأزهر: فجاهُ.

(٢) غاضٍ: والغاطي الذي يعلو كل شيء فيُغَطِّيه.

انظر: العين. الفراهيدي: ج٤، ص٤٣١.

(٣) ا أقَرَّ: أي سكن، وإذا أثْبَتَهُ، وقَرَّ الشيءُ، واسْتَقَرَّ في ذِمَّتِهِ.

انظر: حلية الأولياء. الأصفهاني: ج١، ص١٤٥.

(٤) الأزهر: بهِ.

(٥) فلانه: والعرب تصف المؤنث بالمصدر؛ قال تعالى: {يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَنًا خَلِيلاً}، الفرقان:٢٨، الآية.

انظر: الإبانة في اللغة العربية. سَلَمة بن مُسْلِم العَوْتبي الصُحاري: ج٣، ص٦٤٦.

(٦) أقرَّ. أي بَخَع لَها بِالطَّاعَةِ.

انظر: تهذيب اللغة. محمد الهروي : ج١،ص١١٧.

(٧) ماش: يعني مَشى.

انظر : تهذيب اللغة. محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي: ج١١،ص٢٩٧.

(٨) الأزهر: من.

(٩) الأزهر: فيتقدم.

الأَرضِ، فكلمَّا[1] احتاجَ إلى رَفعهِ؛ لِينظَر ما بين يديهِ في طريقهِ [أَنْ][2]لا يستقبلهُ شيء يؤذيهِ رَفعَ بَصرهُ إلى المنظورِ إليهِ؛ فيعدُّ ذلك فجْأةً، وقد تعرَّضَ للفجأة تفجّأهُ[3] إذْ أَمسكَ عَنْ سرُعةِ المشي أَنْ يتقدم؛ فيصيرَ مِنْ خَلفهِ ولا يفجأهُ[4]، فَتركهُ ذلكَ تعرَّضٌ [مِنهُ][5] للفجأةِ.

ومازالَ التقدمُ بينَ يدي المنظور إليهِ مِنْ فِعْالِ المُتقينَ، وَمِنْ ذلكَ ما رويَ عن موسى عَليهِ السلام أَنَّهُ قَالَ للجاريةِ التي دَعتهُ إلى أَبيها: [أَنْ][6]تسيَر خَلفَهُ وأَرْشَدَ[7] في الطريقِ؛ كرِهَ أنْ يقع بَصُرهُ عليها إنْ ضَرَبتْ الريحُ بعضَ ثيابهِا انكشفتْ.

وقد يخدعُ ناسٌ بذلك أَنْ يكون ماشيًا فيعرضُ المنظورُ إليهِ بين يديهِ فيقصرُ عن مشيهِ الأَولِّ لِئَلَّا يتقدَّمهُ؛ فيكونَ المنظورُ إليهِ خلفَهُ، ويقصرُ في[8] ذلكَ ويقعُ عليهِ البصرُ في خلالِ ذلكَ؛ فيرى أَنَّهُ قد أَعذَر[9] بالغَضّ وَفجَأَهُ ما لا يملكُ، وَقَد تعمَدّ النظرُ ولم يُفْطَن للخديعةِ؛ لأَنَّ تقصيرَهُ من[10] مَشيهِ وإنْ غَضَّ تعرَّضَ لخدعةٍ في وقتٍ بَعْد وقتٍ.

---

(١) الأزهر: فإذا.

(٢) الأزهر: لئَلاّ.

(٣) الأزهر: بفجاة.

(٤) الأزهر: يفجؤه.

(٥) الأزهر: منهُ.

(٦) الأزهر: أن.

(٧) وأرَشْدَ من الرُّشْد: خلاف الغيَّ، أي هداية من الله، قال تعالى:{قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ}، البقرة: ٢٥٦، الآية.

انظر : مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٣٥٤.

(٨) الأزهر: عن.

(٩) الأزهر: أعدَ.

(١٠) الأزهر: في.



مسألة في النذور

حدَّثنا أَبو النضر(١)، قالَ حدَّثنا ليث بن سعد(٢) عن يزيد بن أَبي حبيب(٣) عن ابن عبد بن الَأشج(٤) عن كريب(٥) عن ابن عباس(٦)

---

(١) أبو النضر: هاشم بن القاسم الليثي الخراساني شيخ المحدثين، سمع من: ابن أبي ذئب وشعبة، وحريز بن عثمان، ورحل وجمَع وصنّف، وسمع من شعبة ما أملاه ببغداد، حدث عنه: أحمد بن حنبل، وعلي، وكان أحمد بن حنبل يقول: أبو النضر شيخنا من الآمرين بالمعروف، والناهين عن المنكر، من متثبتي بغداد. ثقة، وكان أهل بغداد يفخرون به، مات سنة ٢٠٧هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٩، ص٥٤٦.

(٢) الليث بن سعد: ابن عبد الرحمن، الإمام الحافظ شيخ الإسلام، وعالم الديار المصرية أبو الحارث الفهمي، من الفرس، سمع من: عطاء بن أبي رباح، ويزيد بن أبي حبيب، روى عنه: هشيم، وابن وهب، وابن المبارك، وأبو النضر هاشم بن القاسم، عربي اللسان، يحسن القرآن والنحو، سمع أحمد بن حنبل يقول: الليث ثقة، ثبت، مات سنة ١٧٥هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج٨، ص١٦٤.

(٣) يزيد بن أبي حبيب: أبو رجاء الأزدي، الإمام الحجة، مفتي الديار المصرية، وهو من صغار التابعين، حدث عن: عطاء، وعلي بن رباح، وعراك بن مالك، حدث عنه: ومحمد بن إسحاق وسعيد بن أبي أيوب، كثير الحديث، مات سنة ١٢٨هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج٦، ص٣٢.

(٤) عبد بن الأشج: هو بكير بن عبد الله بن الأشج، الإمام الثقة، الحافظ، روى عنه: يزيد بن أبي حبيب، وأيوب بن موسى، ثقة صالح لا يفوقه أحد بالحديث، مات سنة ١٢٧هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي : ج٦، ص١٧١.

(٥) كُريب: ابن أبي مسلم، أبو رشدين، الهاشمي والد رشدين ومحمد، أدرك عثمان، وأرسل عن الفضل بن عباس، وحدث عن: مولاه ابن عباس، وأم الفضل أمّه، حدث عنه: أبو سلمة بن عبد الرحمن مع تقدمه، حسن الحديث، مات سنة ٩٨هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج٤، ص٤٨٠.

(٦) ابن العباس: هو عبد الله بن عباس البحر، ابن عم رسول الله (ص)، صحب النبي(ص)، حدث عنه: بجملة صالحة، وعن عمر، وعلي، ومعاذ، ووالده، وعبد الرحمن بن عوف، وأبي سفيان صخر بن حرب، من رجال الكمال، ابن عباس، قال: مسح النبي (ص) رأسي، ودعا لي بالحكمة، ومسنده ألف وستمائة وستون حديثًا، وله من ذلك في الصحيحين خمسة وسبعون تفرد البخاري له بمائة وعشرين حديثًا، تفرد مسلم بتسعة أحاديث، توفي سنة ٨٦هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج٣، ص ٣٥٩.

قال: «النُّذُور[1] أَربعٌ؛ نَذرٌ لا يُسَمّى، وَنذرٌ لا يُطاق، ونَذرٌ في مَعْصِيَةِ الله فِيه الكفارة، وَنذرٌ يُسَمّى ويُطاق لا مَعْصيةَ فيهِ»[2]، فيه الوفاءُ بهِ، وَنذرٌ فائتٌ.

فأمّا النذرُ الذي لا يُسَمّى: فهو كقول الرَّجلُ عليَّ نذرٌ لله إنْ برئتُ مِنْ مَرضِي هذا أو قَدمْتُ مِنْ سَفري، وكذلك إنْ جَعلهُ يمينًا، فقالَ عليَّ [لله][3] نذرٌ إنْ كلّمْتُ فلانًا ولمْ يُسَمِّ[4] شيئًا يَفي لله بهِ[5]، لا صلاةَ، ولا صدَقةَ، ولا غيرَ ذلك من التطوّعِ؛ فعليهِ كفارة يمين.

وأمّا الذي لا يُطاق: فهو كقولهِ: لله عليَّ[6] نَذرٌ أَنْ أَمشَي إلى بيتِ الله حافيًا راجلًا، وهو ممَّنْ لا يطيقُ ذلك مِنْ ضَعْفٍ أو سَقَمٍ[7]، فإنْ كانَ واجدًا للسبيلِ إلى الحجِّ ركب وكَفَّر لأنَّهُ لا يطيقُ المشيَ.

---

(١) الأزهر: النور.
النُّذُور مفردها النَّذْرُ: أي مَا يَنْذِره الإنسانُ فيجعَلُه على نَفسه نَحْبًا وَاجِبًا، وأهل الْعرَاق يسمونه: الأرْشَ. انظر: تهذيب اللغة محمد الهروي: ج١٤، ص٣٠٢.

(٢) صحيح البخاري: ج٤، ص١٥٧٨. سنن أبي داوود: ج٣. ص٤١. تحفة الأحوذي. شرح الترمذي: ج١، ص١٧٠٧.

(٣) الأزهر: لله.

(٤) يُسَمِّ: أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى أَثَرٍ وَمَعْلَمٍ، وفي الحديث: «أنه كان يُسِمّ إبِلَ الصَّدَقةِ». انظر: معجم مقاييس اللغةِ. أحمد القزويني : ج٦، ص١١٠.

(٥) الأزهر: بهِ الله.

(٦) الأزهر: عليّ لله.

(٧) سقَمَ والسَقَامُ: المرض المختص بالبدن وفي النفس، قال تعالى: {فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ}، الصافات: ٨٩، الآية. انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٤١٥.

وكذلك روى عقبة بن عامر[١] أنه سأل النَّبِيّ صَلىَّ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَّ أُخْتي نَذَرَتْ أَنْ تَمْشِيَ إلى بَيْتِ اللهِ حَافِيَةً راجلة غَيْرَ مُخْتَمِرَةٍ[٢]، فقالَ لهُ النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إنَّ اللهَ نهى عن تعذيبِ أُخْتِك نفسها، مُرْهَا فَلْتَرْكَبْ ولْتَخْتَمِرْ وَلْتُكَفِّرْ كفارةَ يَمِين»[٣]،ورُوِيَ في حديث آخر: «مُرها فَلْتَصُمْ ثَلاَثَةَ أَيَّام»[٤]. فاختلفَ العلماءُ[٥] في ذلك، فقالَ بَعْضُهُم مَنْ نَذر نَذرًا لا يطاقُ كَفَّرَ كفارةَ يمين، فقالوا: الحديثان اللذَانْ روِيَا عَنْ عقبةَ أَحدهُما يصدُقُ الآخر، لأَنَّ [معنى][٦] أمرَ النَّبِيّ صَلىَّ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنْ تَصوم ثَلاثةَ أَيام»[٧]، فهو معنى قولهُ كَفارة يمين من لا يجدُ صيام ثلاثةِ أَيام.

وقال بعضهُم: يصومُ ثلاثةَ أَيام كان غنيًا[٨] أو فقيًرا؛ لَأن النَّبِيّ صَلىَّ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ عقبة أَنْ يأَمُرَ أَختهُ [بصومِ ثلاثة أيام و][٩] أَنْ تركبَ، وذلكَ

---

(١) عقبة بن عامر الجهني، أبو حماد ويقال: حدث عنه: أبو الخير مرثد اليزني، وسعيد بن المسيب، وأبو إدريس الخولاني، كان عالًما مقرئًا فصيحًا فقيهًا شاعرًا كبير الشأن، شهد فتح مصر واختطّ بها. وولي الجند بمصر لمعاوية، أحسن الناس صوتًا بالقرآن. فقال له عمر: اعرِض عليَ فقرأ؛ فبكى عمر، له في المسند خمسة وخمسون حديثًا، مات سنة ٥٨هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج٢، ص٤٦٨.

(٢) مُخْتَمِرَةٍ: أي من الخِمار: يقال لما يُسْتَرُ به، خمَرَت المرأةُ رأسَها: أي غطّتهُ وسترتهُ بالخِمار.

انظر: التعريفات الفقهية: ج١، ص٨٩. المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب: ج٣، ص٤٠.

(٣) جاء في الحديث:» {أَنَّ أُخْتَهُ نَذَرَتْ أَنْ تَمْشِيَ حَافِيَةً غَيْرَ مُخْتَمِرَةٍ، فَسَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْنَعُ بِشَقَاءِ أُخْتِكَ شَيْئًا، مُرْهَا فَلْتَخْتَمِرْ، وَلْتَرْكَبْ، وَلْتَصُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ}.

انظر: السنن. ابن ماجة: ج٣، ص٢٦٤. صحيح البخاري. محمد إسماعيل : ج٢، ص٦٦٠.

(٤) انظر.: فتح الباري شرح الصحيح. العسقلاني: ج٤، ص٥٩٥.

(٥) العلماء هم: الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت ١٧٠هـ، الإمام محمد بن إدريس الشافعيّ ٢٠٤هـ، أنس بن مالك ١٧٩هـ.

انظر: نيل الأوطار. محمد الشوكاني: ج٨، ص٢٨٥. تحفة الأحوذي بشرح الترمذي. عبد الرحمن المباركفوري: ج٣، ص١٠٣.

(٦) الأزهر: معنى.

(٧) انظر: مسند الإمام أحمد: ج٤، ص١٤٥

(٨) الأزهر: غنيًا كان.

(٩) الأزهر: بصوم ثلاثة أيام و.

دليل [على][1] أنها كانَتْ واجِدةٌ[2]، إطعَام عَشرةَ مساكين؛ لأَنَّهُ لم يأمَرها إِلَّا وهيَ واجِدةٌ للركوبِ.

وأمّا النذور في معصيةِ الله عزَّ وجلَّ فهو كالرجل يقولُ[3] لله عليَّ نَذرٌ أَنْ أنحرَ[4] وَلدِي، أو أَرمِي نَفسِي، ولا أَتكلمُ كذا وكذا يَومًا، أو أَطوفُ بالبيتِ[5] عريانًا[6]، أو المرأَةُ تنذرُ أَنْ تَحجَّ غير مُختَمِرة؛ فَفي ذلكَ كلّه كفارةُ يَمين؛ لأَنَّ النَّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: «لا نَذْرَ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ وَكَفَّارَتُهُ كَفَّارَةُ يَمِينٍ»[7]، يرويهِ عَنهُ عمرانُ بن الحُصين[8]: «فَمَنْ نَذَرَ نذرًا في معصيةِ [الله عزّ وجلَّ][9] فعليهِ كَفارةُ يَمين وَلا يَعصي الله»[10].

---

(١) الأزهر: على.

(٢) واجِدَّةً: ليس فيها مرض أو بلاء.
انظر: تاج العروس من جواهر القاموس. محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني: ج٧، ص٤٧٨.

(٣) الأزهر: كان يقول الرجل.

(٤) انْحَرْ: إذا قابله، قد نحر فلانًا ينحره نحرًا، قال تعالى: {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ} الكوثر:٢، الآية، أي استقبل القبلة بنحرٍ.
انظر: الإبانة في اللغة. سَلَمة بن مُسْلِم العَوْتبي الصُحاري: ج٤، ص٣٨٢.

(٥) بيت الله: يقصد فيهِ الكعبة المشرفة في (مكة المكرمة).

(٦) عريانًا: من كلمة يُعْرَى من ثوبهِ، فهو عارٍ وعريان.
انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٥٦٢.

(٧) انظر: صحيح البخاري. محمد إسماعيل: ج٦، ص٢٤٦٤. سنن النسائي. أحمد بن شعيب: ج١٠، ص٦٩.

(٨) عمران بن حصين: هو ابن عبيد بن خلف، صاحب رسول الله (ص)، الإمام القدوة، وله عدة أحاديث، وولي قضاء البصرة، وكان عُمرُ بعثه إلى أهل البصرة ليفقّههم، حدث عنه: مطرف بن عبد الله بن الشخير، وزرارة بن أوفى، اتفق الشيخان له على تسعة أحاديث، وانفرد البخاري بأربعة أحاديث ومسلم بتسعة، مات سنة ٥٢هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج٢، ص٥١٢.

(٩) الأزهر: الله عز وجل.

(١٠) انظر: السنن. ابن ماجه: ج٣، ص٢٥٩.

قَد خوصِمَ ابن عباس فقيلَ: (أيُنذرُ في معصيةِ الله فيكفِّرُ [عن][1] يمينِهِ)، فقالَ: أَلَمْ تسمعْ الله تعالى يقول في المظاهرِ: {وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا}[2]، فأَمَرَ فيهِ بالكفارةِ.

إلاّ أَنَّ ابنَ عباس قالَ: بخلافِ هذا في معنى واحدٍ للذي نَذرَ أَنْ ينحرَ وَلدهُ، [قالَ][3]: ينحرُ بَدَلهُ كبشًا، وذَهبَ إلى ما أَمَرَ اللهُ سبحانه بهِ[4] إبراهيم عليهِ السلام مِن الفداءِ لابنهِ، وسُنَّةِ النَّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَولى أَنْ تُتَبعَ في ذلك وهي: كفّارة يَمين.

فأمّا النَّذْرُ الذي يسمّى ويطاقُ لا معصيةِ فيهِ فهو كالرَّجل ينذرُ أَن يصلّي ركعاتٍ مَعلومة، أو[يصومَ][5] صيامًا معلومًا في أَيام يحلّ فيها الصوم أو الحجِّ إلى بيتِ الله وهو مطيقٌ؛ لذلكَ فعليهِ الوفاءُ بهِ، إلا أَنَّ العلماءَ اختلفوا في خَصْلةٍ واحدةٍ مِنْ ذلك في الرَّجلِ يجعلُ الله عليهِ نَذرًا أَنْ يتصدَّقَ بجميع مالهِ.

فقالتْ فرقةٌ من العلماءِ[6] عليهِ أَنْ يخُرجَ ذلك كلَّهُ إذا كانَ نَّذرًا، فأمّا إذا كانَ يَمِينًا[7] فلا؛ لَأَنَّ النَّذرَ ما أَراد بِهِ الشكر والطاعة، واليمين لِغيرِ ذلكَ على الغَضَبِ وغيرِهِ، واحتجّتْ بما يرويه الحَسن[8] عَنْ عمران بن حُصين عَنْ النَّبيّ

---

(١) الأزهر: عن.

(٢) المجادلة: ٥، الآية.

(٣) الأزهر: قال.

(٤) الأزهر: به سبحانه.

(٥) الأزهر: يصوم.

(٦) العلماءُ: مالك بن أنس١٧٩هـ، عبد الله بن المبارك١٨١هـ، الإمام الشافعي ١٠٤ هـ، الإمام أحمد٢٤١هـ. يرحمهم الله.

انظر: اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح. العسقلاني: ج٧، ص٢٣٠. عون المعبود لشرح سنن أبي داود. محمد شمس الأبادي: ج٩، ص٨٥

(٧) اليَمين: الْيَمِينِ: مَأْخُوذَةٌ مِنْ يَمِينِ الإِنْسَانِ، وَهِيَ: إذا عقدتَ فأكّد، وإذا حلفت فوحّد.

انظر: الإبانة في اللغة العربية. سَلَمة بن مُسْلِم العَوْتبي الصُحاري: ج١، ص٢١٩.

(٨) الحسن البصري يرحمه الله.

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قالَ: «لَا ينذرْ في غضبٍ، وَكَفَّارَتُهُ كَفَّارَةُ يَمِينٍ»[1].

وقالَ رجلٌ لابن عباس: (إني نَّذرتْ نَذرًا، قالَ: في غضبٍ أَمْ في رضَى، قال: لا بلْ في غَضَبٍ، قالَ: الله لا يتقربُ إليهِ بالغضبِ)[2].

وروى ابن عمر[3] وأبو هريرة عن النَّبِيِّ صَلىَّ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما يُبِينّ ذلك أَنّ النَّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إنَّ اللهَ عزَّ وجلّ قالَ: إنَّ النَّذْرَ لَا يَأْتِي بِشَيْءٍ لَمْ أُقَدِّرَهُ، وَلَكِن أَسْتَخْرِجُ بِهِ مِنْ الْبَخِيلِ يُؤْتِي عَلَيْهِ مَا لا يُؤْتِني على غَيرِهِ»[4]، فأخبرَ النَّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَّ النَّذرَ شيءٌ يتقربُ بهِ إلى الله سبحانهُ، [و][5] ليسَ هو كالأيمانِ على الغَضَبِ»[6].

(١) جاء في الحديث: «لا نَذرَ في غَضَب وكفارتهُ كفارة يَمين». عن الأشعري: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي نَفَرٍ مِنْ الْأَشْعَرِيِّينَ فَوَافَقْتُهُ وَهُوَ غَضْبَانُ، فَاسْتَحْمَلْنَاهُ فَحَلَفَ أَنْ لَا يَحْمِلَنَا».
انظر: صحيح البخاري. محمد إسماعيل : ج٤، ص٥٧٥. صحيح مسلم:ج٣، ص١٢٦٩.

(٢) انظر: سنن النسائي. أحمد بن شعيب : ج٧ص٣٥.

(٣) ابن عمر: هو عبد الله بن عمر بن الخطاب (رض) يرحمه الله.

(٤) جاء في الحديث «لاَ يَأْتِي ابْنَ آدَمَ النَّذْرُ بِشَيْءٍ لَمْ يَكُنْ قُدِّرَ لَهُ، وَلَكِنْ يُلْقِيهِ النَّذْرُ إلى الْقَدَرِ قَدْ قُدِّرَ لَهُ، فَيَسْتَخْرِجُ اللَّهُ بِهِ مِنْ الْبَخِيلِ فَيُؤْتِي عَلَيْهِ مَا لَمْ يَكُنْ يُؤْتِي عَلَيْهِ مِنْ قَبْلُ».
انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري. العسقلاني: ج٤، ص٥٥٨. مسند الإمام أحمد: ج٢، ص٢٣٥.

(٥) الأزهر: و.

(٦) انظر: سنن النسائي. أحمد بن شعيب: ج٧، ص٣٦.

وقالَ كعبُ بن مالك[1] للنَّبيّ صَلَّ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمّا تَابَ الله عليهِ: «إنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنِّي أَنْخَلِعُ مِنْ مَالِي»[2]، وَفعلَ أَبو لبابة[3] مِثلَ ذلكَ، وأَبو طلحة[4] أيضًا لمّا شَغَلَهُ الطيرُ[5] في صلَاتهِ، فقالوا: «النَّذرُ ما كانَ طاعةً لله شكرًا وتَقربًا»[6].

وَقالتْ فرقةٌ[7]: كلُّ نَذرٍ يُسمّى ويطاقُ ولا مَعْصيةً فيهِ كانَ عن يمينٍ أو أَرادَ بِهِ طاعةً فعليهِ الوفاءُ [بما سُمّيَ][8] بهِ؛ لأَنَّهُ قد سمّيَ نَذرًا وأَكَّدهُ على نَفْسِهِ.

---

(١) كعب بن مالك: هو بن أبي كعب، عمرو بن القين بن كعب بن سواد الخزرجي، شاعر رسول الله (ص)، وله عدة أحاديث وانفرد البخاري بحديث، ومسلم بحديثين، روى عنه: بنوه: عبد الله، وعبيد الله، وعبد الرحمن، وابن عباس، مات سنة٥١هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج٢، ص٥٣٠.

(٢) جاء في الحديث «إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنِّي أَنْخَلِعُ مِنْ مَالِي صَدَقَةً».
انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري. العسقلاني: ج٤، ص٥٨٢. مسند أبي داوود. الطيالسي: ج٣، ص٢٤١.

(٣) أبي لبابة: هو عبدة بن أبي لبابة، أبو القاسم الأسدي ثم الغاضري، نزل دمشق، وحدث عن: ابن عمر، وعلقمة، حدث عنه: عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، والأوزاعي، عبدة قال: ذُقتُ ماء البحر ليلة سبعة وعشرين فوجدتُه عذبًا، مات سنة١٢٧هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج٥، ص٢٣٠.

(٤) أبو طلحة الأنصاري، زيد بن سهل بن الأسود، صاحب رسول الله (ص)، وأحد النقباء الاثني عشر ليلة العقبة، روى عن: أنس بن مالك، وابن عباس، وهو الذي قال فيه رسول الله (ص)، صوت أبي طلحة في الجيش خير من فئة. ومناقبه كثيرة. روى عن النبي (ص)، وعشرين حديثًا، منها في الصحيحين، مات بالمدينة، وصلى عليه عثمان سنة ٣٤هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج٢، ص٢٧.

(٥) طيرُ: أي استَهوتْه الشَّيَاطِينُ في غفلة عن صلاته، شغله طير دبسي طار بين الشجر ونسي عدد الركعات في صلاته.
انظر: فهم الصلاة. لأبي حارث المحاسبي: ص٣٧٣. تحفة الأريب بما في القرآن من غريب. أثير الدين الأندلسي: ج١، ص٢٠٩.

(٦) جاء في الحديث: «من نذَرَ أن يُطيع الله فليطِعْهُ».
انظر: السنن. ابن ماجه: ج٣، ص٢٥٩.

(٧) الفرقة هم: الإمام أحمد بن حنبل٢٤١هـ. إسحاق بن عبد الله بن طلحة١٣٢هـ.
انظر: السنن. ابن ماجه: ج٣، ص٢٦١. الجامع الصحيح لسنن الترمذي. الترمذي: ج٤، ص١٠٣.

(٨) الأزهر: بما سمّيَ.

وَقالتْ فرقةٌ[1]: يمسكُ مّما يملكُ [بهِ][2] قُوتَهُ[3] يَومَهُ وما يكفيهِ وعَيالهِ[4] ويخرجُ الباقي، فإذا وَجَد غنى[5] أخرجَ ما كانَ حَبَس، وَقالَ مالك[6] وبعضُ أَصحابُ الحديثِ[7]: يخرجُ ثلثَ مالهُ، واحتجوا أَنَّ النَّبِيّ صَلىَّ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ لأَبي لبابة: «يجزيك الثلثُ، وقالَ لكعب: أخرجْ بعضَ مالكِ لجيرانكَ، فقالَ لهُ كعب: أحبسُ سَهْمِيَ الَّذِي بِخَيْبَرَ»[8].

أمّا النَّذرَ الخامس: الذي ينذرُهُ صاحبُهُ أَنْ ينذَرَ نذرًا فيفوتَ وقتُ الوفاءِ بهِ؛ فهو كَقولهِ: للهِ عليَّ [نذرٌ][9] أَنْ أَصومَ شهرِ رَمضان بعبادانِ[10] فيمرض، أو

---

(١) الفرقة هم: عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي ١٥١هـ. سفيان الثوري ١٦١هـ.
انظر: الجامع الصحيح لسنن الترمذي. الترمذي : ج٤، ص١١٦.

(٢) الأزهر: بهِ.

(٣) الأزهر: قوت.
قُوَّتُهُ هي من الْقُوت: أي المسكة من الرزق.
انظر: المحكم والمحيط الأعظم. علي بن إسماعيل: ج٦، ص٥٤١.

(٤) عيال: الَأصل فِيهِ أَعْيَلَتْ أَي وَلَدَتْ أَولادًا.
انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج١١، ص٤٨٦.

(٥) الغِنى: أي لهم غنى النفس من التعفف والتلطف، قال تعالى:{يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ}، البقرة: ٢٧٣، الآية.
انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٦١٤.

(٦) مالك: هو أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر.

(٧) بعض أصحاب الحديث: يحيى بن عبد الله بن بكير ٢٣١هـ، محمد بن مسلم الأزهري ١٢٣هـ، أبو عبد الله وهاب ين منبه ١٢٤هـ، سفيان سعيد الثوري١٦١هـ.
انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري. العسقلاني: ج٤، ص٧١٧. السنن الكبرى. النسائي: ج١٠، ص٦٨.

(٨) انظر: صحيح مسلم. مسلم الحجاج: ج٤، ص٢٢١. مسند الإمام أحمد: ج٦، ص٣٩٠.الجامع الصحيح لسنن الترمذي. للترمذي: ج٥، ص٢٦٤.

(٩) الأزهر: نذر.

(١٠) عبادان: كانت عابدان قطيعة لحمران بن أبان مولى عثمان بن عفان(رض)، والتسمية جاءت من العباد: وهو الرجل الكثير العبادة، وأما إلحاق الألف والنون فهي لغة مستعملة لأهل البصرة، وهي تحت البصرة في -جنوب العراق- قرب البحر المالح -شط العرب- حاليًا، وكانت أكثر مواردهم من النذور، لكونها أرض لا خير فيها ويعيشون على اصطياد السمك، وكانوا يظهرون زهدهُم في الحياةِ

لله عليّ أَنْ أَصومَ يومَ كَذا وكَذا فَيمرضُ ذلكَ اليوم: «فَفيهُ كَفَّارَةُ الْيَمِينِ»[1]، وَمِنْ ذلكَ أَنَّ عقبةَ بن عامر[2] استفتاهُ أَبو الخيُر[3]، فَقَالَ: (إِني نَذَرتُ أَنْ أَصومَ شَهرِ رَمضان بإيليا)، فقالَ عُقبة: سَمعتُ[4] رَسُولَ اللهَّ صَلىَّ اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولَ: «إنما النَّذْر حَلْفَةً[5]، كَفّر عَنْ يَمينك»[6].

بارتداءِ لباس أبيض من الصوفِ.

انظر: معجم البلدان. ياقوت الحموي: ج٤، ص٧٤.

(١) جاء في الحديث» كَفَّارَةُ النَّذْرِ كَفَّارَةُ الْيَمِينِ».

انظر: المعجم الكبير. الطبراني: ج٧، ص٢٧٤. فتح الباري شرح صحيح البخاري. أحمد بن علي العسقلاني: ج١، ص٩٧.

(٢) عقبة بن عامر الجهني.

(٣) أبو الخير: هو مرثد بن عبد الله أبو الخير اليزني المصري، الإمام، عالم الديار المصرية ومفتيها، حدث عن أبي أيوب الأنصاري، وزيد بن ثابت، وأبي بصرة الغفاري، وعقبة بن عامر، وعمرو بن العاص، حدث عنه جعفر بن ربيعة، وعبد الرحمن بن شماسة، ويزيد بن أبي حبيب، وعبيد الله بن أبي جعفر، توفي سنة ٩٠هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج٤، ص٢٨٥. تهذيب التهذيب. أحمد بن علي بن محمد: ج٤، ص٥١٩.

(٤) الأزهر: أسمعت.

(٥) الأزهر: خلفهُ.

حَلْفة: أي قَسَمًا، فالمحلوفة هي القَسَم.

انظر: العين. الخليل البصري: ج٣،ص٢٣١.

(٦) انظر: السنن. ابن ماجه: ج٣، ص٢٤٥. سنن النسائي. أحمد شعيب: ج٧، ص١٤.

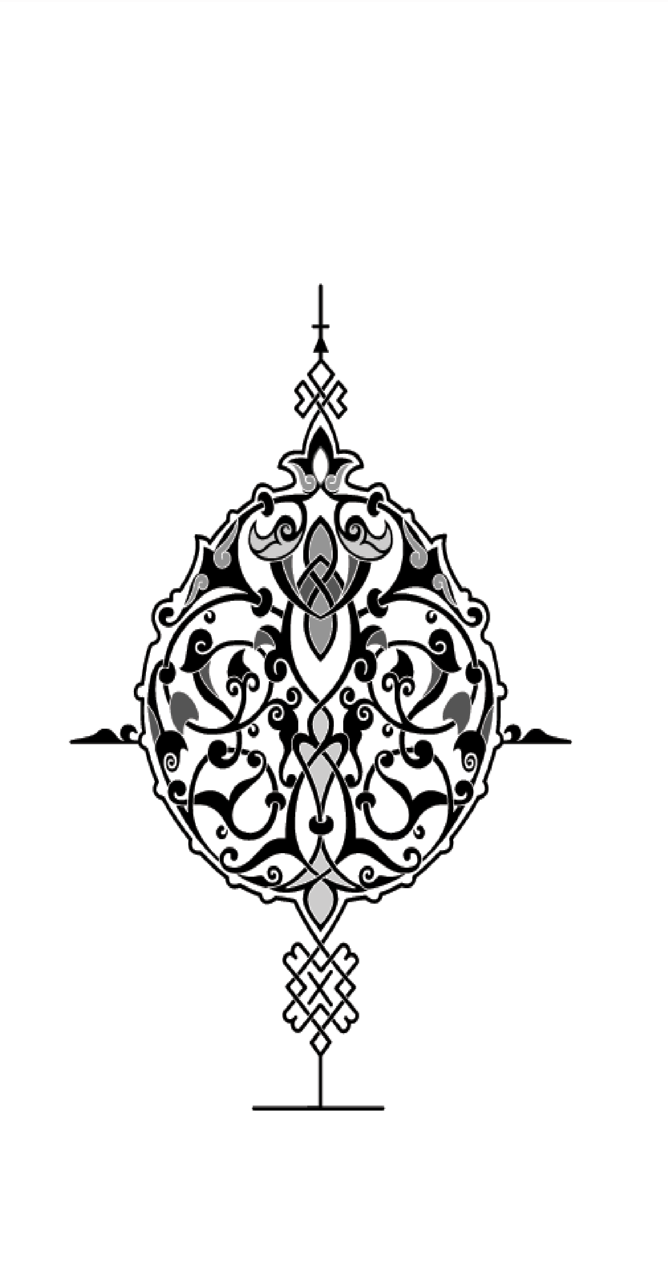
تم كتاب المسائل في أعمال القلوب والجوارح للمحاسبي

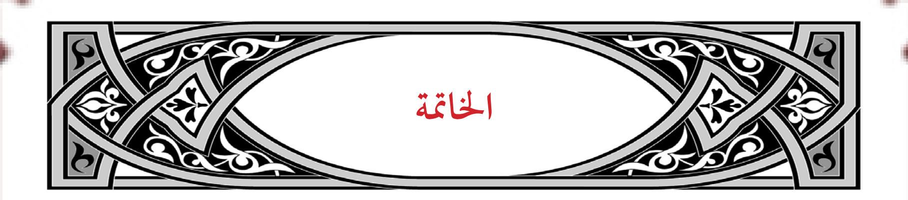
والحمد لله حق حمده وصلواته على سيدنا محمد نبيه

وآله وسلم وهو حسبنا ونعم الوكيل

وذلك في العشر الأول

من المحرم سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة





الخاتمة

إنَّ مخطوطةَ أعمال القلوبِ والجوارح هي من روائع كُتُبِ المحاسبي؛ لكونها قد مزَجَ فيها المحاسبي روعةَ الكلماتِ ما بين الفقهِ الإسلامي والعنصرِ الروحاني؛ لذلك كانتْ عصارةُ جهدِهِ لسنوات طويلةٍ من فكرٍ وعِلمٍ وثباتٍ على نهجِ القرآن الكريم والسُنَّة النبوية. وعندما تقرأُ الكتابَ بتمعّنٍ تُلاحظُ بوضوحٍ أنَّهُ قد ركّزَ على مفهوم القلبِ والجوارح وعلاقتهما ببعض عندَ المؤمِن في العبادةِ سالِكًا طريق القلبِ قَبلَ العقلِ والحواسِ.

وقَد شكَّلَ هذا المنحَنى عندهُ طاعةً للمريدين بالتَفويضِ والتوكّلِ لربِّ العبادِ برؤيا جديدة بعيدةً عن مفهوم العقلِ؛ لكونِ أنَّ العقلَ عِنْدَ الفَلاسفةِ طريقُ إدراكِ النور، والقلبُ عند المؤمَنين طريقُ نجاةٍ من الهلاكِ، ولهذا السببُ نَجدُ أنَّ هاجسَ الخشوعِ يَلتزمُ به المريدُ القاصدُ لعِلم الشيخ المحاسبي رحمهُ الله منذ قراءة السطور الأولَى في الكتابِ؛ فقد جاءَتْ بكلماتٍ ومعانٍ معطّرةٍ ببلاغةِ القرآن الكريمِ ووعظِ وسَردِ الأحاديث.

لذلكَ وجبَ على القارئ فهمَ لغْةِ البلاغةِ ثمَّ المفهومَ الفكريّ لمؤلفاتِ المحاسبي قَبلَ البدءِ بالقراءةِ والتحقيق للمؤلفاتِ؛ لكونها أعلى من إدراكِ القارئ البسيطِ من حيثُ نصّ الكلام واللغةِ، لذلك يجب أنْ يكونَ طالبُ العِلم على اطلاع ونضوج فكري تام وصحيح مبتَعدٍ عن آراء ومناهجٍ كان غايتُها هدمَ عِلمٍ في سبيل مَنفعةٍ دنيويةً أو فكرية.

إنَّ الدراسةَ والتحقيقَ للمخطوطةِ لم تسلكْ لدينا طريقًا واحدًا، بل كانت دراسةً وقراءةً وربطًا في سلسلةِ الأحداثِ التاريخيةِ لعصرهِ في مدينةِ بغداد في القرنِ الثالثِ الهجري، واستقراء مدى تأثّرِ المحاسبي بها، ويتضحُ أنَّ أفكارَه كانت تستندُ في محاربةِ سياسةِ الدولةِ المترفةِ عن طريقِ الزُّهد حتى يَكون لدى المريدين الفكرُ الصحيحُ لبناءِ النفسِ ورفضِ كل آراء العلماءِ المدعومةِ عَنْ

لسانِ الخلفاءِ.

لقد كانتْ لديهِ طريقة في كتابةِ النصوصِ بمنتهى البلاغةِ في جميع المسائل المعروضةِ؛ فكلُّ مسألة في طياتها عبارةٌ عن مفهوم لتفسير الكلامِ في مفهوم الظاهرِ والباطن، وتمثّلتْ بالقراءةِ الصحيحةِ للكلماتِ، ثم يأتي تفسيرُها، وقد بانتْ فيها معاني نهج آياتِ القرآن الكريم، ولهذا السبب وَجبَ على القارئ عَدمُ إهمالِ أيِّ حرفٍ أو سطر دونَ معرفةِ ما هو المقصودُ منها في الكلام، والتركيز على المعنى في النصوص لكي يصلَ المريد للنصِّ الصحيح والشافي لداءِ العقول، إنَّ تسميةَ المحاسبي بسيّد العارفين في خفايا علومِ الظاهرِ والباطنِ في التفسيرِ واللغةِ جاءتْ من روعةِ مؤلفاتهِ وقيمةِ عِلمهِ.

لقد اختلفَتْ مدرسةُ الشيخ المحاسبي في النهْج الفكري في الزُّهد والتصوف عن المدارسِ الدينيةِ الأخرى؛ لذلك جاءَتْ في عدةِ تسمياتٍ، فكانَّ أوّلُها: مدرسةُ التصوّف لكونهِ كان يدعو للزُهدِ ومحاربةِ النفس ولبسِ الخشن من الملابسِ، وكان يأكلُ من بقايا الطعامِ، وهذه كانتْ كلها من صفاتِ التصوّف، ولكن بعدَ النظرِ بتمعن على مُجْمل مؤلفاتهِ نستطيع أنْ نُطلِقَ على المدرسةِ تسميةَ نهج وليسَ صفةُ تصوّف فقط، لكون أنَّ المحاسبي قد تأثرَ بامتدادِ فِكْرِ الفقهاءِ الشافعية، ويعتبرُ من مشايخ الشافعية في العلوم الدينية؛ لكونهِ جلسَ واستمع للإمام الشافعي وأخذَ منهُ في علمِ الفقهِ والأصولِ والتفسيرِ في منهجِ القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية.

ولكنْ أيضًا التداخلُ يفتح بابًا للتسمية آخر غيرُ التصوّف والنهج للمحاسبي؛ لأنَّ أساسَ المدرسةِ جاءَ على الجدالِ في الكلام في دينِ الحقِّ، فهوَ القائلُ: ((إنَّ الرّدَّ على البدْعةِ فَرضٌ)). وكانَ من أشدِّ المجادلين في عِلم الكلام، وَمغبرّ الوْجهِ للمُعتزلةِ، ومُجاهدًا في تبطيلِ أقوالهِم، كانَ أشبَههم إتقانًا وأمتنَهم كلامًا؛ فأصبَحَ نهجُ المحاسبي المصنّف لعِلْم الكلام لمدارسِ الأشعريةِ في الرّدِ والمجادلةِ على كلامٍ أصلهُ بدعة.

ولا يمكنُ أنْ نقولَ أنَّ التسميةَ أصبَحتْ شاملةً من حيثُ التصّوفِ والفقهِ والمجادلةِ والرّدِّ بالكلام؛ لأنَّ جوهَر الكلام لدى المحاسبي جاءَ حَسبَ المنطق في الحديثِ والوعظِ ويتجهُ إلى خوضِهِ في الحديثِ، وهذا الأمر يُبرر أنَّ الشيخَ

المحاسبي تتلمذَ على يدِ مشايخ أهل الحديثِ، وكانَ ممّن عاصَرَ الإمام أحمد بن حنبلٍ في تلقي علومِ الحديثِ مَن المشايخ، وَلكنْ قد خاضَ بالحديثِ شيئًا قليلًا، وقَد نُسبَ اليهِ بعضُ الأحاديث التي دخلَ فيها من باب الوَعظ، ولكن لمْ يُبحِر في جمع الأحاديث لكونهِ اقتدى ببعضِ التابعينَ من أهلِ البصرةِ، فلذلكَ السبب قد لجأَ المحاسبي إلى طريقةِ الوعظ في سرْدِ الأَحاديث والمسائلِ الفقهيةِ، وحتى التفسيرِ لديهِ جاءَ بنسقٍ كلاميٍّ وبلاغة معنى، ويَتضح أنَّ المحاوَرَ الأربعة المشار إليها مسبقًا في تلقي علومِ المحاسبي لمْ تأتي بالتسميةِ المحددةِ لمدرسةِ المحاسبي، وإنّما جاءت في محاورِ فِكْرٍ جديد، و كما يلي:

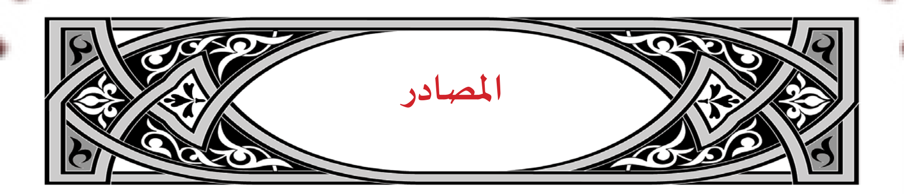
- المدرسةُ جاءتْ بمفهوم التصوّف في اللّبسِ والأكلِ ومُحاربةِ النفسِ والخُلْوةِ.
- ودرسَت المدرسةُ التفسير والفقه والإسنادِ بالأحاديث.
- كانتْ الأولى في الجدلِ بالكلام في المناظرةِ والإتقان.
- وعندَ سرْدِ الحديث: كانتْ جميعها عن مشايخ عصرهِ في الحديث.

ومِمَّا جاءَ أعلاه يمكنُ أنْ يُطلقَ عليها وَصْفَ مدرسةِ المحاسبي الواعظين عن طريقِ الجَدَلِ والحقّ والتفسير بحكم فهمِها للظاهرِ والباطنِ والحدَّ والمَطلع في علمِ التفسيرِ والكلام، وبسند الأحاديث عن طريق الفقهِ الشافعي، مرتَدي وشاحَ الزُّهد والورعِ ومحاربةِ النفس، وسارَ بطريقة المحدثين في التمسّكِ بسُنَّة رَسُولِ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقد كانتْ طريقةُ المحاسبي في الوعظِ تجرُّ الخصوم إلَيه من شدّة بيانها، وأنَّ كتبه هي أمهاتِ الكتب في: الكلام والأصولِ والقياسِ والوَرع والمعرفةِ والتفسير بعلم الظاهرِ والباطن. ولكنَّ الغرَيبَ بالأمرِ أنَّ المحاسَبي نَصَرَ الصّوفيةِ فيما سبق نصَرًا لا مثيل لهُ؛ فقد تركَ بيئة المحدثينَ والفقهاءِ وأوى إلى الزُّهد والتصوّفِ، فلماذا لم يَحفظ الصوفيةُ المعاصرون عهدَه ومؤلفاته وأفكاره.

وفي النهاية أود القول أنَّ عمليةَ تحقيقِ المخطوطة لم تكنْ لدينا عبارةٌ عن نقل كلماتِ من ورقِ أصفر قديم إلى أبيض فقط، بلْ هو تحليلٌ فكريّ لكلماتِ المصنفّ من زاويةِ التفسير حول مفهوم المعاني للكلماتِ من حيث الظاهر والباطن وما بينَ السطور ومُدرك للحركاتِ والإشاراتِ فيها. فكان باطنُها

عبارةً عن تبحّرٍ في جوْهرِ الكلماتِ وفَهْم فحواها والتبُّصر بحدَّها وهو بَعدم التجاوز على النّصوصِ. وأمّا مطلعُها كانَ عبارةً عن فِهْم بما يقرئ منها؛ لذلك كانَ التحقيقُ عهدًا لما بينَ السطورِ من المحققِّ لربِّ العزّةِ لكلماتٍ اختارَها أنْ تخُرجَ من بعِد أعوامٍ، فسبحان الله القائلُ: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}.

والحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ



المصادر

- **أحمد** البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ت: رياض زركلي، الفكر، لبنان ط١، ١٩٩٦.
- **إبراهيم** الحربي، غريب الحديث، ت: سليمان إبراهيم، أُم القرى مكة المكرمة،١٤٠٥ هـ.
- **ابو** قاسم القشيري، الرسالة القشيرية، ت: عبد الحليم محمود، الشعب القاهرة،١٩٨٨.
- **أحمد** بن خلكان، أنباء أبناء الزمان، أ: إحسان عباس، صادر، بيروت ١٩٩٤.
- **أحمد** بن أبي خيثمة، التاريخ الكبير، ت: صلاح فتحي، الفاروق القاهرة، ٢٠٠٤.
- **أحمد** بن الحسين البيهقي، الزهد الكبير، ت: عامر أحمد، الجنان بيروت، ١٤٠٨هـ.
- **أحمد** الخطيب، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السمع، ت: محمود الطحان المعارف ١٩٨٣.
- **أحمد** الخطيب، الكفاية في علم الرواية، ت: عبد الله السورقي، العلمية المدينة المنورة، ٢٠٠٢.

- **أحمد** الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة السلام، ت: بشار عواد، الغرب بيروت ط١، ٢٠٠١.
- **أحمد** بن حسين البيهقي، السنن الكبرى، ت: إبراهيم شمس العلمية،بيروت،٢٠٠٣.
- **أحمد** بن حسين البيهقي، الجامع لشعب الإيمان، مكتبة الرشد، السعودية، ٢٠٠٣.
- **أحمد** بن حنبل، الزهد، ت: محمد جلال شرف، دار النهضة، بيروت،١٩٨١.
- **أحمد** بن حنبل، مسند الإمام أحمد، ت: حمزة أحمد، دار الحديث القاهرة،١٩٩١.
- **أحمد** البصري، الطبقات الكبرى، ت: أحمد شمس وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت،١٩٩١.
- **أحمد** شعيب النسائي، السنن الكبرى، ت: حسن الشبلي، الرسالة، بيروت ٢٠٠١.
- **أحمد** بن عبد الله الأصفهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الفكر،القاهرة،١٩٩٦.
- **أحمد** بن علي التميمي، مسند أبي يعلَى، ت: حسين سليم الأسد، المأمون بيروت ط٢ ١٩٨٩.
- **أحمد** بن علي العسقلاني، تهذيب التهذيب، أ: إبراهيم الزئبق، دار الرسالة بيروت، ١٩٩٥.

- **أحمد** القرطبي، المفهوم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ابن كثير، بيروت ط١، ١٩٩٦.
- **أحمد** البزار، مستند البحر الزخار، ت: محفوظ عبد الرحمن، العلوم المدينة المنورة،١٩٨٨.
- **أحمد** القزويني، حلية الفقهاء، ت: عبد الله تركي، متحدة، بيروت،١٩٨٣.
- **أحمد** فارس القزويني، معجم مقاييس اللغة، ت: عبد السلام محمد، الفكر القاهرة،ط١، ١٩٧٩.
- **أحمد بن قاسم أبي أصيبعة**، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ت: محمد النجار، الحياة بيروت، ١٣٩٩.
- **أحمد** محمد الطحاوي، شرح معاني الآثار، ت: محمد النجار، عالم الكتب القاهرة،١٩٩٤.
- **أحمد** عبد الرزاق، موسوعة أحمد بن حنبل في رجال الحديث، الكتب بيروت، ط١، ١٩٩٧.
- **أحمد** مختار عمر، معجم الصواب اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، ط١ ٢٠٠٨.
- **أحمد** مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، قاهرة، ط١، ٢٠٠٨.
- **إسحاق** إبراهيم الفارابي، معجم ديوان الأدب، ت: أحمد مختار، الشعب، القاهرة، ٢٠٠٣.

- **إسماعيل** عمرو كثير، تفسير القرآن العظيم، ت: سامي محمد سلامة، طيبة السعودية، ١٩٩٩.
- **إسماعيل** بن قاسم البغدادي، البارع في اللغة، ت: هشام الطعان، النهضة بغداد، ط١، ١٩٧٥.
- **إسماعيل** المزني، السنن المأثورة للشافعي، ت: عبد المعطي معين، المعرفة بيروت، ١٤٠٦هـ.
- **آنا** ماري شميل، الأبعاد الصوفية في الإسلام، تر: محمد السيد وآخرون الجمل بغداد،٢٠٠٦.
- **أيوب** الحسيني، الكليات معجم في المصطلحات، ت: عدنان درويش، الرسالة بيروت ١٩٩٨.
- **بدر** الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ت: محمد ابو الفضل، دار التراث مصر،١٩٥٧.
- **بديعة** محمد عبد العال، الأدب التركي العثماني، دار الثقافية، ط١ القاهرة،٢٠٠٧.
- **تاج** الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ت: عبد الفتاح محمد، هجر مصر،١٤١٣هـ.
- **تقي** الدين أحمد الحراني، مجموعة الفتاوى، ف.ح: عبد الرحمن بن محمد مجمع الملك فهد، السعودية ٢٠٠٤.
- **جبي**، شرح غريب ألفاظ المدونة، ت: محمد محفوظ، دار الغرب تونس،١٩٨٠.

- **جلال** الدين السيوطي، الدرر المنثور في التفسير، ت: عبد الله تركي، الهجرة المدينة المنورة ٢٠٠١.
- **جلال** الدين السيوطي، سنن النسائي، ت: التراث الإسلامي، دار المعارف لبنان، ط١٢، ٢٠١٢.
- **جلال** الدين سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية الجنوب، تونس،١٩٩٤.
- **جمال** الدين المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ت: بشار عواد الرسالة بيروت، ١٩٩٢.
- **جمال** الدين الأنصاري، لسان العرب، ت: عبد الله علي، صادر بيروت، ط٣ ١٤١٤هـ.
- **جمال** الدين الكجراتي، بحار الأنوار في غرائب التنزيل المعارف العثمانية إسطنبول،١٩٦٧.
- **جوزيف** فان اس، علم الكلام والمجتمع، تر: سالمة صلاح، الجمل بيروت،١٩٩٠.
- **حارث** المحاسبي، آداب النفوس: ت: عبد القادر أحمد، دار الجيل بيروت،١٩٩١.
- **حارث** المحاسبي، آداب النفوس: ت: عبد القادر أحمد، دار الجيل بيروت،١٩٩١.
- **حارث** المحاسبي، أستاذ السائرين، عبد الحليم محمود، دار البصائر، قاهرة،٢٠٠٥.

- **حارث** المحاسبي، الإنابة إلى الله، ت: هلمون ريتر، O.SPES، ألمانيا،١٩٣٥.
- **حارث** المحاسبي، الإنابة لله، ت: مجدي فتحي السيد، دار السلام، القاهرة ١٩٩١.
- **حارث** المحاسبي، التوبة، ش: عبد القادر أحمد، النصر، القاهرة،١٩٧٧.
- **حارث** المحاسبي، التوهم، ت: آرثر جون اربري، تر: أحمد أمين، بيت الوراق، بغداد، ٢٠١٠.
- **حارث** المحاسبي، الخلوة والتنقل في العبادات، ت: أغناطيوس عبد خليفة الشرق، بيروت،١٩٥٥.
- **حارث** المحاسبي، الرعاية لحقوق الله، ت: عبد الحليم محمود، المعارف القاهرة، ١٩٨٥.
- **حارث** المحاسبي، الرعاية لحقوق الله، ت: عبد القادرعطا الله، دار كتب علمية بيروت،١٩٨٥.
- **حارث** المحاسبي، الرعاية لحقوق الله، ت: مارغريت سميث، بغداد ط١ ٢٠١٤.
- **حارث** المحاسبي، الزهد ومسائل أعمال القلوب والجوارح، ت: عبد القادرعطا، الجيل، بيروت ط١، ١٩٦٩.
- **حارث** المحاسبي، الصبر والرضا، ت: جوزيف فإن اس، O.SPES، ألمانيا ط٦، ١٩٣٦.

- **حارث** المحاسبي، العقل وفهم القرآن، ت: حسين القوتلي، دارالفكر، بيروت ط١، ١٩٧١.
- **حارث** المحاسبي، العلم، ت: محمد عابد مزالي، دارالتونسية، الجزائر ١٩٧٥.
- **حارث** المحاسبي، المكاسب، ت: سعد كريم الفقي، دار ابن خلدون، الإسكندرية د.ت.
- **حارث** المحاسبي، الوصايا، ت: عبد القادرعطا الله، داركتب علمية، لبنان ط.١، ١٩٨٦.
- **حارث** المحاسبي، رسالة المسترشدين، ت: فتاح ابو غدة، دارالسلام، حلب ط٢ ١٩٦٤.
- **حارث** المحاسبي، شرح المعرفة وبذل النصيحة، ت: مجدي فتحي، الصحابة مصر، ١٩٩٣.
- **حارث** المحاسبي، معاتبة النفس، ت: محمد عبد القادر عطا، دار الاعتصام قاهرة، ٢٠٠٣.
- **حسن** عبد الله العسكري، ديوان المعاني، ت: أحمد حسن، الكتب العلمية بيروت، ط١ ١٩٩٤.
- **حسن** عبد الله العسكري، الفروق اللغوية، ت: محمد عبد السلام، الإسلامي السعودية، ١٤١٢هـ.
- **حسن** بن علي نصر الطوسي، مختصر الأحكام، ت: أنيس بن أحمد، الغرباء السعودية،١٤١٥.

- **حسين** مسعود البغوي، تفسير البغوي في معالم التنزيل، ت: محمد عبد، طيبة الرياض، ١١٤١هـ.

- **حكيم** الترمذي، ختم الأولياء، تر: عمر أونجنت، حكاية، أنقرة، ٢٠١٤.
حمد بن محمد الخطابي، غريب الحديث، ت: عبد الكريم غرباوي، الفكر دمشق، ١٩٨٢.

- **خليل** بن أحمد الفراهيدي، العين، ت: إبراهيم السامرائي، مكتبة الهلال، بغداد، ١٩٨٥.

- **خير** الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملاين، بيروت، ٢٠٠٢.

- **راغب** الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ت: صفوان عدنان، دار العلم دمشق، ١٤١٥هـ.

- **رجب** عبد الجواد، المعجم بأسماء الملابس عند العرب، دار الآفاق العربية، قاهرة، ٢٠٠٢.

- **رين** هارت آن، تكملة المعاجم العربية، تر: جمال الخياط، وزارة الثقافة العراق، ١٩٧٧.

- **زكي** المنذري، الترغيب والترهيب من الحديث، ف.ح: إبراهيم شمس، العلمية بيروت، ٢٠٠٣.

- **زهير** شفيق الكبى، موسوعة خلفاء المسلمين، دار الفكر العربي، بيروت، ط١ ١٩٩٤.

- **زين** الدين العراقي، شرح ألفي العراقي، ت: محمد بن حسين علمية، بيروت ٢٠٠٨.

- **زين** المناوي، الكواكب الدرية في تراجم الصوفية، ت: محمد أديب، صادر بيروت، ١٩٩٩.
- **سعيد** بن حسن الأندلسي، ديوان أبي مدين الغوث، أ: عبد القادر مسعود وآخرون، بيروت ٢٠١١.
- **سلمة** الصحاري، الإبانة في اللغة العربية، ت: عبد الكريم خليفة، التراث عمان، ١٩٩٩.
- **سليمان** بن أحمد الطبراني، المعجم الكبير، ت: حمدي السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٩٩٤.
- **سليمان** بن أحمد الطبراني، معجم الأوسط، ت: طارق بن عوض، الحرمين القاهرة، ١٩٩١.
- **سليمان** الأشعث السجستاني، كتاب الزهد، ت: ياسر بن داوود، مشكاة، مصر، ط١ ١٩٩٣.
- **شمس** الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ت: حسان بن منان، دار الرسالة بيروت، ٢٠٠١.
- **شمس** الدين القرطبي، تفسير القرآن، ت: أحمد الردوني وآخرون، دار المصرية ط٢، ص١٩٦٤.
- **شهاب** الدين السهروردي، عوارف المعارف، ت: عبد الحليم محمود، المعارف القاهرة، ب. ت.
- **شهاب** الدين بن ياقوت الحموي، معجم البلدان، دارصادر، بيروت، ط١ ١٩٩٧.

- **شهاب** الدين الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ت: عبد القادر الأرناؤوط وآخرون، ابن كثير، بيروت، ١٩٨٨.
- **صفوت** عبد الفتاح محمود، المغني في معرفة رجال الصحيحين، عمار، الأردن، ط١ ١٩٨٧.
- **صلاح** الدين الصفدي، الوافي بالوفيات، ت: أحمد الأرناؤوط، التراث، بيروت ط١ ٢٠٠٠.
- **ضياء** الدين القدسي، الأحاديث المختارة، ت: عبد الملك الله، حضر، بيروت ٢٠٠٠.
- **عبد** الحليم محمود، أبو مدين الغوث، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥.
- **عبد** الرحمن السلمي، طبقات الصوفية، ت: أحمد الشرباصي، الشعب القاهرة، ١٩٩٨.
- **عبد** الرحمن الجوزي، كشف النقاب عن الأسماء والألقاب، ت: عبد العزيز الصاعدي، مكتبة دلر السلام، بغداد،١٩٩٣.
- **عبد** الرحمن بدوي، مؤلفات الغزالي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط٢ ١٩٧٧.
- **عبد** الرحمن حاتم التميمي، العلل، ت: سعد عبد الله، مكتبة الملك فهد، الرياض ٢٠٠٦.
- **عبد** الرحمن التميمي، الجرح والتعديل، ت: محمد السعيد، الكتب العلمية بيروت،١٩٨٨.

- **عبد** الرحمن الحنبلي، بيان فضل علم السلف، ت: محمد ناصر، الاصمعي، الرياض ١٤٠٦ هـ.
- **عبد** الرحمن الحنبلي، رواع التفسير، دار العاصمة،، دار الفكر، السعودية ٢٠٠١.
- **عبد** الرحمن الحنبلي، شرح صحيح البخاري، ت: محمود شعبان، الغرباء، السعودية ١٩٩٦.
- **عبد** الرحمن بن علي الجوزي، تلبيس إبليس، دار القلم، لبنان، ٢٠٠١.
- **عبد** الرحمن الجوزي، غريب الحديث، ت: عبد المعطي أمين، الكتب العلمية بيروت، ١٩٨٥.
- **عبد** الرحمن بن خلدون، شفاء السائل وتهذيب المسائل، ت: محمد مطيع، الفكر بيروت، ١٩٩٦.
- **عبد** الرزاق الصنعاني، المصنف، ت: حبيب رحمان الأعظمي، المجلس العلمي الهند، ١٤٠٣هـ.
- **عبد** الفتاح القاضي، الوافي في شرح الشاطبية في القراءات، مكتبة السوادي، جدة ١٩٩٢.
- **عبد** القادر الكيلاني، الغنية في طالبي الحق، ف.ح: صلاح بن محمد، العلمية بيروت، ١٩٩٧.
- **عبد** الكريم بن محمد السمعاني، الأنساب، دار الجنان، بيروت، ط١، ١٩٨٨.

- **عبد** الله بن أبي دنيا، الرقة والبكاء، ت: محمد خير، دار ابن حزم بيروت، ١٩٩٨.
- **عبد** الله بن أسعد بن علي اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، الكتب العلمية بيروت،١٩٩٧.
- **عبد** الله المرزبان، تصحيح الفصيح وشرحه، ت: محمد بدوي، مجلس الأعلى للشؤون الإسلامية قاهرة، ١٩٩٩.
- **عبد** الله العتيبي، المآخذ العقيدية على كتاب إحياء علوم الدين، الهدي النبوي السعودية،٢٠١٥.
- **عبد** الله الجرجاني، الكامل في ضعفاء الرجال، ت: علي محمد، كتب العلمية بيروت، ١٩٩٥.
- **عبد** الله مبارك المروزي، الزهد، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، كتب العلمية بيروت، ٢٠٠٤.
- **عبد** الله بن محمد بن إبراهيم أبي شيبة، المصنف، ت: أسامة بن إبراهيم الفكر، القاهرة، ١٩٩٤.
- **عبد** الله محمد المقدسي، الآداب الشرعية، ت: شعيب الأرناؤوط ، الرسالة بيروت،١٩٩٩.
- **عبد** الواحد يحيى، مقالات رينيه جينو، تر: زينب عبد العزيز، دار الأنصار،مصر،١٩٩٦.
- **عبد** الكريم محمد السمعاني، الأنساب، مكتبة ابن تيمية، ط١، القاهرة،١٩٨٠.

- **عبد** الوهاب الشعراني، الطبقات الكبرى المسمى لواقح الأنوار القدسية، ت: توفيق علي، الثقافة، ط١، القاهرة، ٢٠٠٥.
- **عبد** النبي الفكري، جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، كتب علمية، بيروت، ٢٠٠٠.
- **عثمان** الشهرزوري، طبقات فقهاء الشافعية، ت: محي الدين علي، الإسلام، بيروت،١٩٩٢.
- **عز** الدين الجزري، اللباب في التهذيب، ت: قاسم محمد، المثنى، بغداد،١٩٧٥.
- **عصام** الدين الصبابطي، الأحاديث القدسية في الحديث، دار الريان، السعودية، ٢٠٠٨.
- **عصام** الشنطي، فهرست المخطوطة ات العربية، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ١٩٩٦.
- **علاء** الدين المتقي، كنز العمال في سنن الأقوال، ت: صفوت سقا، الرسالة، بيروت، ٢٠٠٨.
- **علي** المرسي، المخصص، ت: خليل جفال، إحياء التراث، بيروت،١٩٩٦.
- **علي** المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، ت: عبد الحميد هنداوي، الكتب العلمية، بيروت،٢٠٠٠.
- **علي** الحسين بن علي المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجواهر، العصرية، بيروت، ٢٠٠٥.

- **علي** بن جعفر علي السعدي الصقلي، كتاب الأفعال، عالم الكتب، القاهرة،١٩٨٣.
- **علي** حسن الشافعي، تاريخ مدينة دمشق، ت: محب الدين العموري، الفكر، دمشق،١٩٩٦.
- **علي** الأزدي، المنتخب من كلام العرب، ت: محمد العمري، إحياء التراث، السعودية،١٩٨٩.
- **علي** محمد القارئ، مرقاة المفاتيح، ت: جمال عيتاني، العلمية بيروت، ط١ ٢٠٠١.
- **علي** كرم الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ت: علي محمد، ابن حزم، بيروت،٢٠١٢.
- **علي** بن محمد الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٣.
- **عمر** الشافعي ابن ملقن، طبقات الأولياء، ت: نور الدين شربيه، مكتبة الخانجي، قاهرة ،١٩٩٤.
- **عمر** بن محمد النسفي، طلبة الطلبة، مطبعة المثنى، بغداد، ١٣١١هـ.
- **عمرو** الجاحظ، البيان والتبين، ت: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، ١٩٩٨.
- **فريد** الدين العطار النيشابوري، تذكرة الأولياء، ت: محمد جادر، الأندلس بيروت،١٩٧٩.

- **فواد** سزكين، تاريخ التراث العربي، تر: محمود فتحي، إدارة الثقافة والنشر، الرياض،١٩٩١.
- **القاسم** بن سلام الهروي، غريب الحديث، ت: محمد خان، العثمانية، إسطنبول، ١٩٦٤.
- **كارل** بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، تر: عبد الحليم النجار، دار المعارف القاهرة، ط٥، د.ت.
- **كمال** الدين الأنباري، نزهة الألباء في الطبقات، ت: إبراهيم سامرائي المنار الأردن، ١٩٨٥.
- **مجد** الدين مبارك الجزري، النهاية في غريب الحديث، ت: أحمد محمد الأوقاف، قطر، ١٤٠٧هـ.
- **مجد** الدين محمد فيروز آبادي، القاموس المحيط، ت: التراث، دار الرسالة بيروت،٢٠٠٥.
- **محمد** إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ش: مصطفى ديب، دار ابن كثير، دمشق،٢٠٠٢.
- **محمد** الزرقاني، شرح الزرقاني على موطأ مالك، ت: طه عبد الرؤوف الثقافة، قاهرة، ٢٠٠٣.
- **محمد** أحمد، الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، عبد المنعم طوعي، البشائر بيروت،١٩٩٨.
- **محمد** السفاريني، الألباب شرح منظومة الآداب، ت: محمد عبد العزيز الكتب، بيروت،١٩٩٦.

- **محمد** أحمد السفاريني، لوائح الأنوار السنية، ت: عبد الله محمد، الرشد السعودية، ط١، ١٩٩٤.
- **محمد** أحمد الهروي، تهذيب اللغة، ت: محمد عوض، دار إحياء التراث بيروت، ٢٠٠٢.
- **محمد** أحمد بطال، النظم المستعذب في تفسيرغريب ألفاظ مهذب، التجارية، سعودية،١٩٩١.
- **محمد** بن إدريس الشافعي، الأم، ت: رفعت فوزي، دارالوفاء مصر، ٢٠٠١.
- **محمد** بن إسحاق البغدادي، الفهرست، ت: إبراهيم رضوان، المعرفة بيروت،١٩٩٧.
- **محمد** الكلاباذي، التعرف لمذهب التصوف، ت: آرثر جون اربري، الخانجي، القاهرة، ١٩٣٣.
- **محمد** بن أشرف آبادي، عون المعبود شرح سنن داوود، كتب علمية، بيروت ط٢، ١٤١٥هـ.
- **محمد** بن حبان السبتي، الثقات، ت: محمد عبد المعيد خان، المعارف، الهند،١٩٧٣.
- **محمد** بن حسن الأزدي، جمهرة اللغة، ت: رمزي منيربعلبكي، العلم للملاين، بيروت،١٩٨٧.
- **محمد** بن خيرالإشبيلي، الفهرست، ت: بشارعواد وآخرون، الغرب الإسلامي، تونس،٢٠٠٩.

- **محمد** زيد ابن ماجه القزويني، السنن، ت: شعيب الأرناؤوط وآخرون الرسالة، دمشق،٢٠٠٩.
- **محمد** بن سعد الزهري، الطبقات الكبرى، ت: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، قاهرة،٢٠٠١.
- **محمد** بن سهل الكرخي، الألفاظ الكتابة والتعبير، ت: حامد صادق، دارالبشير، عمان، ١٩٩١.
- **محمد** بن عبد الله الخطيب التبريزي، الإكمال في أسماء الرجال، كتب العلمية بيروت، ٢٠٠٨.
- **محمد** بن علي الشوكاني، نيل الأطوار، بيت الأفكار، عمان ٢٠٠٤.
- **محمد** القاضي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون، ت: علي دحروج لبنان، بيروت، ١٩٩٦.
- **محمد** الأصبهاني، المغيث في غريب القرآن، ت: عبد الكريم الغرباوي، مدني سعودية، ١٩٨٦.
- **محمد** بهاء الدين العاملي، الكشكول لخاتمة الأدباء، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٨.
- **محمد** بن عيسى الترمذي، الجامع الصحيح، ت: أحمد محمود، مكتبة الحلبي، دمشق،١٩٧٨.
- **محمد** الأزدي، تفسير الغريب ما في الصحيحين، ت: زبيدة محمد، مكتبة السنة، القاهرة،١٩٩٥.

- **محمد** الأنباري، الزاهر في معاني كلام الناس، ت: حاتم صلاح، الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٩٩.
- **محمد** بن محمد الزبيدي، تاج العروس جواهر القاموس، دار إحياء التراث بيروت، ١٩٨٤.
- **محمد** بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، تخ: الحافظ العراقي، ابن حزم بيروت، ط١، ٢٠٠٥.
- **محمد** بن محمد الغزالي، الدرة الفاخرة، ع. ع: موفق فوزي جبر، الحكمة دمشق، ط١، ١٩٩٥.
- **محمد** بن محمد الغزالي، المنقذ من الضلال، ت: أحمد شمس الدين، دار الكتب، بيروت،١٩٨٨.
- **محمد** بن محمد الغزالي، قانون التأويل، ع. ع: محمود بيجو، دار البيان دمشق،١٩٩٣.
- **محمد** بن يزيد، كتاب الكامل، ت: محمد الدالي. مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٥.
- **محمد** الأندلسي، تحفة الأريب بما في القرآن، ت: سمير مجذوب، الإسلامي السعودية، ١٩٨٣.
- **محمد** حسن جبل، المعجم المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، الآداب، القاهرة ٢٠١٠.
- **محمد** الهندي، الرفع والتكميل في الجرح، ت: عبد الفتاح أبو غدة، ابن تيمية القاهرة، د.ت.

- **محمد** عبد الرحمن، تحفة الأحوذي بشرح الترمذي، أ: عبد الرحمن محمد الفكر، مصر، ١٩٥٠.
- **محمد** عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل، ع.ع: أحمد فهمي، دارالكتب بيروت، ط٩، ١٩٩٦.
- **محمد** عبد الله النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، ت: مصطفى عبد بيروت، ١٩٩٠.
- **محمد** عميم البركتي، التعريفات الفقهية، دار الكتب العلمية، باكستان، ٢٠٠٣.
- **محمود** بن أحمد الحنفي، نخب الأفكار، ت: ياسر بن إبراهيم، الأوقاف الاسلامية، قطر، ٢٠٠٨.
- **محمد** بن أحمد السرخسي، المبسوط، دارالمعرفة، بيروت،١٩٩٣.
- **محمود** بن عمرو الزمخشري، أساس البلاغة، ت: محمد باسل، الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨.
- **محمود** بن عمرو الزمخشري، تفسيرالكاشف، ع.ع: خليل مأمون، المعرفة، بيروت،٢٠٠٣.
- **محيي** الدين شرف النووي، تهذيب الأسماء واللغات، دار كتب العلمية بيروت،١٩٦٥.
- **مسلم** بن حجاج القشيري، صحيح مسلم، ت: محمد فواد، دار إحياء الكتب القاهرة، ١٩٤٥.

- **مصطفى** عبد الله جلبي، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ت: محمد شرف، التراث، بيروت، ١٩٤١.
- **نشوان** بن سعد الحموي، شمس العلوم ودواء الكلام، ت: حسين لعمري الفكر، بيروت،١٩٩٩.
- **نور** الدين علي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ت: حسين سليم أسد، المأمون، بيروت ٢٠٠٩.
- **هشام** بن محمد الكلبي، جمهرة النسب، ت: ناجي حسن، النهضة العربية بيروت، ط١، ١٩٨١.
- **وكيع** بن جراح، الزهد، ف.ح: عبد الرحمن عبد الجبار، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ١٤٠٢هـ.
- **يحيى** بن زكريا النووي، شرح النووي على مسلم، ش: علي عبد الحميد السلام، القاهرة ١٩٩٦.
- **يحيى** بن شرف النووي، التبيان في آداب حملة القرآن، ابن حزم، بيروت ١٩٩٦.
- **يعقوب** بن إسحاق الكندي، رسائل الكندي، ت: محمد عبد، دار، الفكر القاهرة، ١٩٥٠.
- **يعقوب** بن إسحاق، الألفاظ، ت: فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان، بيروت،١٩٩٨.
- **اليمان** بن أبي اليمان، التقفية في اللغة، ت: خليل إبراهيم، بغداد، ١٩٧٦.

محتوى الكتاب

هـذا الكتـاب.......... ٧

قائمـة الإشـارات والاختصـارات.......... ١١

صـور مـن مخطوطـة مكتبـة السـليمانية.......... ١٥

صـور وصـلات شـراء نسـخ المخطوطـة.......... ١٧

صـور مـن مخطوطـة مكتبـة الأزهـر.......... ١٩

المقدمـة.......... ٢٣

تفاصيـل الكتـاب.......... ٣٩

سيرة الإمام المحاسبي:

اسمه ومولد وحياتـه ووفاتـه.......... ٤٣

شـيوخه وتلاميذه.......... ٥٢

ثنـاء أهـل العلـم عليـه.......... ٦٢

فكـر المحاسـبي في علـم الـكلام.......... ٦٨

مؤلفاته:

الكتب المحققة من المستشـرقين.......... ٧٧

الكـتب المحققـة مـن العـرب.......... ٨٢

المخطوطات غير المحققـة والمفقـودة.......... ٩٢

وصـف المخطوطـات...٩٩
وصـف تفاصيـل مخطوطـة الأصـل......................................١٠٣
وصـف تفاصيـل مخطوطـة الأزهـر......................................١٠٥
منهـج التحقيـق والمقابلـة...١٠٧
ملخـص المسـائل...١١٣
صورة مـن غلاف كتاب أعمال القلوب والجوارح نسـخة الأصـل........١٢٣
التحقيـق ١٢٥
الخاتمـة...٣١٣
مصـادر الكتـاب...٣١٧
محتـوى الكتـاب...٣٣٧